

تاريخ الشرق الأدنى القديم و حضارته

منذ فجر التاريخ حتى مجئ حملة الإسكندر الأكبر



الجزء الثاني

الأناضول - بلاد الشام

أستاذ علم المصريات
كلية الآداب - جامعة المنيا

تأليف : د. رمضان عبده علي

دار نهضة الشرق للطبع و النشر و التوزيع

تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته

منذ فجر التاريخ حتى مجى حملة الإسكندر الأكبر

الجزء الثاني
الأناضول - بلاد الشام

تأليف

د. رمضان عبده على

أستاذ علم البصريات

كلية الآداب - جامعة المنيا



الكتاب : تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته
الجزء الثاني (الأناضول - بلاد الشام)

المؤلف : د. رمضان عبده على

رقم الطبعة : الطبعة الأولى

تاريخ الإصدار : يناير ٢٠٠٢

حقوق الطبع والنشر : محفوظة للناشر

الناشر : دار نهضة الشرق

العنوان : ٣٢ شارع طلعت حرب - القاهرة

تليفون : ٥٧٩٥٩٦٠ - ٥٧٥٨٣٨٤

فاكس : ٥٧٩٥٩٨٠

رقم الإيداع : ٩٨٩٥

الترقيم الدولي : I.S.B.N. 977-245-161-1

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على
سيدنا محمد النور وآله

تاريخ الأناضول القديم وبعض مظاهر حضارته

تاريخ الأناضول القديم

الهيئة الجغرافية :

أسيا الصغرى (الأناضول) موطن الحيثيين هضبة عالية يبلغ ارتفاع أحد قسمها " أزيل داج " حوالى ٩٦٠٠ قدما . ويمكن تقسيمها إلى أربعة أقسام :

القسم الشمالى الشرقى : وهو موطن الحيثيين الأصلي ، ويجرى فيه نهر الهاليس والذى اصطلح على تسميته بالعربية " فيصل برموق " وفى بعض الكتب " قزل أرمق " ويبلغ طوله حوالى ٥٠٠ ميلا . وقد تعددت منابعه حول منحدرات أيزيل داج الواقعة عند خط تقسيم حدود المياه فى شمال نهر الفرات . وينحدر بمسرة من منبعه متجها إلى الغرب فى شكل دائرى ثم يتجه إلى الشمال الشرقى ليصب فى البحر الأسود ، إلى الغرب من ميناء سمسون . وأهم مدينة تقع فى هذا القسم هى خاتوساس أو خاتوشاش أو خاتوشا وهى اليوم بوغازكوى على بعد تسعين ميلا شرقى أنقرة .

القسم الشمالى الغربى : وهو يشمل فريجيا ، ويحده شرقا مياه نهرى سانجاريوس وهاليس ، ويحده جنوبا البحيرات الوسطى والجنوبية والغربية . ويجوز فى هذا القسم نهر سانجاريوس وروافده . وأهم مدينة تقع فى هذا القسم هى أنقرة . وتشتهر منطقتها بصناعة الصوف والمعروف باسم الموهير ، وبالماعز الذى يطلق عليه أنجورا والتى اشتهر بجودة صوفه .

ويشتمل القسم الثالث : الأراضى الواقعة بين السهول الوسطى وبحيرات بيسيديان ، ويتخللها مرتفعات لا تصلح غالبا منحدراتها للزراعة وعمرت فى هذا القسم مدن من أيام العصر الفارسى والرومانى منها : جايالا (وهو اسم مشتق من الاسم الحيثى خابالا) .

أما القسم الرابع : فيقع عند أسفل مرتفعات طوروس الشمالية ويحده من الغرب مرتفعات كاراداج . وتتجمع المياه فى داخل هذا القسم فى بحيرة أكجول . وهى منطقة خصبة ، وأهم مدنها قيلنا .

ويقع بين هذه الأقسام الأربعة سهل اكسيلون وبه بحيرة مالحة ويبلغ ارتفاع السهل عن مستوى البحر حوالي ٣٠٠٠ قدما . والمظهر العام لهضبة الأناضول فى كثير من أجزائها أنها مغطاة بالزراع ومناخها حار وجاف صيفا ومطر شتاء ^(١).

وكان الحيثيون الذين تبدو ملامحهم على الآثار شبيهة بملامح الحوريين شعبا أناضوليا فى الأصل يسكن منطقة نهر الهاليس ^(٢) . وكان لبيئة الأناضول أثر كبير فى شكلها الاقتصادى ، فالهضبة الوسطى قليلة الماء . وفى الشمال حيث كسان يقيم الحيثيون تكثر الأودية والقفوات وتقوم بعض الزراعات . وشتاء الهضبة قارص البرودة وريبعها قصير فقاموا بزراعة الشعير والقمح . وأما فاكهتهم فأخصها الكروم واللوز . ومعادن جبال الأناضول هى : النحاس حيث قام الآشوريون بجلبه من كابادوكيا قبل قيام دولة الحيثيين ، وكذلك الفضة والحديد . وقد برع أهل اسيا الصغرى فى صناعة الحديد ومبهره . وقد كتب خاتوسيليس الثالث فى إحدى رسائله إلى ملك آشور قائلا : " أما عن الحديد الذى كتبت له عنه ، فالحديد الجيد غير متوافر فى بيت الختم فى كيزواتانا . وقد كتبت إليك أن هذا الوقت غير صالح لإنتاج الحديد ، إتهم فى سبيل إنتاج حديدا جيدا ، لكنهم حتى الآن لم ينتهوا من إنتاجه ، وعندما ينتهون سأرسله . أما اليوم فلما مرسل إليك فنجرا من الحديد " .

وكانت الأناضول تصدر إلى بلاد النهرين النحاس واستوردت منها منسوجات وصفيح . وكانت آسيا (قبرص) أيضا تمد بلاد النهرين بالنحاس .

واشتهرت كل من الاسا (التى تقع فى وسط آسيا الصغرى) ودوراك (بالقرب من الساحل) بالصناعات المعدنية بمختلف الطرق بالصب فى الشمع وبالطرق وغيرها من الوسائل . وعرف أهلها ممارسة التطعيم فى المعادن . أما المعادن التى كانت معروفة فى كل من الاسا ودوراك فهى النحاس والبرونز . وجميع

(١) د. عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ، ص ٤٣٧ - ٤٣٨ .

(٢) د. فيليب حتى : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، الجزء الأول (ترجمة

د. جورج حداد وعبد الكريم رافق) ، ص ١٦٦ .

هذه المعادن كانت موجودة في الأناضول فيما عدا القصدير الذي كان يستورد من الخارج .

ومن نبين الحجارة المتوفرة في الأناضول : البلور الطبيعي ، والعقيق ، واليشب ، والنفريت ، والأبسيديان ، وطين الحقلان ، حيث عثر عليه في دوراك . وكان يصنع منه القشاني ، ولهذا امتازت دوراك بأسلحتها العديدة والممتازة : السيوف والخناجر ، وبلط المعارك ، والسهام ، وقد عثر في الاما على الأسلحة ، ولكن من نوع مختلف . وغالبا ما عثر عليه أوعية من المعدن في الاما أكثر من التي عثر عليها في دوراك ، وكانت أكبر حجما .^(١)

أصل القبائل الحيثية :

اعتاد علماء الآثار وتاريخ غرب آسيا القديم ، أن يطلقوا على القبائل ، التي كانت تقطن في أواسط آسيا الصغرى خلال عصور ما قبل التاريخ اسم ما قبل الحيثيين ، وهم يشكلون السكان الأوائل وكانوا من أصل هندو أوروبي ، ويقولون أيضا أن هذه القبائل لا تمت بصلة قريبي إلى الحيثيين ، الذين شكلوا بعد قرون جديدة جزءا من هجرة ما تعرف بالشعوب والقبائل الهندو آرية .

ويعتقد أن القبائل الحيثية استوطنت بعض مناطق آسيا الصغرى في نهاية الألف الثالثة قبل الميلاد . وكانت تربطها صلات قريبي بقبائل الكنتوم التي كانت تقطن البلقان . وهذا دليل على أنهم نزحوا إلى أواسط للصغرى ، من المناطق الشمالية الواقعة على سواحل البحر الأسود .^(٢)

مصادر دراسة تاريخ الأناضول القديم :

من مصادر دراسة تاريخ الأناضول القديم الأكثر القليلة الباقية بالإضافة إلى

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٥٢٥ .

(٢) د. توفيق سليمان : دراسات في حضارات غرب آسيا القديمة (من أقدم

العصور إلى عام ١١٩٠ ق م) ، ص ٢٦٧ .

بعض الإشارات التي وردت عن الحيثيين في المصادر الآشورية حيث ذكرت تحت اسم 'خاتي' وخاصة الفترة الواقعة ما بين عصر تيجلات بلاصو الأول (١١١٢ - ١٠٧٦ ق.م) وسرجون الثاني (٧٢٢ - ٧٠٥ ق.م) الذي تمكن من القضاء على مناطق النفوذ للحيثيين في شمال سوريا وإشارات أخرى وردت في بعض النصوص المصرية القديمة وكانت تتحدث عن نوعية وطبيعة العلاقات التي كانت قائمة بين البلدين مثل النصوص التي تتحدث عن الصراع بين الحيثيين والمصريين في بلاد الشام ونصوص معاهدة السلام التي وقعت بين البلدين وغيرها من نصوص ، وأخيرا بعض الإشارات التي وردت عن الحيثيين في التوراة في عدد من أسفارها .

بماية الاجتماع بأثار الأناضول القديمة :

ظل تاريخ الأناضول القديم مجهولا حتى أخذ الرحالة والمبشرون بجوبون شمال سوريا وآسيا الصغرى ، وبدأت الرحلات إلى آسيا الصغرى لبتداء من عام ١٧٦٤ م ، وفي عام ١٨١٢ عثر أحد الرحالة ويدعى بورخارت على أحد الأحجار في مدينة حماة وأشار في كتابه ' رحلة في سوريا ' إلى أن هذا الحجر عليه نقوش وعلامات تشبه الكتابة الهيروغليفية . وفيما بين عامي ١٨٣٣ و ١٨٢٥ كان شارل تكسييه في مهمة من قبل الحكومة الفرنسية في آسيا الصغرى ، فشاهد بالقرب من بوزار كوي بعض الخرائب التي قام بعمل رسم تخطيطي لها .^(١) إلا أن أصل الحفائر والتنقيبات لم تبدأ إلا في حوالي عام ١٨٧٠ حينما أخذ ' شليمان ' في البحث عن أثر طروادة حيث عثر على أحجار وتمثال منقوشة بكتابات غريبة أطلق عليها اسم ' الهيروغليفية - الحيثية ' .

وفي عام ١٨٨٠ ألقى ' سيس ' محاضرة أمام جمعية الأثار الإنجيلية في لندن قرر فيها أن ما عثر عليه من تحف هي من أثار الحيثيين . وقامت بعدها بعثة من المتحف البريطاني بالتنقيب في قرقيش وعثرت على نقوش بهذه الكتابة ،

(١) د. أحمد سليم : العراق - إيران - آسيا الصغرى ، دار المعرفة الجامعية
السكندرية ١٩٩٨ ، ص ٤٥٧ .

وعثرت بعثة ألمانية على نقوش مائلة في زنجولي فيما بين أعوام ١٨٨٨ و ١٨٩٢ ، وفي عام ١٩٠٦ بدلت بعثة ألمانية بإشراف " هوجزفكلر " بالتنقيب في بوجسازكوي (خاتوشا) العاصمة الحيثية القديمة وكشف فيها عن آلاف اللوحات المكتوبة بالخط المسماري (حوالي عشرة آلاف لوح) . وعكف العلماء على دراسة هذه النصوص الحيثية ونجحت محاولاتهم في ترجمة بعضها وفهمها وكان من بين هذه الألواح نسخة من المعاهدة التي عقدت بين الملك رمسيس الثاني وملك الحيثيين خاتوسيل . واتضح أن هذا الأرشيف يرجع إلى النصف الأول من القرن الرابع عشر إلى أواخر القرن الثالث عشر ق.م. (١)

ومن جهة أخرى بذل العلماء الإنجليز وغيرهم محاولات عديدة في مسيل حل رموز الكتابة " الهيروغليفية " الحيثية " واتضح لهم بأنها تمت بصلصة للكتابة المسمارية واللغة المصرية القديمة .

وتوقفت أبحاث الحفائر في آسيا الصغرى نظرا لقيام الحرب العالمية الأولى ، واستأنفت عام ١٩٣٠ حيث قام المعهد الشرقي للآثار في شيكاغو بعمل حفائر جنوبي شرق بوجسازكوي في منطقة " على شلر " وفي عام ١٩٣١ وأصل الفرنسيون حفائرهم حيث تم الكشف عن العديد من الآثار منذ العصر الحجري الحديث ، ومنذ عام ١٩٣٥ أخذت البعثات الأمريكية والتركوية في العمل في مجال البحث الأثرى. (٢)

وقد عثر في الأكاذول على نصوص بالمسمارية شملت لغات عديدة منسها ما أطلق العلماء عليه " لغة ما قبل الحيثية " (٣) وكتابات سومرية وكنية وحورية وآرية وقسم العلماء تاريخ الأكاذول القديم إلى عدة عصور وذلك اعتمادا على

(١) د. أحمد سليم : لمرجع السابق ، ص ٤٥٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٥٨ .

(٣) د. أبو الحامين عصفور : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ص ٣٠٤ -

٣٠٥ ؛ لمؤلف نفسه : معالم حضارات الشرق الأدنى القديم ، ص ١٧٢ .

دراسة الآثار المكتشفة ودراسة النصوص التي تحملها وهذه العصور هي :

العصور الحجرية القديمة :

لم تكن حضبة الأناضول مغرية للسكن وجذب السكان إلا في الألف السابعة ق.م . وذلك نتيجة لشدة البرودة وطول فصل الشتاء في المنطقة ولا تعرف الموطن الأصلي الذي نرح منه سكان الحضبة الأوائل وربما جاء هؤلاء السكان من القوقاز أو من منطقة بحر قزوين حيث وصلت في نفس الوقت هجرات أخرى من مناطق بحر إيجه من الغرب .

وعثر على بقايا العصر الحجري القديم في منطقة أديامان وفي كهف كارين بالقرب من إيطاليا ، وعثر في هذه المناطق على بقايا حيوانية منها دب الكهوف وأسد الكهوف . وعثر على بقايا العصر الحجري الوسيط في منطقة بلديبي على شاطئ البحر المتوسط ، وعلى الرغم من العثور على أدوات زراعية مثل المنجل لحصد النباتات البرية فيبدو أن السكان كانوا يعيشون على الصيد ، وعثر على بقايا العصر الحجري الحديث في منطقة هاسيلار إلى الشمال من حضبة الأناضول ، وترجع هذه الحضارة إلى الألف السابعة ق.م . وعثر في منطقة هاسيلار على قرية صغيرة ، أعيد تشييدها سبع مرات قبل أن تهجر نهائيا . وكانت الجدران الخارجية مثبدة من الطوب اللبن والأساس من الحجارة ولم يعرف الفخار في تلك الحقبة واكن الشائع استخدامه آنذاك ، هو أواني من المرمر والخشب المفزع ، وكان السكان يعيشون على الصيد وقطف ثمار الأشجار وذلك قبل التوصل إلى معرفة الزراعة . ولم يعثر على مقابر ولكن عثر على جملجم منفصلة في البيوت مما يبعث على الاعتقاد بأنه كان هناك نوع من المبادلات تفص سلالة الأجداد مع الاحتفاظ بجماعهم داخل المساكن . وظهر استخدام الفخار في نهاية العصر الحجري الحديث ، حيث ظهر في منطقة مرسين وكيليكي (خاليكو) وطروس وشقال - هويوك ^(١) .

(١) المؤلف نفسه : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ص ٢٩٤ - ٢٩٨ ، ٢٠٣ : Amiet , les Civilisations Antiques du Proche- Orient , Paris (1971) , p. 32 - 40 .

تعتبر شاتال - هويوك من أهم المواقع الأثرية لهذا العصر فقد كشف عن هذا الموقع عام ١٩٦٥ . وهو يعتبر من أكبر المواقع في الشرق الأدنى القديم والذي يرجع إلى العصر الحجري الحديث . ويرجع تاريخه إلى حوالي عام ٦٥٠٠ أو ٥٧٢٠ ق.م . ويبدو أن المنطقة التي كشف عنها كانت منطقة معابد وبها مساكن للكهنة . وكانت هذه المساكن مبنية من الطوب اللبن ويغطي جدرانها طبقة من الجص وملونة . وكان السقف مبنيا من البوص ومسطح الشكل . وقد بنيت هذه المساكن بالقرب من بعضها البعض . لذلك يمكن الوصول إليها عن طريق المتف .

أما المعابد : فكانت مزينة بنقوش من الجص على جدران صلبة وتمثل هذه النقوش رؤوس حيوانات وخاصة رأس البقرة أو الثور . ولم يعثر على موائد للقرابين ، وقد عثر على معبد ، في المستوى السابع للحفائر ^(١) ، كان مزينا في الجانب الشرقي منه برأس ثور . وعثر إلى جانب هذه الرأس على فتحة كانت مخصصة لوضع الأدوات التي كانت تستخدم في الطقوس .

وبدأ عصر استخدام المعادن : وخاصة النحاس في نهاية الألف السادسة وبداية الألف الخامسة ق.م ، وقد عثر على بقايا هذا العصر في موقع يعرف باسم كاراز بالقرب من ارزروم وأيضا هاسيلار .

وكانت المساكن في هاسيلار من هذه الفترة تشيد في بداية الأمر من الطوب اللبن فوق أساسات من الحجارة . وشيدت هذه المساكن فيما يشبه القرية المحاطة بسور له ثلاثة مدخل . وكل مسكن من هذه المساكن يحتوي على قاعة وحجرة كبيرة وحجرة أخرى إضافية . وعثر في الركن الشمالي الغربي من القرية ، على شونة للفلل وعثر أيضا في نفس الركن على معبد أكبر مساحة من مساحة المساكن . وكان هذا المعبد يحتوي على بهو كبير وينقسم إلى جزأين ينتهيان بفتحة . وعثر على

(١) عن شكل هذا المعبد ، انظر د. أحمد سليم : تاريخ العراق - إيران - آسيا الصغرى ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ١٩٩٨ ، ص ٤٦٨ - ٤٦٩ ، شكل ٨٩ .

ثلاث مقابر محفورة في باطن الأرض . ويبدو أن هذه القرية في هاسيلار قد تعرضت لحريق مما ترتب عليه تدميرها بالكامل .

ويمتاز الفخار في هذه الفترة بأنه متنوع الأشكال والزخارف وبألوانه البراقة . ووجد إلى جانب الفخار أقداح ولوان بيضاوية الشكل كانت فوهاتها مزينة بأشكال تمثل رؤوس آدمية .

عصر البرونز :

يوجد منجمان للفضة بسهل كونيا في طوروس . ويوجد في جنوبي غربي الأناضول النحاس والحديد والذهب . وقد كانت الأناضول في نهاية العصر المبكر للبرونز موقعا كبيرا للمعادن . وكانت آشور وسوريا تستوردان ما يحتاجانه منها ، كلك كان يصدر إلى مصر واليونان والبلقان (١) .

وينقسم هذا العصر إلى فترتين كبيرتين :

الفترة الأولى :

ونرى فيها ظهور وتحركات أقوام في المنطقة شرق البقان عند ميخالتيس واندفعت إلى الأناضول في العصر المبكر لعصر البرونز ووصلت حتى غربي أزمير وقد عثر على بقايا حضارة هذه الفترة في عدة مناطق أهمها :

تروا : التي عثر على فخار هيئة أواني قليلة الغور (مسطحة كالصحن) لها قاعدة مخروطية الشكل أو قصيرة ، وغالبا بها زخارف جانبية .

وعثر على بقايا مدن من هذا العصر كانت محصنة بحوائط من الحجارة . أما المساكن في مجموعها مستطيلة الشكل . ويوجد بأرضيتها موقد ، وحفر كانت تستخدم كمرحاض .

وكان الطعام يحفظ في أوعية كبيرة . وكان لمعظم المساكن فناء خسارجي

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٤٣٩ .

أمام المسكن وزودت أغلب المساكن بتوافذ ومعظمها كان من طابق واحد وسقفها مسطح وفصلت كل مجموعة عن الأخرى بشوارع وأزقة .

لما عادة الدفن : فى هذا العصر ، فهى واضحة فى منطقة يورتان فقد عثر على جثث وضعت منحنية (على هيئة القرفصاء) وموسدة أما على جانبها الأيسر والرأس متجهة إلى الشرق وأما موسدة على جانبها الأيمن والرأس متجهة إلى الغرب .

لما فيما يخص ما عثر عليه من الأشياء الأثنية المصنوعة من المعادن . فأغلب هذه الأشياء كان من النحاس والقليل من البرونز والقليل من الأثار كان من الفضة ومن النادر العثور على أشياء من الذهب . أما عن المقتنيات المعدنية من هذا العصر فهى الخناجر ، ورؤوس الزماح والمدى المعقوفة والبلط المسطحة والدبابيس والمخارز والإبر والمثاقب والأزميل .

وظل الفخار مستخدماً وتمددت أشكاله ، وقد صنع باليد ، وقد أمكن تقسيمه على حسب المناطق . ففى المنطقة الشمالية الغربية نجد أولانى لها حلقة مقبوبة وقاع بقاعدة أو بدونها ، وبعضها له أيدى ، وأن بعض حواف الأولانى بها بعض الزخارف المطورة .^(١)

أما عن فخار المنطقة الجنوبية الغربية من هذا العصر يختلف تماماً عن غيره . فجميع أنواع هذا الفخار قد صقلت صقلاتاً دقيقة وألوانه هى : الأسود الحالك ، والأصفر ، والرمادى ، والبرتقالى والأحمر الفاتح ، والقرمزى ، وزينت أسطح الفخار برسوم هندسية ، وقد عثر على أباريق لها رقاب طويلة ولون كروية الشكل . وهناك أشكال مختلفة من الكؤوس منها المربعة الشكل وعلى قاعدة لها أربعة أرجل .

أما فخار المنطقة الجنوبية : (سهل كونييا وكيليكيا) من هذا العصر فيختلف عن غيره من الفخار . وعثر هذا على الفخار الأحمر المائل إلى اللون الأصفر ،

(١) د. عبد الحميد زايد : للشرق الخالد ، ص ٤٤٠ - ٤٤١ .

وعثر على فخار مصقول رمادى أو أسود . أما فخار المنطقة الوسطى من الأناضول من هذا العصر ، فهو فخار مزخرف بزخارف حمراء بارزة أو غائرة .^(١)

الفترة الثانية :

نجد أن الظاهرة الواضحة في هذه الفترة هو القضاء على حضارة تروى وقد افترض بعض العلماء هروب أصحابها أما إلى الداخل إلى المرتفعات أو عبورهم البحر إلى لقلار أخرى .

ومما يدل على ثراء حكام هذه الفترة ما عثر عليه من مخلفات من الحجارة النصف كريمة من الأورود والقيروز في مقابرهم .

الحجارة :

عثر على أطلال هذه الفترة في مدينة يوليوختي ، وهي تعطينا فكرة عن مدينة منظمة بها شارع رئيسى يبلغ طوله مائتى مترا تقريبا ، وقد تجمعت المساكن في مجموعات على جانبيه الطريق . وكانت هناك مساكن متوسطة وأخرى كبيرة . وكذلك وجدت مخازن ورداهات للاجتماعات وعثر على بقايا حصن أهلاكتيبيل بين أنقرة وجوليازي . ولم يبق من هذا الحصن إلا الجزء السفلى منه . وعثر على حجرات الدفن في باطن أسوار الحصن بها أسلحة كالسيوف والخناجر والبسط .

ومن هذه الفترة بقى لنا معبدان في بيسى سلطان وقد زود كل من المعبدین بمذبح يضم لوحين ومن خلفهما جزار كبيرة كانت تستخدم بحفظ السوائل . وقد بنى المعبدان الوحيدان من الطوب اللبن . وقد عطييت الحوائط بالملاط . وهذان هما المعبدان الوحيدان اللذان بقيا من العصر البرونزى في الأناضول . وقد عثر في كل منهما على كميات هائلة من الفخار .

وعثر في طارموس على مجموعة من المساكن الخاصة وبعض أسوار

(١) د. عبد الحميد زايد : لشرق الخالد ، ص ٤٤٢ .

المعدنية (١).

عادت النفن : كشف فى دوراك فى شمال غرب الأتاضول عن قبرين ملكيين وعلى ثلاثة عشر مقبرة فى الاسا فى وسط آسيا الصغرى . وكانت مقابر دوراك من الحجارة وأبعادها ١,٨ × ٢ متر . ونجد مقابر الاسا قد حطرت فى الأرضية ويتراوح طولها بين ستة وثمانية أمتار وعرضها ٣,٥ متر . وقد غطيت مقابر دوراك بكتل من الحجارة . أما مقابر الاسا فقد غطيت بكتل من الخشب وقد صنعت عليها رؤوس ثيران وهى بقايا قرابين جنائزية .

وكان المتوفى فى مقابر دوراك إما بوضع ممد على ظهره أو بوضع على هيئة القرفصاء . وقد اتجهوا برؤوس الموتى ناحية الشرق . ووضع المتوفى فى مقابر الاسا على هيئة القرفصاء فى الركن الشمالى الغربى لجسرة النفن ، على الجانب الأيسر والرأس متجهة نحو الغرب (٢) . وعثر فى قبر دوراك الملكى رقم ١ على كليم الملك المتوفى موضوعا عليه . وفى المقبرة رقم ٢ وضع الملك على حصير من السمار وعثر على أثاث من الخشب منها أجزاء من كرسى مصرى من الخشب وقد نقش صفائح الذهب الذى تغطيه بنقش بالكتابة الهيروغليفية باسم والقلب الملك ساحورع ثانى ملوك الأسرة الخامسة المصرية (٢٤٥٨ ق م) . وعثر على أدوات للزينة وأثنياء خاصة بالزينة كانت تخص الملكة وأسلحة تخص الملك . ودفن الملك بكل الشارات المميزة التى كان يحملها والأسلحة المعينة مثل الميوف والفنلجر وبلط الممارك والسهام .

الصناعات المعدنية :

تقد اشتهرت كل من دوراك والاسا بالصناعات المعدنية بمختلف أنواع الطرق ، وبالصب فى التسع . أما المعادن التى كانت معروفة فى كل من دوراك

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٤٤٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٤٣ .

والاساس في النحاس والبرونز . وكشف في الاساس على اواني معدنية صنعت من البرونز والنحاس والذهب والفضة .

الغبار :

• وظل الفخار مستخدما ووجد بكثرة وبأشكال مختلفة وقد صنع على عجلة الفخار . وقد لوحظ أنه فيما عدا كيليكييا ، حيث استخدم عجلة الفخار ، فقد استمرت بقية المراكز الحضارية في الأناضول على صناعة الفخار باليد .^(١)

بداية العصر التاريخي :

لم تقع أحداث تاريخية ذات أهمية كبرى في أنحاء آسيا الصغرى خلال الألف الثالثة ق م ، ولكن وقعت بعض الهجرات ، في بعض البلاد الأخرى المجاورة ، كان لها تأثير في مجرى الأحداث بالنسبة لآسيا الصغرى . تدخلت موجة شعوب " الويت " إلى البلاد وعبروا البسفور ، ويبدو أنها كانت عناصر سامية من الأكديين . وقد استقروا أيضا في تلك البلاد منذ فترة ، واستقرت جماعات منهم في بورشخندا أو بورشخندا ، وكانوا يعملون بالتجارة .

ويبدو أن هذه الجالية قد تعرضت لاضطهاد أحد الحكام المظلمين في البلاد فأرسلت هذه الجماعة إلى مرجون الأكدي (٢٣٣٤ ق م) وقد يلحون عليه في طلب إرسال قوات إلى مدينتهم ويصفون له الثروات التي تتمتع بها بلادهم . وقد جاء في الرواية أن مرجون قد وافق بعد تردد على الاستجابة لرغبة هؤلاء التجار ، وأرسل وحداته العسكرية إلى بورشخندا . وقد دفع ذلك بمكان الأناضول القدامى إلى اعتبار العصر الأكدي القديم بداية العصر التاريخي لبلادهم .^(٢)

وهناك احتمال أن تجار بورشخندا لم يكونوا أكديين ولكن من الساميين

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٤٤٤ - ٤٤٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٤٩ .

الغربيين الذين كان لهم رغبة أكيدة في الدخول في علاقات مع الأكثيين في الشرق .

ومع مرور الوقت وقبل قيام مملكة آشور ، بدأت علاقات آسيا الصغرى (الأناضول) بأشور تتوطد . وكان الآشوريون يستوردون من آسيا الصغرى النحاس والفضة والذهب والرصاص والقمح والصوف . مما يؤكد هذه الصلات التجارية في هذه الفترة من القرن التاسع عشر ق م . العثور على آلاف من السواح الطين المنقوش عند كول تبه تشير إلى نشاط التجار الآشوريين الذين كانوا يرسلون السلع من آشور إلى الأناضول .

وفي الفترة التي قوت فيها نفوذ الآشوريين في آسيا الصغرى كانت البلاد مقسمة إلى دويلات صغيرة أو دويلات المدينة، وكان يحكم على كل دويلة حاكم من أهلها . ولم يزجج الآشوريين هؤلاء الحكام وتركوا حكم الولايات في أيديهم ، وكانت لهذه الجاليات الآشورية معابدها المحلية ومعبوداتها الوطنية ^(١) . ودخل مهاجرون جدد من الجنس الهندوأوروبي إلى آسيا الصغرى في الألف الثانية ق م وأصبح هؤلاء المهاجرون الغلبة في البلاد . وانتشرت في هذه الفترة خمس لغات :

اللغة الحيثية (اللغة الرسمية لبلاد خاني) " الخاتية " واللوية والعورية والبالية ، إلى جانب اللغة الأكديّة . وهي اللغة الدولية في ذلك العهد . وقد جاء اللويون غالبا إلى الأناضول من الغرب عند بداية عصر البرونز . وانتشروا على الهضبة في نهاية هذا العصر . وكتبت اللهجة بالحروف الهيروغليفية ، وكانت تعرف باسم الهيروغليفية - الحيثية ^(٢) ، والحيثية مثل اللوية ، لغة بناوها هند أوروبي لأنه اختلط بها الكثير من المفردات هندوأوروبية .

وكانت البالية ، هي اللغة الهندوأوروبية الثالثة منتشرة في منطقة باليا ، وكانت ولاية متطرفة في مملكة الحيثيين ، وربما تقع في الشمال الشرقي من

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٤٥٠ ، ٤٥١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٥٣ .

أرمينيا . ودخلت اللغة الحورية مؤخرًا إلى آسيا الصغرى . وكان الحوريون أمة غير معروفة فيما وراء المرتفعات الشرقية في السنوات الأولى لظهور مملكة خاتوشا . وحتى بعد عام ١٥٥٠ ق.م . لم يتمكنوا من التأثير على الحيثيين وبدأوا يتسللون إلى الأجزاء الجنوبية من آسيا الصغرى التي كانت أهلة بالويين من قبل .^(١)

تأسيس المملكة الحيثية؛^(٢)

نشأت على مر الزمن دويلات مدن حقيقية في الأناضول كان أشهرها ' كوشار ' و' نيشا ' و' زالبونيشا ' و' خاتوشا ' (بوغاز كوى الحالية) وكذلك ' بورشخلاندا ' .

ونشبت الحروب بين هذه الدويلات من أجل توسيع مناطق نفوذها ولتفوز بمركز الصدارة السياسية والعسكرية . وبقي الأمر كذلك إلى أن تبلور الموقف خلال القرن التاسع عشر ق.م بتشكيل أول مملكة حيثية متحدة على أنقاض دويلات المدن .

وجاء وصف هذه الحروب في نقوش ' نيشي ' المدعو ' انيتا ' بن ' بيتفا ' حاكم كوشار . ومن بين هذه الحروب الانتصار العسكري الساحق الذي أحرزه على المدعو ' بيوشتي ' ملك خاتوشا . حيث غزا هذا الملك خاتوشا وزالبونيشا ودمرها

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٤٥٤ .

(٢) قام د. أحمد سليم في مؤلفه عن : تاريخ العراق - إيران - آسيا الصغرى ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٩٨ ، ص ٤٥٣ - ٥١٢ بالحديث عن ' آسيا الصغرى ' وبدأ حديثه بمقدمة تمهيدية وتناول في الفصل الأول عصور ما قبل الكتابة والتدوين : العصر الحجري القديم ، العصر الحجري الوسيط ، العصر الحجري الحديث ، عصر الحجر والنحاس المبكر ، عصر الحجر والنحاس الأخير . وفي الفصل الثاني تحدث عن ملوك عصر الدولة القديمة وفي الفصل الثالث تحدث عن ملوك عصر الإمبراطورية .

شر تدمير وجعل عاصمة دويلته " نيشا " عاصمة للملكة الحيثية الجديدة . ولكن
بمرور الوقت أقام الملوك الحيثيون عاصمتهم فى خاتوشا بسبب موقعها
الاستراتيجى .^(١)

وقسم العلماء العصور التاريخية للملكة الحيثية إلى فترتين :^(٢)

عصر الدولة القديمة وعصر الإمبراطورية أو الدولة الحديثة .

عصر المولى القديمة (١٦٠٠ - ١٤٥٠ ق.م) :

من أهم ملوكه :

أيتا : عمل الحيثيون على توطيد سيطرتهم فى البلاد . وتشير النصوص
الحيثية من بوغاز كوى إلى الملك " ايتا بن بيتفا " قد مد سلطانه ووسع حدود ملكه
حتى شمل أجزاء واسعة شرقى الأناضول . وقضى على مملكة خاتوشا لقب " الملك
العظيم " .^(٣)

لابارناس (أو لاهارناسى) (١٦٠٠ - ١٥٧٠ ق.م) :

تولى الملك بعد ايتا وكان ملكا عظيما ، وكان أولاده وأخوته وأصبهاره
وأقاربه وصساكره متحدين مويا ، واضطر إلى القضاء على أعداء البلاد بالقوة وعين
كل واحد من أولاده حاكما على جزء منها ، وحكموا البلاد ، وأصبحت المدن الكبرى
فى قبضة يده وأنشأ عاصمة جديدة فى كوشلر .^(٤)

(١) د. توفيق سليمان : المرجع السابق ، ص ٢٦٨ .

(٢) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٤٥٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٥٤ ؛ د. أحمد سليم : المرجع السابق ، ص ٤٨٣ -
٤٩٢ .

(٤) د. أبو المحسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ص ٣٠٧ ،

٣٠٨ ك المؤلف نفسه : معالم حضارات الشرق الأدنى القديم ، ص ١٧٢ -

Contenau, les Civilisations Anciennes du Proche- ١٧٣

Orient , Paris (1963), p. 99 - 100 . وأيضا د. عبد الحميد زايد :

المرجع السابق ، ص ٤٤٥ .

ولقد أصبح من الأمور المتعارف عليها عند الحيثيين في العصور المتأخرة أن يبدأوا تاريخهم بالملك لايارناس . وكان يوضع هو وزوجته تلوان نائش على راس القوائم الخاصة بتقديم القرابين إلى أرواح ملوكهم وملكاتهم السابقين . وقد اتخذت أسماء كل منهما كلقاب يحملها كل ملك ومملكة من أيام تيلييينوس .

خاتوسيليس (١٥٧٠ - ١٥٢٠ ق.م) :

خلف لايارناس خاتو سيليس الذي كان يتولى الحكم في كوشار وكان أول عمل قام به نقله مقر ملكه إلى مدينة خاتوشا لأنه اكتشف أهمية موقع هذه المدينة الإستراتيجي . وخرج هذا الملك من إطار التوقع الإقليمي داخل لواسط اسيا الصغرى حيث اجتاز جبال طوروس في مقدمة جيشه وغزا إمارة ميخاد الأمورية التي كانت تتخذ عاصمة لها في حلب . ولكنه أصيب بجرح بالغ خلال تلك المعارك مما اضطر للإسحاب والعودة إلى بلاده وتوفي متأثرا بجراحه في مدينة كوشار ^(١) . وكان خاتوسيليس قد أجرى تعديلات هامة في وضع المملكة الداخلي تعلق بوراثته العرش ، حين سلم العرش لابنه الأصغر مورسيليس بدلا من أن ينصب ابنه الأكبر . وخرج بذلك على إرادة مجلس الأشراف ، الذي كان يسمى بالحيثية الـ " بانكو " .

مورسيليس الأول (١٥٣٠ - ١٥١٠ ق.م) :

بعد أن تربع هذا الملك للشباب على العرش الحيثي زحف في مقدمة جيش كبير نحو الجنوب ضد إمارة حلب للانتقام منها لأنها تسببت في وفاة والده فأحتل حلب ودمر مملكة ميخاد . ولم يكتف بغزو شمال سوريا بل اتجه جنوبا وقضى في نفس ذلك العام (١٥٣٠ ق.م) على حكم آخر ملوك الدولة البابلية القديمة وعاد من بابل بالأسرى والغنائم . ولم يقصد مورسيليس من تنفيذ هذه الخطوة العسكرية الجرنية توطين الحيثيين في بلاد النهرين، بل هدف منها تأكيد قوة الحيثيين أمام الآشوريين والحثيين ^(٢) بدليل أنه انسحب من هذه البلاد بعد أن دمر

(١) د. توفيق سليمان : المرجع السابق ، ص ٢٦٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٧ .

المملكة البابلية القديمة .

زادت المؤامرات في القصر الملكي في نهاية حكم هذا الملك وتعرض
لمؤامرات أدت إلى اغتياله في عام ١٥١٠ ق.م .

خانتيليس (١٥١٠ - ١٤٩٠ ق.م) :

تولى العرش أثر المؤامرة التي أودت بحياة عميله الملك مورسيليس وتوالى
الأزمات في عهده . فبدأ الحوريون - الميتانيون في مهاجمة الجزء الشرقي من
مملكة الحيثيين وقد خانتيليس وخلفاؤه جزءا كبيرا من الأراضي . وفي الفترة التي
كون فيها الكاسيون مملكتهم في العراق ، دخلت المملكة الحيثية في دور ضعف
سياسي ، ولهذا تنفس الكاسيون في بابل الصعداء لما تعرضت له مملكة الحيثيين .

تيليبينوس (١٤٦٥ - ١٤٥٠ ق.م) :

كثرت المؤامرات والفتن التي استمرت خمسة وعشرين عاما واشتد عنفها
بعد وفاة خانتيليس ، وصارت الاغتيالات هي العرف المسائد في دوائر الدولة
الحيثية . ولذلك تعاقب خلال هذه الفترة أربعة ملوك على العرش الحيثي كان آخرهم
المدعو تيليبينوس . ولكنه لم ينعم بالحكم طويلا . وقد تعرض لمحاولة لاغتياله هو
وزوجته ، وأصدر الملك تيليبينوس أثر محاولة الاغتيال هذه قانونا جديدا نظم فيه
مشكلة وراثية العرش الحيثي . ولكي يسبغ الملك على قانونه أو تشريعه ، الذي أصبح
يعرف باسمه ، الصفة الشرعية ، حصل على موافقة مجلس الأشراف (البانكو)
عليه .

وسرد تيليبينوس في قانونه بدءا بالفترة الأولى وانتهاء بالفترة السادسة
والعشرين منه قصة الصراعات الدامية التي دارت بين أفراد البيت المسالك
والمؤامرات والدماسن التي سادت جو العلاقات بين الأفراد البارزين في الدوائر
الرسمية الحيثية . وذكر أسماء الملوك وأفراد البيت المالكة ، الذين ذهبوا ضحية
الاغتيالات ، لذلك نصت المادة السابعة والعشرون صراحة على تحريم الحاق الأذى
والضرر بأحد أفراد البيت المالكة ، أما في المادة الثامنة والعشرين فقد حدد تيليبينوس

نظام وراثة العرش . ونصت المادة التاسعة والعشرين على وجوب نوافر المحبة والوئام والوحدة بين الملك الوريث وأبنائه وأخوته وعساكره ، ليقوا جميعا أقوىاء . وجاء فى المادة الثلاثين أنه يحظر على الملك العدر بأقاربه وعليه أن يصارحهم إذا ظن أنهم يحكون مؤامرة ضده ، وذلك تحاشيا لإراقة الدماء .^(١)

العصر المولى القديمة :

يعتبر تيليبيئوس آخر ملك قوى فى تاريخ المملكة الحديثة القديمة وخلفه بعد وفاته ' توتخاليا الثانى ' وحكم بعد هذا الملك موك عديون ونشب الصراع من جديد بين أفراد البيت الملك دون أن يستطيع مجلس البانكو وضع حد لاستمراره . هنا فقدت المملكة الحديثة السيطرة على المقاطعات فى شمال سوريا وانتعشت المملكة الحورية ثانية . واستمر الحال هكذا إلى أن تولى شوبيلويوما السذى يعتبر أشهر الملوك الحيثيين معه يبدأ عصر جديد .

عصر الإمبراطورية (١٣٨٠ - ١١٩٠ ق.م) :^(٢)

من أهم ملوكه :

شوبيلويوما (١٣٨٠ - ١٣٤٦ ق.م) .

رأى شوبيلويوما أن أول عمل يجب القيام به هو إعادة بسط نفوذ الحيثيين على المناطق التى انفصلت عن مملكتهم فى سوريا وشرق آسيا الصغرى وغربها .

وخاض شوبيلويوما أول حروبه ضد سكان مناطق شرق آسيا الصغرى وفى أعالي نهر الفرات ، وانتصر فيها جميعا . ولم تكن أنباء انتصاراته هذه تصل إلى

(١) د. توفيق سليمان : للمرجع السابق ، ص ٢٧٢ - ٢٧٤ ؛ د. عبد الحميد زايد :

الشرق الخالد ، ص ٤٦٨ - ٤٧١ ؛ د. أبو المحاسن عصفور : معالم تاريخ

الشرق الأدنى القديم ، ص ٣١١ - ٣١٢ ، ٣١٥ - ٣١٨ ، ٣٢٢ - ٣٢٦ ؛

المؤلف نفسه : معالم حضارات الشرق الأدنى القديم ، ص ٣٠٩ - ٣١٠ .

(٢) د. أحمد سليم : المرجع السابق ، ص ٤٩٥ - ٥١٢ .

مسامح أمراء للممالك الصغيرة الأخرى في غرب آسيا الصغرى حتى سارعوا لإعلان الولاء من جديد للمملكة الحيثية والتحالف معها . وتوجه الملك الحيثي بعد ذلك إلى جبال طوروس ووصل إلى لبنان وغزا مناطق عمورو في لواء شمال بلاد الشام (سوريا) وعلى مناطقها وفرض على أمراءها الجزية . وهنسا أرسل أمراء وحكام الشام المواليون لملك مصر الوفود الرسمية ومعهم الرسائل الرسمية لاختصاصاتون يذكرون فيها أنباء تقديم الجيش في جنوب البلاد وأن الحيثيين في طريقهم لاحتلال المدينة الساحلية " جبيل " التي أرسل ملكها بدوره بطلب للنجدة من ملك مصر .^(١)

واستعان الحيثيون ، خلال قيامهم بهذه العمليات العسكرية بأمراء بلاد الشام المناهضين للسلطة المصرية . وقد سهل هؤلاء الأمراء على الحيثيين الانتصار في هذه المعارك ، بحيث أصبح معظم النصف الشمالي من بلاد الشام خاضعا لنفوذهم ، وبقي على الحيثيين بعد هذه الانتصارات بأن يقوموا بتصفية الحساب مع آخر مملكة في الشام وهي المملكة الحورية - الميتانية ، التي بقيت تشكل العقبة الكأداء الوحيدة في طريق السيطرة الحيثية الكاملة على جميع مناطق النصف الشمالي من بلاد الشام .

وبدأ الملك الحيثي أعماله العدائية ضد ميتاني عندما أقام علاقات دبلوماسية مع أحد الملوك الحوريين ويدعى " أرنتلما " ورأى الملك الحوري - الميتاني الأكبر توشراتا في خطوة الملك الحيثي صلا عدائيا موجها ضده . ووقعت الحرب بينهما واتجه الحيثيون إلى العاصمة شوجلتى وهزموا توشراتا وحاصروا العاصمة إلى أن استسلمت فدمرها الملك الحيثي وأنهى سلطنة توشراتا عليها ، وأبرم معاهدة مع ابن توشراتا الذي نصبه على عرش أبيه وأقدم له الدعم وهي معاهدة دفاع مشترك ، وكان يفي من وراء ذلك إقامة حزام واق أمام الأطماع الآشورية .

مورسيليس الثاني (١٣٤٥ - ١٣١٥ ق.م) :

تولى للعرش بعد وفاة شوبيلوليوما ابنه المريض أرنووانداس ، الذي توفى

(١) د. توفيق سليمان : للمرجع السابق ، ص ٢٧٥ - ٢٧٧ .

بعد حكم له لم يدم سوى بضعة أشهر وخلفه أخوه مورسيليس الثاني الذى زحف فى مقدمة جيشه لإخضاع المناطق التى اغتنتت فرصة وفاة أبيه وأخيه وأعلنت الانفصال عن المملكة الحيثية . واستطعت قبائل جبيلية فى مناطق جبال اليوننت هذه الفرصة وأغارت على الحدود الشمالية والشرقية لأراضى المملكة . وتصدى لها الملك الحيثى فى سلسلة حروب متواصلة استمرت قرابة عشرين عاما . وبالرغم من أن هذه الحروب المتواصلة أنهكت قوى الجيش ، إلا أنها لم تحل بين تلك وبين أن يحقق طموحه ، إذ ومع مناطق نفوذه باتجاه الجنوب فى منطقة كيليكيا ونحو الشرق باتجاه أرمينيا . واستطاع أن يستعيد نفوذ الحيثيين فى شمال بلاد الشام بما فيها المناطق الحورية - الميتانية . وتوفى فى عام ١٣١٥ ق.م وخلفه على العرش الملك مواتلى (١).

مواتلى (١٣١٥ - ١٢٩٠ ق.م) :

سيطر مواتلى بسرعة على مقاليد الأمور فى المملكة الحيثية وعادت حدود الأراضى الخاضعة للسلطة الحيثية إلى ما كانت عليه فى عهد الملك الشهير شوبيلولوما واستتكت من أرمينيا وحدود دويلة آشور شرقا حتى كيليكيا غربا ومن شمال أواسط آسيا الصغرى شمالا حتى الحدود الجنوبية لأواسط بلاد الشام جنوبا .

وفى عهده بدأ الصراع مع رمسيس الثانى لتحديد مصير بلاد الشام وأقطار النصف الغربى من عالم الشرق القديم عامة ووقعت معركة قادش فى تلك المدينة التى تقع فى أواسط سوريا على نهر العاصى إلى الجنوب قليلا من مدينة حمص الحالية . وبالرغم من أن رمسيس الثانى ادعى الانتصار فى هذه المعركة ، إلا أنه لم يستطع إنكار الخسائر التى منى بها جيشه ، مما اضطره للعودة مسرعا إلى مصر (٢).

أورشى - تيشوب (١٢٩٠ - ١٢٨٣ ق.م) :

تعلم أورشى - تيشوب السلطة بعد وفاة أبيه ، أى فى الوقت الذى كانت

(١) د. توفيق سليمان : المرجع السابق ، ص ٢٧٧ - ٢٧٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٧٨ - ٢٨٥ .

حالة التوتر تسود العلاقات بين الحيثيين والمصريين . حاول أن يبعد عنه خاتوسيليس عن منصبه كحاكم لإحدى المقاطعات الحيثية في آسيا الصغرى . وهنا وجد العم نفسه مضطرا للتهوض في وجه ابن أخيه إلى أن أزاله عن العرش الحيثي بعد سبع سنوات من الصراع المرير ضده . وقد حاول أورشى - تيشوب الهرب إلى الملك الكلسي (كادشمان تورجو) .^(١)

خاتوسيليس الثالث (١٢٨٢ - ١٢٥٠ ق.م) :

تخوف خاتوسيليس من تعاضم القوة العسكرية الآشورية الصاعدة وتهديدها للمصالح الحيثية وكان الوضع الداخلي في البلاد دائم التوتر بسبب إراخته لأبن أخيه أورشى - تيشوب عن العرش ، لأن أنصاره ظلوا يترقبون الفرصة الملائمة للانتقام من خاتوسيليس . وكان الملك يدرك أيضا قوة الجيش قد ضعفت بسبب معركة قادش وأصبح غير قادر على الحرب على جبهات متعددة . ولهذه الأسباب المتجمعة أدرك الأخطار المترتبة على إبقاء جو العلاقات متوترا بينه وبين عو الحيثيين التقليدي ملك مصر ورمسيس الثاني . ورأى أن الحكمة تستدعي عقد معاهدة صلح وسلام بينه وبين الملك المصري تنهى حالة التوتر والحرب التي سادت أجواء العلاقات بين الدولتين لعشرات السنين . وعندها فقط يستطيع أن يتفرغ لمجابهة أعدائه في الداخل من أنصار أورشى - تيشوب والتصدى للآشوريين في الخارج ، لذلك بعث إلى رمسيس الثاني وفدا لمفاوضات السلام ويحمل معه مشروع معاهدة صلح بين الجانبين مكتوبا على لوحة من الفضة .

ويعتبر النص النهائي الذي أمر خاتوسيليس الثالث نقشه على لوحة من الفضة أقدم نص لمعاهدة من هذا النوع ، كما أنه يلقى ضوءا سلطما على العلاقات الدولية التي كانت سائدة في القرن الثالث عشر ق.م .^(٢)

تولى بعد خاتوسيل الثالث الملك تودها ليلس الرابع الذي اهتم بالثمنون

(١) د. توفيق سليمان : المرجع السابق ، ص ٢٩١ - ٢٩٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٩٣ .

الدينية وجاء من بعده أرنووانداس الثالث الذى تدهور الأوضاع فى عهده إلى أقصى درجة وخاصة فى غرب هضبة الأناضول وحدثت تحركات ضخمة من شعوب هذه المناطق واتحدت مع شعوب البحر التى كانت تبحث عن مناطق نفوذ لها فى الشرق . فقتلوا على دولة الحيثيين وغيرها من دول آسيا الصغرى واستولوا على قبرص ونزلوا فى شمال سوريا ووصلت القبائل أو الشعوب فى ذلك الوقت حتى حدود فلسطين متجهين نحو الحدود المصرية .

وبعد أن قضت شعوب البحر على مملكة الحيثيين فى عام ١٢٠٠ ق.م اضطرت الشعوب الحيثية إلى الفرار إلى سوريا ، وابتداء من هذه اللحظة أصبح سكان غرب وجنوب هضبة الأناضول من الآخيين والطورانيين .

الأناضول القديم وعلاقاته الخارجية :

فى بداية عصر الإمبراطورية تود هالياس الثانى مؤسس الأسرة وقام بغزو حلب . وعندما غزا تحوتمس الثالث فلسطين وسوريا والعليا ، أسرع ملك الحيثيين ، بتقديم الجزية للملك المصرى وفى رسائل تل العمارنة ، نجد رسالة من ذلك الحيثيين يعرض فيها على أمنتب الرابع نوعا من التحالف .

وعندما أصبح شوبيلوليوما ملكا على الحيثيين ، بدأ يفكر فى التوسع فى سوريا ، ونجح فى الاستيلاء على النصف الشمالى من فلسطين ، ووضع أبنائه كحكام على المناطق التى غزاها فى قرقيش وحلب . واعتمد على مساعدة الأموريين ، ونجح فى الحد من هجمات القبائل المشاعبة فى آسيا الصغرى . وانقض على عاصمة الميتانيين شوجالى ودمرها . وولج خليفة مورسيل الثانى الثسورات المعتادة فى الشرق عقب تنويجه كملك جديد ، ولكنه التزم سياسة الدفاع عن مملكته وأقام علاقات صداقة أيضا مع الآخيين الذين استقروا فى جنوب غرب آسيا الصغرى . وبدأ يفكر فى الإعداد للحرب ضد المصريين الذين عملوا على استعادة سيطرتهم على فلسطين التى فقدوها حديثا .

الأناضول القديم وعلاقته بمصر :

أن علاقات مصر بمنطقة شرق البحر المتوسط لم تقتصر على فلسطين وسوريا ولكن تمتد إلى المناطق الأكثر شمالا في الأناضول أو آسيا الصغرى وذلك منذ عصر الدولة القديمة في منطقة " دوراك " الواقعة على الجانب الشرقي من جنوب بحر مرمرة وعلى بعد نحو ثلاثين كيلومترا على شواطئ بحيرة إيسو ليونست عثر في إحدى المقابر الملكية على أجزاء خشبية من كرسي مكسو بالذهب وتحمله بعض نقوشه ألقاب الملك ساحورع من الأسرة الخامسة (١).

وعلى هذه البقايا نقرأ على اليمين : " ... سيد الأرضين ملك الوجه القبلي والوجه البحري ، ابن رع ساحورع ... " . وعلى اليسار : " ... ملك الوجه القبلي والوجه البحري ساحورع.. معطى (الحياة مثل رع) أبديا " (٢) ويرى البعض أن هذه الآثار نقل من موقع آخر على ساحل آسيا الصغرى .

وعثر على بعض الآثار من عصر الدولة الوسطى في منطقة الأناضول فقد عثر أوستن في منطقة قلعة " كوريجن " شرق أنقرة ، على تمثال لأحد المصريين يدعى " كرى " ويبلغ ارتفاعه حوالي ٣٥ سم وهو محفوظ الآن في متحف أنقرة الجديد (٣).

وفحص هذا التمثال نجد على ظهره صود من الكتاب بالخط الهيروغليفى ترجمته كالآتى : " قربان يعطيه الملك لوزير سيد الحياة (والى) وانويس من أجل كرى " (٤).

(١) د. عبد القادر خليل : علاقات مصر بشرق البحر المتوسط حتى نهاية عصر

الدولة الحديثة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية ١٩٨١ ، ص ٥٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٨ لوحة رقم ١١ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٣١ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٣١ - ١٣٢ لوحة رقم ٢٥ .

ويرى البعض أن كرى هذا ربما كان تلجرا^(١) ، كان مهتما بعمليات تجارية مع جالية التجار الآشوريين التي استقرت في الأناضول خلال القرن التاسع عشر ق.م وأنه ذهب إلى هناك من أجل شراء بعض المنتجات من الآشوريين وإحضارها إلى مصر ، وخاصة أننا نعرف أن هؤلاء التجار الآشوريين كانوا يتاجرون في سلع عديدة وخاصة المنسوجات^(٢) ، بينما يرى البعض الآخر أن سبب وجود تمثال كرى في الأناضول غير معروف^(٣) . ويرجع بعض العلماء تاريخ هذا التمثال إلى حوالي عام ٢٠٠٠ ق.م.^(٤)

كما عثر كذلك في منطقة "اضنة" الواقعة في سهل كيليكيا على تمثال للمربية المصرية "سات - نفرو" وهو مصنوع من النيوريت ويرجع إلى عصر الأسرة الثانية عشرة^(٥).

ويوجد على التمثال نقش بالخط الهيروغليفي :

"قريان يعطيه الملك من خبز وجمعه ورووس مائشية وطيور وكتان والألبستر وكل شيء طيب من أجل للمربية سات - نفرو"^(٦)

ويرى البعض أن سات نفرو قد سافرت هناك أما لتربية أو لتعليم أطفال أحد الأمراء في الأناضول أو لخدمة أحد الموظفين المصريين هناك^(٧) . وبالنسبة لوجود هذين التمثالين في منطقة نفرة يبدو أن أصحابهما كانا موجودان هناك بسبب عمل مد وخاصة أنهما حاولا أن يحفظا على هويتهم المصرية المتمثلة في المحافظة على

(١) د. عبد القادر خليل : المرجع السابق ، ص ١٢٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٣٥ - ١٣٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٢٥ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٣١ .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٢٣ .

(٦) المرجع السابق ، ص ١٣٣ - ١٣٤ لوحة رقم ٢٦ .

(٧) المرجع السابق ، ص ١٣٣ .

صيغة القرابين للمعتادة فى النصوص المصرية والمحافظة على أسماء بعض المعبودات المصرية أى أن وجود المصريين فى هذه المناطق لم يكن غريباً .

وخاصة وأتينا نعلم مما يسمى بـ " نصوص اللعنة " التى تمثنا بأسماء بعض الرؤساء الأعداء لمصر فى سوريا ، نجدها تذكر إلى جانب ذكر أسماء هؤلاء الرؤساء الأعداء تذكر أسماء ثمانية من المصريين ومن بينهم أربعة يحملون لقب " مربي " أو " وكيل أعمال بعض السيدات المصريات " وقد جاء فى النص أنه سبب على هؤلاء المصريين اللعنات ومن الجائز أن السبب فى ذلك أنهم خرجوا من مصر فى أداء مهام معينة ورفضوا العودة إليها مفضلين الإقامة فى هذه البلاد الأجنبية .

دون أن يناسبوها العداء وذلك فى نهاية الأسرة الثانية عشرة ولاسيما أنه يدخل فى أسمائهم أسماء سنوسرت وأمنمحات وسبك حتب .^(١)

وفى عصر الدولة الحديثة كانت الأوضاع مضطربة فى منطقة الهلال الخصيب بسبب الميتانيين الذين كانوا يكونون تحالفات معادية ضد مصر . وفى السنة الثانية والثلاثين من حكم تحوتمس الثالث (١٥٠٤ ق م) قام بحملته الثانية ، وهى من أقوى الحملات الحربية التى قام بها الملك ، وتقابل مع الميتانيين وانتصر عليهم وتبعهم فى وسط الجبال واستولى على الأراضى التى تقع شرق الفرات وأقام على الشاطئ الأيمن لنهر الفرات لوحة حدود فى مواجهة اللوحة التى أقامها من قبل تحوتمس الأول .

وكان لهذا الانتصار رد فعل كبير ، ليس على الميتانيين فحسب بل على جيرانهم أيضاً الذين لم يدخلوا الحرب بعد ضد مصر مثل الآشوريين والبابليين والميثيين . والذين رأوا أنه من الأفضل وكنوع من الحرص إرسال الجزية إلى الملك المصرى المنتصر ومحولة مهانته ، ويحتل أن يكون زایدانتشمى الثانى أو خوزيائشى قد أرسل إلى تحوتمس الثالث هدايا.^(٢)

(١) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٤٥٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٤٧ .

ويرى البعض أنه كانت هناك معاهدة بين تحوتمس الثالث والحيثيين وأن هذه المعاهدة ظلت سارية المفعول خلال عهد أمنحيب الثالث . ومضمون هذه المعاهدة أو الاتفاق هو الموافقة على ترحيل عدد من سكان مدينة * كوروشنما * والتي تقع في الجزء الشمالي للشرقي من المملكة الحيثية إلى داخل المناطق التي تخضع للنفوذ المصري . وقد أبرمت المعاهدة بين تحوتمس الثالث وخوزياس الثاني (١٤٧٠ - ١٤٦٠ ق م) .^(١)

وهناك استقبل سفراء ملك بابل وخرتا ، الذين كانوا يحملون هداياهم من فضة وأحجار كريمة وأخشاب نادرة ، وقد قام ملك الحيثيين بعد ذلك بثماني سنوات أيضا بمواصلة إرسال الجزية إلى ملك مصر .

وقد عهد أمنحيب الثاني (١٤٥٠ ق م) قام بحملة إلى آسيا في العام التاسع من حكمه ، لتهدئة الأوضاع هناك . وجاء في نهاية لوحة منف من أيام أمنحيب الثاني التي تحدثنا نصوصها (السطر ٣٣) عن هذه الحملة أنه عندما سمع كبير نهاريثا وكبير خاتي ($Wt n H3ti$) وكبير منجر بالنصر العظيم الذي أحرزه الملك تسابق كل مع زميله بكل وسيلة حاملا الهدايا وقد حضروا ومعهم جزيتهم إلى قصر الملك .^(٢)

وفي عهد تحوتمس الرابع (١٤٢٥ ق م) بدأ يظهر خطر الحيثيين على الطرف الشمالي من سوريا .

وقد جاء في خطابات تل العمارنة ، خطاب من أمير قطنة المسمى أكيزي أرسله إلى أمنحيب الثالث (١٤٠٨ ق م) يقول فيه أن عدم إرسال نجدة من ملك مصر قد شجع ابتاجاما ، حاكم قادش إلى أن يدفع الكثير من الأمراء إلى الوثاق جانب الحيثيين .

(١) د. عبد القادر خليل : علاقات مصر بشرق البحر المتوسط حتى نهاية عصر الدولة الحديثة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية ١٩٨١ ، ص ٢٠١ ، حاشية (٢) (٤) .

(٢) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٤٧٢ - ٤٧٣ .
A Badawi, ASAE 42 (1943), p. 20- 23

ومن وقاع ما تذكر بعض خطابات تل العمارنة نجد أن خاتى قد لعبت دورا هاما فى تفويض النفوذ المصرى فى سوريا فنادينا خطاب أرسله ريمدى حاكم جبيل^(١) للموالى لملك مصر أخناتون يقول فيه :

" اعلم الملك سدى ان ملك خاتى قد هزم جميع الاراضى التابعة لملك ميتانى . ويقول ايضا " لقد سمعت من شعب خاتى (أنهم اى لبناء عبد شرتا حاكم امورو والمناهضين للحكم المصرى) قد احرقوا الأرض بالنار وأنهم الآن يحضرون الجنود من ارضى خاتى لى يهزموا جبيل " .^(٢)

ويفهم من هذا الخطاب أن عبد شرتا كان على علاقة طيبة بالحيتيين كما كتب اكيزى حاكم قطنة خطاب إلى ملك مصر يذكر فيه ما يقوم به ايتاجامسا حاكم قادش الموالى للحيتيين فيقول عنه :

" سار الآن : ايتاجامسا ضدى ومعه ملك خاتى ، وهو يطلب ارضى . والآن قد ارسل لى ايتاجا ما يقول : تعالى معى إلى ملك خاتى وأجهته لنا : (بأنه) إذا كلفنى ذلك الأمر حياتى ، سوف لا اذهب إلى ملك خاتى ، فلما خلد الملك مسدى ، ملك مصر^(٣) .

" لقد اخذ ملك خاتى ، معبودات قطنة ورجالها " .^(٤)

وعندما تولى أمنحتب الرابع (أخناتون) (١٣٧٢ ق م) كان يحكم فى بلاد خيتا شوبيلويلوما (١٣٨٠ ق م) ويبدو أن هذا الأخير قد أرسل خطابا إلى أخناتون . وكانت الأوضاع فى آسيا فى حالة يرثى لها ، فقد استغل الحيتيون الاضطرابات الداخلية فى مصر وولت سببها ثورة أخناتون الدينية ، فقاموا بإعداد تحالف ضد مصر ، وقد نجحوا فى ذلك .

(١) أرسل هذا الحاكم أكثر من ستين خطابا إلى الملك ولكن لم تكن النجدة ، هى
أرقام: 68-92, 95-96, 102-138, راجع : Knudtzon, Die El
Amarna Tafeln, p. 361-435, 441-443, 455-587.
(٢) د. عبد القادر خليل : المرجع السابق ، ص ٢١٧ - ٢١٨ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٢١٨ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٢١٨ .

فملك قادش لستعد سهل شمال سوريا ، واستولى ملك امور أحد المتحالفين مع الحيثيين على الموتى الفينيقية . وعلى الرغم من كل هذا لم يتحرك إخناتون ، وقد عثر في ودائع المراسلات في أورشيف تل العمارنة ، على مجموعة من الخطابات وهي المعروفة باسم " خطابات تل العمارنة " ^(١) وهي عبارة عن لوحات صغيرة من الطين المحروق ، مغطاة بكتابات مسمارية . وهي عبارة عن المراسلات المتبادلة بين إخناتون وأمراء فلسطين وسوريا العليا وبابل وأقرين . فقد كان عدو مصر ' إيتاجاما ' يحكم قادش ، بينما كان شوبيلوليوما يفرض سيطرته على حلب وكذلك على كل شمال سوريا ، وتقدم الآموريون بطول الفلاني واستولوا على المدن التي

(١) يبلغ عددها الآن ٣٧٩ رسالة ، وهي موزعة بين متاحف الملم فمعرف منها ١٩٩ بمتحف برلين ، و ٨٢ بمتحف البريطاني ، و ٥٠ بـ المتحف المصري ، و ١٨ بمتحف اكسفورد ، و ١ بمتحف اللوفر ، و ١١ بمجموعة خاصة ، يضاف إليها قطعا صغيرة ولا تحمل أرقاما ، راجع : Knudtzon , Die EL : Amarna Tafeln . A.Allen 1964 , p. 991 – 996 ; Helck , LAI , p. 173 ؛ ومن هذه الرسائل ، راجع :

د. أحمد فخري : دراسات في تاريخ الشرق القديم ، ص ٧٧ – ٨٥ . وقد قسمها د. فخري إلى ثلاثة أقسام : الأول : ما بعث به لحكام والموالين لمصر ومنهم حاكم مجدو وحكم بيروت وحكم صيدا . وما أرسله الأمراء في بلاد الشام إلى الملك أمنتب الثالث يطلبون منه العمون ويعلنون فيها ولائهم له . الثاني : خاص بالصدقة بين ملوك مصر وملوك البلاد التي لم تخضع لحكم المصريين مباشرة . وكانت هذه الملوك ثلاثة في آسيا هي : بابل وأشور وميتاني . فكتب ملك ميتاني إلى أمنتب الثالث ، وكتب ملكي آشور وبابل إلى أمنتب الرابع . وكان ملوك ميتاني وأشور وبابل يرسلون الجزية ويطلبون من ملك مصر أن يرسل إليهم الذهب ويلحون في ذلك حتى أن أحدهم يقول في خطاب له : " أرسل إلي ذهبا ، إن الذهب في مصر في كثرة الرمال " . الثالث : خاص بعلاقات المصاهرة التي كانت تربط بين أمنتب الثالث والرابع وبنات أمراء وملوك ميتاني وبابل .

كانت موالية للمصريين الولد بعد الأخرى ، وقد استخدم عزيزو كل ذكائه ودهائه تارة والقوة والتهديد تارة أخرى لكي يستولى على مدن الشاطئ بين صيدا وأوجاريت .. وفى أقصى الجنوب أى فى فلسطين عمل مبعوثوا الحثييون على إقصاء الموالين الأوفياء لمصر وكان على رأسهم عبد خيبا حاكم أورشليم الذى أرسل ستة خطابات إلى الملك (١) وعلى الرغم مما جاء فى كل هذه الخطابات لم يتحرك أخنائون واكتفى بإيفاد رسول لبحث الموقف فى فنيقيا ولكن هذا الأخير ، ثبت ملكه أمور فى الأرضى والممتلكات التى تتركها من مصر ، أما فى فلسطين فقد قام البدو بدورهم بثورة واستولوا على مجدو ثم مناطق أورشليم القديمة . وأخيرا سقطت ميتانى حليفة مصر تحت ضربات الحثييين والآشوريين المتواليين .

وأصبح الحثييون الآن فى أوج قوتهم وأرغموا ملك أمور على توقيع معاهدة تحالف معهم ، ودخل شوبيلوليوما عاصمة الميتانيين " شوجلى " وقام بتدميرها . وتقدم بعدها إلى سوريا نفسها حيث أنقسم أمرلوها المطيون إلى فريقين : فريق كان يناصر الحثييين والآخر يناصر الميتانيين .

وعقب وفاة توت عنخ آمون (١٣٤٣ ق م) يقال ان أولمته طبع اس إن آمون أرسلت بخطاب إلى ملك الحثييين تطلب فيه أن يرسل إليها واحدا من أبنائه ليتزوجها ووعدته بأنه سيصبح ملكا على مصر . وقد شك الملك الحثيى فى جدية هذا الطلب وأرسل رسولا من قبله لاستطلاع الأمر ومعرفة الحقيقة . فاحتجت الأرملة ، وعندئذ أرسل ملك الحثييين أحد رجاله للتأكد من الأمر ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل . وكانت دولة الحثييين تمثل فى ذلك الوقت أعظم القوى فى شمال سوريا وفى الشرق الأدنى القديم (٢).

(١) هى أرقام : 285-290 ، راجع : Knudtson, op. cit., p. 856-877

(٢) عثر على هذا الخطاب فى حواشيت شوبيلوليوما التى جمعها ابنه مورسيل والتى عثر عليها فى خرائب مدينة بوغازكوى ، راجع د. أحمد فخري : للمرجع السابق ، ص ٢٥٠ - ٢٥٢ .

تولى الملك سيتي الأول (١٢١٠ ق م) وحلول استعادة بعض النفوذ المصري في آسيا وخاصة في جنوب سوريا ، حيث عمل الحثييون على إثارة السكان وحرصوهم على الوقوف ضد المصريين ، ولكن سيتي الأول نجح في هزيمة المتحالفين قبل أن يتوافر لديهم الوقت الكافي للترابط فيما بينهم . وقد حاول الحثييون الحد من تقدم الجيش المصري بعض الوقت . وكانوا على قدر كبير من القوة . ولكن دون جدوى ، وأصبح للهجوم الذي قام به سيتي الأول ضد القوات الحثية المتقدمة - حدثا ذا أهمية كبرى - لذلك عند عودته إلى مصر ، كان في انتظاره استقبال كبير .

جاء على العرش الحثي مورسليس الثاني الذي نجح في إخضاع المناطق السورية التي قامت بالثورة ضد الحثييين ، ثم جاء من بعده ولده مولتي وفي عهده أعيد تنظيم المقاطعات الشمالية الشرقية من المملكة الحثية واضطر سيتي الأول للذهاب مرة أخرى لآسيا وحارب في قادش ضد الحثييين ، ونجح في هزيمة الحثييين بالقرب من قادش إلا أن هذا الصراع لم يحقق نتائج هامة لأنه لم ينجح في استعادة شمال سوريا . ويبدو أن الحثييين قد تراجعوا ، وفي حملة ثالثة عاد سيتي الأول مرة أخرى إلى آسيا وتقابل للمرة الثالثة مع الحثييين في شمال قادش وربما وقع في هذه المرة معاهدة مع ملك الحثييين ولكن لم تصلنا نصوصها ^(١) . وليس لدينا أي تفاصيل عن الحرب التي دارت بين المصريين وبين قوات مولتي ملك الحثييين ، ولما تنكسر النصوص المصرية أن سيتي الأول عاد منتصرا من هذه الحملة وكان من نتائج هذه الحملة هو أن مصر مدت نفوذها على جزء من شمال سوريا إذ إن سيتي الأول يذكر قطنة وتوبل (بمالك) ضمن المناطق التي انتصر عليها . وقد زين سيتي الأول صالة الأعمدة الكبرى في الكرنك بمنظر تشير إلى انتصاره على البدو والليبيين والأموريين . الحثييين بالقرب من قادش .

وعندما تولى رمسيس الثاني (١٢٩٠ ق م) عرش البلاد كان الموقف في آسيا خطيرا للغاية . فقد أخذت قوة الحثييين في النمو شيئا فشيئا ، خلال الفترات

(١) راجع : د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول مصر والعراق ، ص ٢٧٢ .

السابقة وأخذ مواعلي ملك الحيثيين يتقدم نحو الجنوب - تجاه قادش - المدينة الشهيرة منذ حروب تحوتمس الأول . وكانت قوة الجيش الحيثي تعادل ضعف قوة الجيش المصري في العدد والعتاد ، وكان لابد أن تتصارع الدولتان لبسط النفوذ على سوريا . وكان الحيثيون يسمعون إلى هذا الصراع أكثر من مصر . وقد قبل رمسيس الثاني التحدي . وفي خريف العام الخامس من حكمه عام ١٢٨٥ ق.م . قام بحملته الشهيرة ضد مواعلي بقصد السيطرة على سوريا ، وعرفت هذه الحملة ' بموقعة قادش ' ونقش رمسيس الثاني أخبارها على كثير من دور العبادة في الكرنك والأصر والرملسيوم وأبو سمبل على ثلاث برديات ^(١) . وفي الواقع أن كلا الخصمين كانا في قوة متساوية ولم يدخلوا في معركة حقيقية وبقيت سوريا تحت التهديد الحيثي ^(٢) . ولكن الفسائر كانت فاتحة جدا من كلا الطرفين . وفي خلال الأيلم التي تعاقبت ، كان هناك نوع من الهدنة ، وقد نجح الملك رمسيس الثاني في القضاء على حدة شوكة الحيثيين ، الذين كانوا قد كونوا تحالفا من عشرين شعبا ، وكل ما فعله رمسيس الثاني هو أنه نجح في اختراق صفوف أعدائه ولم ينجح في تعطيم الجيش الحيثي أو الاستيلاء على قادش . ومن الواضح أن الحيثيين اضطروا في النهاية إلى التراجع تاركين أكبر جزء من سوريا تحت التهديد المصري . وقد حاول الحيثيون التدخل لتأليب مدن ضد فلسطين ضد المصريين ولكن لزمسة الغلافة على العرش اضغمت ملك الحيثيين . بعد وفاة مواعلي (أو مواتايس) تولى ابنه أورشسي - تيشوب العرش ولكنه كان صغيرا جدا ويمد عدة سنوات من الحكم ، حل محله عمه الملك خاتوسيليس الثالث (خاتوسيل الثالث) وكان مشهورا له بالحكمة والذكاء

(١) ومن بينها قصيدة بنتلورة وهي نصوص طويلة توصف حاليا بأنها أشعار ، وحقيقة الأمر أنها ليست شعرا بل هي حوادث تاريخية لغيرها . أما عن نسبتها إلى بنتلورة فلم يكن ذلك إلا لأنه نسخها وليس كتبها الأول . وقام بتكوينها من أصل كان موجودا وقتها ولكنه قد ، راجع : د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٥٠٢ - ٥٠٧ .

Kuschke , LAV , p. 27 - 31 .

(٢)

والتشاط .

نعمت الإمبراطورية الحيثية في عهد خاتوسيل بفترات ازدهار انتهز رمسيس الثاني هذه الفرصة لكي يعاقب مدن فلسطين التي كانت موالية للحيثيين وأراد أن يستعيد موانئ الشاطئ الفينيقي وتقدم نحو تونيب ونجح في إعادة الهدوء إلى فلسطين ، واستولى على تونيب من أيدي الحيثيين . وعندما وصل إلى هذا الحد تطور الموقف الخارجي فجأة فقد ظهر فاتح ثالث في آسيا مستغلا الصراع بين الحيثيين والمصريين ، وهى آشور ، وقد أراد خاتوسيل أن يستعيد السيطرة الحيثية ولكنه تصادم مع هذه القوة الجديدة ، التي بلغت أوج مجدها وقوتها في عهد الملك أداد نيرارى وشالما نصر الأول . فقد استولى ملك آشور على الجزء الأكبر من ميقتاني القديمة ، ثم استقر على نهر الفرات ومن هناك بدأ يهدد الممتلكات المصرية من ناحية والإمبراطورية الحيثية من ناحية أخرى . وبسداً الحيثيون والمصريون يشعرون بهذا الخطر ولجأوا إلى التفاهم معا ونصح معلونو خاتوسيل الملك بمقعد معاهدة سلام مع مصر .

وبدا الحيثيون الخطوة الأولى على حد قول المصادر التاريخية ، فأرسل ملكهم خاتوسيل مبعوثين إلى قصر الملك رمسيس في عاصمته ، وعرض الرمولان على الملك مشروع أو مسودة معاهدة تحالف بين مصر وختاني ، وكان المشروع مسجلا بالخط المسماري (البابلي) (وكان هناك من الكتبة المصريين فى بلاط الملك من يفهمون هذه اللغة قراءة وكتابة) على لوحة من الفضة باسم خاتوسيل ، فقبله رمسيس الثاني من حيث المبدأ بعد أخذ رأى مستشاريه . وكتب رجاله أو مستشاريه نصا آخر أو مشروعا آخر باللغة المصرية على لوح من الفضة أيضا كان مقبولا فى أغلب بنوده مع المشروع الختاني أو معدلا عنه تعديلا بسيطا أو حذف منه بعض المواد . حتى توصلنا فى النهاية إلى وضع الصيغة النهائية لها . ووقع الملك رمسيس الثاني عليها فى العام الحادى العشرين من حكمه أى حوالى ١٢٧٠ ق.م (١)

(١) د. عبد الحميد زايد : مصر للخلدة ، ص ٧٢٨ ؛ د. عيد العريز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، طبعة ١٩٧٦ ، ص ٢٢٢ .

وكتبت بعدها على لوحة أقيمت على أحد جدران معبد الكرنك^(١) وعثر على أصل المعاهدة على لوحين من الطين المحروق في حفائر بوغازي كوي في عام ١٩٠٦^(٢) . ولكن هذا النص الأصلي الذي كتب بالمسمارية البابلية لم يدرس إلا في عام ١٩١٦ وعكف بعض العلماء على ترجمة وعكف الآخرون على ترجمة النص المصري^(٣) .

وإذا كانت هذه المعاهدة هي الأولى من نوعها فقد سبقتها من قبل في عهود سابقة عدة اتفاقات لم تحترم بنودها لمسبب أو لآخر^(٤) .

وتحتوي نصوص هذه المعاهدة على تسع فقرات ذكرها بالتفصيل د. ميخائيل^(٥) ، وهي كما ذكرها :

(١) بروكول :

يتكون من ذكر اسمي طرفي المعاهدة خاتوميل (خيتاسار) ووسر ماعت

(١) د. أحمد فخري : مصر الفرعونية ، طبعة ١٩٨١ ، ص ٣٥٤ ، د. عبد الحميد

زايد : المرجع السابق ، ص ٧٢٨ ، ص ١٠٤٢ ، حاشية ٥٢٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٥٤ حاشية (١) .

(٣) بالنسبة لترجمة هذا النص بنسخته ، راجع د. أحمد فخري : المرجع السابق ،

ص ٣٥٤ حاشية (١) .

(٤) يرى البعض أن أول معاهدة أو اتفاق بين المصريين والحيثيين كانت بين حور

ومحب ومورسيلي الثاني ، راجع : د. عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ،

ص ٥١٤ ، د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر

والعراق ، ص ٢٣٢ .

(٥) د. نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول ، للكتاب الثاني :

مصر ، دار المعارف ١٩٥٨ ، ص ٢٢٥ - ٢٢٨ ، د. عبد الحميد زايد : مصر

الخالدة ، ص ٧٢٧ - ٧٢٩ .

رع (رمسيس الثاني) ، على لوحة من الفضة ، وهو مشروع معاهدة سلام وأخوة بينهما وتم الاتفاق على أن ينسخ منها نسخة لتوضع بأرض الحيثيين لمنع وكسوع عدوات بينهما إلى الأبد .

(٢) الشروط :

اتفق خاتوسيل مع رمسيس على أن يكون بينهما سلام وأخوة دائمة إلى الأبد وأن تسود بينهما علاقات طيبة وأن تمتد هذه العلاقات الطيبة من أبناء الملك الحيثي وأحفاده إلى أبناء وأحفاد رمسيس الثاني وسوف لا تفصل بينهما عدوة لكي تصبح أرض مصر والحيثيين في سلام وأخوة دائمة . وتعهد الطرفان بالآلا يتعدى أحدهما على حدود الآخر . يستقطع منها جزءا أي احترام تقسيم الحدود بينهما على الرغم من أننا لا نعرف الخطوط الفعلية لهذه الحدود في شمال بلاد الشام (١).

(٣) التأكيد على تنفيذ الاتفاقات السابقة :

وبالنسبة للمعاهدة العادلة من زمن " سابا رورو " كالمعاهدة العادلة ومن زمن " مونتوروماسار ؟ " سوف يقوم الملك الحيثي بتنفيذها بعدالة وأيضا رمسيس الثاني اعتبارا من اليوم .

(٤) بنود المعاهدة :

معاونة أحدهما الآخر في حالة اعتداء عدو خارجي على أحدهما فإذا جاء عدو إلى أرض رمسيس الثاني وأرسل رسالة إلى ملك الحيثيين يستجد به . فسوف يرسل إليه الحيثي جنده وعربته وإذا حدث أن أغار بدو الحدود على البلاد وذهب رمسيس الثاني ليضربهم فسيضم ملك الحيثيين إلى ملك مصر (ويلي ذلك مثل هذه

(١) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٧٣٠ - ٧٣١ : د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٢٢ . ويرى د. زايد أنه كان هناك خطوط معينة لا يجوز لأحد من الطرفين تجاوزه في شمال سوريا والطرف الشمالي لساحل فنيقيا .

الفقرة ولكن بالمعكس ، اى يرسل الملك رمسيس النجدة إلى ملك الحيثيين) .

(٥) رد الفارين :

فإذا جاء رجل من المدينة أو من المراعى أو من الصحراء من أرض رمسيس إلى ملك الحيثيين فإن يستقبله بل سوف يردّه إلى رمسيس . وإذا جاء رجل أو اثنان مجهولان إلى أرض الحيثيين ليقوموا بخدمة فإن يسمح لهم ملك خاتى بالبقاء فى البلاد بل سوف يعيدهم إلى رمسيس . وإذا جاء رجل عظيم (لاجئ) إلى أرض الحيثيين سوف يعاد مرة أخرى إلى رمسيس (ونفس الفقرة - العكس بالمعكس) .^(١)

(٦) تثبيت المعاهدة :

أى إعطائها حق القداسة وذلك باستدعاء كل المعبودات ذكورا وإناثا للشهادة عليها من أرض الحيثيين ومصر . (وبعد ذلك يجرى ذكر أسماء المعبودات) .

(٧) القسم :

الاتفاق على تسجيل بنودها على لوحين من الفضة لأرض الحيثيين وأرض مصر . وهناك تهديد لمن سوف لا يقوم باحترام بنودها ويقوم بتنفيذها فإن ألف معبود حيثى وألف معبود من أرض مصر سيلحقون اللعنة ببيتهم وأرضهم وخدمهم .

ومن يحافظ على بنودها ويحترمها ويقوم بتنفيذها فإن الألف معبود الحيثى والألف معبود المصرى سوف يمنحون الصحة والحياة له ولبيته ولأرضه وخدمهم ..

(٨) ملحق :

الاتفاق على تبادل المهاجرين السياسيين : فإذا هاجر واحد أو اثنين أو ثلاثة

(١) تحدث عن البندين ٤ ، ٥ ، د. عبد القادر خليل (نقلا عن د. نجيب ميخائيل)

فى مؤلفه : علاقات مصر بشرق البحر المتوسط حتى نهاية عصر الدولة الحديثة ، ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .

من أرض مصر ولجأوا إلى أرض الحيثيين سوف يقبض عليهم ويعادون إلى رمسيس . وتم الاتفاق على أن يعود إلى رمسيس وإلا يتعرض لعقاب نتيجة هذا العمل هو وزوجته أو أولاده أو أى لا يدق عنقه أو تقطع إحدى عينيه أو تصلم أنفيه أو يقطع جزء من لمة أو قدميه ولا يوجه إليه أى عمل أجرامى (وبالمثل العكس بالعكس) .

وحدثت من النص المصرى المادة الخاصة بورثة العرش الحيثى والفكرة التى يتحدث فيها خاتوسيل عن العلاقات المصرية الحيثية التى نشأت من قديم وراها بعنايتهما المعبودان رع وتشوب وعمل على إحيائهما كل من الملوك شوبوبليوما ومورسيل والذى قضى عليها للأسف فى زمن أخيه ماتىلا .

(٩) ختم المعاهدة :

على الوجه الأمامى من اللوحة الفضية نقشت داخل دائرة صورة " ست " يحتضن قائد (أى ملك) الحيثيين وحولها للكلمات : " ختم ست أمير السماء " . ختم المعاهدة بين " خيتا سار " قائد الحيثيين العظيم القوى ابن مارسار قائد الجيش العظيم القوى وما هو داخل الدائرة المحفورة " ختم ست أمير السماء " . وعلى الجانب الآخر حفر صورة معبود الحيثيين تشوب، يحتضن صورة معبودة الحيثيين العظيمة ابنة أرض فيزا ملكة أرونا سيدة الأرض كلها خاتمة الألهة . وما هو داخل الدائرة المحفورة " ختم الشمس - أرونا سيدة الأرض كلها " (١) . وعادة للمراسلات بين البلدين وتشير وثائق بوغازكوى (٢) إلى التهنئة التى كتبتها زوجة رمسيس الثانى لفرثارى

(١) د. نجيب ميخائيل : المرجع السابق ، ص ٢٢٨ .
(٢) من بين النصوص التى عثر عليها فى بوغازكوى ، وتوجد منها أكثر من نسخة ولحده هى نقوش تخص خاتوسيل عن حروب أبيه مع مصر ، راجع : د. أحمد فخري : المرجع السابق ، ص ٢٥٢ (٢) . كما تحدث د. فخري عن أصل المعاهدة التى وقعها خاتوسيل ورمسيس الثانى ، المصدر نفسه ، ص ٣٥٤ حاشية (١) : د. عبد الحميد : المرجع السابق ، ص ٥١٠ - ٥١٥ .
وقد عثر على أكبر مجموعة من الوثائق الحيثية فى علم ١٩٠٦ - ١٩١٢ فى بوغازكوى . واتضح أن هذه الوثائق هى محفوظات الدولة وتتألف من أكثر من ١٠ آلاف لوح جمعها الملوك عام ١٢٠٠ ق م وكتبت هذه الألواح الخزفية بالمسمارية . وقام بترجمتها العالم التشيكي هروزنى ، راجع : د. فيليب حشى : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، بيروت ١٩٥٨ ، ص ١٧٠ .

إلى بودوهيات ملكة الحيثيين (١).

واحترام كل من خاتوسيل ورمسيس الثاني كل ما جاء فى هذه المعاهدة ،
وبعدها بثلاثة عشر عاما أراد خاتوسيل أن يوثق هذه الصلة ، تم الاتفاق على أن
يتزوج رمسيس الثاني من ابنة خاتوسيل . فجاء الملك خاتوسيل فى زيارة رسمية إلى
مصر مصطحبا معه زوجة رمسيس وجاءت فى موكب فى فصل الشتاء فى العام
الرابع والثلاثين من حكمه ، وصور خاتوسيل وابنته واستقبال رمسيس الثانى لهما
على لوحة كانت وجودة أمام معبد أبو سمبل . وتلقبت الأميرة الحيثية بالاسم
المصرى " ماعت نفرورع " .

ومما يدل على العلاقات الطيبة التى كانت سائدة بين البلدين ، ما نقش على
لوحة محفوظة فى متحف اللوفر جاء عليها أن الأخت الصغرى لزوج رمسيس
الثانى الحيثية التى وضفت على اللوحة بانها ابنة ملك من قطر بعيد يسمى " باختان
" كانت تعاني من مرض عصبى وأصابتها روح شريرة فأرسلوا إليها من مصر
الطبيب " تحوتى أم حب " الذى لم يستطيع أن يشفيها من مرضها فعاد إلى مصر
وأرسلوا إليها على وجه السرعة تمثال شافى للمعبود خونسو معبود طيبة لكي يذهب
الأذى عن جسد الأميرة (٢) وسواء أكانت الرواية لها دافع فعلى أم لا فهى من ابتكار
البطالمة أو ممن سبقوهم وهى تدل على الثقة فى المعبودات المصرية وقدراتها .

وظلت المعاهدة مع الحيثيين سارية المفعول طوال مدة حكم رمسيس الثانى
واستمر هذا السلام لمدة ستة وأربعين عاما حتى أيام ولده مرنبتاح ، فقد أرسل هذا
الأخير شحنة من الحبوب إلى الحيثيين الذين وجهتهم مجاعة (٣).

(١) د. عبد الحميد زايد : للشرق للخلاد ، ص ٥١٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥١٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥١٨ .

بعض المظاهر الحضارية في الأناضول القديم:

أولا : نظم الحكم والإدارة :

في البداية كان الملك ينصب عن طريق الانتخاب ، بعد ذلك أصبحت الملكية وراثية بعد أن وضع أحد الملوك تيليبيزوس قانونا لورثة العرش . وكانت المدن الكبرى تحت سلطة " الملك الكبير " الذي لم يكن فقط القائد الأعلى للجيش ، والقاضي الأول في الدولة ولكن كان أيضا كبيرا للكهنة ^(١) ، على حين كانت الأم الملكية التي يطلق عليها اسم " تافانا " كاهنة للمعبودة الأم . ويمكنها أن تحكم في غياب الملك . وعلى الرغم من أن الملك لم يقدم أثناء حياته إلا أنه اكتسب لقب ابن الإلهة ويدخل بنفس العلاقة مع المعبودات عن طريق الأم الملكة التي تقوم بدور الكاهنة الكبرى ^(٢).

كان هناك ما يسمى بالمجالس المحلية التي تتكون من عدد من الشيوخ الذي يتولون الإشراف على كافة الشؤون الإدارية . أما في دور العبادة فإن المعبد هو الذي يشرف على تلك الإدارة فكان الكاهن الأعظم هو الحاكم المدني في نفس الوقت وكسان الملك هو الذي يشرف على الأقاليم وأحيانا كان هناك حكام دائمين يقيمون في الأماكن التي يعهد إليهم بإدارتها ^(٣).

لما ما نعرفه عن القوانين الحيثية ، فهو يدل على أنهم كانوا على دراية بالقوانين ولكن تشريعاتهم لم تكن بالكثرة كما عند ملوك عصر الأحياء السومري والبابلي والآشوري . وقوانين مملكة حيثا المعروفة لها أصل قديم . وكانت للمسئولية تقع دائما على صاحب الحدث ، وهو الذي يتحمل عقوبتها . ويتم فحص الأخطاء طبقا لنوعيتها ونتيجتها وتحدد العقوبة طبقا لذلك ^(٤) . ولم تكن القوانين في المملكة الحيثية ثابتة بل كانت عرضة للتعديل والإضافات . وكانت هذه القوانين تأخذ بمبدأ

(١) Contenau , op. cit ., p. 78 .

(٢) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ١٧٧ .

(٣) Contenau , op. cit ., p. 81 .

العين بالعين والسن بالسن .^(١)

وهناك حق التعويض من الجانب المجنى عليه . أما المحاكمة فكانت بسيطة الإجراءات إذ أن المنازعات تنظر أمام الشيوخ الذين كانوا يشرفون على الإدارة المحلية وكانوا يمثلون ما يشبه المحكمة الشعبية . وكان أحد ضباط الملك هو الذى يتعاون مع السلطات المحلية فى إقامة العدل دون تحيز وفى حالات القضايا الكبرى التى يحكم بها الإعدام كانت القضية ترفع إلى الملك للبت فيها .^(٢)

الجيش :

وصلت الجيوش الحديثة إلى درجة كبيرة من الخبرة فى التاريخ لتقديم على الرغم من أننا نجهل للكثير عن تكوينها ووسائلها غير أنه من المرجح أن مشاة الجيش الحثي كانت أكثر عددا من جنود مركبته . وكانت المركبات الحثية تختلف فى شكلها اختلافا بسيطاً عن المركبات المصرية إذا أنها كانت تتسع لحمل ثلاثة رجال بدلا من اثنين . وكان سلاح الهجوم يتكون من الرمح والقوس والدرع .

وإلى جانب المشاة والمركبات كانت توجد الفرق الخفيفة التى تقوم بالهجمات السريعة . وكانوا يعرفون استخدام المنجنيق وإقامة الروابي المرتفعة .^(٣)

ثانيا : النظام الاجتماعية :

من المعادات التى كانت سائدة فى المجتمع فى بلاد الأناضول هو أنه قبل الزواج كانت الخطبة مصحوبة بهدية للزوج وبمدها يتم الزواج بعد حصول الفتاة على هدية من زوجها كصدائق وفى حالة وفاة الزوج تزوج الأرملة بأقرب المقربين . وكانت القوانين تجعل من الزوج هو رب الأسرة ومسيدها وراعيها .^(٤)

(١) د. أبو المحسن عصفور : المرجع السابق ، ص ١٧٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٧٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٧٨ - ١٧٩ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٧٣ - ١٧٤ .

ثالثا : الحياة الاقتصادية :

اعتمدت على الزراعة ، واستخراج المعادن . فالآشوريون الذين كانوا يعيشون في منطقة كبادوكيا كانوا يصدرون النحاس ، كما أن توافر المادة بدرجة كبيرة ساعد على استخدامها في صنع العملة ومع أن الحديد كان متوافرا أيضا إلا أنهم عجزوا عن صهره فاستمضوا عنه بالنحاس في صناعة الأسلحة وكذلك البرونز . ولهذا عد الحديد من المعادن الثمينة . وكانت المعادن وخاصة النحاس تصدر إلى بلاد النهرين في مقابل المنسوجات .^(١)

أما مصادر دخل الدولة فكانت كما في بلاد النهرين وبلاد فارس تعتمد على الضرائب وغنائم الحروب .

رابعا : الديانة والمعتقدات :

المعبودات :

كان يعيش في بلاد آسيا الصغرى ، مجتمعات متباينة من الآشوريين ، وما يطلق عليه اسم " السابقون على الحيثيين " الذين نجعل الجزء الكبير من معتقداتهم ، وعلى الرغم من أنهم كانوا تحت سيطرة الآشوريين في نهاية الألف الثالثة ق م وربما منذ بداية عصر الأسرة الأكديّة ، فإن للتأثير المسمى لم يغير من خصائصهم الرئيسية ، التي نقلت بعد ذلك إلى ديانة الحيثيين الهنولأوروية .

السابقون على الحيثيين :

كانوا يتمبدون إلى معبودات الخصب والأخصاب . ونرى على الآثار المصورة نقوشا عديدة يبدو أنها تتصل بمعبدة تمثل على هيئة ثور وقد تركت لنا الإمبراطورية الحيثية الهنولأوروية ، نقشا من هذا النوع في الكا - هويوك الذي يخلد عبادة كسانت تنتمي في الواقع إلى الروح البدائية عند الآشوريين في آسيا الصغرى وعندما تدرت

(١) د. أبو المحاسن صفور : المرجع السابق ، ص ١٨٧ - ١٨٨ .

حضارة السابقيين على الحيثيين ، نجد أن الديانة على الرغم من أنها كانت تتكون من عناصر مختلفة ، إلا أنها كانت ذات معالم واضحة . فقد أثرت الديانة الآشورية في حضارة السابقيين على الحيثيين ، وأمكننا التعرف على المعبود الكبير والمعبودة الكبرى التي انتشرت أسمائها من قبل مثل وروسو والابن للمقدس . أما بالنسبة للحيثيين فقد تواروا بديانات أخرى أيضا أولا من الآشوريين وثانيا من أهل بلاد النهرين . ومن هذه الديانات أمكننا أن نميز معبودة السماء ، والأرض ، والعالم السفلي ومعبودات قديمة قد اندثرت لصالح معبودات أخرى صغيرة .

ويمكننا معرفة قائمة هذه المعبودات عن طريق النصوص الدينية ، ومن نصوص المعاهدات والمراسيم التي كانت تسجل تحت حماية هذه المعبودات وهم ' ألف معبود من حيث ' كما يسميهم الكتبة ، وكانوا يقدرون في الواقع بأكثر من سبعمائة معبود .

ويأتي على رأس هذه المجموعة المقدمة ، معبودة مدينة أرانا ، وهي مدينة لم يعرف مكانها حتى الآن وهي المعبودة أرانا ربة الشمس، والمعبودة وروسو . وكانت أرانا تعد سيدة البلاد وكان الملك يظلمها على سياسة حكومته . والمعبود الكبير تيشوب الآشوري ، الذي كان يعد معبودا رئيسيا في آسيا الصغرى ، وقد عبد في الجزء الجنوبي منها _ جبال طوروس والسهول لشمالية لعموريا (وكان يعد معبودا للطقس والرعد ويلقب بالقب : ' ملك السماء ورب بلاد خاني ' ويرمز إليه بالثور الذي يصور ولقبا وحيدا على مذبح أو يمثل ركبا مركبة تجرها الثيران على رؤوس الجبال التي تمثل في هيئة البشر أو يمثل ولقبا ومسكا برمز الصاعقة وبلطه^(١) وواقفا على ثور^(٢) . أو مسكا بمطرقة وعصا معكوفة^(٣) . وكان يتشابه من ناحية أخرى مع المعبود إداد . وكان له عبادة في عدة مدن . وكان للمعبود تيشوب زوجة هي ' خيبات ' وتمثل على هيئة سيدة تقف على أمد ولبنها ' شاروما ' .^(٤)

- (١) صور هكذا على لوحة عثر عليها في تيل بارسيب من نهاية الألف الثانية وبداية الألف الأولى ، وهي موجودة الآن بمتحف اللوفر ، راجع : Parrot, Assur, p. 77 Fig. 87.
(٢) صور هكذا على لوحة أخرى عثر عليها في تيل بارسيب من نفس الفترة ، وهي موجودة في متحف حلب ، راجع : Id., op. cit., p. 78 Fig. 89.
(٣) صور هكذا على لوحة عثر عليها في كل حلف من بداية الألف الأولى ، راجع : Id., op. cit., p. 89 Fig. 98.
(٤) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ١٨٢ .

وزوجة أخرى هي أرانا معبودة الشمس وكان لهما ابنتان وحيدة . وكانت معبودة الدولة للرسمية هي معبودة الشمس وتبعد على أنها " ملكة بلاد خلتى والسماء والأرض " سيدة ملوك وملكات بلاد خلتى ومرشدة الحكومة .^(١) وكان هناك معبود للشمس آخر ولم يكن زوجا للمعبودة الشمس .

وكانت المعبودة أرانا هي مصدر الديانة الرسمي ، وكانت تعد من أهم المعبودات الحثيثة مع زوجها .

وكان هناك معبودا للزراعة . وقد وجدت أسماء عدد كبير من المعبودات التي لا نعرف عنها شيئا ، وربما كانت أصلا من المعبودات المحلية وعبدت في المجتمعات المحلية الأولى . فإلى جانب ثشوب وخيت من مجموع المعبودات الحورية ، نجد عشتار وتسمى شلوشكا ، نى ساجا معبودة الحبوب ، ثايل ، نى نورنا ، هنجالو ، الأثر معبودة العالم السفلى ، وجميعهم من مجموعة معبودات بلاد النهرين (سومرية-أكادية) . وهي لا تقل أهمية عن المجموعة الأولى .

واعتقد الحثيون بأن معبود الشمس يمر في العالم السفلى من الغرب إلى الشرق أثناء الليل . ويبدو أن الحثيين لم يستطيعوا أن يبدلوا مجيها كبيرا لكى يضعوا بعض النظم والترتيب في هذه المجموعة المتعددة من المعبودات . وأخيرا نذكر التأثير الهندوأوروى الفعال الذى يتجلى فى المعبود " كامروسبا " وهو من المعبودات المحيطة بتابينو ، واسكاسا ثم بى روا . ونجد أن بعض العقائد ، على الرغم من أصلاتها إلا أنها نفس نوع من معتقدات أهل بلاد النهرين ، فمثلا تابينو كان يشير إلى توالى الفصول ، وأيضا كامروسبا والثعبان الويلكا كان يتيان لمساعدة ضحايا الإنسانية .

معبودات ياسيلى - كايا :

عثر على معبد كبير منحوت فى الصخر فى منطقة ياسيلى - كايا ، على بعد حوالى ثلاثة كيلومترات من العاصمة بوغازكوى ، ونجد فى هذا المعبد أن

(١) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ١٨٢ .

المعبودة الرئيسية لمجموعة المعبودات ، تحمل اسم " خييات " وتصور وهي تعتلى فهذا مع معبود الرعد ربما " تيشوب " ومن خلفها يوجد شخصى قصير جدا يمتطى فهذا أيضا . وهو يمثل بالتأكيد ابنها " شارونا " وخلفه معبودتان ربما " مازولا " ابنة معبودة الشمس " أرانا " وزنتوهي ابنتهما الصغرى . وتبين جدران المعبد مواكب المعبودات المنطى مقسمة إلى مجموعتين :

الذكور على اليسار بقيادة معبود الرعد ، والإناث على اليمين بقيادة معبودة الشمس أرانا ، وكلتا المجموعتين تتقدمان نحو المعبود والمعبودة يتبعهم الكهنة والكاهنات . ويوجد فى غرب المدخل تماثيل لأثنى عشر شخصا وأيضا لمعبودات أخريات يصطحبهن كاهنات . وفى داخل حجرة صغيرة داخلية مخصصة للمعبود الصغير ، نجد نقشاً آخر يمثل أثنى عشر رجلا . وهناك نحت فى الصخر يمثل ملكا ، يدعى تودمالولس الرابع الذى يماثقه معبود آخر .

ومن المحتمل أن هذه النقوش قد نحتت وحُفرت فى معبد ياسيلي - كايا لأن الملك والمملكة كانا يتيان غالبا لكى يستقرا بعض الوقت أثناء عيد الخريف للاحتفال بالحصاد وإقامة طقوس العام الجديد كما كان شائعا فى غرب آسيا .^(١)

بعض الأساطير :

نجد فى بلاد الأناضول ، مجموعة من المعتقدات ، التى تتركز حول معبود الطقس أو الطبيعة ، الذى قضى على قوى الشر الممثلة فى عدة أشكال وصور مختلفة . وقد وجد بعض هذه النصوص الخاصة بتلك المعتقدات فى أرشيف بوغازكوى ، وما هى إلا نسخ حيثية من أساطير أصلها بابلى وبعضها من أصل حورى .

نبح التنين : وتسمى الأسطورة الأولى " نبح التنين " وتقص الصراع بين معبود الطقس ومعبود الشمس لوريانكا ، وموداما ابن معبود الشر لتقصر فى يداية

(١) James , Mythes et Rites dans la Proche-Orient Ancien , Paris (١) p. 130 , (1960) .

الأمر وهزم معبود الخير ، واضطر معبود الطقس إلى الاستماتة بكل المعبودات الأخرى . واستجابت المعبودات لهذا النداء وأعدت المعبودة انصارا وليمة كبيرة ، ودعت إليها معبود الشر وعائلته وأخذ هؤلاء يشربون للكثير من النبيذ حتى للشامسة ولم يستطيعوا العودة إلى مقرهم . وهنا تدخل المعبود هوباسيا وقام بتقيدهم واستطاع معبود الطقس أن يقضى عليهم . كمكافأة لهوباسيا شيدت اقرا منزلا له فوق صخرة في بلاد " تاروكا " ومنعته من النظر من النافذة خوفا من أن يرى زوجته وأولاده . ولكن بعد مضي عشرين يوما ، اضطر إلى فتح النافذة ورأى عائلته . وعادت إنارا ، وللأسف لا نعرف بقية القصة فيما عدا حدوث صراع وقتلت المعبودات خلاله هوباسيا بيدو هوباسيا على حين لجأ معبود الطقس إلى وضع الأعشاب على حطام المنزل .

وفي نسخة أخرى حديثة ، يقال إن معبود الشر قد نزع قلب وعيون معبود الطقس بعد هزيمته ، وبعد ذلك أنجب معبود الطقس ابنا له لكى يستعيد قلب وعيون أبيه وينتقم له ، وجعل ابنه يتزوج ابنة معبود الشر الويانكا ، وطلب منه استعادة قلبه وعيونه ، وبالفعل نجح الابن في استعادة تلك الأعضاء لأبيه ، وعندئذ استعاد المعبود قوته مرة أخرى وقام بصراع الويانكا ، ولكن الويانكا انتصر عليه مرة أخرى وقتله وطلب الأب أن يقتل الويانكا ابنه أيضا ولكن الويانكا رفض هذا الطلب وسوف يحاول الابن استعادة قوة أبيه والانتقام له ^(١) (وهنا يؤدي الابن نفس الدور الذى أداه المعبود حورس في العقيدة المصرية القديمة) .

الأسطورة الثانية : تعلق بعودة الحياة إلى الأرض وتسمى " أسطورة المعبود المفقود " وهى تلخص فى أن الحياة تتوقف على الأرض بسبب اختفاء معبود الخصب ثم البحث عنه وإعادته إلى بيته تعود الحياة إلى الأرض . ^(٢)

وبإلى جانب هذه المعتقدات يمكن إضافة أساطير بلاد النهرين المترجمة إلى الحثية . وقد خللت الطقوس والعبادات الآشورية فى الديانة اليونانية بفضل نفوذها

James , op. cit ., p. 190 .

(١)

(٢) د. أبو المحسن عصفور : معالم حضارات الشرق الأدنى القديم ، ص ١٦٨ .

وانتشارها وذلك بعد أن انطوت .. المجتمعات الآسيوية في سجل النسيان ولم تعد إلا ذكرى على هامش التاريخ .

المعابد :

كانت أماكن العبادة تتخذ أشكالاً عديدة :

فمنها ما كان مكتشفاً به هيكل حجري ، ومنها ما كان مشيداً بالأحجار الضخمة ويتكون من عدة غرف حول فناء مرصوف . ويفصل قدس الأقداس عن هذا الفناء حجرة بها فتحة تسمح للذين في الفناء برؤية تمثال المعبود في محرابه الذي يقع في الجدران البعيدة لقدس الأقداس . وكان المعبد يعتبر بيت المعبود ، ويقوم الكهنة بخدمة المعبود يومياً . وكان الملك يرأس الاحتفالات والأعياد الدينية الكبرى . وكان الكهنة يؤدون دور الوسيط بين المعبود والبشر وذلك عن طريق استشارة وحى المعبود في أمور كثيرة وتفسير الكواكب والمصائب التي تحيق بالبشر^(١).

الممارسات :

كان من المتبع حرق جثة المتوفى عند الدفن ثم تطفأ النار بالحجارة والنبذ ثم تجئ بعض النسوة لجمع العظام وغسلها في شراب خاص ثم يضعونها في زيت طيب الرائحة في جرة فضية . ثم تخرج بعد ذلك وتلف بكتان وتوضع على مقعد ويقدم الطعام لمن قام بجمع العظام كما يقدم للشراب لروح المتوفى ثلاث مرات ، ويصاحب ذلك التضحية بالماشية . أما بالنسبة للملوك فلم تتمرض جثثهم للحرق^(٢).

خامساً : الحياة الثقافية :

الكتابة واللغة :

إلى اللغة الآسيوية ينتمي ما يسمون ' ما قبل الحثيين ' وإلى الهندولوروية

ينتمي الحثيون أنفسهم .

(١) د. أبو المحسن عصفور : المرجع السابق ، ص ١٨٤ - ١٨٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٨٦ .

لغة السابقين على الحيثيين :

هي لغة من نفس العائلة الآسيوية ، وكانت لغة للحديث اليومي فى آسيا الصغرى ، وفى أواسط شبه الجزيرة . ولم يترك السابقون على الحيثيين ، إلا النصوص النادرة جدا ، ونعرف منها بالأخص أسماء الأشخاص التى لقبت بها الهندوأوروبيون فى معظم الحالات .

لغة الحيثيين :

أطلق على اللغة الرسمية للحيثيين اسم " اللغة الحيثية " كما عرفت بلادهم باسم " حيثيا " ولم تكن اللغة الحيثية إحدى لغات آسيا الصغرى المحلية ولكن هى إحدى اللغات الهندوأوروبية ، ولكنها تختلف عن اللغات الأخرى من نفس العائلة اللغوية الهندوأوروبية ، فمثلا نجد أن الضائكر والنهيات والتصرفات وجزء من المفردات كانت أصل من هندوأوروبى .

ولكن معظم هذه الكلمات جاءت أصلا من لغة ما يسمى " بالسابقين على الحيثيين " أى من الآسيوية التى كانت لا تزال شائعة . ولم تستخدم اللغة الحيثية فى المكاتبات الرسمية واستخدمت بدلا منها لغات أخرى وخاصة الهيروغليفية - الحيثية (١) .

الهيروغليفية - الحيثية :

كان هناك كتابة أخرى أقل انتشارا ، وفى نطاق محدود ، فى جزء من آسيا الصغرى ، وموريا العليا ، وتسمى الهيروغليفية - الحيثية التى بقيت فى مرحلة الرسم للعلامات . ومعظم نصوص هذه الكتابة الموجودة على الآثار تشبه إلى حد كبير فى أصل علاماتها الهيروغليفية المصرية . وسمحت بعض النصوص من هذه الكتابة المزروجة (ولاسيما النصوص الموجودة على الأختام الأسطوانية) ، بالتوصل إلى حل رموزها التى يبدو أنها قد اكتملت فى خطوطها العريضة . أما اللغة

(١) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ١٨٨ - ١٨٩ .

المكتوبة بهذه العلامات فكانت هندوأوروبية مثل الحيثية التي كتبت بالمسمارية ولكن باختلاف بسيط .

إلى جانب اللغة الحيثية ذات الأصل هندوأوروبي والهيتوغيتية - الحيثية عرفت ثلاث لغات أخرى : اللغة اللوية التي تنسب إلى اللويون الذين يرجح أنهم جاءوا إلى الأناضول من الغرب وذلك في بداية عصر البرونز واستقروا في جنوب الأناضول ، واللغة البابلية التي كانت منتشرة أساساً في الهضبة الإيرانية ، ولم يعرف حتى الآن المكان الذي استقر فيه هؤلاء البابليون في آسيا الصغرى ، وأخيراً اللغة العورية واستقر الحوريون في المناطق الجنوبية التي كانت أهلة أصلاً باللويين من قبل .^(١)

الأدب وفروعه :

عرف الحيثيون ، أدب التنبؤات ، عن طريق الوحي المقدس ، وعرفوا السحر . وارتبطت النصوص الأدبية في آسيا الصغرى بالديانة فقد احتلت نصوص الاتقانات ومعاهدات التحالف مكانة خاصة ولغة تسجيلها نجد ان نصوص هذه المعاهدات تشبه إلى حد كبير نصوص المعاهدات الحديثة وكانت توضع تحت حماية المعبودات الحيثية. كما أن الاهتمام بالنواحي العسكرية لم يتح الفرصة لوجود نهضة أدبية كبيرة . فقد عثر على قصص بسيطة بدائية ترجع إلى أصول بابلية وحورية .^(٢)

العلوم المختلفة :

لم يترك الحيثيون من أثر أو نص أو نقش ما يعطينا فكرة عما توصلوا إليه في مجال المعارف العملية المختلفة كالطبخ والطب والهندسة .

-
- (١) د. أحمد سليم : تاريخ العراق - إيران - آسيا الصغرى ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٩٨ ، ص ٤٥٦ - ٤٥٧ .
(٢) د. أبو المحسن عصفور : المرجع السابق ، ص ١٨٩ .

سادسا : الحياة الفنية :

العمارة والفنون :^(١)

عمل الحيثيون على بناء مساكنهم فوق مسطح مرتفع من الطوب اللبن مثل أهل سومر . وعثر على بقايا ترى على هيئة أكوام صناعية والتي عرفت باسم ' هويوك ' في آسيا الصغرى . ونجد أن الحيثيين كانوا يشيدون القصور التي كانت تسمى "بيت هيلاني" وهي أكثر اتساعا من ناحية العمق ولها مدخل يسبق قاعة عرضية مفتوحة بها أروقة بأعمدة على الجوانب .

ولم تتطور العمارة إلا منذ بداية القرن الرابع عشر ق.م . أى منذ تطور الإمبراطورية الحيثية ، أى في فترة تل العمارة في مصر . وقد عثر من هذه الفترة ، على آثار ضخمة . وقد لجأت الملكية الحيثية إلى الاستعانة بالفنانين الأجانب خاصة البابليين لتحقيق أهدافهم ... وهكذا ولد فن انعكست فيه الاتجاهات والتأثيرات المختلفة ولكنه مع ذلك احتفظ بطابع محلي متميز . وترجع أصوله إلى الترابط بين فن النحت والعمارة . فالمدن الحيثية كانت دائما محاطة بسور تتخلله بوابات يطورها أبراج . وكانت الجدران مغطاة أحيانا بكتل ضخمة من الحجارة . وقد استخدمت هذه الكتل من أسفل للنقش الفاخر . وذلك لترين القصور والجدران الخارجية . ومن أعلى كانوا يشيدون مبالى من الطوب اللبن ويضاف إليها عنصر الخشب ففى بعض أجزائها .

أما بالنسبة للمقابر ، فكان الحيثيون ينفون موتاهم فى جبال ، وبوضع

(١) فى مؤلف سبتن لويد : فن الشرق الأدنى القديم (ترجمة محمد درويش) دار المأمون بغداد ١٩٨٨ ، ص ١٢٢ - ١٢٣ نجد أنه يتحدث عن الفن فى الأناضول باختصار شديد ومن واقع ما عثر عليه فى لكاهويوك من نثا . وفى مؤلف د. شمس الدين فارس - د. سليمان عيسى : تاريخ الفن القديم ، دار المعرفة ، بغداد ١٨٨٠ تركز الحديث عن الفن فى بلاد النهرين بوجه عام .

المتوفى فى توابيت من الحجارة أو الفخار .

فن الرسم والنحت :

كان للفنان أوضاع فنية معينة فى الرسم ، وعموما كانت لشكل الأشخاص والحيوانات والكائنات الأخرى تبدو غالبا وكأنها مضغوطة الأعضاء أو بعبرة أخرى تتميز بالقصر والامتلاء وعدم التماسق والرقّة .^(١)

أما فن النحت فلم يظهر إلا ابتداء من عصر الإمبراطورية وتأثر الحيثيون فى بعض أساليبهم الفنية بما كان متبعاً فى شمال بلاد النهرين وموريا العليا ، وبلغ فن النقش مرتبة عالية ، وظهرت النقوش الفائرة على الأحجار ويصاحبها نص كتب بالخط الهيروجليفي - الحيثي .. ويلاحظ أن الفنان كثيراً ما كان يلجأ إلى تمثيل الأشخاص متجهين سواء فى موكب أو موكبين نحو نقطة واحدة .^(٢)

وحسبت لنا الوثائق والأثار الحيثية العديد من مظاهر الحضارة الحيثية فى نظم الحكم والإدارة السياسة الخارجية والحياة الاقتصادية والتشريعات والنظم القانونية وفنون الحرب والحياة الثقافية والفنية وقد تأثر الحيثيون بالحضارة البابلية ، وخاصة فى مجال الثقافة فقد اقتبس الحيثيون اللغة والكتابة الخاصة بالبابليين واستخدموها فى مراسلات - المعاملات التجارية الخارجية مع ملوك وأمراء غرب آسيا ومصر وتأثروا باللغة المصرية فى شكل الكتابة الهيروجليفي - الحيثية وترجموا أيضاً إلى لغتهم الأصلية أى الحيثية ، روائع التراث الأدبي والديني البابلي والسومري مثل ملحمة جلجامش بكافة صورها .

بقايا الهواشم القديمة :

الكاهنوك :

قبل قيام بوغازكوى بدور العاصمة ، كان هناك عاصمة أولى الحيثيين تسمى

(١) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ١٩٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٨٩ .

الكاويوك وهي تقع بالقرب من حاتسو على بعد ٢٠٠ كم شرق أنقرة . وكانت مدينة محصنة ، بقى منها بوابة مزينة بتمائيل لى الهول المنحوتة فى كتلة واحدة . وتحمل هذه التماثيل للطابع المصرى ولكن نجد أن الفتحات هنا بوجه عام أكثر جمودا أو خشونة ربما ، لكى يتناسب مع ضخامة العمارة ^(١) . وقام بالحفائر فى هذه المدينة العالم الألمانى هوجزفلكر ^(٢) .

بوغازكوى :

منذ حوالي خمسين عاما ، لم تكن الحضارة الحيثية معروفة وفى عام ١٩٠٦ بدأ العالم الألمانى هوجزفلكر فى التنقيب أيضا بالقرب من قرية - بوغازكوى - على بعد مائة كم ، إلى الشرق من أنقرة ، وعثر على موقع دلت الحفائر على أنه عاصمة الإمبراطورية الحيثية خلال الألف الثانية ق.م ^(٣) . وكانت هذه العاصمة تسمى " هاتوسا أو خاتوشا " وكانت محاطة فى الأصل بسور خارجى مزود بحصون دقيقة بها بوابات . وكانت إحدى هذه البوابات تسمى " باب الملك " وكانت مزينة بصور المعبود الحارس ^(٤) . وقد عثر فيها على بقايا كتل ضخمة ومعابد (عثر على خمسة منها) وأحياء عديدة ، وعثر فى هذا الموقع على نقش بارز يمثل المعبود تيشوب المعبود الحيثى الكبير ممسكا بفأس وسيف فى وسط حزامه (يوجد هذا للنقش الآن فى متحف أنقرة) .

وكشفت لنا الحفائر فى بوغازكوى عن أرشيف القصر الملكى فى هذه المدينة . وعثر فى هذا الأرشف على خطابات بين الملك شوبيلوليوما الأول وأرملة الملك المصرى توت عنخ آمون تطلب فيه الزواج من أحد أبناء الملك ، وبالقرب من العاصمة فى الأناضول الوسطى عثر على معبد منحوت فى الصخر فى منطقة

Amiet , op. cit ., p. 104 ; Eydoux, A la Recherche des Mondes Perdus , Paris (19677) , p. 78 .

Eydoux, op. cit ., p. 78 - 79 . (٢)

Amiet , op. cit ., p. 104 . (٣)

Eydoux, op. cit ., p. 78 . (٤)

ياسبلى - كليا التى تقع بعد بضعة كيلومترات من حاتسو ، وكان هذا المعبد الكبير مكتشفا ويقع بين صخرتين ، وكان مغطا بواسطة مبانى اختفت اليوم . وفى الممر الكبير نجد تمثيل لموكبين كبيرين متقابلين لسيعين شخصا ، وكانت كل مجموعة تقابل الأخرى وعلى رأس كل منها مجموعة من المعبودات كتبت أسماؤها فوق رؤوسها ، ونرى بالنقش البارز الملوك فى حضرة المعبودات منها المعبود الذى يحمل السيف ^(١) ويمسك بيده علق أحد الملوك وذلك دلالة على الحماية ^(٢) . وقد تحدثنا عن هذه المعبودات فيما سبق . وعثر أيضا على نقش على حجر من البازلت ، يحمل نصل مكتوبا بالخط الهيروغليفى - الحىثى يمثل ملكة تحمل طفلا على يديها وتسهب حيوانا من ورائها ويرجع هذا النقش إلى النصف الثانى من القرن الثامن ق م . ^(٣)

Eydoux, op. cit ., p. 78 . (١)

Id., op. cit ., p. 81 ; Amiet , op. cit ., p. 104 . (٢)

Eydoux ., op. cit ., p. 77 . (٣)

تاريخ بلاد الشام القديم وبعض مظاهر حضارتها

تاريخ شمال بلاد الشام القديم

(تاريخ سوريا ولبنان القديم)

الهيئة الجغرافية :

كانت سوريا تشمل ضمن حدودها القديمة لبنان وفلسطين^(١) أيضا . ولكننا سنفصل هنا بين سوريا (سوريا ولبنان معا) وفلسطين وإن كانت سوريا صغيرة جدا في حجمها الجغرافي لكنها كانت كبيرة وعالمية في تأثيرها الحضاري^(٢) .
إن الصفة البارزة لجغرافية سوريا هي تلاوب الأراضي المنخفضة والأراضي المرتفعة بحيث تحاذي بعضها بعضا وتتجه من الشمال إلى الجنوب ويمكن تمييز سلسلة من خمس مناطق .

(١) د. فيليب حتى : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، الجزء الأول (ترجمة : د. جورج حداد وعبد الكريم رافق ، ص ٣ : د. عبد الحميد زايد : الشرق للخالد ، ص ٢٢٦ - ٢٢٩ . وعن جغرافية لبنان ومناخها ونباتاتها وحيواناتها ومواردها الطبيعية : راجع : د. فيليب حتى : تاريخ لبنان منذ أقدم العصور لتاريخية إلى عصرنا الحاضر ، ص ١٣ - ٥٠ .

(٢) كتبها أنصار هيرودوت إلى أهمية البلدان الصغيرة بقوله : " لأنني سأهتم بالبلدان الصغيرة اهتملي بالكبيرة منها ذلك لأن أكثر الأمم التي كانت في ممالك الزمان عظيمة أصبحت صغيرة ، والأمم العظيمة في يومنا هذا كانت في ممالك الزمان صغيرة ، ولأنني موافق بأن أقدار البشر عرضة للتغير الدائم قلن أفرق في دراستي هذه بين أمة كبيرة وأمة صغيرة " راجع : د. فيليب حتى : تاريخ لبنان منذ أقدم العصور لتاريخية ، ص ١٢ حاشية (١) .

السهل الساحلي :

وأول هذه المناطق من جهة الغرب هو السهل الساحلي الذي يمتد على ساحل البحر الشرقي من شبه جزيرة سيناء إلى خليج الإسكندرونة (بسوس القديمة) . ويحصر هذا السهل بين البحر والجبل فيتمتع في الشمال والجنوب ويقتصر على مجرد شريط ضيق في سفح جبل لبنان . ويرجع أصل معظم السهل الساحلي إلى ارتفاع قاع البحر القديم في ذلك العصر الطبقي الوحيد المعروف بالزمن الثالث . وقد ترسب فوق الطبقة الطباشيرية في بعض الأماكن طمي أتت بها المياه الجارية من المنحدرات الجبلية ونشرته . والترسبات الرملية التي تحيط ببيروت قد تركتها أمواج البحر المتوسط التي تلتقاها بدورها من نهر النيل .

ويشمل السهل الساحلي في الجنوب تلك السهول المشهورة في الأزمنة القديمة وهي سهل صابرونة وسهل فلسطين (من الفلسطينيين ومنها جاء اسم فلسطين) كما يشمل ساحل النصيرية في الشمال ومنطقة الساحل في لبنان ^(١).

السلسلة الغربية :

تشرّف على الساحل السوري سلسلة من الجبال والهضاب تبدأ بالأماتوس في الشمال وتمتد حتى جبل سيناء المرتفع في الجنوب وأهم أجزائها لبنان الغربي وهو لبنان الحقيقي . والأماتوس هو التواء فرعي يمتد من جبال طوروس (التي تفصل سوريا عن آسيا الصغرى) باتجاه الجنوب ليتصل بكتلة الجبال السورية ويحيط أمانوس بخليج الإسكندرونة فيشكل حاجزا بين سوريا وكيليكيا ويرتفع إلى نحو ٥٠٠٠ قدما عن سطح البحر . ويشق نهر العاصي (الأورنتس) طريقه إلى البحر في الطرف الجنوبي من أمانوس . وتستمر السلسلة الغربية جنوب مصب العاصي في جبل الأكرع (وهو جبل كاثيوس في العصر الكلاسيكي) الذي يرتفع إلى ٤٥٠٠ قدما ومن هناك تمتد إلى جوار اللاذقية حيث تعرف بجبال النصيرية ثم

(١) د. فيليب حتى : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ص ٣١ - ٣٢ .

تتابع سيرها إلى نهر الكبير الجنوبي وسلسلة النصيرية تتألف من صخور كلسية جوارسية مع مواد بازلتية (١).

وتبلغ السلسلة الغربية ارتفاعا شبيها بالارتفاعات الألبية في جبال لبنان التي تمتد من النهر الكبير حتى نهر القاصية شمالي صور على مسافة ١٠٥ ميلا . ويأتي اسم لبنان من الأصل " لابن " بمعنى الفيض (٢) وقد سميت الجبال كذلك بسبب الثلوج التي تغطي قممها نحو مئة شهر في السنة ، ويبقى الجليد في الفجوات الكائنة في قمم الجبال على مدار السنة . وترتفع أعلى قمة في لبنان وهي القرنة السوداء إلى ١١,٠٢٤ قدما عن سطح البحر .

وقبل العصور الجليدية بعصور طويلة كانت مياه البحر المتوسط تغطي أراضي سوريا بأمرها والبلاد الواقعة بجوارها حتى شمالي الهند وكان ذلك في العصر الجوارسية والكريتاسية البعيدة . وخلال هذه الأحقاب الطويلة تراكمت الرسوبيات الأتية من الكتل القارية الشمالية والجنوبية في قعر هذا الامتداد السابق للبحر المتوسط (المعروف باسم تيثس Tethys) لكي تشكل الصخور الكلسية التي يتألف منها معظم السلسلة الغربية في سوريا (٣).

وتتضم صخور لبنان مسلمتين عليا ومنفلى من الصخور الكلسية بينهما طبقة متوسطة من الصخور الرملية .

إن التشكيلات الكلسية الواسعة التي تتجه في لبنان نحو البحر في شكل رؤوس وتختر فيها الأمواج بعض التمرجات يمثلها لنا جبل الكرمل الذي يرتفع ١٧٤٢ قدما عن سطح البحر . وقد وجدت في كهوفه هياكل لأقدم العظام البشرية في

(١) د. فليبي حتى : المرجع السابق ، ص ٣٢ - ٣٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٣ : المؤلف نفسه : تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا الحاضر ، ص ١٤ - ١٦ .

(٣) المرجع السابق ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ص ٣٥ .

الشرق الأدنى القديم^(١) واستخدمت بعض الكهوف كمساكن أو كملاجئ أو كمساكن للدفن .

ويترشح عرض البقاع وهو الجزء الكائن بين ميسلتى لبنان بين مستنة وعشرة أميال ويرتفع في جوار بعليك إلى ٢٧٧٠ قدما عن سطح البحر . وبالقرب من هذه المنطقة تقع نقطة توزيع المياه حيث يتجه العاصي ببطء نحو الشمال بينما يتجه الليطاني نحو الجنوب ، والعاصي هو أطول أنهار سوريا ، والعاصي والليطاني هما النهران الكبيران الوحيدان في سوريا .

السلسلة الشرقية :

وتشكل السلسلة الشرقية المنطقة الرابعة في تضاريس سوريا . وتبدأ السلسلة في نقطة جنوبي حمص وتقابل لبنان الغربي بلبنان الشرقي على طول واحد وارتفاع واحد تقريبا ثم تتحد من حرمون بسرعة نحو هضبة حوران ومنطقة التلال التي تجاورها في الغرب وهي الجولان ومن هناك تستمر في شرقي الأردن في تلال جلعاد وهضبة نواب المرتفعة وتنتهي في جبل سعيد جنوبي البحر الميت .

حوران :

يمتاز سطح هضبة حوران بأنه بركاني في قسمه الأعظم وفيه صخور بازلتية وتربة غنية . وتبدأ الأراضي البركانية في التلال جنوبي دمشق وتشمل مساحة طولها ستون ميلا بما يعادلها عرضا وهي أكبر مساهمة من هذا النوع في سوريا . ويحد هذه الأراضي في الشمال الشرقي منطقة اللجأ ذات الحجارة السوداء وهي ملجأ أو مأوى للإنسان . وترتفع هذه الكتلة الجبلية في شرقي حوران إلى ما بين ٤٠٠٠ و ٥٠٠٠ قدما وتقوم بين حوران والبادية . وتمتد المنطقة البركانية غربا حتى تشمل الجولان وتتألف التربة من مواد بركانية سوداء مضطلة ومن غرين

(١) د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ٤٠ .

أحمر.^(١) وهي غنية بالمواد المغذية للنبات وتحفظ بالرطوبة وتغطي الصخور الكلسية التي تشكل الصخور السطحية في سائر الأملكن . وتمتد أراضي حوران البركانية باتجاه الجنوب الشرقي في صحراء الحماد إلى تلك الحقول الحجرية في الحجاز المعروفة باسم " حرات " .^(٢)

ومن أهم أشجار لبنان شجر الأرز وكان يصدر إلى مصر وبلاد النهرين واليوم لم يعد يشكل لسوء الحظ جانباً من مجد لبنان كما كان في الماضي . ولا يزال يوجد الأرز في مجموعات صغيرة توجد في منطقة بشرى حيث تقوم أكثر من أربعمائة شجرة يبلغ عمر بعضها ألف سنة .^(٣) ويبلغ ارتفاع أعلاها نحو ثمانين قدماً . وهناك غابة أرز أصغر وأحدث وموقعها في الجنوب وتسمى " لبهل " .^(٤) أما عن الحيوانات فقد أدخل الهكسوس الحصان إلى سوريا ومنها إلى مصر قبل عام ١٨٠٠ ق. م . ومن سوريا انتقل قبل القرن الأول إلى بلاد العرب حيث حافظ فيها الحصان العربي على نقوة دمه أكثر من أي مكان آخر . وقد استورده الكاسيون في بلاد النهرين على نطاق واسع قبل الميلاد بنحو ألفي سنة . وقد أعطاه الحيثيون إلى اللبيين ومنهم انتقل إلى اليونان .^(٥)

وأقدم رسوم معروفة للجمال ترجع إلى العصور الحجرية . وقد اكتشفت حديثاً في كلوة في شرقي الأردن حيث ظهر في رسامين من العصر الحجري الوسيط . كما اكتشفت صورة جميلة لهجين وراكبه في تل حلف ويرجع تاريخها إلى ٣٠٠٠ أو ٢٩٠٠ ق. م . ووجود الراكب لا يترك شكاً في أن الحيوان كان مدججاً .

(١) د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ٤٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٦ .

(٣) عن الأرز سيد الغابات في لبنان ، راجع : د. فيليب حتى : تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية ، ص ٤٢ - ٤٦ .

(٤) د. فيليب حتى : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ص ٥٤ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٥٥ .

وفي جبل عثر على تمثال صغير يمثل جملا باركا يعود إلى النصف الأول من الألف الثانية ق. م .

وأول إشارة معروفة للجمال في الأدب نجدها في سفر القضاة ٦ : ٥ حيث يوجد وصف لغزو المدينين (عناصر من مدين) للفلسطين في القرن الحادي عشر ق . م . (١)

وقد تعرضت سوريا قديما لحوادث زلازل ، تعرضت إبطاكية وكذلك بعلبك وأريحا في القرون الستة الأولى الميلادية لهزات كثيرة . (٢)

مور سوريا في التاريخ القديم :

تقع سوريا في قلب الشرق الأدنى ، الذي يقع هو أيضا في وسط العالم القديم ، ولهذا فقد أصبحت منذ عصر بعيد جدا نقطة للمظاهر الحضارية في العصور القديمة . فهي ذات موقع استراتيجي بين القارات القديمة الثلاث أوروبا وآسيا وأفريقيا . ويقامها كجسر لنقل التأثيرات الثقافية من مراكز الحضارة المجاورة لها ولتقل البضائع التجارية أيضا . وهذا الدور الذي لعبته تفسره لنا أعمال الفينيقيين الذي كانوا أول التجار الدوليين . وليس هناك من اختراع يماثل في أهميته اختراع الأبجدية التي اخترعها الفينيقيون القدماء ونشروها . فالليونان في الغرب نقلوا حروفهم الأبجدية عن الفينيقيين ، ثم أعطوها إلى الرومان وبلغت إلى شعوب أوروبا الحديثة . كما أن الأرمن الذين استقروا في وسط شمالي سوريا نهاية القرن الثالث شر ق. م . استعاروا حروفهم من المصدر نفسه أي الأبجدية الفينيقية ونقلوها إلى العرب والفرس والهنود وسائر شعوب آسيا وأفريقيا . ولو أن هؤلاء السوريين لم يقدموا للعالم أي خدمة أخرى لكان ذلك كافيا بأن يتميزوا كأعظم مؤسسين للحركة الثقافية في العالم القديم .

(١) د. غيليب حتى : المرجع السابق ، ص ٥٦ .

(٢) د. عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ، ص ٢٢٧ .

غير أن فضل السوريين لم يقف عند هذا العامل فقط . فقد تفاعلت على أراضيهم الضيقة أحداث تاريخية وثقافية تتصف بفاعليتها أكثر مما جرى على أى أرض أخرى بنفس المساحة ، ففي العصر اليوناني الروماني ظهر في هذا البلد مجموعة من المفكرين ، فكان بعض مؤسسى الفلسفة الرواقية والأفلاطونية الحديثة من السوريين ، ولزدهرت في بيروت مدرسة من أعظم مدارس الحقوق الرومانية وأدخلت الآراء القانونية لبعض علمائها في مجموعة قوانين يوستينيان التى اعتبرت بحق أعظم ما قدمته العقيدة الرومانية للأجيال (١).

اسم سوريا قديما :

ظهر اسم سوريا في مصادر أوجاريت من أوائل القرن الرابع عشو ق. م . تحت مسمى " شرين - Shryn " . وكانت إحدى مناطق شمالى الفرات معروفة عند البابليين باسم سورى Su- ri . وفى العبرية أطلق اسم سيريون Siryon على المنطقة شرقى لبنان ، واستخدم هذا الاسم فيما بعد ليشمل البلاد كلها .

ونكر اسم سوريا لأول مرة عند هيرودوت . وظل مستخدما فى العصور اليونانية وما بعدها وتوسع فى استعماله وأطلق على البلاد كلها واستخدم بهذا المعنى حتى نهاية الحرب العالمية الأولى . وقد شمل عووما المساحة الواقعة بين جبال طوروس وسيناء وبين البحر المتوسط والبادية . وكانت فلسطين بالنسبة لسيريودوت جزءا من سوريا وكذلك بالنسبة للآكراد . واعتبر ولهم السوري وغيره من مؤرخى العرب الصليبية فلسطين جزءا من سوريا أيضا .

وكان اسم سيريوس (سورى) بالنسبة للرومان يعنى كل شخص يتكلم اللغة السريانية ، خير أن ولاية سوريا الرومانية كانت تمتد من الفرات إلى مصر وكانت هذه هي حدود سوريا كما وصفها الجغرافيون العرب (٢).

(١) د. خليل حتى : المرجع السابق ، ص ٣ - ٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٢ - ٦٤ د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص

مصادر دراسة تاريخ سوريا القديم:

تعد النقوش والكتابات السورية القديمة ونقوش بلاد النهرين ونقوش الآثار المصرية ونقوش المصادر الحديثة وكتاب التوراة^(١) وما سجله الكتبة الكلاسيكيون من أهم مصادر دراسة تاريخ سوريا القديم جاء ذكر الفينيقيين في أكثر من موضع عند هوميروس منذ منتصف القرن التاسع ق. م. ^(٢) ونقرأ في الإلياذة والأوديسية عن الأكشمة الشفافة الموشاة الأتية من صيدا ، والأدوات المصنوعة من الذهب الأتية من فينيقيا عموما . كذلك كان الرقيق ضمن واردات بلاد اليونان وفي هذا المجال يشير يومايوس (الراعي الذي كان يعمل عند اوديسيوس) في حديثه مع اوديسيوس إلى جارية فينيقية في قصر ولده كانت ابنة لأحد الموسرين ثم اختطفها القراصنة وباعوها في سوق الرقيق. ^(٣) فقد زار هيرودوت صور في حوالي ٤٥٠ ق. م . وذكر أن الكهنة قالوا له أن معبد ملقارت قد بنى منذ عام ٢٣٠٠ ق. م. ^(٤)

وجاء في مواضع في جغرافية سترابون وفي تاريخ بلينيوس أو بليني أن العرب كانوا قد توغلوا في بلاد الشام قبل الميلاد ، وأنهم كانوا قد تحصنوا بجبال لبنان واتخذوا فيها معقل لغزو القرى والفلاحين وسكنوا سواحل البحر . وتحدث بطليموس في كتابه " الجغرافيا " عن أشهر القبائل والمواضع في بلاد الشام وعلى

(١) د. توفيق سليمان : دراسات في حضارات غرب آسيا القديمة ، ص ٢٥١ ينكو المؤلف خمسة مصادر تعتمد عليها في دراستنا للتاريخ السياسي والحضاري القديم لبلاد الشام .

(٢) انظر الأوديسية ، نشيد ١٣ : ٢٧٢ ، نشيد ١٤ : ٢٨٨ ، نشيد ١٥ : ٤١٥ ، ٤١٩ ، ٤٧٣ ، الإلياذة ، نشيد ٢٣ : ٧٤٤ . راجع : د. لطفى عبد الوهاب : هوميروس تاريخ حياة عصر ، مركز التعاون للعلمي ، الإسكندرية ١٩٦٨ ، ص ١٥ حاشية (١٣) ، ص ٤٦ - ٤٧ .

(٣) د. لطفى عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ٤٦ - ٤٧ .

(٤) د. عبد الحميد زويد : المرجع السابق ، ٢٥٢ .

مقربة من بلاد القهوين ^(١) يذكر د. شعبان قائمة بأعمال الكتاب الذين تعرضوا لتاريخ فينيقيا واستقرت أصلهم في مكتبة الإسكندرية ولكن لم يصلنا منها شيء سوى مقتطفات ، من بين هؤلاء المؤلفين يذكر أسماء تسعة هم :

- ١- ميناء نذر الصوري ، الإكسومي وربما البرجلمى ، صاحب كتاب تاريخ صور أو تاريخ فينيقيا أو وقائع اليونانيين والبرابرة في عهد ملوك صور .
- ٢- ديودور ، صاحب كتاب تاريخ فينيقيا الذى نقل عنه يوسيفوس المؤرخ اليهودى مقتطفات كثيرة وطويلة تتعلق بسيدنا سليمان وإحيرام .
- ٣- هيسكرينس ، صاحب كتاب تقرير فينيقيا وقد كتب بالفينيقية وترجمه اسيتوس أو لانيوس .
- ٤- ثيودوروس ، صاحب عمل مستفيض عن تاريخ فينيقيا ترجم كذلك إلى اليونانية .
- ٥- فيلوستراتوس ، كتب عن تاريخ فينيقيا وعن تاريخ الهند كما كتب عن حصار صور .
- ٦- هيرودوتوس ، من كائدا في عهد أنتيجونوس وهو أحد المؤرخين الفينيين المعنودين ، وكتب أيضا عن تاريخ فينيقيا .
- ٧- موخوس ، مؤرخ فينيقى ورد ذكره كثيرا في كتب الثينايوس ، وربما كان أصلا من صيدا .
- ٨- سانجونيون ، مؤلف فينيقى مجهول ربما كان معنولا عن الكتاب المقدسة الفينيقية . كما سجل الأساطير الفينيقية وكلها ترجمت إلى اليونانية وإن لم يصلنا منها شيء سوى مقتطفات .

(١) د. جواد على : تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الثالث، ص ٣٦٠ - ٤٥٣ .

^١ فيلون من بيبليس ، كتب عن الأساطير والديانات الفينيقية وقام بكتابة قصص من سان شونيا تون وهو كاهن من بيروت ولم يصلنا من إنتاجه سوى مقتطفات .^(١)

كما يقترح د. شعبان أن جميع الكتابات التي كتبها اليونانيون منذ هوميروس حتى القرن السابع للميلاد ، كان يوجد منها نسخة في مكتبة الإسكندرية هذا غير الكتب الغير إغريقية والتي جمعت من مصر وفينيقيا والهند وروما وغربي أوروبا .^(٢)

بداية الاهتمام بآثار بلاد الشام القديمة :

شهد النصف الأول من القرن التاسع عشر نهضة علمية للبحث عن الآثار . ففي عام ١٨٥٣ - ١٨٥٥ قام فوج بالتنقيب في سوريا وفلسطين ، وفي عام ١٨٦٠ قام رنان بعمل عدة حفائر في مواقع فينيقية ونشر كتابه عن فينيقية عام ١٨٦٤ . وتولت البعثات الأجنبية بعد ذلك .^(٣) وقسم العلماء تاريخ سوريا القديم إلى المراحل الآتية :

(١) د. شعبان خليفة : مكتبة الإسكندرية ، الحريق والاحياء ، كتاب الجمهورية ٢٠٠٠ ، ص ٧١ - ٧٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٧٢ - ٧٣ .

(٣) عن أهم التنقيبات الأثرية في سوريا ولبنان من عام ١٩٢٢ إلى عام ١٩٨٢ ، راجع : د. توفيق سليمان : المرجع السابق ، ص ٢٤٤ - ٢٥٠ د. حبيب البهنسي : الآثار السورية (مجموعة أبحاث أثرية تاريخية) ، ص ٣٦٠ - ٣٦٥ . ونذكر هذا أن بعثة إيطالية من معهد الدراسات الأثرية في جامعة روما برئاسة مثنى وعضوية فلوراني وآخرين قد أجريت حفريات أثرية هامة في تسل مريدخ (- ابل) على بعد ٥٥ كم جنوبي حلب . وكانت البعثة قد بدأت حفائرها في عام ١٩٦٤ . وقسمت عصور هذه المنطقة إلى عصريين : الأول : عصر العائلات الملكية الأولى حتى بداية العصر الأكسدي من ٣٥٠٠ إلى ٣٢٠٠ ق.م ، والثاني من ٥٢٠ إلى ٦٠ ق.م . ويرتبط الحفائر الأثرية -

العصور العبرية القديمة :

عرفت سوريا حضارات العصر الحجري القديم (العصر الباليوليثي) بمراحله المختلفة .^(١) فقد عثر على بقايا العصر الحجري القديم الأسفل في كهوف عدلون بين صيدا وصور والزطية (شمال غرب بحيرة طبرية) ورأس الشمر (أوجاريت) .^(٢) وهي بقايا عبارة عن أدوات حجرية بسيطة . ولم يعثر على بقايا بشرية من هياكل عظمية تمثل سكان هذا العصر . وأقدم الإشارات إلى استيطان بشري في منطقة دمشق تعود إلى العصر الحجري القديم الأسفل .^(٣) وعثر على بقايا العصر الحجري القديم الأوسط في شمال غرب بحيرة طبرية . وعثر على بقايا العصر الحجري القديم الأعلى في كهوف أنطاكيا وفي حوض نهر الكلب وفي كهوف بالقرب من بحيرة طبرية . وتغير المناخ في هذا العصر ، فطالت الأمطار ،

— على وجود علاقات حضارية وثيقة بين هذه المنطقة وأرض أكد في أواسط بلاد النهرين ، راجع : د. غيف البهنسي : المرجع السابق ، ص ٦١ - ٦٣ ، ٩٨ - ١٠١ . والغريب في هذه الحفائر أنها كشفت لنا عن ألواح طينية عليها أسماء سيدنا " إبراهيم وإسماعيل ودلود ... إلخ " وهي أسماء وردت في نصوص العهد القديم . وهذه الأسماء ليست لها صلة بما جاء في العهد القديم ، وتدل على قدم التراث العبري القديم في هذه المنطقة ، وهو تراثنا الذي بعدنا عنه ، فقام اليهود وتبنوه لمصلحتهم بدون وجه حق ، راجع : د. توفيق سليمان : المرجع السابق ، ص ٣٤٨ ؛ د. فوصل عبد الله : مجلة دراسات تاريخية ، العددان ٣١ ، ٣٢ ، دمشق آذار - حزيران ١٩٨٩ ، ص ١٥٥ وحاشية (١) ، ص ١٦٤ .

(١) د. أبو المحسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ص ٢٦٥ - ٢٦٨ .

(٢) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٢٥١ .

(٣) د. عيد مرعي : دمشق القديمة ، تحليل لكتف وين بيترد ، في مجلة دراسات تاريخية العدد ٣١ - ٣٢ ، حزيران ، دمشق ١٩٨٩ ، ص ١٧٠ .

وبذلك حدثت فترة ممطرة أخرى . وفي الفترة الأخيرة من هذا العصر بدأ الجفاف يزحف على البلاد .^(١) وقد عثر على بقايا العصر الحجري الوسيط (العصر الميزوليثي) في يابود في لبنان وفي أريحا وتل الجديدة (شمال سوريا) ورأس شمرا . وعثر في هذه المناطق على بعض القطع من عظام الغزال وتماثيل من الطين لبعض الحيوانات في مقبرة في أريحا . وعثر أيضا على أواني للطعام والقرايين في أماكن الدفن .^(٢)

أما العصر الحجري الحديث (العصر النيوليثي) : فقد وجدت آثاره في تل الجديدة وساكجي جوزي (في أقصى الشمال) ومرسين في كليكيا . وعثر أيضا على بعض الفؤوس والمناجل الحجرية لا شك أنها استخدمت في الزراعة كما عثر على أجران وأواني فخارية .

وقد أمدتنا الحفائر التي تمت في طبقة عميقة في رأس شمرا على وجود بقايا من العصر الحجري الحديث ، وكان السكان لا يعرفون فيها استخدام الفخار وترجع هذه البقايا إلى الألف السابعة ق. م . ونجد نفس الوضع في موقع آخر في تل راماد وتل أسود بالقرب من دمشق^(٣) ويطلق على هذه الطبقة (الخامسة م) .

ثم بدأ يظهر استخدام الفخار الخشن في تل راماد بعد ذلك بقليل ، وظهر هذا الفخار في رأس شمرا ، وأيضا في بيبولس ، وذلك فيما يسمى بالطبقة الخامسة ب ، ويرجع هذا التطور في تلك الطبقة الأخيرة إلى نهاية الألف السادسة ق. م . وقد عثر في هذه الطبقة على بقايا بعض الأكواخ المبنية والمغطاة بطبقة من الجير . وكان الموتى يدفنون في مقابر بجوار المساكن على سطح الأرض أو في حفرة مغطاة

(١) د. عبد الحميد زايد : للمرجع السابق ، ص ٢٣١ د. أبو المحسن عصفور :

المدن الفينيقية ، ص ٢١ - ٢٦ .

(٢) عن العصور الحجرية في لبنان . راجع : د. فيليب حتى : تاريخ لبنان منذ أقدم

العصور للتاريخية ، ص ٥١ - ٦٨ .

(٣) د. عيد مرعي : للمرجع السابق ، ص ١٧٠ .

بالأحجار .

بعد ذلك جاءت فترة في أواسط العصر الحجري الحديث التي استخدم فيها الإنسان الفخار الخشن الملون ، وقد خرج الإنسان فيها للصيد ، وأصبح الإنسان يهتم بصناعة أدواته من الخشب .

وعندما حل العصر الحجري الحديث الأعلى تقدمت صناعة الفخار وأصبح ملونا بخطوط مستقيمة .

استخدام المعادن :

بدأ استخدام المعادن في بيبيلوس ، في بداية الألف الرابعة ق. م . ولم يحدث أى تطور آخر ، واستمرت هذه الحضارة أغلب فترات الألف الرابعة ق. م . وعثر على حضارة هذا العصر نسي رأس الثمرا (أوجاريت) ، وجزر وتليبات غسول (١) وقد عثر فيها على مساكن من اللبن أساساتها من الحجارة ويلاحظ أن كل مسكن كان يتكون من حجرة واحدة ذات مساحة كبيرة ، ولوحظ وجود مساكن مستديرة أو مستطيلة ومقسمة في بعض الأحيان إلى حجرتين .

وكان الأطفال يدفنون عادة في جرار تحت أرضية المنازل . أما البالغون فكان بعضهم يحرق والبعض الآخر يدفن في جرار ويوضع على هيئة القرفصاء . واقتربت الزراعة بالرعى واستئناس الحيوان كالثور والماعز والأغنام . وكان الحنمل يرمز عادة إلى المعبودة الأم أو رمز الأمومة .

وفي نهاية الألف الرابعة ق. م . طرأ نوع من التغيير الكبير حيث نجد أن التجمعات التي كانت حول بيبيلوس قد بدأت تنظم في أسلوب إدارى أكثر رقياً ، وأصبحت المساكن المستطيلة تتكون من حجرة واحدة مبنية بكتل من الحجر الرملى ، وكان السقف محصولاً على أععدة من الأخشاب قلّمة على أرضية من البلاط

(١) د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ٦٩ - ٧٣ .

الحجرى . وعثر أيضا على بناء ربما كان معبدا وكان يتخذ نفس الشكل المستطيل ويحتوى على حجرين ويبدو أنه بفضل هذه المساكن نشأت قرية كبيرة ذات مساكن متعددة . وعثر فى هذه الفترة على فخار كان يصنع على عجلة الفخار ، كما استخدم اللبن فى البناء وعثر على تماثيل صغيرة من النحاس مما يدل على أنهم عرفوا صهر المعادن ، كما عثر على لوانى زخرفت بطلاء خارجى .

وعثر على حضارة الألف الرابعة ق. م . فى أريحا (يريحو) ومجدل والعفولة وبيت شان (بيسان) وأوجاريت (رأس شمرا) وبيبلوس (جبيل) .^(١)

الشعوب الكبرى والممالك الصغيرة التى قامت فى سوريا والأحداث التى أثرت فى تاريخها من منتصف الألف الثالثة حتى بداية الألف الأولى .م .

ولدت على سوريا فى موجات متتابعة هجرات يقل عنها أنها من عناصر سامية^(٢) واستقرت فى أنحاء مختلفة منها ، وأهم هذه العناصر السامية ثلاثة :

أولاً : الأموريون فى سوريا (ويسمىهم البعض باسم العوريين) :

هم أول شعب سامى عاش فى سوريا ، وقد وفدوا عليها من الجزيرة العربية فى هجرة واحدة مع الكنعانيين فى حوالى منتصف الألف الثالثة ق. م . أى حوالى سنة ٢٥٠٠ قبل الميلاد تقريبا^(٣) وأخذوا ينتشرون فى بلادتى الشام والعراق

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٢٢٣ - ٢٢٤ د. أبو المعاضين عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٦٩ - ٢٧٦ .

(٢) عن علاقات شعوب الشرق الأدنى القديم للعرقية ، راجع : د. فلييب حشى : تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية ، ص ٧٢ - ٧٦ .

(٣) يرى د. لطفى عبد الوهاب فى : العرب فى العصور القديمة ، ص ٦٠ (٢) ، أن الكنعانيين (بما فيهم الفينيقيين) والأموريين قد استقروا فى سوريا ووادى بلاد النهرين خلال الألف الثالثة والثانية قبل الميلاد .

وامتدوا حتى غربي الفرات واستقروا عند أولسط هذا النهر .

وكان يسكن هذه المناطق من قبل عناصر سومرية ولكن بعد وفود الأموريين إليها أصبحوا يمثلون غالبية السكان . وسماهم السومريون للقضاء أهل * مارتو * أي أهل الغرب أي الغربيين الذين سكثوا إلى الغرب من بلادهم . ثم سماهم بنو عصمتهم الأكديون باسم * الأموريين * وهو اسم يؤدي نفس المعنى القديم أي أهل الغرب (وإن كان أحد معبوداتهم الكبرى قد سمي امورو) (كما ذكر د. صالح) (١).

نجح الأموريون في بداية الألف الثانية قبل الميلاد في تأسيس سلسلة من الدويلات الصغيرة في سوريا وفلسطين وعلى حدود بلاد النهرين . فما أن حل القون العشرون ق. م . حتى أصبحت منطقة وسط الفرات أمورية في سكانها ومظاهر حضارتها ، حيث أسسوا دولة عاصمتها ماري جنوب مصب نهر الخابور بالقرب من أروع الفرات . وفي خلال الألف الثانية أصبحت ماري وما حولها أمورية .

وأول إشارة إلى أرض الأموريين ظهرت منذ عهد سرجون الأول (حوالي ٢٣٧١ ق. م) . ولقد الأموريون يظهرون بالتدرج في وسط سوريا ولبنان حتى فلسطين في الجنوب . ويقال أن أسماء لبنان وصيدا وصقلان أسماء أمورية . وقبل أن يجتاح سرجون الأول بلاد أمور كانت عاصمتها ماري قاعدة لإحدى السلالات السومرية القديمة . وفي خلال القرن العشرين أصبحت مدينة ماري والبلاد المحيطة بها أمورية في سكانها وحضارتها وحكومتها . ولا بد أن الفساة من الأموريين الساميين وطردوا أنفسهم فوق مجتمع سابق متقدم من سكان بلاد النهرين .

ولم يقتصر الأموريون على تأسيس دولة في منطقة وسط الفرات واجتياح سوريا وإنما اجتاحت بلاد النهرين أيضا وحكموها وقد أسسوا عدة سلالات قمت من آشور في الشمال حتى لارسا في الجنوب بين ٢١٠٠ و ١٨٠٠ ق. م ، وأهم هذه السلالات كانت سلالة بابل وهي أول سلالة ظهرت في هذه المدينة وانتسب إليها

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٤٣ .

حمورابي . وهو الذي فتح بلاد أمور وضمها إلى إمبراطوريته البابلية .^(١)

مويلا ماوي (تل المريوي) :

يرجع تاريخها إلى الألف الثالثة والثانية ق. م . وظهرت أهميتها عندما سيطر الآموريون في بداية حكمهم على مناطق الحواف في بداية الثمام فخضعت مدينة ماري القريبة لنهر الفرات لنفوذهم ، وهي تقع جنوب مصب نهر الخابور في شمال وشمال شرقي أبو كمال على الضفة الغربية لنهر الفرات . وبسبب هذا الموقع في أطراف بادية الشام ولقربها أكثر من نهر الفرات فإن بعض العلماء يضعها ضمن حضارة بلاد النهرين .^(٢)

وعندما استولى عليها الآموريون انقسم ولاء أهلها أو حكامها بين الولاء لهؤلاء الخزانة الجدد وبين الولاء للعرش السومري في بلاد النهرين . وهذا ما اتبعه أحد حكامها ويدعى إشبي - إرا الذي أخذ يظهر الولاء للقريتين حتى يتضح له الجانب الغالب فيضم إليه . وتصور لنا هذه الأوضاع رسالة أرسلها إبي - سين آخر ملوك أور إلى قائد من قادته ويدعى بوزور - نوموشدا تولى حكم مدينة كاسالالو (تقع شرقي دجلة) عاب عليه فيها ترده في مهاجمة رجل ماري إشبي - إرا . ورد عليه إبي سين أسباب المحنة إلى القضاء والقدر وإرادة الأرباب .^(٣) ويبدو أن إشبي - إرا كانت له أطماع فاستمر في خداعه وادعى الفيرة على مدن أخرى غير ماري ، فنقل نشاطه إلى مدينة تيبور ثم إلى سين . ومن هناك أرسل إلى إبي - سين يدعى أنه سوف يدافع عن المدينتين ويطلب الممد منه لهذا الفرض ولكن الملك

(١) د. فيليب حتى : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ص ٧٣ - ٧٤ ؛

د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٢٣٦ - ٢٣٩ ؛ د. أبو المحاسن

صغور : المرجع السابق ، ص ٢٧٦ .

(٢) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ،

طبعة ١٩٧٦ ، ص ٤١٥ ؛ وأيضا Parrot, Assur, p. 328 .

(٣) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٤٣ - ٤٤٤ .

السومري كان يعرف أطماع إشبى - إرا . ففتن هذا الأخير الفرصة وكشف عن أطماعه وسيطر على المدينتين واتخذ من لسين عاصمة له .^(١)

تعرضت دويلة ماري لأكثر من هزة فبعد انتصار مسرجون الأول (الأكدي) على لوجال زاجيزي حاكم مدينة أوما في حوالي عام ٢٣٧١ ق.م . نجده يحتاج بعد ذلك بلاد الأموريين ق.م . كان يدخل ضمن طموحاته السيطرة على المناطق المجاورة لحدود بلاده ، لتأمين حدودها وتأمين سهل تجارتها الخارجية . فتوجه بجيشه إلى الدويلات التي تقع إلى الغرب من مملكته . وبدأ بالمنطقة المحيطة بدويلة ماري . واستولى عليها وضمها إلى حكمه و " جعل فيها واحدا " أي وحد كلمتها .^(٢)

في عصر حمورابي (١٧٩٢ - ١٧٥٠ ق.م) نجد أنه اتبع في بداية حكمه سياسة التحالف مع المدن القوية في الجوار . وتحالف مع دويلة ماري تحالفا ظل هو الجانب الأقوى فيه واستعان برجلها على بعض أعدائه حتى إذا ما ضعفت ماري نفسها تحت ضغط أعدائها أخضعها وضمها إلى دولته .^(٣)

ومن الوثائق التي عثر عليها في أرشيف القصر الملكي بماري رسالة من الملك بشمش اداد (١٧٩٦ - ١٧٨٠ ق.م) ملك ماري أرسلها إلى حمورابي ملك بابل يخبره فيها بأن قلعة تجارية كان قد أرسلها إلى دلمون قد تعرضت للتأخير .^(٤)

كان آخر ملوك ماري الذي قضى على دولته حمورابي هو زيمري - ليم (الذي حكم حوالي عام ١٧٨٢ - ١٧٥٩ ق.م) .

(١) د. عبد العزيز صالحي : المرجع السابق ، ص ٤٤٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤١٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٥٨ - ٤٥٩ .

(٤) د. رمضان عبده : تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته ، الجزء الثالث ، دار

نهضة الشرق بحرم جامعة القاهرة ٢٠٠١ ، ص ٤٥ (٨) .

وفي عصر الملك الآشوري شمشي - نداد (١٧٢٦ - ١٦٩٤ ق. م) فسي
العصر الآشوري القديم حاول أن يحقق لدولته كيانا ينافس به دولة البابليين ، وجعل
نينوى عاصمة لأول مرة ، واتسع غربا ناحية دويلة مارى وعثر له على عدة رسائل
في أرضها .^(١)

ومن الأمور التي عجلت بنهاية دويلة مارى هو ظهور الحيثيون كقوة فسي
الشمال ، الذين عملوا على إخضاع الجزء الشمالي من سوريا والذي كان خاضعا فسي
الأصل لسيطرة مملكة ميثا الأورورية التي أصبحت عاصمتها في حلب حتى نجح
الحيثيون في النهاية في القضاء على الإمارات الأورورية في شمال سوريا ووسطها
واقصر النفوذ الأوروري على الجنوب . وظلت بعض الدويلات الأورورية تتأرجح بين
الولاء لحكام مصر وبين الخضوع لنفوذ الآشوريين إلى أن قضى الآشوريون
والكلدانيون والفرس على كيان الأوروريين .

كان لوقوع مدينة مارى بالقرب من مواطن حضارة بلاد النهرين أثر كبير
في تنوع أساليبها الفنية فيما عثر فيها على آثار . فقد جمعت هذه الأساليب بين الفنون
السورية والعراقية في آن واحد . فتخير فنانونها ما يناسب أذواقهم من الحضارتين .
ولهذا تعتبر فنون مارى من أرق الفنون أسلوبا وتمييزا .

قام العالم الفرنسي باروه بعمل حفائر هامة في هذه المدينة ابتداء من عام
١٩٣٣ حتى أعوام ١٩٣٥ - ١٩٣٨ وكشف فيها عن آثار عديدة والقصر الملكي
وأرشيف ديوان القصر الملكي .^(٢)

(١) د. عبد العزيز صالحي : المرجع السابق ، ص ٤٩٥ .

(٢) راجع : Parrot, Assur, p. p. 2, 132, 138, 146, 179, 218- 222, 224, 228 - 229, 233, 235, 245, 254, 259 - 261, 280, 284, 290, 292 - 293, 304, 308 .

ويعطينا باروه في مؤلفه نماذج من النحت والجص والرسم (١).

وكان قصر زمري ليم في ماري شهرته الكبيرة نظرا لانتساع مساحته ورسوم جدرانه وكثرة ملحقاته وكثرة الأكواح المكتوبة التي عثر عليها فسي ديوان سجلاته . وينكر د. صالح * أن القصر كان يشغل نحو ستة أكتة ، وتضمن مائتين وستين حجرة عدا مسكن الملك . ورصعت بعض جدرانه الرئيسية لوجبات مرسومة ملونة ألغنت : نظروا بما أخذ به فن النحت المطى في عهدها من واقعية الملامح وتفاصيل الأرياء . وعبثت الجدران بالمرسومة عن منياظر عسكرية وأسطورية

(١) هذه الآثار أغلبها بمتحف اللوفر منها : ختم أسطواني ، وبلمطة ، وأنية بمقبض ، نقوش صواري ، محارب بلمطة ، ومنظر تضحية ، وشخصيه من الطين المحروق ، وتمثال لموسيقين ومعهما بوف ؛ بمتحف حلب : نقوش صواري ، وتمثال لشخص يدعى لامجي ماري وليدى - ناروم ؛ بمتحف دمشق جزء من تمثال اور - نينا وهناك رسم يمثل نافع البوق رسم على جدران القصر الملكي ، راجع : Parrot, op. cit., p. 162 Fig. 206, p. 233 Fig. 290, p. 241 Fig. 298 a, p. 254 Fig. 324 - 325, p. 260 Fig. 333, p. 284 Fig. 355 - 356, p. 304 Fig. 381, p. 306 Fig. 389 - 390 Fig. 384, p. 308 Fig. 389 - 390 ، كما عثر في قصر زمري ليم على تمثال لمعبودة تمسح الماء ارتفاعه ١,٤٢ م بمتحف حلب ، وعلى رأس محارب من الرخام الأبيض ارتفاعه ٢٠ سم بمتحف حلب ، وعلى تمثال ليشقوب - إيلوم أمير ماري من الحجر الأسود ارتفاعه ١,٥٢ م بمتحف حلب ؛ وأخيرا عثر فسي خارج ماري في بلبل على تمثال بوزور - حشتر أمير ماري من حجر النيوريت ارتفاعه ١,٧٠ سم بمتحف لاسطنبول ، راجع : د. هورست كلنفل : حمورابي ملك بابل وعصره (ترجمة د. غازي شريف مراجعة د. علي يحيى) دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ١٩٨٧ ، ص ٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ د. د. أحمد فخري : دراسات في تاريخ الشرق القديم ، ص ١٢٠ الصور ؛ د. د. محمد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٥٥ صورة ٢١١ .

وقصصية ودينية لم يبق منها للأسف غير أجزاء يسيرة وكانت أكثر مناظر القصص حيوية مناظر ومواكب القرابين وتصور رجالا بوجوه نحيفة دقيقة ولحي طبيعية قصيرة يغطون رؤوسهم بقلانس بعضها مرتفع وبعضها عريض منخفض . ويرتدون ثيابا مقفولة بحلقات واسعة تحت الرقبة ، وعباءات زركشت أطرافها بأهداب تشبه ريش الطيور . ويسوق بعضهم ثيرانا كسيت أطراف قرونها بطيات معدنية وتلتصق على جباهها حلقات هلالية . وغير الرسم عن تجعدات جلودها وشعور رؤوسها تعبيرا بارعا بلون متدرجة ^(١) .

ولعل أهم هذه المناظر الجدارية ما يعرف اصطلاحا باسم " تقصيب زمري ليم " ويظهر في القسم الأعلى من المنظر الرئيسي للحاكم زمري ليم ويرتدى ثوب واسع ذي شرائب وقبة بيضاوية الشكل وقد رفع يده بالتحية للمعبودة الواقة أمامه (عشتار) . وتقدم بيده اليمنى الصولجان والقرص إلى الملك ، وهما رمزا السلطة . وقد صور في القسم الأسفل من المنظر للرئيسي محودتان تصل كل منهما أنية يخرج من كل منهما نبتة بين جداول أربعة ، وقد صوروا بخطوط متموجة تسبح عليها أسماك . وعلى جانبي هذا المنظر الرئيسي يوجد شجرتان محورتان وتختلان وقد وقف على كل منهما طائر كبير . ويبلغ ارتفاع هذا الجدار ١٧٥ سم وعرضه ٢٥٠ سم . وهو معروض الآن بمتحف اللوفر ^(٢) . ويعتقد بلروه أن هذه المناظر المصورة تلقى الضوء على العقائد الدينية في بلاد النهرين عام ١٧٦٠ ق. م .

وحثر على بقايا تصوير جدران آخر في ملري بين بقايا سور القصر ومعروض الآن بمتحف اللوفر أيضا لارتفاعه ٨٠ سم وعرضه ١٢٥ سم . وتصور بقايا هذا المنظر رجلا ضمخا بقي منه الجزء الذي بين الوسط والركبة ، وارتدى ثوبا

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٥٤ .

(٢) د. سيد توفيق : تاريخ الفن في الشرق الأدنى القديم : مصر والعراق دار

النهضة العربية ١٩٨٧ ، ص ٢٤٨ - ٢٥٠ شكل ١٢٥ : وأيضاً : Parrot,

Assur, p. 260 Fig. 334 .

طرزت حواشيه . وظهر خلفه صفيين من الرجال يعلو بعضهما الآخر .^(١) وعثر في منزل في مدينة مارى على حجرتين اشتملتا على صفوف من المصطلحات مختلفة السمة شيدت من الحجر ، تنمى الواحدة منها لشخص أو شخصين أو أربعة أشخاص ، وقد تكونان مکتبا أو مدرسة .^(٢)

وحين اكتشف أرشيف ديوانى العصر عثر فيه على أكثر من ٢٠ ألف لوحة طينية . ويعتبر هذا الأرشيف على جانب كبير من الأهمية وذلك بالنسبة لتاريخ وأحداث معالم المناطق التي كانت متاخمة لحدود العراق في هذا العصر . لأن تلك المنطقة كانت مركزا تجاريا هاما ، كما كانت مركزا لانطلاق الحركات السياسية المتعددة المناهضة للغزو البابلي وأطماع البابليين . وعثر في هذا الأرشيف على مجموعة من الرسائل التي كانت متبادلة بين ملوك وأمراء المدينة وغيرهم من ملوك وحكام الشرق القديم .

وقد كشفت دراستها عن كثير من الجوانب الحضارية في سوريا في عهد زمرى ليم . وذكرت فيها أسماء كثيرة من دويلات المدن التي لعبت أدورا هامة مثل مدينة حلب التي كانت عاصمة لدولة يمشاد ومدينة جبيل التي كانت مركزا هاما لصناعة الثياب والمنسوجات ، ومدينة كطنة (تل المشرفة شمال شرقى حمص) وحرانو (حران الحالية) وكلها دول أمورية .^(٣)

(١) د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٥٠ - ٣٥١ صورة ٢٠٨ .

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٤١ ، وأيضا : Parrot, op. cit., p. 293 Fig. 365.

(٣) ليوا وينهايم : بلاد ما بين النهرين (ترجمة سعد الفيضى عبد السرازق) ، ص ٤٩٦ د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٢٣٧ د. أحمد قحورى : دراسات في تاريخ الشرق القديم ، ص ٧٢ د. عوفى البهنسى : الآثار السورية (مجموعة أبحاث أثرية تاريخية) ، ص ٩٢ - ٩٨ .

ويستدل المستر بعد ذلك على الأموريين في وسط سوريا وعلى حدود بلاد النهرين وينتقل مركز الحوادث إلى الجنوب . وعندما دخل الخيبرو فلسطين وجدوا أن ساميين من قداماء الأموريين يحتلون قسما منها على الأقل . وأن حلقات الاتصال التاريخي بين الممالك والجماعات الأمورية الكثيرة في سوريا التي كانت موزعة في المكان مفقودة ولا يمكننا للتأكيد أيضا من أن التحركات الأمورية نحو الجنوب كانت حركة جماعية .^(١)

مملكة ابلا :

قامت مملكة ابلا في الألف الثالثة ق. م . من ٢٤٠٠ إلى ٢١٠٠ ق. م . وذلك إلى الجنوب من حلب ، في ابلا (تل مردوخ) .

بدأت بعثة علمية من معهد دراسات الشرق الأدنى القديم في جامعة روما برئاسة باولو ماتيهي التقيب في تل مردوخ عام ١٩٦٤ ، وفي عام ١٩٧٥ عثرت على مكتبة القصر واستخرج أكثر من ١٥ ألف لوح ، وهي أقدم وثائق رسمية لدولة ظهرت في العالم .^(٢) ومن خلالها أطلعنا على قسم كبير من تاريخ ابلا التي قامت سياستها على السيطرة على التجارة بين بلاد النهرين والأناضول وسوريا ومصر ولتأمين مرور المواد الأولية .

وهذا للكيان السياسي والإداري الواسع كان يتطلب تنظيما وظيفيا كسليما ، لذلك فأننا نجد ملكا على رأس الدولة (ماليكوم) باللغة الأبلوية ، يساعد في حكمه وإدارة مملكته ، مجلس شيوخ أو قضاة ، وكان جهاز ابلا الإداري مكون من ١١,٧٠٠ شخص . وهذا مؤشر لنترك منه حسن تنظيم الدولة واتساع رقعتها

(١) د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ٨٠ - ٨٤ ؛ د. عبد الحميد زايد :

المرجع السابق ، ص ٢٢٩ .

(٢) عن الآثار التي عثر عليها في ابلا وأغلبها معروض بمتحف حلب من أرقام ٧٢

إلى ٨٠ ومن ٩٨ إلى ١٠٦ ، راجع : د. عفيف اليهنسي : المرجع السابق ،

ص ٨٢ - ٨٩ ، ١١٩ - ١٢٥ .

السكتية . وتم العثور على لوحات تضم تمارين مدرسية كل لوحة تحمل اسم الطالب الذى كتبها مع توقيع أستاذه أو معلمه . وينقسم تاريخ مدينة ابلا إلى مرحلتين : (١)

المرحلة الأولى : من ٢٤٠٠ إلى ٢١٠٠ ق.م . وهى المرحلة التى خضعت فيها لسيطرة مارى ولكد .

المرحلة الثانية : من ٢١٠٠ - ١٦٠٠ ق.م ، وبقيت فيها ابلا ضمن إطار محدود وأشهر ملوك هذه الفترة بن زيكو عام ١٨٥٠ ق.م . الذى تقلص مع ملك حلب شماس حدد فقام تحالفا مع مملكة الألوخ (توتول) من خلال زواج ملكى . ولم يعد بلا منفذ على الساحل فى هذه الفترة وبعد عام ١٨٠٠ ق.م . أصبحت ابلا تحت وصاية مملكة حلب (يمخاد) وانتهت الضربة الموجهة من خلال توسع حمورابى ، الذى دمر ابلا عام ١٧٥٠ ق.م . إلا أنها عانت إلى الظهور من جديد إلى أن أُنشأ الضربة للقاضية من قبل الحثيين الذين احتدروا من الشمال عام ١٦١٠ ق.م .

مملكة يمخاد :

عثر عالم الآثار ليونارد وولى خلال عمليات تنقيب ناجحة عن الآثار فى الطبقة السابعة من تل العطفانة فى سهل العمق ، على عدد ضخم من الألواح الطينية نقشت بالكتابة المسمارية يقارب الـ ٦٠٠ . وتعرض هذه الكتابات لأحداث سياسية هامة جرت فى القرنين الثامن عشر والسابع عشر قبل الميلاد . وظهرت فى الطبقة الرابعة من هذا التل مجموعة أخرى من الألواح تحثا كتاباتها عن بعض أحداث القرن الخامس عشر قبل الميلاد وتقص علينا هذه النصوص أخبارا عن بعض حكام مملكة يمخاد التى كانت عاصمتها مدينة طب وعن حكام مملكة موكيش وعاصمتها الألوخ (تل العطفانة) التى أقيمت على أنقاض مدينة أقدم زمتا منها . وكانت مملكة موكيش تابعة لمملكة يمخاد فى حلب .

(١) عن تاريخ ابلا ؛ راجع : د. عفيف البهنسى : المرجع السابق، ص ٦١ - ٦٣ ،

ومن بين حكام مملكة يمخاد الذين وردت أسماءهم في هذه النصوص هم :
 " ابعل " و " نقسامنا " و " اركليتوم " ، " اميتا كوم " و " يريم ايسم " و " حمورابى " (وهو غير حمورابى البابلى) وهى أسماء كلها كنعانية ، وكان حمورابى هذا على علاقة بـحمورابى البابلى .^(١) وبالرغم من معرفتنا لأسماء هؤلاء الحكام ، إلا أننا لا نستطيع وضع تنظيم دقيق لتاريخ حكمهم لهذه المملكة ، وكل ما نستطيع قوله أنهم كانوا معاصرين لمولوك مارى . وتذكر المصادر التاريخية أن " ابعل " أخمد نثار عصيان اندلعت ضده فى المقاطعات التابعة لمملكته الواقعة على الجانب الآخر من نهر الفرات . وقد ورد فى هذه المصادر أنه خرب مدينة " أريتى " .^(٢)

وبالنسبة للأحوال الاجتماعية فى مملكة يمخاد فنعرف أن العبيد كانوا يكونون الطبقة الدنيا فى المجتمع . وكان هؤلاء العبيد من المنديين والحرافيين والفلاحين والملوك الصغار الذين عجزوا عن سداد ديونهم مع الفوائد التى ترتبت عليها . والأمر الواجب إثباته هنا أن وضع العبيد فى مجتمعات غرب آسيا القديمة عامة اختلف عما أصبح عليه خلال العصر الرومانى . إذ أن العبيد فى تلك المجتمعات كانوا بصورة عامة يخدمون فى بيوت سادتهم وفى قصورهم ، وكان أبناءهم وبناتهم ينشأون سويا مع أبناء وبنات سادتهم ويعملون أيضا سويا فى المزارع والحقول .^(٣)

كانت مملكة يمخاد تمثل العدو اللدود للحيثيين ، وتشير نصوص الحيثيين أن ملوك حلب كانت لديهم مملكة كبيرة ، وأن خاتو سيليس بدأ مهاجمة أراضي هذه المملكة للقضاء عليها ، والظاهر أنه فشل وغالبا ما تلقى ضربة قاتلة وأتم هذا العمل ابن خاتو سيليس مورسيليس ونجح فى تدمير حلب .^(٤)

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ١١٠ .

(٢) د. توفيق سليمان : دراسات فى حضارات غرب آسيا القديمة ، ص ٣٥٥ - ٣٥٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٥٨ .

(٤) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٤٦١ .

مملكة موكيش (حطينا العمق) :

اتخذت هذه المملكة عاصمة لها في الألخ (توتول) (تل العطشانة) شمال حلب وكانت هذه المملكة قائمة في نفس وقت مملكة يمخاد في حلب .

وقد تعرضت هذه المملكة للتهجير من جانب خاتو ميليس أيضا فسي بداية حكمه ودمر عاصمتها الألخ ^(١) ولعرف من ملوك هذه المملكة " اميتا قوم " ^(٢) الذي كان يحكم وقت هجوم خاتوسيليس ، وأشهر ملوك هذه المملكة هو :

الملك أمريبي (١٥١٠ - ١٤٨٠ ق.م) :

حكم الملك " أدريبي " في الألخ حوالي ثلاثين عاما عندما أمر كاتبه الحورى الأصل المدعو " شاورا - وا " أن ينقش كتابة مسارية على تمثاله النصفى المحفوظ حاليا في المتحف البريطانى . وتتألف الكتابة من مائة وأربعة سطورا ويقص علينا الملك فيها تاريخ حياته والصعاب التى اعترضت سبيله خلالها . ويذكر فى بداية النقش قصة هربه مع جميع أفراد أسرته الملكية من حلب إلى أخواله .

لقد اندلعت نيران العصيان فى بيت والده فى حلب وهرب إلى أخواله سكان امار . ويجوز أن يكون أحد الملوك الحوريين الميثانيين هو الذى أوقد نار هذا العصيان الذى أنهى حياة " إيليم - إيلهما " ولد الملك " أدريبي " ولكن أدريبي لم يمكث طويلا فى منفاه بين أخواله . ووصل " أدريبي " إلى الألخ فى الوقت الذى شن فيه تحوتمس الأول حملة ضد أمراء أواسط شمال بلاد الشام والمملكة الميثانية .

مر الحيثيون بفترة ضعف فى عهد أوموناش واستغل أدريبي الفرصة وقام بغزو سبع مراكز على حدود بلاد الحيثيين ، ولم يستطع أحد للتمرض له . ومن بين هذه المراكز زارونا ، التى جاء ذكرها فى الفزوة التى قام بها خاتو سيليس فى السنة

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٤٥٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٦٠ .

السادسة (١).

وأثناء التناقض بين الحثيين والميتانيين نجد أن العلاقة بين الميتانيين ومملكة موكيش قد توطدت (٢).

وبعد ذلك قام شوبيلولوما بوضع خطة لحكم الولايات في شمالي سوريا وذلك بمقد معاهدات معهم . وقد جاء تقياد ملك أوجاريت إلى الألف عاصمة موكيش ، ليقيم فروض الطاعة والولاء إلى شوبيلولوما ويتولى المنطقة مسن ملك الحثيين . ونظمت الحدود بينه وبين موكش (٣).

وبالنسبة للخطامع الخارجية في سوريا أو فينيقيا في منتصف الألف الثاني ، عرفنا عن طريق اكتشاف مقابر ملوك بيبلوس في تلك الحقبة ، أن للشاطن الفينيقي استمر على ولائه لملوك مصر وكان الملك أبي - شمو معاصرا للملك أمنمحات الأول ، وكان هو والملك الفينيقي ابشمو - أبي يتلقيان الهدايا مقابل تأمين سبل التجارة المصرية إلى سوريا (٤) ولكن في عصر الأسرة الثامنة عشرة كان أهل أرواد متولئين للنفوذ المصري في سوريا وغير راضين عنه ، وربما يرجع سبب ذلك إلى المنافسة الشديدة التي كانت بين أرواد وجبل . وفي أثناء حملة الملك تحوتمس الثالث (عام ١٥٠٤ ق. م) على سوريا لتوطيد نفوذه في هذه المناطق نجد أنه أثناء حملته الخامسة بدأ يهتم بتأمين سبل مواصلاته مع الساحل الفينيقي ومعاقبة أرواد التي ثارت ضد نفوذه ، فسار إليها واستولى عليها ويتحدث عنها نقش له سجله في معبد الكرنك قائلا :

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ٤٦٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٧٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٨٦ .

(٤) د. فوليبي حتى : تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية ، ص ٩٠ .

• وقد هدم جلالكته مدينة لوراد بما فيها من مخازن للحبوب وقطع جميع أشجارها وكثفت الحدائق فيها مليئة بالفواكه . وكان النبيذ يملأ المعاصر وينساب كالماء ، بينما كان القمح على الثولطى أوفر من رمال الثولطى ، حتى أن القوان كادت تضيق من كثرة الغذاء وما قرر لهم .. وكان الجنود مستريحى البال وكانوا يدهنون أجسادهم بالزيت كل يوم كما كان يحدث فى مصر أثناء الأحياد .^(١)

• وعندما تكونت مملكة الحوريين والميتانيين ، نجد أنها بسطت نفوذها على سوريا ويبدو أنها نجحت أيضا فى بسط نفوذها على جزء من فلسطين .^(٢)

وعندما أصبح شوبيلوليوما ملكا على الحيثيين ، اتجه بأطماعه للتوسعية نحو سوريا على حساب النفوذ المصرى . ونعرف من أرشيف تل العمارنة ، الذى هو عبارة عن مجموعة المراسلات التى تبادلها ملوك مصر مع أمراء سوريا وأيضاً أمراء المدن الداخلية ، مدى الضعف الذى أصاب سوريا . وكان هؤلاء الأمراء يطلبون الهدايا وكان بعضهم يطلب المزيد من الذهب . وكان أمراء سوريا وحكام الأقاليم يشعرون بخاطر تقدم الحيثيين ، ولكنهم لم يتلقوا المعونة أو المساعدة المطلوبة من ملك مصر ، ولم يدم هذا الوضع غير المستقر فترة طويلة فما لبث الحيثيون أن استولوا على عدة مناطق من سوريا بالتدريج ، حتى أصبحت لهم السيادة فى النهاية على النصف الشمالى من فلسطين وعين شوبيلوليوما أبناؤه كحكام فى المناطق التى غزاها فى قرقيش وفى حلب كما اعتمد على مساعدة الأموريين .^(٣)

حاول المصريون فيما بعد إنقاذ الموقف واسترداد ما فقد ودخل المصريون الحرب ضد الحيثيين فى معركة قادش الشهيرة بين رمسيس الثانى وموتلى ، ولكن

(١) د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ٩٤ - ٩٥ ، ١٠٠ .

(٢) عن الميتانيين فى سوريا ، راجع : د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ٩٦ - ٩٧ .

(٣) عن الحيثيين فى سوريا ، راجع : د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ٩٧ - ٩٨ .

نتيجة هذه المعركة لا تزال محل نقاش حتى الآن بين العلماء وانتهى الأمر بعقد معاهدة سلام بين خلتوسيل الثالث ورمسيس الثاني^(١).

وفي القرون الأخيرة من الألف الثانية ، أصبحت فينيقيا مركزا تجاريا ذا نشاط كبير وعلى أوسع نطاق . ويبدو أن جنوب البلاد كان على صلات طيبة بالمصريين حيث نلمس في مقبرة الملك احيرام في بيلوس تأثير الفن المصري الذى يظهر فى نقوش تابوته . كما عثر على أولى من الممرر تحمل اسم الملك رمسيس الثاني ، ولكن هذا التأثير السياسى والفنى ، لم يمنع من وجود علاقات تجارية مع بقية العالم القديم . وسوف تلعب مدن الدول الفينيقية دورا كبيرا فى التجارة فى العالم القديم . وفى أقصى الشمال نجد مدينة أوجاريت (رأس الثمرا) التى كانت تفص بالسكان من أجناس متعددة ولتى كانت تخضع لتيار النفوذ الحورى . وبذلك الحائز التى قام بها شيفر Schaeffer وكشف فيها عن أرشيف القصر الملكى^(٢) ، على تعدد الصلات والعلاقات بين أوجاريت والعشيين .

وفي نهاية الألف الثانية ق. م . تعرضت سوريا كبقية أجزاء غرب آسيا لهجرات شعوب البحر واستولى المهاجرون على سوريا وقبرص ، وأصبحت كل السهول السورية تحت سيطرة هؤلاء المهاجرون الذين ما زالت أسماء الكثيرين منهم غير معروفة حتى الآن . وكان يحكم فى مصر فى تلك الفترة رمسيس الثالث الذى نجح فى إبعاد هذا الغزو عن مصر . ولهذا لجأ بعض الغزاة إلى جنوب أوروبا أو الشاطئ الشمالى لأفريقيا . واستقر جزء من هؤلاء المهاجرين فى فلسطين^(٣).

وعندما قضت شعوب البحر على الإمبراطورية الحيثية فى آسيا الصغرى قضاء نهائيا ازدهرت بعض للدويلات الصغيرة التى كان ينتشر فيها للتأثير الأرامى والحيثى معا . وعلى الرغم من التباين الواضح بين هذين الاتجاهين فى مختلف

(١) د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ١٠٦ - ١٠٧ .

(٢) د. أحمد فخري : دراسات فى تاريخ الشرق القديم ، ص ١٠٦ .

(٣) د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ١٠٩ ، ١١١ - ١١٢ .

المجالات فإن النفوذ الآرامي كان هو السائد في دمشق ومؤثر بدرجة أقل في مملكة سامال أو شمال حيث كان الملوك يمجّلون نصوصهم بالآرامية ، على حوین كانت الخصائص الحيثية هي السائدة في فنونهم .

ونشأت في خلال الألف الأولى ق. م . بعض الدويلات الآرامية الصغيرة في سوريا في جورجوم (منطقة ماراش) ، وفي تیان ، وفي منطقة الفريز ^(١).

ثانيا : **الكنعانيون** (الذين سماهم اليونان فيما بعد باسم الفينيقيين) :

وقد هؤلاء الكنعانيون مع الآموريين في هجرة واحدة في حوالي سنة ٢٥٠٠ ق. م . ولكنهم كانوا أكثر عددا واستقر الكنعانيون في مناطق الساحل ^(٢) وهم الذين أطلق عليهم اليونانيون اسم الفينيقيين . وقد اختلف الباحثون في أصل التسمية كنعان ، فيرى البعض أنها جاءت من " كنع أو خنع أو قنع " بمعنى الأراضي المنخفضة التي سكنوها ومنهم من يرى أنها من أصل هندوآري من كلمة حورية " كنجي " بمعنى الصبغة الحمراء إذ كانت هذه المنطقة تشتهر بهذه الصبغة الحمراء عندما اتصل الحوريون بتلك البلاد في القرن الثامن عشر أو السابع عشر قبل الميلاد . وفي الكتابة البابلية كتبوا اسمها " كنجي أو كنجي " ووردت في الكتابة الفينيقية نفسها تحت اسم " كينغ " وحرفت إلى " كنعان " في العبرانية ^(٣) أما أصل كلمة " فينيقيا " فهي مشتقة على الأرجح من كلمة يونانية (Phoinix) والتي تعني بلاد الأحمر الأرجواني أي الصبغة الحمراء نظرا لشهرة هذا السلحل بصناعة الأصباغ القرمزية

(١) د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ١١٠ .

(٢) للمرجع السابق ، تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية ، ص ٧٩ - ٨٣ .

(٣) جاء اسم كنعان كاسم لمدينة غزة الفلسطينية في نصين أحدهما من عهد الملك سيتي الأول ، والآخر من عهد مرنبتاح ، راجع : د. رمضان عبده : معالم تاريخ مصر القديم ، ص ٤٦٥ - ٤٨٧ .

والملابس الأرجوانية اللون^(١). لذلك أطلق اليونانيون على كتعاني الساحل اسم فينيقية (أى بلاد الأحمر الأرجواني) .

وأطلق المصريون القدماء كلمة فنخو من عصر الدولة القديمة (٢٧٨٠ ق. م) للدلالة على شعب من سكان سوريا ، والمرجح أن اليونانيين استعملوا هذه التسمية بعد تحريفها إلى فينكس للدلالة على فينيقيا^(٢) وبذل هذا اللفظ عند المصريين القدماء على " الآسيويين عامة " .^(٣) كما أطلق المصريون القدماء لفظ رتسو على سوريا العليا .^(٤)

وكانت التسمية " فينيقيا " تدل في بداية الأمر على الساحل السوري وغربي فلسطين ثم أصبحت تدل على جزء كبير من سوريا ولبنان كلها وفلسطين كلها .^(٥)

(١) د. فليبي حتى : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ص ٨٦ - ٨٧ ؛ المؤلف نفسه : تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية ، ص ٨٢ - ٨٣ ، ١٣٠ - ١٣٥ ؛ د. أحمد فخري : دراسات في تاريخ الشرق القديم ، ص ١٠٧ حاشية (١) ؛ د. عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ، ص ٢٤١ - ٢٤٥ ، ٣٧٣ ؛ د. أبو المحاسن عصفور : المدن الفينيقية ، ص ٥٣ .

(٢) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ١٣ .

(٣) د. أحمد بدوي - هرمن كيس : للمعجم الصغير في مفردات اللغة المصرية القديمة ، ص ٨٩ ؛ د. فليبي حتى : تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية ، ص ٨٨ حاشية (١) .

(٤) د. أحمد بدوي - هرمن كيس : المرجع السابق ، ص ١٤٤ ؛ د. فليبي حتى : المرجع السابق ، ص ٨٨ حاشية (١) . ويذكر د. بدوي أن رتسو اسم عام لسوريا وفلسطين .

(٥) في وثائق العهد القديم الأولى أطلق اسم " كتعاني " بمعناه الواسع على جميع سكان البلاد دون أي مدلول عرقي، راجع : د. فليبي حتى : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ص ٨٧ ؛ د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٢٤٠ - ٢٥٠ .

كان الفينيقيون أول أمة بحرية في التاريخ ، وذلك لأن السهول الزراعية ضيقة محدودة مثل التي تقع بالقرب من مصب نهر الليطون ويسمى في أيامنا هذا بالنهر الكبير ، كذلك حول عكا ، وسهل فينيقيا حاليا الذي يقع عند نهر اسكليبو ويسمى حاليا نهر الأولي . ووجود مجارى المياه الموجودة في فينيقيا عبارة عن نهيرات صغيرة تجري فيها المياه في فترة الفيضان فقط وتجف في شهور الصيف وذلك لقرب الجبال من الشاطئ .. ووجود حاجز جلي بين الساحل والداخل ، فتمتد جبال لبنان التي هي امتداد لجبال النصيرية إلى حوالي ١٠٠ كم شمالا من النهر الكبير ، وتنتهي جنوبا عند منحني نهر القاسمية . ويبلغ أقصى ارتفاع لها ثلاثة آلاف مترا . وإلى الشرق من جبال لبنان جبال أخرى تفل قليلا عن الغربية في الارتفاع إذ تبلغ أحيانا حوالي ٢٨٠٠ متر . وكانت جبالها قريبة من الشاطئ فلم تكثر بها السهول والفقرت البلاد للأراضي السهلة المنبسطة . ووفرة الأخشاب التي تأتي من أشجار الأرز والسرو والصنوبر والأرو . وقد انقرض الأرز تقريبا ولم يبق منه إلا غابة بسيطة في منطقة بشرى . وأخيرا وقوع بلادهم على الساحل الشرقي للبحر المتوسط ، ويمتد هذا الساحل من خليج إسوس شمالا إلى جبال الكرمل جنوبا ، وهو يعد من أكثر السواحل استقامة في العالم^(١) لكل هذه العوامل البيئية بالإضافة إلى عوامل أخرى ترجع إلى طبيعة الفينيقيين أنفسهم لم يجد الفينيقيون مجالاً لانطلاقهم سوى البحر فركبوه على متن سفنهم .

إن تقسيم فينيقيا إلى مدن مستقلة ، وتمتع البلاد بنعمة الاستقلال بعث في نفوس الفينيقيين نشاطا جديدا وأثار في نفوسهم مطلبهم جديدة . وقد أظهروا من العزم على تحقيق هذه المطامع ما يثير الإعجاب . فإلهم في هذه الفترة أنشأوا لهم تجارة واسمة مزدهرة ، وتقدموا في الفنون والصناعات تقدما كبيرا . وأسسوا لهم مراكز تجارية على جانبي حوض البحر المتوسط ، وركبوا البحار لارتداد مجاهل جديدة فلم يكن المجهول أيشى عزائمهم بل كان المجهول والبعيد يستهويهم لمعرفة

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٢٤٢ - ٢٤٣ .

واكتشافه ^(١) وأعطوا البشرية العديد من مظاهر الحضارة في نظم الحكم والإدارة ، وفي المجال الاقتصادي في التجارة والصناعة وأيضاً في الزراعة وفي الحياة الثقافية بما توصلوا إليه في الكتابة من حروف هجائية ونظم لتقانات الشرق القديم إلى شواطئ جنوب أوروبا وشمال أفريقيا . ولعل دورهم هذا كان من أهم الأدوار . فقد أدخل الفينيقيون البردي إلى بلاد الإغريق حيث كان استعماله معروفاً حتى القرن السادس ق. م .

كتب بلوتارخ في القرن الأول الميلادي عن الفينيقيين ما يأتي :

" إنهم شعب مملوء بالصرامة والمساكنة ، مطيع لحكامه ، مستبد مع أولئك الذين حكمهم ... عنيف إذا ما غضب ، لا يتزعزع إذا ما صمم على شيء لو إذا قور شيئاً ، وصارم حتى أنه يكره الملاطفة والشفقة " . وذكر يوسوبس - ميل الأسباني الذي عاش في القرن الأول الميلادي عن الفينيقيين قائلًا :

" إن الفينيقيين جنس مجتهد ، نجحوا في العرب والسلام فقد برعوا في الكتابة والأدب وفي الفنون الأخرى ، وفي الملاحة وفي الحروب البحرية وفي حكم الإمبراطورية " ^(٢).

لم يستطع الفينيقيون تأسيس دولة قوية موحدة بل انتظموا في دويلات صغيرة يحكم كل منها ملك الذي كان يستقر في مدينة محصنة ، تحميها الأسوار والأبراج . وكثيراً ما نشبت الحروب بين هذه الممالك الصغيرة التي كانت مستقلة عن بعضها البعض وأن جمعت بين البعض منها ، من حين إلى آخر ، تحالفت أو كتلت متحالفة . وكان لكل مدينة أسطولها التجاري والحربي .

(١) د. فيليب حتى : تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية ، ص ١١٥ - ١١٦ .

(٢) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٢٤٠ .

وفي فترة القرنين الأولين من الألف الأولى (بين ١٠٠٠ - ٨٠٠ ق.م)
ظهر من دويلات المدن هذه فسي قيتيقيا : صور وصيدا وأوجاريت (رأس
الشمرا)^(١) وبيبلوس (جبيل) وارواد ، (لاروس)^(٢) ولمعت أسماء مدن أربع

(١) يذكر د. أحمد فخري " إنه في عام ١٩٢٨ عثر أحد المزارعين بطريق الصدفة
في مكان يسمى " المينا البيضاء " على الفخار في شمال سوريا ، على مراداب
تحت الأرض يؤدي إلى مقبرة . فكان هذا الكشف بداية لفحص المنطقة كلها في
السنوات التالية ولم يمض غير قليل من البحث حتى تأكد الباحثون أن هذا
المكان ليس إلا موقع أوجاريت ، وعثر في الحفائر على الكثير من التماثيل
والطى والفخار . ولكن أهم ما عثر عليه هو ذلك العدد الهائل من اللوحات
الطينية الصغيرة المكتوبة بالخط المسماري ، وكانت هذه اللوحات جزءا من
أرشيف ديوان القصر الملكي ، وقد ألقت دراستها ضوئا كبيرا على الحياة
الدينية والاجتماعية في مدينة أوجاريت القديمة . وتوقفت الحفائر في الموقع في
عام ١٩٣٩ بسبب الحرب العالمية الثانية . واستؤنفت في عام ١٩٤٨ وعثر
على الكثير من الوثائق ذات الأهمية السياسية والإدارية وأكثرها مكتوب
بالأكنية المسمارية . وفي عام ١٩٥٣ عثر على مجموعة من المراسلات
الدبلوماسية بين ملوك أوجاريت وملوك الحيثيين . وهي ترجع إلى القرن
الخامس عشر قبل الميلاد . وعثر أيضا على لوحات سجلت عليها الأساطير
والقصص الدينية التي كان لها تأثير كبير على أدب التوراة الدينية . واتضح من
فحص النصوص أنه كانت هناك أبجدية خاصة بأوجاريت قامت على أساس
الاقباس من الأكنية " راجع : د. أحمد فخري : المرجع السابق ، ص ١٠٥ -
١٠٧ : د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٢٥٢ - ٣٥٣ : د. فيليب
حتى : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ص ١٢٣ - ١٢٤ ، وعن الجهود
الأثرية في بعض المدن الفينيقية ، راجع : د. أبو المحسن عصفور : المدن
الفينيقية ، ص ١٧ - ٢٠ : د. غوف البهنسي : الآثار السورية (مجموعة
أبحاث أثرية تاريخية) ، ص ١٢٧ - ١٦١ وتحدث عن أغلب الآثار التي
خرجت من بيبيلوس ومواقع أخرى .

(٢) عن دور هذه المدن ، راجع : د. أبو المحسن عصفور : المرجع السابق ، ص
٢١ - ٥٢ : د. فيليب حتى : تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية ، ص
١١٧ - ١٢١ .

من هذه المدن على صفحات الإلياذة وخلدت ذكرها أسفار التوراة وهى : صور وصيدا فى الجنوب وجبيل وارواد فى الشمال . ومعلوماتنا الأثرية عن هذه المدن يرجع تاريخها إلى ١٩٢٠ - ١٩٤٠ م . وتعتبر مدينتى أوجاريت والمدن على صفحات الإلياذة وخلدت ذكرها أسفار التوراة وهى : صور وصيدا فى الجنوب وجبيل وارواد فى الشمال . ومعلوماتنا الأثرية عن هذه المدن يرجع تاريخها إلى ١٩٢٠ - ١٩٤٠ م . وتعتبر مدينتى أوجاريت (رأس القمر) وبيبلوس (جبيل) من المناطق التى تمت فيها أغلب الاكتشافات الأثرية .

عاشت هذه المدن الفينيقية عصرها الذهبى فى بداية الألف قبل الميلاد وتمتعت بفترة ازدهار ورخاء اقتصادى وبخاصة مدينة صور التى لم تقتصر أساطيلها التجارية على نقل البضائع والمنتجات بين الموانئ المعروفة فى البحر المتوسط ، بل أسست مراكز تجارية جديدة فى مناطق بعيدة ، كما خرجت من مضيق جبل طارق إلى عرض الأطلنطى لنقل التجارة إلى الشواطئ الغربية لأوروبا . وكان من أهم أسباب قوة صور هو تبعية مدينة قرطاج لها . وعثر على أسماء بعض ملوك هذه المدن منقوشة على البقايا الأثرية وعلى التماثيل التى يرجون فيها حماية المعبودات ، ولتى عثر عليها فى الحفائر التى تمت فى هذه المدن ، وعرفنا أيضا بعض الأسماء مما جاء فى النصوص الآشورية والمصرية ومما جاء فى التوراة ، ومن ملوك صور (وصيدا) نعرف : أحيرام الأول (١٠٠٠ ق.م) وتبعه فى الحكم ولده بعل اشمار الذى ظل فى الحكم سبعة عشر عاما (٩٣٥ - ٩١٩ ق.م) ثم تبعه عبد عشتارت^(١) الذى حكم تسع سنوات (٩١٨ - ٩١٠ ق.م) ثم قتله أبناء مربيته واغتصبوا العرش ، وأول من تولاه منهم ميثو عشتارت الذى حكم اثنتى عشرة عاما (٩٠٩ - ٨٩٨ ق.م) ثم تبعه عشتار - يمو الذى حكم تسع سنوات (٨٩٧ - ٨٨٩ ق.م) ثم لزمه إيتويعل كاهن عشتارت عن العرش وقتله ، وظل يحكم من بعده اثنين وثلاثين عاما (٨٨٧ - ٨٥٦ ق.م) مؤسسا أسرة حاكمة جديدة

(١) د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ١٢٠ - ١٢١ .

ظلت في الحكم قرنا من الزمان على الأقل (١).

وهناك بعض المؤرخين الذي يعطى ترقيبا آخر على النحو الآتى احيرام (حوالى سنة ١٠٠٠ ق.م) وليتبعل (٩٨٠ ق.م) إبى بعيل (٩٤٠ ق.م) وبيحي - ملك (٩٢٠ ق.م) وإيلي بعيل (٩٠٠ ق.م) وشيببت بعيل (٨٨٠ ق.م) .

وقد جاء ذكر أسماء بعض الملوك في النصوص الآشورية لأنهم كانوا يقومون بدفع الجزية لملوك آشور منهم احيرام الثانى (الذى كان معاصرا لتيجلات بلاصر الثالث ٧٥٤ ق.م) وميتينا (أو متان) (الذى تلى احيرام الثانى ودفع الجزية هو الآخر لملك آشور) وإيلو - إيلي (لولى) (الذى كان معاصرا لئشالما نصر الخامس ٧٢٧ ق.م) . واسم إيلو - إيلي يعنى "إلهى هو الإله" ويظهر اسم هذا الملك كحامى لمدينة صور البحرية في النصوص الآشورية . ومن النصوص الكلدانية نعرف أن نابوخذ نصر هزم ملك صور ليتو - بعيل (الثانى) (٢) وعين مكانه بعل الثانى الذى أخلص له بقي على عرش صور من سنة ٥٧٥ إلى سنة ٥٦٤ ق.م . وكان يعاونه مسئول بيللى . وبانتهاء حكم بعل (الثانى) توقف تقابع الملوك مؤقتا وتولى الحكم أعضاء لمدة سبع سنوات باستثناء ملك واحد حكم سنة ثم جاءت بعد ذلك سلالة من الملوك بدأها ميربيل الذى حكم أربعة أعوام ثم تبعه أخوه احيرام (الثالث) (٥٥٢ - ٥٣٢ ق.م) (٣).

أما عن أعمال بعض هؤلاء الملوك فنعرف أن احيرام الأول كان معاصرا للملك سليمان فى فلسطين . واهتم احيرام بتجميل مدينة صور وتوسيع رقعتها وشيد فيها عددا من القصور والمعابد الجديدة ، وكان معبد ملقارت _ بعل صور (قاتما

(١) د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ١٢٠ - ١٢١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٧٧ .

(٣) د. أبو المحاسن عصفور : المدن الفينيقية ، ص ٣٥ - ٣٦ ، ٤٠ ، ٤٢ - ٤٣ ،

٤٥ - ٤٦ ، ٤٩ ؛ د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ١٧٧ .

على جزيرة منفصلة عن جزيرة صور الكبيرة فهدم لحيروم ما بينهما وأقام بهذا السد مينائين أحدهما في الشمال والآخر في الجنوب . وينصب إلى لحيروم أنه كان حكيماً ذكياً تبادل مع سليمان الأحاجي وكانت تربطه به صداقة قوية وهو الذي أمد سليمان بالمعمارين والعمال والفنيين ومواد البناء اللازمة لإقامة هيكل (٢) لبيت أورشلين ، وقصر له . وظل لحيروم وسليمان صديقين حميمين وشريكين في التجارة وهو الذي ساعد سليمان أيضاً في إنشاء أسطول تجارى في البحر الأحمر وأمد بحارة فينيقيين للعمل على السفن مع بحارة سليمان .^(١) واتسعت تجارة لحيروم وصلاته البحرية مع جزيرة قبرص وأشبانيا^(٢) ودفن في تابوت مزخرف بالنقوش والنحت البارز وتصور لنا جنازة كبيرة تظهر فيها النساء الناديات وحاملات القرابين .^(٣)

ومن الجدير بالذكر أن عهد القوضى والحروب الأهلية التي انتهت بارتقاء ايتو بعل على العرش في صور صاحبها فترة مظلمة في دولة إسرائيل حيث انقسمت المملكة واشتد الشقاق في القصر . ويتفق ارتقاء ايتو بعل في صور مع ارتقاء عمري على عرش دولة إسرائيل وتأسيس أسرة جديدة ظلت في الحكم بضعة عشرات من السنين سادتها علاقات صداقة بين الدولتين . وتشير التوراة إلى أن ايتو بعل زوج ابنته إيزابيل إلى آحاب بن عمري الذي حكم حوالي سنة ٨٥٤ ق.م .

ولا شك في أن صور كانت قوية في عهد ايتو بعل ، ومما يؤكد ذلك أن الكتاب المقدس يشير إليه باعتباره ملك الصيديين ، بينما أشار إلى لحيروم الأول على أنه ملك صور فقط .

وتشير إحدى الأساطير إلى أن صور كان لها الفضل في تأسيس قرطاجة ، فهي تروى أن ابنة مثن هي التي أسست قرطاجة بمعاونة أنصارها الصوريين مسن كافة المطبات .

(١) د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ١٢٠ ، ١٢٩ ، ١٣٦ .

(٢) د. أبو المحاسن صنفور : المرجع السابق ، ص ٣٦ .

(٣) د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ١٦٨ .

ودفعت صور الجزية لأشور في عهد ملكها لحيرام الثاني^(١) الذى يظهر اسمه فى نص فينيقى عثر عليه فى قبرص يشير فيه صاحبه إلى أنه تابع للملك احيرام ملك الصيديين ، ومعنى ذلك أن صور حكمت المنطقة المجاورة لها . وتلى احيرام الثانى ميتينا الذى دفع الجزية هو الآخر لملك آشور .

وكان الملك لولى يحمل لقب ' ملك صور وصيدا ' . وتعرف أن الذى قاد المقاومة ضد الإسكندر هو ملكها عز - ملك .^(٢)

كانت صيدا ذات أهمية خاصة بين المدن الفينيقية فالكتاب المقدس يشير إلى أهل صيدا للتمبير عن الفينيقيين وعن ملوكها . وتعرف أن مؤسس الأسرة الحاكمة فيها كان يدعى اشمونازار الأول الذى لا تعرف عنه شيئا يذكر وظف ولده تابهيت^(٣) . ثم جاء من بعد هذا الأخير اشمونازار الثانى الذى ترك نقوشا تبين أنه بنى معابد للمعبودات وأنه زاد من مساحة حدود صيدا فى عهد الفرس .^(٤)

ومن ملوك هذه الأسرة ثلاثة كل منهم يدعى بوداشتارت وفى نقش لأحدهم يذكر أنه حفيد اشمونازار وأن ولى عهده ياتون - ملك . ويدل طرلار للنقوش التى على توليبت هؤلاء الملوك على أنهم عاشوا فى القرن الخامس قبل الميلاد وفى عهد اسرحون (٦٨١ ق. م) . وتحالف عبد ملكوتى خليفة ايتوبيل الثانى ملك صور وصيدا مع الملك كيليكا ضد الملك الاشورى الذى استطاع أن يدمر صيدا وأن يسوى مبانيها بالأرض فى سنة ٦٧٧ ق. م .^(٥) وعثر فى نقوش رأس الشمر على ذكر لاسم ملك صيدا كرت وتذكر للتوراة أسماء أخرى مثل زبلون وأدوم .^(٦)

(١) د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ١٨٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٩٩ .

(٣) كان هناك أكثر من ملك تسموا باسم ' تابهيت ' ، راجع : د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ٢٠٤ .

(٤) د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ٢٠٤ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٢٠٤ .

(٦) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٤٠ - ٤١ ، ٥٠ .

وحينما لحظ اليونان قبرص سنة ٣٩٢ ق. م . وهاجم المدن الفينيقية خضعت لهم صور ومدن فينيقيا أخرى ، ثم أصبح عبد عشتارت الثاني ملكا لصيدا سنة ٣٦٢ ق. م . وظل على علاقات ودية معهم حتى أطلق عليه لقب محب اليونانيين .

ومن ملوك صيدا أيضا تتيص الذي حكم عام ٣٤٦ ق. م . وقضى عليه الملك الفارسي ارتكسر كسيس الثالث بسبب قيامه بثورة . وثم تولى الحكم في صيدا والى فارس ولكن ما لبث أن وصل الإسكندر فخضع له هذا الوالى خضوعا تاما .

ومن ملوك بيبيلوس (جبيل) (التى كانت من أقدم المدن) والذي كان معاصرا لامنمحات الثالث فى مصر ، ابشم وابى ، الذى كان يلقب بلقب أمير بيبيلوس ونقش اسمه بالخط الهيروجليفى على سلاحه وحلى قلانده . وربعدى حاكم جبيل الذى كتب رسالة إلى الملك المصرى أملتعب الرابع يستجد فيها ضد هجمات عبد شورتا حاكم أمورو الذى تعاون مع الحيثيين ضد النفوذ المصرى فى سوريا وأخذ بهاجم مدن الساحل الفينيقى . وتعرف أيضا أسماء ثلاثة ملوك لتن ويونثان^(١) وذكر بعمل الذى جاء ذكره فى قصة ون أمون الذى أرسله ملك مصر من أجل شراء أخشاب الأرز اللازمة لقرمهم القارب المقدس لأمون^(٢) .

وفى نقش عثر عليه القرنسى دينان فى قلعة جبيل القديمة إشارة إلى بناء سور أقامه شفاط - بعل بن ايلى - بعل بن يهى - ملك من ملوك جبيل^(٣) .

ومن ملوك أرواد نعرف الملك " عبد ليتى " و " يكن لو " وكنا معاصرين لفترة الغزو الآشورى لمدن فينيقيا^(٤) .

(١) د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ١١٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٩٠ .

(٣) د. أبو المحسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٣٢ ، ٣٤ .

(٤) د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ١١٩ .

وكانت السيادة تنتقل من مدينتى صور وصيدا ، وقد حمل أغلب ملوك صور لقب ملوك صيدا ومن المرجح أن صيدا ظلت تحتفظ بزعامة الجزء الجنوبي من فينيقيا حتى الألف الأولى قبل الميلاد . أما بيبلوس فلم تكن لها هذه الشهرة ولم تلعب دورا كبيرا فى سياسة فينيقيا وربما رجع ذلك لتبعيتها النفوذ المصرى أحيانا أما مدينة أوجاريت فلم نعد نسمع عنها أى شئ يذكر .

المحطات والمخيمات والمراكز والممن التجارية التي أسسها الفينيقيون فى الخارج :

كانت خطة الفينيقين فى المجالين التجارى والصناعى على استغلال موارد بلادهم الطبيعية واستخدام الخامات فى الصناعات المطبقة ذات القيمة التجارية وتسخير هذه المواد والخامات فى خدمة هذين المجالين فى الداخل والخارج . واهتموا بإعداد الموانئ الطبيعية البحرية وبناء أسطول تجارى ضخم وإعداد البحارة ذوى الكفاءة العالية . فلم يكن الفينيقيون ملاحين يجوبون البحر على غير هدى وإنما كانوا يسلكن طرقا بحرية معينة ومدروسة طبقا لمهارة بحارتهم وقبطانهم .^(١) فعندما طلب

(١) يصف مترابون الصيدلويين بأنهم :

" فلاسفة فى علمى الفلك والحساب " ويضيف إلى ذلك قوله : " بأن المدن الفينيقية فى عصره كانت تعد أعظم موطن للمعرفة " ومن أولئك الذين اشتهروا فى حقل العلم فى النصف الأول من القرن الثانى الميلادى مارينوس الصورى مؤسس الجغرافية الرياضية التى كانت يعتمد عليها العالم القديم ، والذى سبق بطليموس الجغرافى الشهير بزمان قصير . وقد كان بطليموس فى مؤلفاته يشير إليه ويقول أنه كان يعتمد على مارينوس الصورى مصدرا لمعلوماته . وقد رسم مارينوس خرائط ذات فائدة عظيمة ، ذلك بأنه وضع خطوطا للعرض وخطوطا للطول لكل موقع جغرافى وقضى بذلك على التخصيم الذى كان يلجأ المصنفون إليه عند تعيينهم المواقع الجغرافية ، راجع : د. فيليب حتى : تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية ، ص ٢٤٧ - ٢٤٨ .

سليمان إلى صديقه الملك احيرام ملك صور أن يبحث إليه ببخارة فينيقيين لمساعدته في بناء أسطوله البحري طلب منه أن يرسل إليه " بالنواقي العارفين بالبحر " (١) مما يدل خبرتهم وكفائتهم . كما يرجع الفضل إلى البحارة الفينيقيين في اكتشافهم لنجمة القطب الشمالي التي أسموها الإعريق بأسمائهم " فوينيكي " فهم للذين أدركوا أهميتها في تحديد الجهات الأصلية بواسطة هذه النجمة وبواسطة نجوم أخرى استطاعوا أن يحددوا الطرق البحرية والممالك التي يجب عليهم أن يسلكوها بمراكبهم . وبذلك كانوا أول من أتقن فن الملاحة ليلا والسير حسب النجوم . (٢) ونجد أنهم اهتموا أيضا بالتجارة البرية وتأمين طرقها .

وعندما انطلقوا في مجال التجارة الخارجية اتبعوا أيضا خطة مدروسة فعملوا على إنشاء الموانئ البحرية الاصطناعية والمحطات البحرية فسي الشواطئ المطلة على البحار . وصلوا أيضا على إنشاء مراكز تجارية ومدن جديدة أصبحت عواصم لها شأنها في مجال التجارة في البلدان الغنية بمواردها الطبيعية والاقتصادية ، للاستفادة من هذه الموارد في إقامة صناعات يقومون هم باستغلالها وتصديرها واحتكار تجارتها مما يساعدهم على الرخاء الاقتصادي . وعملوا كذلك على فتح أسواق جديدة في مختلف البلاد المطلة على البحر المتوسط يبيعون فيها بضائعهم وبضائع جيرانهم وبضائع بلاد بعيدة عنهم . وكان من ضمن سياستهم كذلك توثيق العلاقات التجارية مع بلدان بعيدة عنهم والدخول في منافسة تجارية حرة . لهذا ما نزلوا في مكان ما عملوا على الحصول على حق الاتجار والتبادل التجاري . وكان هؤلاء التجار كلما اتسعت نطاق أسواقهم التجارية ازدادت موارد الإنتاج عندهم حتى أصبحوا على مر الأيلام حلقة وصل بين الشرق والغرب ينقلون إلى الغرب

(١) د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ١٣٦ .

(٢) د. فيليب حتى : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ص ١٠٥ ؛ د. عبد الحميد

زايد : الشرق الخالد ، ص ٣٢٩ .

منتجات الشرق ويرجعون إلى الشرق محملين ببعض منتجات الغرب .

وبمرور الوقت أيضا أصبحت بعض مراكزهم التجارية الجديدة أو منـهم الجديدة التي أنشأوها بمثابة مراكز ثقافية تنقل إليها مظاهر الحضارة الفينيقية وبعض مظاهر حضارة الشرق الأدنى القديم . وعندما كانوا يحلون بمكان ما ، كانوا يبعثون النشاط والرواج الاقتصادي فيه^(١) وكانت جماعة التجار الفينيقيين من أهل صور يأتون إلى هذه الأماكن ويستقرون فيها ، وجماعة تلو الأخرى حتى تشكل مع الأيام جالية كبيرة . وكان الفينيقيون ، ألى توجهوا ، ينون وينشئون ، وبصفتهم جالية غير عدوانية ، فأنهم لم يثروا الشك في نفوس الشعوب التي كانوا يتسربون إليها كتجار . ولم تكن تربط هؤلاء التجار الفينيقيين عقيدة ميثاسية واحدة أو عقيدة دينية واحدة بل كانت تجمعهم صفة واحدة وهى حب التجارة ، وقد ساعدهم ذلك كثيرا فى تكييف حياتهم فى أية بيئة اجتماعية جديدة . فلم يكونوا مستعمرين بل أهل تجارة مسلمين .

كان الفينيقيون فى مجالى التجارة والصناعة وسطاء ، أى أنهم كانوا يقتسمون ويتعلمون ويتبنون ما حققه غيرهم . فيفضل مهارتهم وأساطيلهم كانوا يعنون بنقل البضائع والسلع للمقايضة فى بلدان حوض البحر المتوسط .

وكما أنهم كانوا وسطاء فى عالم التجارة والصناعة فإنهم كانوا أيضا وسطاء فى مجال الفكر والعلم والديانة والفن . فكانت مراكبهم وقوافلهم البرية التي كانت تنقل البضائع والسلع المختلفة كانت تنقل معها أيضا أمورا غير عادية ، أمورا غير ملموسة ، ولكنها كانت فى جوهرها أهم بكثير من البضائع المادية وتأثيرها أعمق من التأثير المادى للبضائع والسلع وكانت هامة لرقى الإنسان وتقدمه . وهذه الأمور غير المادية التي كان الفينيقيون ينقلونها أينما توجهوا سواء أكانت مظاهر حضارات الشرق القديم أو مظاهر حضارتهم ، فلم يقتصرروا على نشر الحضارة التي نشأت على الساحل الفينيقي جنوبيه وشماله بل أنهم جعلوا من البحر الأبيض المتوسط مركز إشعاع حضارى تتبع منه تيارات فكرية وثقافية من بلاد النهرين وبلاد الشام

(١) د. فيليب حتى : تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية ، ص ١٢٨ .

وجنوب الجزيرة العربية ومصر . وتعلم منهم الإغريق الكثير فى مجال التجارة والحضارة .^(١)

فكما كانت العلاقات بين فينيقيا ومصر تجارية وحضارية وتتميز بكثير من المودة والإخاء والتبادل من الطرفين ، كانت كذلك بين فينيقيا ومعظم بلدان الشرق القديم .

ولما تأثرت التجارة الفينيقية نتيجة للمنافسة اليونانية ، وفقدت المدن الفينيقية استقلالها السياسى نتيجة للغزو الآشورى ، أخذ أثر الحضارة الفينيقية بالتقلص فى حوض البحر المتوسط كافة . وبعد ذلك نجد أن التجارة البحرية الدولية التى كانت تلعب فينيقيا فيها الدور الرئيسى انتقلت إلى أيدي الإغريق وقرطاجة ، وانتقلت تجارتهم البرية كذلك إلى أيدي التجار الآراميين .^(٢)

ويرجع نزولهم فى جزر أواسط البحر المتوسط إلى منتصف القرن الحادى عشر قبل الميلاد ، إن لم تكن قبل ذلك . وبلغ هذا النشاط التأسيسى التجارى فى غربى البحر المتوسط ذروته كما يبدو بين منتصف القرنين العاشر والثامن قبل الميلاد .

وكانت مراكزهم التجارية تخرج من موانئ جبيل وصور وصيدا إلى الموانئ المصرية وسواحل شمال أفريقيا ، أو إلى قبرص ، ومن هناك كانت تتجه غرب مستمية بجبال طوروس إلى ليبيا وإلى جنوبى جزيرة رودس ومن ثم إلى جزيرة كريت وكورسيरा فصقلية . ومن صقلية كانوا يتقدمون أسفارهم مارين بجزيرة كوميرا (واسمها اليوم بنتلاريا وعرفها جغرافيو العرب بجزيرة قوصرة) إلى مراكزهم التجارية الجديدة التى أنشأوها فى شمال أفريقيا غربا فى محلازة الشاطئ إلى مركزهم ومنهم الجديدة أسبانيا . وإلى جانب هذا الطريق كان هناك طرق بحرية

(١) د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ١٤٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٨٢ .

أخرى من الجنوب إلى الشمال مباشرة .^(١)

وهكذا أنشأوا لهم طرقا بحرية تجارية عبر البحر المتوسط من شرقه إلى غربه وظلت هذه الطرق البحرية مدة طويلة ملكا لهم يحتكرون تجارتها لا ينافسهم فيها منازع . وإلى جانب موانئهم التي استخدموها على الساحل الفينيقي نجد أنهم استخدموا أيضا ميناء عزيون جابر التي سميت فيما بعد أيلات وهي أيلة الرومانية والمربية وموقعها على رأس خليج العقبة . كما كانت لهم محطات بحرية على الخليج العربي ، فقد كان هناك على شاطئ الخليج مدن أسماها هي أسماء مدنهم في صور وارواد في فينيقيا .^(٢)

وتعتبر صيدا (اسمها يدل على معنى الصيد) أقدم عهدا من جارتها صور وأما لها . وكان لصيدا ميناءان : داخلي وخارجي ، فهي تختلف من هذه الناحية عن صور (معنى اسمها صفر) وارواد^(٣) وقد وصف ميناء صيدا قديما وعرفنا من هذا الوصف أنه كان لهذا الميناء أرصفة وحواجز وأحواض لبناء السفن وإصلاحها .

وكان لصور أيضا ميناءان مستقنن الأول مدخله إلى الجهة الشمالية وكانوا يسمونه الميناء الصيداوي ، ومدخل ثاني في الجهة الجنوبية ، وكان يعرف بالميناء المصري . وكان يوجد بجبل حوض لبناء المراكب وذلك لقربها من موارد خشب الأرز . ومن موانئهم هذه انطلقوا لكي يؤمّسوا المراكز والمدن والمحطات التجارية في قبرص وجزر اليونان وإيطاليا وفي شبه جزيرة أيبيرية (إسبانيا والبرتغال) وجزر البحر المتوسط وشمال أفريقيا ومنطقة الخليج العربي . ونجد أنهم بدأوا بقبرص نظرا لقربها من الوطن الأم . وكانت أكبر المراكز التجارية فيها هي مدينة كيثيوم .^(٤)

(١) د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ١١٦ - ١١٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٣٦ - ١٣٧ .

(٣) عن دور صيدا وصور ، راجع : د. فيليب حتى : تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية ، ص ١١٧ - ١٢١ ، ١٣٢ .

(٤) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٥٧ - ٦١ .

وفي بلاد وجزر اليونان تمل أسماء المدن والقرى فيها على مدى اتساع التجارة الفينيقية في تلك المناطق . فيقال إن اسم مدينة كورنثوس يقترن باسم المعبود الفينيقي ملقارت . ومن أثر الفينيقيين في بلاد الإغريق أسطورة قديموس (أى الشرقى) القادم من صور والذي يعزى إليه فضل إدخال حروف الهجاء الفينيقية إلى بلاد الإغريق وبناء مدينة طيبة التي كانت قلعتها العالية المحصنة تعرف باسم " قديميا " .

وكذلك تذكر لنا الأسطورة أنه كان في تراقية (الجزء الشمالي من الإغريق) مناجم للذهب . وقد جاهد عمال المناجم الفينيقيون في هذه المنطقة بحثاً عن الذهب في القرن السابع ق. م . وتذكر الأسطورة أيضاً أن مقاطعة البيرية أي البلاد المعروفة الآن بألبانيا ، إنما سميت باسم ابن قديموس الصوري : البريوس . وتذكر الأسطورة كذلك أن قديموس قد جاء إلى بلاد الإغريق ليفتش عن أخت له خطفها معبود إغريقي وكانت تسمى " عربا " وهذا الاسم عربا يعنى " الغرب " ومن هذا الاسم جاء اسم القارة بأجمعها أوربا بمعنى الغرب أيضاً . وهكذا نجد أن الإغريق يرفعون كثيراً من حوادث تاريخهم الأسطوري إلى الفينيقيين . وكذلك هناك جاليات فينيقية كثيرة استقرت في بلاد اليونان لاسيما في ميناء بيرية حيث كان لهم معابد ومقابر . فقد عثر في أثينا على نقوش كتبت على مقابر فينيقية ^(١) . ومن جملة الجزر التي وقعت ضمن دائرة النفوذ الفينيقي جزيرتا سلموس وكريت فقد كان لهما مركز مرموق عند للتجار الفينيقيين وكانت لهما مكانة بارزة في مجال التبادل التجاري .

وفي إيطاليا كانت لهم مراكز في صقلية وبالرمو وكورمسيكا وسردينيا . وكانت صقلية تحت محطة هامة لهم خصوصاً حينما كانوا يذهبون إلى مضيق جبل طارق (أعمدة هرقليس) فكلوا يحطون رحلهم في مدينة باتنورموس (بالرمو

(١) د. فيليب حتى : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ص ١١١ - ١١٣ ؛ المؤلف نفسه : تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية ، ص ١٤٤ ، ١٨٩ .

الحالية) ويقال أن مدينة بالرمو شيدت على موقع فينيقي قديم ^(١).

أما في شبه جزيرة ليبرية (اسبانيا والبرتغال) فقد أسس الفينيقيون فيها مدينة قانس في حوالي ١١١٠ ق.م . أو ١٠٠٠ ق.م . وتعتبر من أقدم المراكز التجارية في هذه البلاد . وقد اشتق اسم قانس من كلمة فينيقية معناها " المدينة ذات الجدران أو المدينة المسورة " . وقد أدى تأسيس قانس وراء أعمدة هرقليس (وهما الرأسان للصغريان عند مضيق جبل طارق) إلى دخول الفينيقيين إلى المحيط الأطلنطي . ويرى البعض أنهم وصلوا إلى كورنوال في إنجلترا فسي بحثهم عن القصدير أو جزر القصدير . وكان التجار الفينيقيون يبادلون القصدير والرصاص بالخزف والملح والأواني النحاسية . وكان الفينيقيون وحدهم يقومون بهذه التجارة من قانس ويخبرون معرفة الطريق عن الناس ويذكر سترابون بأن السفن الرومانية تعقبت مرة سفينة فينيقية لكي تكتشف هي أيضا طرق تلك الأسواق . ولكن قائد السفينة الفينيقي كلف بسفينته عددا على اليابسة وقبض من دولته ثمن للشحنة التي فدها . ومدينة قانس كانت أيضا معروفة بإنتاج الملح .

وأسس الفينيقيون مراكز ومدن أخرى في اسبانيا في منطقة ترشيش (الأندلس) وخاصة في المنطقة بين قرطاجة (على اسم المدينة الأم في شمال أفريقيا) وقانس . واسم ترشيش هو اسم فينيقي بمعنى " المنجم أو مكان الصهر " . وكان هناك أيضا مدينة ملقة أو ملغا ومعناها " معمل أو مكان للعمل " وقد يبدو أنها سميت بذلك لأنها كانت مكانا لتعليق الأسماك وحفظه لأن سترابون يذكر لنا أن مكان تعليق وتجفيف الأسماك كان يوجد في هذه المدينة ، وربما استقر الفينيقيون في قرطبة . وأقدم حملة فيها كانت تحمل حروفا فينيقية استبدلت فيما بعد باليونانية . وربما كان اسم برشونة الواقعة إلى الشمال مشتق من برقلونا أي من الكلمة الفينيقية براق وتعني برق .

(١) د. هليلب حتى : تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية ، ص ١٣٩ .

وفي جزر الباليار كان للفينيقيين نخلط ارتكاز تجارية ، ولكنهم لم يحتلوا البلاد أو يستولوا عليها وقد يكون اسم عاصمة الجزيرة ميونوركا وربما كان مشتقا من كلمة ماجو بمعنى " القريس " (١).

كما كتبت لهم مؤسسات تجارية أو دائرة نفوذ في جزر صغيرة بالبحر المتوسط مثل مالطة وجولوس . وكان تقعان على الطريق المؤدى من شرق البحر المتوسط إلى غربه . وقد ذكر ديودور الصقلي أن سكان جزيرة مالطة كانوا من الفينيقيين . واسم مالطة من ملط بمعنى هرب ، ولا عجب أن تسمى الجزيرة بالملجأ أو بمكان للهرب لأن في الجزيرة ميناء يعد من أفضل موانئ البحر المتوسط . كما احتفظت اللغة المالطية إلى يومنا هذا بكثير من المفردات الفينيقية التي طرأ عليها شيء من التغيير (٢) . وأسس الصوريون مراكز أخرى في جزيرة رودس وفي ايداليون .

واتجه الفينيقيون بعد ذلك إلى شمال أفريقيا . فوجد لهم نزلوا في مصر وأقاموا عند مصبي فرع رشيد وفرع دمياط لتقريبهما من شاطئ البحر المتوسط ، وأقاموا كذلك في بعض نواحي منف حيث كان يوجد هناك ميناء تجارى هام وكان معسكرهم في منف يحمل اسم " حى الصوريين " طبقا لما ذكره هيرودوت ، وحول معبد الكرنك من عهد الملك تحوتمس الثالث ، كان يوجد جالية سورية وتجار سوريون أو فينيقيون يعملون بالتجارة المحلية . وحول المعبد الجنائزى للملك أمنحتب الثالث في الهر الغربي في طيبة كان يوجد حى سوري يشرف عليه أحد الأمراء السوريين الذين أحضروا من سوريا (٣) . كما أنه كانت هناك جالية تجارية مصرية

(١) د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ١٤٢ - ١٤٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٤٣ .

(٣) د. رمضان عبده : حضارة مصر القديمة ، الجزء الأول ، ١٩٧٧ ، ص

تعيش في أوجاريت وجيل (١) وجاء فيما كتبه هيرودوت أيضا أنهم بنوا معبدا هناك للمعبودة عشتارت . ويفهم من هذا أن الفينيقيين أقدموا في مناطق الموانئ التجارية التي تحقق الكثير من أغراضهم وأهدافهم التي رسموها لأنفسهم من البداية .

ومن مصر انطلقوا إلى بقية شمال أفريقيا ، ويذكر أن ملك صور (صيدا) أيتو بعث أسس مدينة في ليبيا ولم يتمكن العلماء من تحديد موقعها . كما كان لهم وجود في الجزائر فقد عثر على لوحة مستطولة في قسطنطينية بالجزائر (هي الآن في متحف اللوفر بباريس) كانت مخصصة للمعبود تانيت ومكتوبة بالخط الفينيقي القرطاجي .

كما أقام الفينيقيون في تونس أكثر من مركز تجاري ، فأقاموا مركزا في مدينة أوتكا أو عوتقة (بمعنى القديمة أو العتيقة) تميزا لها عن قرطاجة (قرط حداثت) ، وذلك في حوالي عام ١١٠١ ق. م . وقام بذلك أهالي مدينة صور وكانت قريبة من مصب نهر مجردة ولكن هذه المدينة العتيقة خربت وهجرها أهلها وخطتها الرمال . وهناك أيضا مراكز أخرى في بنزرتة وسرته وغيرها (٢)

قرطاجة :

يعتبر تاريخ قرطاجة جزءا هاما من تاريخ الفينيقيين (البونيقيين) نظرا لما حققوه ونظرا للدور الذي أدوه في مواجهة قوة روما وما أنجزه عظماء رجالها وقوادها .

- (١) د. أحمد فخري : دراسات في تاريخ الشرق القديم ، ص ١١٤ ؛ د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ٨٧ ، ١٣٩ ، ١٦٠ ، ١٨٣ ، ١٨٦ - ١٨٧ .
- (٢) د. فيليب حتى : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ص ١٠٤ - ١١٦ ؛ المؤلف نفسه ، تاريخ لبنان منذ أقدم العصور لتاريخية ، ص ١٣٨ - ١٤٨ ؛ د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٢٤٧ - ٢٥٠ ، ٢٤٨ - ٢٧٩ ، ٣٣٢ - ٣٣٣ ؛ د. أبو المحسن عصفور : المدن الفينيقية ، ص ٦٧ - ٧٠ .

وتحكى الأساطير أن الفضل في تأسيس قرطاج يرجع إلى ابنة ملك صور فهي تروي أن متان حفيد ايتو - بعل أنجب ابنة تدعى اليسا وأبا يدعى بيجماليون . وأن اليسا اعتلت العرش فترة قصيرة ثم عزلت وأصبح أخوها بيجماليون ملكا على صور وقام بقتل زوجها فهربت إلى قبرص بعد أن تعرضت لبعض المتاعب ومن قبرص اتجهت إلى شمال أفريقيا ونزلت بالموقع الذي عرف فيما بعد باسم قرط حداثت وقد حرفه اليونان إلى " كارتاجا " والرومان إلى " كارتاجو " والعرب إلى قرطاج أو قرطاجة أي المدينة الجديدة .^(١) وهناك أمكنها أن تؤسس مركزا تجاريا ومدينة بمعاونة أنصارها الصوريين .^(٢) ولم يعثر حتى الآن في أطلال قرطاجة أو في مدينة صور على ما يؤيد هذه الأسطورة .

ويذكر د. الناصري أنها " أسست ما بين أعوام ٦٧٣ - ٦٦٣ ق. م . وليس كما كان يعتقد سابقا ما بين ٨٦٠ - ٨١٤ ق. م " .^(٣) اعتبرت نفسها جزءا من مدينة صور ، وكانت ترسل كل عام رسولا ليقوم بتقديم القرابين في صور في معبد " ملك - قارت " (ملقارت أي ملك القرية) . وكان المبعوث في بدء الأمر يحمل معه أيضا هدية أخرى وهو ما يمثل عشر دخل للمدينة الجديدة من التجارة .

(١) د. سيد الناصري : تاريخ للرومان من القرية إلى الإمبراطورية ، دار النهضة العربية ١٩٧٦ ، ص ١٣٣ حاشية (١) .

(٢) د. أحمد فخري : المرجع السابق ، ص ١٠٨ - ١٠٩ ؛ أبو المعالي عصفور : المرجع السابق ، ص ٤١ ، ٦٣ - ٦٦ . ويذكر د. عبد الحميد زايد : للشرق الخالد ، ص ٣٢٨ - ٣٢٩ ، أنه عثر في قرطاجة على بقايا مرسى حربي ومرسى داخلي آخر .

(٣) د. سيد الناصري : المرجع السابق ، ص ١٣٤ .

لعبت قرطاجة دورا هاما في تجارة البحر المتوسط ، وانتهالت عليها الثروة ، وينكر د. الناصري بهذا الصدد أنها " أصبحت من كبريات المراكز التجارية الفينيقية على ساحل البحر المتوسط ، بل أصبحت بدورها مؤسسة لعديد من المدن التجارية في جزيرة صقلية وفي أسبانيا وسردنيس . وكانت عبارة عن قلعة لها حصن طبيعي يحصى السفن من هياج البحر ويحتمى من خلفها التجار والزراع مما أعطاهما السيطرة على غرب البحر المتوسط ومن ثم استقرت لقب " ملكة البحار " . وكانت أغلبه جمهورية صغيرة تحكم بواسطة النبلاء والأشراف الذين حافظوا على نقاء دماغهم الفينيقية " . (١) " ولم يكن البحر هو مصدر الثراء الوحيد لهذه الجمهورية الصغيرة بل هومت على سهل غنى بالخيرات هو سهل " باجراداجي " وعلمت سكانه من البرير طريقة فلاحه الأرض وزراعتها . كما عمل بالزراعة الجنود المرتزقة الذين كانوا يكونون نواة جيشها وذلك بعد تسريحهم " . (٢) " وكان نظام الحكم لدى قرطاجة يقوم على أربعة مؤسسات هي : الشوفيتيم وهما القاضيان اللذان ينتخبان سنويا ، ثم مجلس الشيوخ الذي كان يتكون من ثلاثمائة عضو ، ومجلس العامة ثم المحكمة العليا وكان عدد أعضائها مائة عضو ، وبامتثناء مجلس العامة كان الأغنياء يسيطرون على أجهزة الحكم سواء كانوا تجارا أم إقطاعيين . وحتى قيادة الجيش القرطاجي كانوا عادة من الأثرياء " . (٣) وأخذت قرطاجة بدورها تؤسس لها مراكز جديدة ، مثل المدينة التجارية التي أسسوها في جزيرة " ليفوشا " بين سردنيس وأسبانيا في حوالي عام ٦٦٥ (٤) ق.م . كما أسسوا مركزا آخر على شواطئ مينوركا في جزر البليار وأصبحت مركبهم تسخر عباب البحر المتوسط فتربط بين مركز وآخر وبين المدن الناشئة وبين المدينة الأم صور . ولم تنض برهة من الزمن حتى أصبحت مراكزهم منتشرة في جميع البلدان المطلة على المتوسط .

(١) د. سيد الناصري : المرجع السابق ، ص ١٣٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٣٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٣٦ .

وفى الواقع أن الفينيقيين أنشأوا علاقات تجارية مع جميع المدن بالموانئ فى الغرب ولم يكتف الفينيقيون بهذا الخط البحرى الهام فى البحر المتوسط فوجد أنهم استخدموا ميناء أيلة لمراكبهم للقادمة من المحيط الهندى وجنوب الجزيرة العربية والتي كانت تنقل الأخشاب والنحاس لتعود بالذهب من بلاد أوغير (ربما عمان قديما أو ربما بلد آخر (؟)) وبالبخور والعطور والتوابل من جنوب الجزيرة العربية . وقد عثر على تمثال يشبه معبود صور ملقارت فى خرائب عمرت فى مارب عاصمة سبأ مما يدل على وجود الفينيقيين بالمنطقة .^(١)

ويذكر الجغرافى سترابون أسماء جزيرتين فى الخليج العربى اسم إهداهما صور والأخرى لرواد فهما هياكل تشبه الهيكل الفينيقية . ويضيف قائلا أن أهل هاتين الجزيرتين يعتبرون المدينتين الفينيقيتين المسميتين صور ولرواد مركلين من مراكز التجارة ، وهذا هو الأرجح .^(٢)

كانت التجارة الفينيقية فى معظمها بحرية ، وكانت السيادة البحرية من نصيب صيدا أولا ، مارست هذه الرئاسة على جنوب لبنان ، بما فى ذلك صور حتى عام ١١٧٠ ق.م . وما أن استهل القرن العاشر حتى أصبحت صور مدينة دولية قوية . غير أنهم إلى جانب اهتمامهم بالتجارة البحرية يمارسون التجارة البرية أيضا ، فكانت لهم تجارة برمانية . وقد أنشأوا لهم طرقا برية تربط بين موانئهم على البحر المتوسط وبين محطاتهم البحرية فى منطقة الخليج . ومن أهم قواعدهم البرية كانت مدينة الرها (ورها) واسمها الكلاسيكى اينسا ، وربما كانت مدينة نصيبين . كما اهتموا بطرق القوافل البرية التى تلتقى من جنوبى الجزيرة العربية والتى تمر بمحاذاة الشاطئ شمالا مارة فى صور وصيدا وجبيل ومدن ساحلية أخرى فكانت القوافل البرية تسلك طريقا عبر الجزيرة العربية فالصحراء السورية إلى أن تنتهى إلى

(١) د. فيليب حتى : تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية ، ص ١٣٦ - ١٣٧ ،

(٢) المرجع السابق ، ص ٨٣ - ١٣٧ .

المناطق الشرقية من شاطئ البحر المتوسط . وكانت لقوافل القامدة من مباد ومعين وقتهان وحضرموت وحمير تمر من الفلو متجهة إلى اليمامة والخليج وبلاد الرافدين وبلاد الشام فكانت لفلو مركزا تجليا واقتصاديا هاما في وسط الجزيرة العربية وتربط بين جنوبها وشمالها وشمالها الشرقي .^(١)

والقوافل التي كانت تنقل المدن الفينيقية كان باستطاعتها أن تسير شمالا في محاذاة الشاطئ إلى اللاذقية ، أو أن تنحرف شرقا شمالي طرابلس إلى حمص . أما إذا كانت وجهة القوافل جنوبا فإنها تنحرف شرقا إلى المدن الداخلية عند مشارف صبور .

أما الطرق التجارية البرية فكانت توجد في شمالي سوريا وكانت تتشعب إلى طريقين . الأول يسير باتجاه غربي إلى آسيا الصغرى والأخر شرقا مارا بشمال العراق القديم وإيران إلى الطريق الكبير المؤدى إلى مصادر الحرير إلى الهند والصين ، ثم إلى الشرق الأقصى .^(٢)

بالإضافة إلى الدور الذي قام به الفينيقيون في تنشيط تجارة المسالم القديم والمراكز والمدن التجارية التي أنشأوها ، نجد أنه كان لهم دور هام في نقل مختلف السلع والبضائع . وكان قوام التجارة البحرية بضائع أو مواد من نتاج أرضهم مثل الأخشاب والمنسوجات الصوفية والكتانية والحريرية الأصباغ الأرجوانية ولباغة الجلود والقرآن والزجاج والمصنوعات المعدنية وغيرها .

ولم يهتم الفينيقيون فقط بالمؤسسات التجارية في الخارج بل اهتموا أيضا برحلات الكشوف الجغرافية عن طريق البر والبحر .

- (١) د. رمضان عبده : تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته ، الجزء الثالث ، دار نهضة الشرق بحرم جامعة القاهرة ٢٠٠١ ، ص ١٢٢ - ١٢٣ حاشية .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٣٧ - ٢١٣ .

فقال هانون القرطاجي برحلة بحرية للكشف عن سواحل أفريقيا كما جاء ذلك في وصف بليني^(١) وكان معه ٦٠ سفينة و ٣٠ ألف رجل وتوجه إلى الشاطئ الغربي لأفريقيا ووصل حتى وسط خليج غانا ومرتفعات كمرون^(٢).

ولم تكن رحلة هانون هي رحلة الكشف الوحيدة ، فقد قام هيميلكو برحلة لبحر فيها إلى الشمال حول ليبيرية . وقد جاء وصف هذه الرحلة في كتاب جغرافي روماني من القرن الرابع الميلادي . وقد جاء وصف هذه الرحلة أيضا عند بليني وكان الغرض من رحلة هيميلكو بدون شك هو فتح طريق لتصدير فسي الغرب ، وغالبا جاء ذلك نتيجة لتفاد المناجم الأسبانية . وليس لدينا أدلة قاطعة عن تفاصيل رحلته وغالبا ما وصل إلى إنجلترا . أما الرحلة الثالثة فقد أمر بإرسالها الملك المصري نيكاو الثاني وكان ضمن بحارتها جماعة من الفينيقيين الذين أبحروا إلى البحر الأحمر للطواف حول سواحل أفريقيا . وقد قاموا بهذه الرحلة في ثلاث سنوات . وكانوا يتوقفون كل عام بين موسم البذر والحصاد للتزود بالمؤن قبل الاستمرار في رحلتهم .

كما ذكر ديودور الصقلي أن بعض سفن قرطاجة قد أبحرت إلى المحيط الأطلنطي^(٣) أما من ناحية الكشف البري الذي قام به الفينيقيون في الصحراء ، فقد ذكر كاتب يوناني من القرن الثاني الميلادي أن أحد القرطاجيين واسمه " ماجو " قد عبر الصحراء ثلاث مرات . وقد ذكر هيرودوت أن خمسة أشخاص ممن جماعة تسمى " ناسا مونر " قاموا برحلة عبر الصحراء الكبرى إلى مدينة يسكنها أقزام زنوج^(٤).

(١) د. أحمد فخري : دراسات في تاريخ الشرق القديم ، ص ١١٦ د. عبد الحميد

زايد : الشرق للخلد ، ص ٢٨٠ .

(٢) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٣٢٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٣٢ - ٣٣٣ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٣٣٣ .

العروب التي نشبت ضد المدن الفينيقية في الماغل ومراكزها التجارية في الخارج :

تعرض هدوء واستقرار المدن الفينيقية في الألف الأولى ق. م . للاضطرابات بسبب ظهور دولة آشور في الشرق كدولة قوية اجتاحت سوريا ولبنان وأخضعتهما لسيادتها . وعجل ذلك بزوال سيادة صور وعظمتها في القرن الثامن وأوائل السابع ق. م . وهي المدينة الرئيسية التي احتفظت بدور الريادة ، وظلت هكذا حتى قضى عليها نابوخذ نصر وانتقلت السيادة بعدها إلى صيدا . ومما ساهم في ضعف صور هو قيام المراكز اليونانية المنافسة لها . فانتقل مركز النقل إلى قرطاجة التي كان عليها الآن أن تحتفظ على المراكز التجارية الفينيقية وتحميها من الأعداء اليونان والرومان وذلك بفضل موقعها الجغرافي وقوة أسطولها البري .

حملات الآشوريين :

تهيأت الفرصة أكثر من مرة لملوك آشور ، للتدخل في شئون سوريا خلال الألف الأولى ق. م . وخاصة في شئون مملكة سامال (اليوم زنجرلى) إحدى المراكز الهامة إلى جانب قرقيش على نهر الفرات ، والتي كانت تدخل ضمن التحالفات الحثية .

حاول الآشوريون أن يجدوا منفذا لهم على البحر المتوسط فتقدموا بجيوشهم إلى الناحية الشمالية من فينيقيا واستطاعوا أن يخضعوا بعض المدن هناك (١).

فعندما اعتلى تيجلات بلاصر الأول عرش آشور (١١١٢ - ١٠٧٦ ق. م) قام بحملة أخضع فيها سوريا العليا لسلطانه وغرض الجزية على أرواد سنة ١١٠٠ ق. م . وببيلوس وصيدا . مع أنه من المرجح أنه لم يخض معركة فعلية ضد هذه المدن .

(١) د. فيليب حتى : تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية ، ص ١٧٣ - ١٨٣ .

ولما اعتلى آشور ناصر بال الثاني العرش في آشور (عام ٨٨٣ - ٨٥٩ ق.م) قام بالزحف على شمال سوريا فتدخل لبنان وسار بجيشه جنوبا بمحاذاة الشاطئ دون أن يلقى مقاومة تذكر . وقام بفرض الجزية على صور وصيدا وجبيل وارولا . وذكر في نقش له حفره على جدران معبد شيدده في عاصمته فيه الكثير من المبالغة ، ويقول فيه :

« لقد استوليت على معظم جبال لبنان وبلغت بحر أمورو ، البحر العظيم . وقد غسلت اللحاء عن أسلحتي في الغمر العظيم ، وقدمت ذبائح من الخنم لجميع المعبودات . وقد دفع الجزية أهل الساحل اللبناني : أهالي صور وصيدا وجبيل ومهلائكا (؟) وميزا (؟) وكيزا (؟) وأمورو وارواد (الجزيرة) دفعوا جزية ذهباً وفضة وقصديرا ونحاساً وأتية نحاس وثياباً كتانية مزرکشة زاهية الألوان وفروط كبيرة وصغيرة وأبنوس وخشب الصندل وعاجاً ولؤلؤاً بقر البحر وثقالبت منهم الجزية وارتموا على قدمي يعلونها » (١)

أما شالما نصر الثالث (٨٦٠ - ٨٢٥ ق.م) فقد حارب ملك ارواد لأنه خرج عن طاعته واضطرت ارواد إلى دفع الجزية ابتداء من حوالي سنة ٨٥٠ ق.م . وعثر في بلاوات بصور على ألواح من البرونز تشير إلى هذه المعارك وأغلب هذه الألواح محفوظة بالمتحف البريطاني بلندن . وهي تحدد المدن الفينيقية وقد جاء أهلها يحملون لملك آشور هداياهم . ففي سنة ٨٤٢ ق.م . استسلمت المدن الفينيقية للسيطرة الآشورية اسماً وهذا ما يقوله شالما نصر الثالث نفسه : « وقد تغلبت الجزية من أهالي صور وصيدا . وقد دفع الجزية ملك العبرانيين جيحو بن عمري » .

وبعد أن اعتلى اداد نيراري الثالث العرش في آشور قام بحملة على سوريا سنة ٨٠٥ ق.م . ، وهي الحملة الوحيدة التي قام بها هناك . ثم نعمت سوريا وفينيقيها

(١) د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ١٧٣ د. أبو المحاسن عصفور : المدن

الفينيقية ، ص ٢٨ - ٢٩ ، ٣٥ - ٣٦ .

بعد ذلك بهدوء تسمى .

وحارب تيجلات بلاصر الثالث (٧٤٥ - ٧٢٧ ق.م) في فينيقيا إلا أنه نرك بيلوس وارواد تتمتعان بنوع من الحكم الذاتي ، ولكنه فرض غرامة على جبيل وارواد وصور على إثر حملة قام بها سنة ٧٢٤ ق.م . في فينيقيا .

وقد دفعت صور الجزية في عهد ملكها احيرام الثاني الذي يظهر اسمه في نص فينيقي عثر عليه في قبرص . وتلى احيرام الثاني ملك يدعى ميتينا الذي دفع الجزية هو الآخر لملك آشور .

وهاجم شالما نصر الخامس (٧٢٦ - ٧٢٢ ق.م) ملك صور وصيدا المدعو ايلو - ايلي ، أما سبب غزو شالما نصر الخامس لصور فهو أن ملك صور استطاع أن يدمر أسطول الآشوريين ، وحاول شالما نصر محاصرة جزيرة صور ، إلا أنه توفي قبل أن يقضى عليها ، وكانت مياه الشرب المخزونة في أبار المدينة تكفي احتياجات السكان الضرورية مدة خمس سنوات ^(١) . وهذا ما ساعدها على الصمود أمام هذا الحصار . وعندما تولى سرجون الثاني عرش آشور ، قام بعدة حملات في سوريا وفي فلسطين فتجد أنه في عام ٧٢٢ ق.م. تقريبا ، قسام بتدمير مملكة السامرة لأن الفينيقيين كانوا يتعاونون معها عندما شعروا بقوة الآشوريين . وقام في عام ٧٢٠ ق.م . بحملة ضد تحالف سوري ضم هامسات وقضى على طوروس في عام ٧١٨ ق.م . وضم قرقيش في عام ٧١٧ ق.م . واتجه بعدها إلى اورارتو واستولى على عاصمتها . وعندما تمت له السيطرة على سوريا ، اتجه إلى بابل ^(٢) .

(١) د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ١٦٧ .

(٢) Contenau, les Civilisations du Proche- Orient, p 117. وأيضا :

د. أبو المحسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٨ ، ٤٢ - ٤٣ .

جاء بعد ذلك منحاريب (٧٠٤ - ٦٨١ ق. م) الذى استمطاع أن يهزم متف صور ايلو - ايلي عام ٧٠١ ق. م . وهرب الملك إلى قبرص حيث توفى هناك ونصب منحاريب لقب (ليتو بعل) الثانى بدلا منه الذى كان ملكا لصيدا أيضا . وولد منحاريب ذكرى انتصاره هذا بلقمة لوح إلى جانب لوح رمسيس الثانى على منحور نهر الكلب . ولما توفى اقبيل ، جاء من بعده عبد ، ملكوتى ملك صيدا الذى ثار على اسرحدون (٦٨٠ - ٦٦٩ ق. م) الذى تولى الحكم فى آشور بعد منحاريب . وجرى اسرحدون حملة على صور عام ٦٧٨ ق. م . قام اثنائها بتكمير صور بعد أن فرض حصار عليها وجاء فى حويلاته :

" أنا قاتح صيدا الواقعة على ساحل البحر ، ومخرب مبانيها ، أخذت حصنها وقذفت به إلى البحر ، وضربت مواضع مياهها ، وأمام جيوشى هرب ملكها (عبد ملكوتى) إلى وسط البحر كئنه سمكة فاصطدته وسط البحر وقطعت رأسه وشيدت مدينة أخرى وسميتها اسرحدون " . وجاء أن الملك أخذ غنائم كثيرة من صيدا منها الذهب والفضة والأحجار الثمينة . ولم يعثر علماء الآثار حتى أيامنا هذه على موقع مدينة اسرحدون هذه فى صور .^(١)

ولما تولى آشور باتييل العرش فى ٦٦٨ - ٦٣١ ق. م . قام بحصار صور عام ٦٦٨ ق. م . وكان من الصعب عليه الاستيلاء على المدينة لأنها كانت تقع على جزيرة ، وقد عقد صلحا وفرض عليها جزية وأخذ بنات الملك وبنات أخته كرهائن . ولكن آشور باتييل لم يفعل بصور ما فعله منحاريب بصيدا .

أما ارواد فقد جاء ملكها ولكن نو إلى ملك آشور حاملا إليه جزية من ذهباً وحريراً وسمكا وطيورا . ولما توفى هذا الملك ذهب أبناؤه العشرة إلى آشور يقدمون إلى ملكها فروض الولاء والطاعة .

(١) د. فلييب حتى : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ص ٢٣٩ - ٢٤٠ ، ٢٤٦ -

٢٥٤ ، ٢٠٨ د. عبد الحميد زويد : الشرق الخالد ، ص ٢٧٤ - ٢٧٧ .

أما عن نفوذ مصر السياسى فى هينيقا فنجد أنه أصبح ضعيفا فى الألف الأولى قبل الميلاد فقد أرسل المبعوث المصرى ون امون إلى بيلوس من قبل ملك مصر حريحور فى الأسرة الحادية والعشرين لكى يحضر أخشاب الأرز اللازمة لترميم القارب المقدس للمعبود امون ، ولكنه تعرض لعدة متاعب ومغامرات حتى وصل أخيرا إلى بينوس ، وتقدم بالتماسه إلى الملك زكر - بعل ، ونجده أنه تعوض لكثير من المصاعب حتى حصل على الأخشاب المطلوبة ^(١) وفى القرون التى تلت عثر فى بيلوس على تماثيل باسم الملكين ششنق الأول ، واوسركون الأول ، كانت مخصصة للمعبودة حامية المدينة .

وحاول الملك ملهرقا أن يتحالف مع ملك صور فى عام ٦٧٢ ق. م . ولكن اسرحدون استطاع أن يقضى على هذا التحالف . وقد كشف فى زنجلى التى تقع فى شمالي سوريا عن لوح صور عليه اسرحدون قابضا على جبل يجر به ملك مصر وصور من شفاهما . ولا يفهم من هذا النقش أن كلا الملكين قد وقعا فى الأسر ، ولكن المقصود منه هو تسجيل هزيمتهم فقط . وفى عصر الأميرة السادسة والعشرين عمل ملك مصر ابريس على استرداد هبة مصر وسلطانها فى فلسطين وسوريا ، وحمل كل من صور وصيدا عبء الدفاع عن أنفسهما ضد البابليين الذين احتلوا مكانة الآشوريين . ولكن ملك بابل الكلدانى نابوخذ نصر الثانى (٦٠٥ - ٥٦٢ ق. م) استطاع هزيمة صور وأقام عليها أحد أنصاره وهو بعل الثانى (٥٧٤ - ٥٦٤ ق. م) وظلت صور تقاوم نابوخذ نصر ثلاثة عشر عاما حتى ضعفت فى النهاية وخضعت كما خضعت صيدا وغيرها .

(١) د. أحمد فخري : دراسات فى تاريخ الشرق القديم ، ص ١١٤ - ١١٥ .

فينيقيا تحت الحكم الفارسي :

عندما قضى الفرس على مملكة بابل الكلدانية في عام ٥٣٨ ق. م . وصنبت الكارثة ببابل سنة ٥٣٩ ق. م . وبقيت القلعة والقصر الملكي يقاومان حتى آذار سنة ٥٣٨ ق. م . الهجوم الفارسي المضاعف ، واضطرت المناطق التي كانت خاضعة للإمبراطورية البابلية بما فيها سوريا وفلسطين أن تعترف بالحكم الفارسي الجديد . وأصبحت دويلات سوريا وفلسطين جزءا من إمبراطورية كبيرة تعتبر من أكبر الإمبراطوريات التي عرفها العالم القديم . وعادت المدن الفينيقية إلى الازدهار في ظل الحكم الفارسي . وقسم دارا الأول (٥٢١ - ٤٨٥ ق. م) مملكته الفارسية إلى عشرين ولاية كانت الولاية الخامسة تشمل فلسطين وسوريا وفينيقيا ^(١) . ولخسرت صيدا لتكون عاصمة هذه الولاية الخامسة وجعلها الفرس بقصر فخم ليكون مقرا لحاكم الولاية الفارسي وقصرا لإستضافة الملك الفارسي في حالة قيامه بزيارتها كما أعدوا فيها حديقة . وقسم الفرس فينيقيا إلى أربعة أقسام تابعة لخمس مدن شبه مستقلة صيدا وصور وبيبلوس وارواد وجبيل ^(٢) . وكان ملك صيدا عند زيارة الإمبراطورية الفارسي يحتل المركز الأول بين ملوك المدن الفينيقية كما تمتعت دمشق باستقلالها وكانت تعتبر المدينة الرئيسية في سوريا في العهد الفارسي . وكان حكام المدن الفينيقية المستقلة تحت رقابة مسئولين عسكريين من الفرس لكي يضمنوا ولاءها واستمرارها في دفع الجزية للفرس .

-
- (١) جاءت أسماء الولايات العشرين التي أخضعها الملك دارا في نقوش بيستون وبالنسبة للولاية الخامسة فقد ذكرت بعد مصر بالترتيب الذي ذكرناه ، راجع : د. رمضان عبده : تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته ، الجزء الأول ، مكتبة زهراء شرق ٢٠٠٠ ، ص ٩١ (٢) (٣) (٤) .
- (٢) د. فيليب حتى : تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية ، ص ١٨٥ - ١٩٠ ؛ د. أبو المحسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٤٦ .

وكان يطلق على الولاية الخامسة اسم مرزبانة " عبر نهر " وتدفع جزيرة مقدارها ٣٥٠ وزنة ، وهي جزيرة بسيطة نسبيا بالمقارنة بالجزيرة التي تدفعها الولايات الأخرى .

لقد أفاد الفرس من الفينيقيين وخبرتهم في الملاحة . كما استخدم الفرس الفينيقيين في حملاتهم . غير أنهم رفضوا أن يهاجموا قرطاجة وقد أرضاهم تمميز فلم يهاجم قرطاجة نظير قيامهم بتأدية ما عليهم من التزامات ووقوفهم معه .

وكان للفينيقيين أكثر من وقفة مع الفرس ، فقد حسموا نزاعا قام به يونانيو اسيا الصغرى في عام ٤٩٨ ق. م . وقضت الفرق الفينيقية الريبة على ثورة قامت في قبرص . وانهزم الأيونيون في معركة بحرية عام ٤٩٤ ق. م . كما اشترك الفينيقيون في حملة على بلاد اليونان عام ٤٩٠ ق. م . كما اشتركت قوات فينيقية في إعداد حملة قام بها ألكسركسيس . وقاموا بحفر قناة في برزخ بين جبل أتوس والقارة وأبدوا كرات فائقة في موقعة سلاميس عام ٤٨٠ ق. م . وأظهرت البحرية الفينيقية تفوقا كبيرا على اليونانيين حتى أجبروهم على الصلح المعروف باسم صلح الطالسيداس (١).

وأقام الحكام الفارسيون في مدينة صيدا كثيرا من القصور والمباني ، وقد عثر في أواخر القرن ثامن في قلب المدينة على أجزاء من أعمدة وتيجان أعمدة فارسية الطراز وتوجد الآن في متحف بيروت الوطني .

وفي عام ٣٤٦ ق. م . قام ملك صيدا ثيس بثورة ضد الوالى الفارسى فثارَت هذه الثورة غضب ارتاكسركسيس الثالث ، فسار على رأس جيشه وأحرق مدينة صيدا . وقد ذكرت المصادر القديمة أن أكثر من أربعين ألفا من سكانها قد ماتوا في هذا الهجوم . وكان السبب المباشر في هذه الكارثة ما قام به ملك صيدا من خيانة شعبه ومحاولة إرضائه لملك الفرس لينجو بحياته ، ولكنه لم ينسج في هذا

(١) د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ١٨٧ - ١٨٨ .

الهجوم ولقى نفس المصير .

وهكذا دمرت صيدا^(١) وهذه هي المرة الثانية التي تمحى فيها صيدا من الوجود وكانت المرة الأولى على يد اسرجون وفي عام ٦٧٨ ق. م . واستسلمت بقية المدن الفينيقية متعطلة بمصير صيدا المفجع . وهكذا أصبحت المدينة التي كانت فيما مضى سيدة البحر المتوسط رمادا وحرم العالم المتقف مما كان فيها من وثائق هامة .

وعندما وقع النزاع بين الإسكندر والفرس ، وانهزم دارا قودمان في معركة إسوس عام ٣٣٣ ق. م . لم يتابع الإسكندر عدون الهارب إلى الشرق بل اندفع الإسكندر باتجاه الجنوب ليؤمن سيطرته على البحر وعلى كل خطوط المواصلات ورائه . وكانت الأساطيل الفينيقية بعيدة عن صيدا ، وكانوا يحسون بانتهاء إمبراطورية الفرس ، فتمابق أهل المدن إلى التقرب للإسكندر فقابلته سكان ارواد وجبيل وصيدا ما عدا صور التي سبقت أن تحت ثالما نصر وسرجون الثاني ، وناوخذ نصر وبعد حصول دام سبعة أشهر من البحر والبر خضعت صور للإسكندر في عام ٣٣٢ ق. م . وكان أهل صور يعتقدون أن حصونهم مائعة وأنهم في مأمن لأن المدينة كانت تقع على جزيرة تحيط بها المياه . ولديهم أسطول قوى . ولكن الإسكندر القائد الممتاز قام بردم المجرى الملقى بين الجزيرة والساحل ووصل إلى منتصف المجرى ، ولكن حاول أهل صور إقامة العقبات أمامه ، ولم يثن ذلك الإسكندر على عزيمته ، وأجبر أساطيل صيدا وجبيل وارواد وقهرم على الانضمام إليه وعندما علم أهل صور أن الإسكندر نجح في الاستعانة بثمانين مركب حربية أدركوا أن النهاية قد قربت فجمعوا النساء والأولاد والمجزة الذين لا يقدر على المقاومة وأرسلوهم إلى قرطاجة . وظلت المدينة تمهد هجمات الغزاة طيلة مسبعة أشهر طوال وكان الإسكندر يقود معاركه الحصار بنفسه واقتصرت مقاومة أهل

(١) د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ١٩٠ ؛ د. أحمد فخري : المرجع

السابق، ص ١١٢ .

صور على استعمال القوس والقلاع . وأعدوا مواكب نار صغيرة محملة بالقار والكبريت ومواد أخرى شديدة الاشتعال لقتلها على العمال الذين كانوا يقومون بتردم المجري للمائي . وقاد المقاومة حامي المدينة ملكها عز - ملك . وأحيرا في منتصف شهر تموز عام ٣٣٢ ق.م . استسلمت وقد قتل من سكان صور نحو ثمانية آلاف رجل سقطوا في المعركة . وقام بصلب ألفي رجل على الشاطئ المقابل وباعوا في سوق النخاسة ٣٠ ألف نسمة كما تباع العبيد .^(١)

ولم تتلق صور من قرطاجة المعونة التي كانت قد وعدت بها ونجح الإسكندر في الاستيلاء عليها بعد مقاومة عنيفة ، وقد لجأ الملك والزعماء والمبعوثين القرطاجيين إلى معبد ملقارت للاحتباء به فعفا عنهم الإسكندر وأعيد بناء المدينة في هيئة قلعة مقدونية استعمرها المقدونيون ؛ ولم يكن الإسكندر على استعداد للتخلي عن صور نظرا لموقعها الاستراتيجي . ولم يرد الإسكندر مثيلا للمقاومة التي أبدتها أهل صور في أي مدينة أخرى في حروبه في آسيا .^(٢)

ولكن من الجوانب السلبية لحملة الإسكندر أنه ساهم في تدمير ثقافات شعوب الشرق القديم والقضاء على تراثها الأدبي المدون . فعلى سبيل المثال ، فبعد أن احتل مدينة صور البرية حاصر صور البحرية فقاومته وصمدت في وجه الحصار مدة تسعة أشهر . وأصدر أمرا بهدم مدينة صور البرية فأقام من أنقاضها جسرا برياً من البر إلى أسوار صور البحرية التي احتلتها قواته . وسوت مبانيها بأرضها وكان من بين المباني معابد المدينة ومكتباتها بحفوفاتها الهائلة الغنية بالمؤلفات والوثائق ، التي حوت خلاصة معارف شعوب الشرق القديم . وتعرضت قرطاجة للمصير نفسه على يد الرومان ، الذين اتفخوا مما فعله الإسكندر بمدينة صور فدوة لهم فحرقوا هم أيضا قرطاجة بمكتبات معابدها ومحفوظاتها ثم سبوا أرضها ، ومن الصعب على المؤرخ وعالم الآثار المعاصر تصور فداحة الخسارة

(١) د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ١٩٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٩٥ - ١٩٧ .

التي لحقت بالحضارة الإنشائية وتراثها بسبب ما فعله اليونان والرومان في صومر وقرطاجة (١).

وبعد وفاة الإسكندر عام ٣٢٣ ق.م . سقطت إمبراطوريته الشاسعة الأرجاء ، وظهرت أربع ممالك على رأس كل منها قائد من قواده الأربعة بطلميوس في مصر ، وسلوقس في بابل ، وتطيفونس في آسيا الصغرى ، وانطيوخس في مقدونيا (٢).

وفي عام ٣٢٠ انتقل حكم فينيقيا إلى بطلميوس الأول مؤسس حكم البطالمة في مصر وبعد خمس سنوات انتقلت فينيقيا من يد بطلميوس إلى يد التطيفونس حاكم اسيا الصغرى . وفي عام ٢٩٦ ق.م . تنقلت من يد التطيفونس إلى سلوقس الأول مؤسس المملكة السلوقية في سوريا وأصبحت إنطاكية عاصمة السلوقيين ومركز الحكم فيها . وبعد عشر سنوات انتقلت فينيقيا مرة أخرى من يد السلوقيين إلى البطالمة في مصر وظلت فينيقيا أحيانا بكاملها وأحيانا أخرى ببعض أقاليمها - خاضعة لمصر لمدة ثمانية وثمانين عاما (٢٨٦ - ١٩٨ ق.م) . وفي عهد البطالمة عادت صيدا مرة أخرى لتعذب الدور الرئيسي على مسرح الحياة السياسية وأخذت تصك نقودا باسمها وحكم فيها حكام من أسرها (٣).

عادت فينيقيا لأكثر من مائة عام للحكم السلوقي مرة أخرى من ١٩٨ إلى ٨٢ ق.م (٤) وأخذت صومر تقيم للمهرجانات والاحتفالات الموسمية على النمط الإغريقي وعندما أخذ نفوذ السلوقيين في الأول بدأت المدن الفينيقية التجارية تتأهب

(١) د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ١٩٧ - ٢٠٠ : د. توفيق سليمان : أسطورة النظرية السامية ، الجزء الأول (دلالتها وتطورها - حقيقتها في التوراة - أسباب وضعها) ، بيروت ، دار دمشق ، ١٩٨٢ ، ص ١٩ .

(٢) د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ٢٠٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٠٤ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٠٧ - ٢١١ .

نفيل استقلالها وتوكيد ذاتيتها . وكانت الخطوة الأولى نحو نيل الاستقلال الذاتى أن تحصل كل مدينة على اعتراف بحصانتها وحققها فى الشراء والبيع وصكت عملتها والحماية ضد غزو خارجى والإعفاء الكلى أو الجزئى من الضرائب التى كانت تفرضها السلطة ، وممارسة التحكيم القضائى واعتبار المدينة مأمنا للاجئين السياسيين الذين يأتون هذه المدن هربا من ظلم سياسى وقع عليهم . وأول مدينة نالت هذه الامتيازات ارواد ثم صور التى استقلت استقلالاً تاماً ، وأخذت بصكت سلسنة من قطع النقود مختلفة القيم بعضها من الذهب ثم تلتها فى نيل الاستقلال بقية المدن الفينيقية : طرابلس وجبيل وصيدا ومرثوس وبيروت . وصكت نقودا باسمها ونجد على وجهى قطعة النقود رموزا لأسطورتين إغريقية وفينيقية وصور ودوس منوك سوقيين .

وفى عام ٦٤ ق. م . دخلت فينيقيّا تحت الحكم الرومانى وأصبحت جزءا من الإمبراطورية الرومانية . وأدى ضعف صور ووقوعها تحت الاحتلال الأجنبى أكثر من مرة إلى ضعف مركزها التجارى فى الخارج . فضعفت قرطاجة وانفصلت عنها سياسيا عام ٥٢٠ ق. م . وكان على قرطاجة أن تصطدم بمنافسيها فى التجارة الخارجية : اليونان والرومان .

الصراع بين قرطاجة واليونان : (١)

ترجع أسباب هذا الصراع إلى توسع الفينيقيون فى تأسيس المراكز التجارية فى حوض البحر المتوسط ونشاطهم الدؤب فى مجال التجارة . وظهر هذا الصراع فى القرن السابع قبل الميلاد وأصبح اليونانيون يشكلون خطرا كبيرا على المراكز التجارية الفينيقية . وأخذ اليونانيون يبحثون لأنفسهم عن أماكن لسيطرتهم نفوذهم التجارى . فالتجّهُوا إلى الأماكن التى لم تكن بها مراكز تجارية فينيقية مثل بعض المناطق فى جنوب إيطاليا ومنطقة الغال (وهى تقابل فرنسا الحالية) . ولم يجروا

(١) عن تطور هذا الصراع ، راجع : د. أبو المحسن عصفور : المدن الفينيقية ،

على الذهاب إلى ساحل شمال أفريقيا فيما بين سبرتن وجبل طارق حيث كانت المراكز اللينيقية أكثر سيطرة وقوة . ولم يكن لليونان هم الخطر الوحيد الذى يهدد المراكز اللينيقية بل أنها كانت عرضة لهجمات السكان المحليين وخاصة فى أوقات الضعف السياسى .

ويذكر أحد الكتاب الكلاسيكيين " ثوكوديدس " أن القرطاجيين حاولوا عبثا الحيلولة دون ان يؤسس اليونان فى ايونيا مركزا لهم فى مرسيليا . فقد منيت قرطاجة بهزيمة منكرة ولكن لا نعرف مكان الموقعة التى نشبت بين الفريقين حوالى سنة ٦٠٠ ق. م . ولا شك فى أنها كانت ذات نتائج بعيدة المدى حيث أتاحت لليونانيين الفرصة فى أن يتحكموا فى مركز ملاحى هام فى البحر المتوسط ، وهو مرسيليا وهو فى الوقت نفسه المنفذ لودى نهر الرون .

وبعد هذا التاريخ فى حوالى سنة ٥٥٠ ق. م . نجح القائد القرطاجى ' مالخوس ' فى الاكتصار على اليونانيين فى صقلية . وأخضع جزءا من الجزيرة ، ويبدو أنه تدخل فيها لتدعيم وضع المراكز اللينيقية التى كانت فى طرفها الغربى ، ثم توجه بعد ذلك إلى سردينيا ولكنه منى بهزيمة ساحقة على أيدى السكان المحليين .

ويشير أحد المصادر الكلاسيكية إلى أن مالخوس وفلول جيشه قد أبعدوا عن قرطاجة بعد هزيمته الأولى فى سردينيا ، ففناه القرطاجيون من المدينة عظيماء له . ولكنه ثار وحاصر قرطاجة وتمكن من احتلالها إلا أنه ما لبث أن اتسهم فيما بعد بالاستبداد والاتجاه نحو الطفحان قتل .

وقد تبغى فى الحكم ماجون مؤسس الأسرة الماجونية التى حكمت قرطاجة لمدة ثلاثة أجيال وقامت بسلسلة من الأعمال العظيمة التى أدت إلى تطور قوة المدينة . وأهم أعضاء هذه الأسر هما ' هاميلكار ' بن ' ماجون ' و ' هامدروبال ' . وتحالف القرطاجيين والأترومكيين^(١) مما أدى إلى هزيمة الأيونيين الذين كانوا قد

(١) يذكر د. الناصرى ما يلى ' كان الأترومكيون يحتلون جزءا من إيطاليا قبل

مضى الرومان إليها . وكفوا يعتقدون أن أجدادهم عاشوا فى ليبيا

اتخذوا من الألبا في كورسيكا قاعدة لهم ومارسوا القرصنة حتى أضطروا بتجارة البحر المتوسط . فلم يجد القرطاجيون الأتروسكيون بدا من التصدى لهم وهزمهم في معركة الألبا البحرية سنة ٥٣٥ ق. م .

وكان هذا الحدث بالغ الأهمية لأنه أوقف التوسع اليوناني في كورسيكا وسردينيا وقد أبرمت معاهدات لاقتسام مناطق النفوذ بين الأتروسكيين والقرطاجيين أصبحت بمقتضاها إيطاليا ، من جبال الألب إلى كامبانيا من نصيب الأتروسكيين بينما أصبحت المنطقة الواسعة في الجنوب بما فيها المنطقة التي احتلها اليونان من نصيب القرطاجيين .

ولا شك في أن التحالف بين القرطاجيين والأتروسكيين قد زاد من روح العداء ضد اليونان . وقاد شقيق ملك أسبرطة * دوريجيوس حملة إلى أفريقيا ثم إلى صقلية . ففي نهاية القرن السادس ق. م . رما دوريجيوس في مكان يبعد ١٨ كم جنوب شرقي ليينيس وأخذ القرطاجيون في التصدى له يعاونهم : لأهالي لمدة ثلاثة أعوام إلى أن استطاعوا أن يطردوه ، فعاد إلى البلو بيبيز ولكنه سرعان ما عاد إلى صقلية حيث أسس بالقرب من جبل ايريكس مدينة سماها هراقليا وللمرة الثانية يتصدى له القرطاجيون وهزموه وقتلوه ونمروا هراقليا وقد علونهم في ذلك أهل اليمي (سكان منطقة صقلية) . وفي عام ٥٠٥ ق. م . ظهرت روما كجمهورية مستقلة وأبرمت مع قرطاجة معاهدة حددت فيها مناطق النفوذ لكل منهما . ويتبين من

=- غرب آسيا الصغرى وأنهم هاجروا إلى إيطاليا تحت وطأة مجاعة اجتاحت وطنهم الأصلي . وعلى أي حال استوطن الأتروسكيون السهل الواقع شمال سهل لاتيوم وأقاموا فيه حضارة من أبرز حضارات العصور القديمة إذ بنوا المدن وعصروها وبلغ عدد مدنتهم اثنتى عشرة مدينة أقامت فيما بينها اتحادا له مجلس شعبي كبير يعقد مرة كل عام في إحدى الأمكن المقدسة * ، راجع : د. سيد الناصري : تاريخ الرومان من القرية إلى الإمبراطورية ، دار النهضة العربية ١٩٧٦ ، ص ٥٦ - ٥٧ .

نصوص هذه المعاهدة أن قرطاجة كانت تمثل قوة لها مكافتها فسى غربى البحر المتوسط .

كان تيريللوس حاكم هيميرا فى صقلية حليفنا لقرطاجة وتعرض حكم تيريللوس للهزيمة بسبب هجوم ثيرون عليه وعلى ذلك أرسلت حملة إلى هيميرا لنجدته ورأس هاميلكار بن ماجون الصلة مبحرا فى قرطاجة على رأس أسطول كبير ورغم هبوب عاصفة شديدة حطمت السفن التى تحمل الخيول والعربات استطاع أن يرسو فى بالرمو ومنها اتجه إلى هيميرا وفى المعركة انتصر ثيرون وتوفى هاميلكار فى المعركة وقتل جنوده أو استبعدوا وحرق أسطوله فى عام ٤٨٠ ق. م .

وعقب هذه الهزيمة نفى القرطاجيون أهم أعضاء أسرة ماجون : هانو وجيسكو ، وغيروا السلطة الحاكمة التى استمرت ثلاثة أجيال وقادتهم إلى حروب متواصلة حيث شكلوا سلطة حاكمة من مائة شخص وفى الوقت نفسه تغير لقب ووظيفة الملك إلى لقب قاضى . وفى خلال هذه الفترة أخذ القرطاجيون فى التوسع داخل أفريقيا والنهوض بالزراعة خلال القرن الخامس قبل الميلاد . كما أنهم عملوا على تقوية اتصالاتهم ومدها إلى خارج دولتهم . فى القرن الخامس ق. م . قاموا برحلات طويلة فيما وراء أصدة هرقليس وجبل طارق ، بقلانو القلاد هيميلكو الذى أبحر بجوار سواحل أسبانيا وفرنسا إلى كورنوال رغبة على ما يبدو فى الحصول على موارد لم يمكن الحصول عليها من أوروبا بطريق البحر مثل القصدير إذ أن الليونانيين قد قطعوا عليه كل الاتصالات البرية باحتلالهم مارسيليا .

وحدث أن استجندت مدينة سيجيمنة بقرطاجة عندما تعرضت لتهديد مدينة سيلينونته ، فأرسلت قرطاجة جيشا إلى صقلية بقيادة هانيبال وهو أحد خلفاء هاميلكار . ودمر هانيبال مدينة سيلينونته وهيميرا وقتل آلاف من الأسرى فى المكان الذى سبق أن هزم فيه هاميلكار . وبعد وقت قصير أرسلت حملة قرطاجية جديدة فى عام ٤٠٦ ق. م . بقيادة هانيبال أيضا وهيميلكو وهاجمت إجريجتوم وهزمتها ودمرتها بعد حصار طويل وقد توفى توفى هانيبال بالطاعون ولكن هيميلكو استمر

فى المغامرة ودمر بعد ذلك مباشرة مدينة جيلا ، وهكذا أصبحت صقلية اليونانية مهددة بأكملها .

وكان رد فعل اليونان سريعاً بزعماء ديونيزيوس حاكم سيراكيوزة الذى أنهى حالة السلم مع قرطاجة سنة ٤٠٥ ق.م . ولكى يتولى من مركزه تحرك للهجوم فأحرز عدة انتصارات وأخضع مونييا وخربها سنة ٣٩٨ ق.م . وظلت الحرب غير متكافئة فتدخل الأسطول اليونانى بقيادة هيميلكو وهزم ديونيزيوس فى معركة بحرية بالقرب من كاتانيا ثم حاصره فى سيراكيوزة ولكن ديونيزيوس استطاع أن ينجو نظراً لانتشار وباء أو عدوى فى الجيش القرطاجى سنة ٣٩٦ ق.م . ثم حدثت بعد ذلك معارك بينهما فى سنة ٣٩٣ ق.م . وفى سنة ٣٩٢ ق.م . انتهت بعقد معاهدة ، وتلت ذلك معارك أخرى فيما بين سنة ٣٨٢ و ٣٦٧ ق.م . وبوفاة ديونيزيوس كان سلطان قرطاجة قد امتد إلى نحو ثلث صقلية .

واستؤنفت المعارك بين القرطاجيين واليونان فى عهد تيموليون الكورنثى الذى أحرز نصراً كبيراً على نهر كريسيسوس سنة ٣٤٠ ق.م . وأبرم فى السنة التالية ٣٣٩ ق.م . معاهدة بمقتضاها أصبحت الحدود عند نهر هيميرا وهاليكوس . وفى سنة ٣٣٢ ق.م . سدّد الإسكندر الأكبر ضربة قوية للفينيقيين فى سوريا حيث احتل صور بعد حصار طويل . ولابد أن القرطاجيين خافوا على مستقبلهم ولكن من المؤكد أن وفاة الإسكندر فجأة وضعت نهاية لمشروعاته وبددت مخاوفهم .

كان على قرطاجة أن تواجه خطراً آخر لم يكن متوقفاً ، حيث أن اجاثو كليس حاكم سيراكيوزة الذى بدأ حكمه تحت سيادة القرطاجيين سرعان ما انقلب عليهم ولكنهم هزموه وحاصروه فى مدينته سنة ٣٣٠ ق.م . وحينئذ قام بتنفيذ خطة غاية فى الجرأة حيث هاجم أفريقيا بقوة مؤلفة من ١٤ ألف رجل تحملها ٦٠ سفينة حربية أبحر بها سرا ليقادى الأسطول اليونانى وربما قرب رأس يسون ثم أشعل النيران فى سفنه واتجه بعزم نحو قرطاجة ولم يلق رجاله أنقضى مقاومة وعسكر بالقرب من قرطاجة التى أرسلت جيشاً لمقابلته ولكنه أوقع بهذا الجيش هزيمة ساحقة . وعندما رأى اجاثو كليس أن بطلميوس الأول عين لوقيلاس (وكان من

الحرس الخاص بالإسكندر) محافظا على المدن اليونانية قسرى سيرينايكا (برقة) عرض عليه أن يتحالف معه ضد القرطاجيين على أن يحكم لوفيلاس شمال أفريقيا بينما يحكم اجاثو كليس صقلية . وعندئذ تقدم لوفيلاس على رأس ١٠ آلاف رجل إلى معسكر اجاثو كليس . ولكن سرعان ما دب الخلاف بين الحلفين فدير اجاثو كليس مكيدة لوفيلاس وقتله وتملكه جيشه .

وفي الوقت نفسه تعرضت قرطاجة لأزمة داخلية حيث كان بوميلكار يناضل من أجل الحصول على سلطة مطلقة ولكنه قتل ، وقد انتهز اجاثو كليس هذه الفرصة واستولى على لوتيكيا وهيوكراتى التى عرفت فيما بعد باسم بيزرتا . وحينئذ بدأ قسرى بناء أسطول وأبحر فى الوقت إلى صقلية بجيش صغير ليحرر سيراكوزة ولكن تنفيذه أدى إلى كارثة فقد هاجم القرطاجيون قواته التى تركها بأفريقيا وهزموها وتمكنوا من إعادة حلفائهم السابقين إلى جانبهم ، وعاد اجاثو كليس مسرعا إلى أفريقيا وحاول عبثا أن ينقذ الموقف ولكنه فشل ففر إلى صقلية بينما توصلت قواته إلى الاتفاق مع القرطاجيين وسرعان ما أبرمت قرطاجة معاهدة مع اجاثو كليس سنة ٣٠٥ ق.م. أدت إلى نهاية الحرب بينهما وبمقتضاها احتفظت قرطاجة بكل ممتلكاتها فى أفريقيا وفى صقلية إلى نهر هاليكوس . بينما حصل اجاثو كليس على كمية من المال كتعويض رمزى على مناطقه التى تركها .

وهكذا كانت قرطاجة أول دولة دفمت بأفريقيا إلى لعب دور قسرى تاريخ البحر المتوسط القديم وأصبحت رمز المقاومة ضد اليونان ثم الرومان من بعدهم فى عالم الغرب .

الصراع بين قرطاجة والرومان : (١)

بدأت روما تظهر كقوة ذات شأن فى بداية القرن السادس ق.م. وفى عام ٥٠٦ ق.م. أبرمت روما مع قرطاجة أول معاهدة حددت مناطق النفوذ لكل منهما .

(١) عن طبيعة هذا الصراع ، راجع : المرجع السابق ، ص ٨٣ - ٩٧ .

وذلك لأن أيدت اهتمامها بوسط إيطاليا ولذا أبرمت روما المعاهدة معها ، وبمقتضاها وافقت قرطاجة على عدم التعرض لمدن لاتينية معينة سواء كانت خاضعة لروما أو لم تكن وأن لا تبني حصنا في لاتيوم شمال روما .

والمعاهدة الثانية التي أبرمتها قرطاجة مع روما سنة ٣٤٨ ق. م. ذات أهمية خاصة لأنه يتبين من نصوصها التي أوردها بوليبيوس أن نفوذ قرطاجة امتد إلى شمال أفريقيا وأسبانيا .

وعقدت معاهدة ثالثة تجديدا للمعاهدتين السابقتين سنة ٣٠٦ ق. م. ثم عقدت معها حلفا ضد عدوها المشترك بيروس سنة ٢٧٩ ق. م.

ولكن حدثت نزاعات بين روما وقرطاجة من أجل السيطرة على جزيرة صقلية والسيادة على غرب البحر المتوسط . وكان لابد من اصطدام قواتهما ودارت بينهما حروب اشتهرت بالحروب البونيقية التي بدأت في القرن الثالث ق. م.

الحرب البونيقية الأولى (٢٦٤ - ٢٤١ ق. م) :

أطلق الرومان على القرطاجيين اسم " البونيقين " وهي تحريف لغوى لتمييزهم عن أجدادهم الفينيقيين . ومن ثم عرفت هذه الحروب باسم الحروب البونيقية (١).

لوانت روما أن تقضى على نفوذ قرطاجة في صقلية بعد أن استولى جماعة من الجنود المرتزقة الصقليين على الحكم في مدينة ميسنا وأصبحوا مهديين من قبل ملك مدينة سيرلكوزة زعيمة المدن الإغريقية في صقلية . ومن ثم أسرع هؤلاء الجنود إلى طلب النجدة من كل من قرطاجة وروما في آن واحد . ولكن قرطاجة كانت أسرع في تلبية هذا النداء وخاصة بعد عودة بيروس إلى اليونان فأخذت

(١) د. سيد الناصري : تاريخ الرومان من القرية إلى الإمبراطورية ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٦ ، ص ١٣٦ .

قرطاجة تبسط سيادتها على جزيرة صقلية بأكملها بما فيها مدينة ميسانا المقابلة لجنوب إيطاليا ، إذ رأت روما في ذلك خطرا يتهددها ، هذا بالإضافة إلى أن قرطاجة كانت تبسط نفوذها على سردينيا مما جعلها تتحكم في غرب البحر المتوسط . وعندما رأى القرطاجيون أن الرومان يسعون لتكوين قوة بحرية لهم . حدثت المواجهة بين القوتين وتمكنت القوة البحرية الرومانية الناشئة عن الانتصار في سنة ٢٦٢ ق.م . ولكنها هزمت سنة ٢٥٩ ق.م . وظلت المناوشات بين الفريقين سجالا إلى أن عازمت روما على نقل الصدام إلى الأرض الأفريقية سنة ٢٥٦ ق.م . وتوجه الرومان إلى المغرب ونجحوا في النزول بموقع شرق غالية الحالية وأصبحوا بذلك يهددون أن قرطاجة . واستدعى القرطاجيون هاميلكار - بارقا من صقلية واختاروا قائدين جديدين واستطاعوا هزيمة الرومان في المغرب وأسروا القائد الروماني رجولوس سنة ٢٥٥ ق.م . واستعادوا سيادتهم في المغرب . حاول الرومان للمرة الثانية سنة ٢٥٢ ق.م . النزول إلى الساحل القرطاجي ولكنهم فشلوا في ذلك فتحول اهتمامهم إلى صقلية حيث تمكنوا من الانتصار على القرطاجيين والسيطرة على صقلية تماما وإدخالها في ممتلكات الجمهورية الرومانية عام ٢٤٢ ق.م ، وانتقل الصراع إلى البحر وهنا نجد أن القرطاجيين ينجحون في أسر عدد من السفن الرومانية ، ثم اتجهوا إلى تدعيم قوتهم في صقلية حيث أرسلوا إليها قوة جديدة تصدى لها الرومان وأوقعوا بها الهزيمة سنة ٢٤١ ق.م.^(١)

واضطرت قرطاجة إلى عقد اتفاقية سلام مع روما للمرة الرابعة وأمنت على القرطاجيين شروطا قاسية منها الجلاء عن صقلية وعدم مهاجمتها ودفع غرامة مالية كبيرة لروما على مدى عشرين عاما .

وكان ذلك سببا في ضعف مركز قرطاجة على الساحل الأفريقي فتمرد عليها بعض حلفائها الليبيين كما تمرد جنودها المرتزقة فحاربتهم بقيادة هاميلكار -

(١) عن تفاصيل هذه الحرب الأولى ، راجع : د. سيد الناصري : للمرجع السابق ،

بارقا لمدة ثلاث سنوات حتى أخضعتهم ، وفي أثناء ذلك انتهزت روما الفرصة وبسطت سيطرتها على سردينيا وكورسيكا . وينكر د. الناصري :

« كان القرطاجيون يستعدون لجولة جديدة مع الرومان بعد أن عاد إليهم الأمل في النصر على يد قائدهم ألفد هاميلكار - برقا فقد كان جنديا بارعا ومخططا وموهوبا سياسيا واشترك في الجولة الأولى ضد الرومان وألحق بهم عدة هزائم . وأدرك هذا القائد ألفد أن قرطاجة الأفريقية قد أصابها الضعف ، فقرر أن ينقل جبهة القتال إلى أسبانيا ، تلك الأرض العذراء ذات المصادر الغنية والعامرة بالرجال الأثداء حيث يستطيع تجنيد جيوشا منهم لكي يهزم الرومان » .^(١)

الحرب البونيقية الثانية (٢١٩ - ٢٠٢ ق. م) :

أرادت قرطاجة أن تعوض ما فقته من نفوذها في أثر للحرب البونيقية الأولى فالتجتهت إلى بسط نفوذها في أسبانيا ، واختارت قائدها هاميلكار - بارقا لينفذ هذه السياسة ، وبالفعل غادر هاميلكار - برقا قرطاجة إلى أسبانيا عام ٢٣٦ ق. م . ومعه ولده هانيبيال (الذي كان في التاسعة من عمره) إلى أسبانيا وفي نيته أن يهاجم إيطاليا بالاتجاه من أسبانيا إلى جنوب فرنسا في إيطاليا . ومن الأساطير ما ينسب إليه أنه جعل ولده يقسم في معبد الرب بمل - مولوخ على أن ينذر حياته للانتقام من روما وبعد أن وصل إلى أسبانيا أنشأ قرطاجة الجديدة التي عرفت باسم « قرطاجة » ومن هذه المدينة أخذ يشن حربا بلا هوادة ضد الرومان حتى سقط قتيلا في إحدى المعارك عام ٢٢٨ ق. م .^(٢) وقد نجح هاميلكار - برقا في نشر نفوذ قرطاجة في أسبانيا بعد كفاح ثمانية أعوام اعتمد فيها على الدبلوماسية أكثر من اعتماده على الأساليب الحربية حيث استطاع أن يقنع القبائل التي تقطنها بحياة الاستقرار والسراج الاقتصادي في ظل قرطاجة .

(١) المرجع السابق ، ص ١٤٠ .

(٢) د. سيد الناصري : المرجع السابق ، ص ١٤٠ .

وبعد مقتل هاميلكار - بارقا خلفه زوج ابنته ماسدروبال ولكنه لم يبق طويلا إذ اغتيل بعد سبع سنوات من توليه . عندئذ لجمع الجيش للقرطاجي على اختيار هانيبال ابن هاميلكار - برقا قائدًا وزعيما في أسبانيا ^(١) . وفي سنة ٢٢٦ ق.م اخذت روما تبدي قلقها من تطور الموقف في أسبانيا حيث كانت لها مصالح فسي شمالها الشرقي ولما امتد نفوذها القرطاجي في أسبانيا شمالا ازداد قلق مدينة معابيا وأرسلت إلى روما محتجة على اعمال ماسدروبال فقامت روما بارسال بعثة لتحري الحقائق وتم الاتفاق للمرة الخامسة في سنة ٢٢٦ ق.م على أن لا يتعدى ماسدروبال نهر ابرو شمالا . وهكذا هذا الاتفاق بمثابة اعتراف من روما بقيام ولاية قرطاجة في أسبانيا .

وعندما تولى هانيبال كان يبلغ من العمر الخامسة والعشرين وكان يتمتع بقوة الشخصية وقوة التحمل والجلد . وحينما تولى هانيبال القيادة في أسبانيا اخذ يتحين الفرصة لثمن حرب على روما ومهاجمة إيطاليا ، وهاجم مدينة ساجنتوم التي كانت حليفة لروما سنة ٢١٩ ق.م وحاصرها لمدة ثمانية أشهر حتى سقطت في يده ، فلما احتجت روما على ذلك رفض احتجاجها مما أدى إلى إعلانها الحرب على قرطاجة سنة ٢١٨ ق.م.

غزو هانيبال لإيطاليا :

ترك هانيبال أخاه الذي كان يدعى ماسدروبال ^(٢) أيضا في أسبانيا للإشراف عليها وليرسل له الإمدادات بانتظام ، وفي سنة ٢١٨ ق.م خرج من أسبانيا قاصدا إيطاليا على رأس جيش قوامه تسعين ألفا من جنود المشاة الأسبانيين والقرطاجيين وأثنى عشرة ألفا من الفرسان النوميديين (الجزائريين) وفرقة تتكون من سبع

(١) د. سيد الناصري : المرجع السابق ، ص ١٤٠ .

(٢) سوف يقتل هذا الأخ فيما بعد في معركة عند شاطئ نهر ميتلوروس ، على يد كلوديوس نيرون وليفيوس ، راجع : المرجع السابق ، ص ١٥٠ - ١٥٢ .

وثلاثين فيلا مدربا جي بهم خصيصا من إفريقيا ^(١) ، وصل هانيبال إلى إيسيليا (مارسيليا الحالية) ولكنه لم يستمر في تقدمه على الساحل حتى لا تتعرض خطته في الهجوم على إيطاليا إذا ما قبله الرومان ، بل اتخذ طريقا وعرا استنفذ منه جهدا كبيرا في نقل قواته وعتاده عبر جبال الألب ، واستطاع بعد التعرض لكثير من المتاعب وقسوة المناخ أن يعبرها في خمسة أشهر وتعد هذه العملية من أعظم الأعمال العسكرية في التاريخ ولم تتكرر إلا مرة واحدة بعد ذلك عندما قام بونابرت بغزو إيطاليا .

وبعد ذلك عبر الألب ونزل إلى حوض نهر البو حيث كان الرومان يتجمعون للقائه وكانت جيوشهم تفوق جيوشه عدة أضعاف . وعلى أرض إيطاليا وقعت ثلاث معارك : موقعة نهر تريبيا سنة ٢١٨ ق.م ، وموقعة بحيرة تراسيمينوس سنة ٢١٧ ق.م ومعركة كلناي عام ٢١٦ ق.م . ففي المعركة الأولى انتصر هانيبال على الرومان اقتصارا باهرا مما كان له اثره البالغ على موقف هانيبال فبعد أن كان يتعرض لكيد القتال في المناطق المرتفعة في شمال إيطاليا أعطوا له ولاءهم وبذلك اكتسب صداقتهم واطمان إلى أنه سيستعين بهم كجنود في جيشه وإلى أنه سيضمن سلامة الاتصال بينه وبين أسبانيا حيث أصبح طريقه إليها آمنا لا تهدده هذه القهائل ^(٢) .

وفي موقعة بحيرة تراسيمينوس دمر جيشين للرومان وبذلك أصبح الطريق إلى روما مفتوحا أمامه . وتسببت هذه الهزيمة في حدوث أزمة حادة في المجتمع الروماني ، وتم اختيار السناتو فابيوس - Fabius لمجابهة هانيبال ، وفي الوقت نفسه حرص على أن يبعد هانيبال عن روما بقر الإمكان فالخذ يهاجم جيشه ومعسكره بجاسعات صغيرة ، أي أنه اتبع حرب العصابات مما عزّل تقدم هانيبال وأزعج جنوده . وقد

(١) د. سيد الناصري : المرجع السابق ، ص ١٤٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٤٤ - ١٤٨ .

نجحت هذه الخطة حيث جتب روما هزيمة كبيرة ولهذا لم يستطع هانيبال ان يحاصر روما لعدم توافر أسلحة حصار للمدن معه ، فأتجه إلى الجنوب رغبة في الاستيلاء على إيطاليا بكلمها . وضلق الرومان بأسلوب فاييوس في الحرب وعين السناتو لوكيوس ايميليوس بولوس وجايوس تيرنتيوس فارو قنصلين وأكلت إليهما مهمة الحرب ضد هانيبال على رأس جيش قوامه ٨٠ ألفا من الجنود ، أتجه هذا الجيش إلى الجنوب لمقابلة الجيش القرطاجي المكون من ٥٠ ألف جندي والتقى الجيشان عند كاناي في جنوب شرقي إيطاليا ولكن هانيبال نصب كمينا للجيش الروماني فأسقط في يد الرومان الذين أحيطوا من كل جانب بقوات ليبية وقتلوا السيطرة على حركاتهم واستعمال الأسلحة التي بأيديهم استعمالا مجديا ولم ينجح منهم في الفرار سوى ١٠ آلاف رجل ومعهم فارو ، بينما قتل الآخرون هم والقنصل بولوس وثمانين عضوا من أعضاء المنقو .^(١)

وبعد هذه المعركة كما يذكر د. الناصري " جاء هانيبال إلى كاناي " لكى يتفقد ميدان المعركة تعلوه ابتسامه الرضا والزهو ، وفى أثناء ذلك عرض عليه مساعداه ماهرابال قائد فرسانه اللوميدى ان يأذن له بالانطلاق إلى روما واعدا إياه ان يجعلها تجثو على ركبتيها وان يجعل هانيبال يشرب نخب النصر فيها بعد خمسة أيام فقط " .^(٢) لكن هذا الأخير رفض إلا ان ينفذ خطته في الاستيلاء على إيطاليا أولا وان يشجع حلفاء روما على التمرد عليها حتى تضطر إلى التسليم في النهاية .

ويكمل د. الناصري " فصاح ماهرابال في وجه سيده قائلا :

" انك تعرف يا هنيبال كيف تحرز نصرا ولكنك لا تعرف كيف تستخدم مثل ذلك النصر " ولكن هانيبال كان يعرف جيدا عواقب هذه المخاطرة لطول الطريق إلى روما ، فهو طريق جبلى وعز يسيطر على جانيه حلفاء روما مما قد يجعل من

(١) د. سيد الناصري : المرجع السابق ، ص ١٤٨ - ١٤٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٤٨ - ١٤٩ .

رجالهم صيدا ثمينا للكمائن^(١).

وعلى الرغم مما بذله السناتو من جهود لإثارة حملة الرومان في مقاومة غزو هانيبال ورغم تحصين المدن الرومانية فإن معركة كاتاي كانت ذات اثر بعيد المدى فأكثر حلفاء روما من الإيطاليين وخاصة في الجنوب احتجوا على روما ، فانسلخت سيراكيوزة في صقلية عن حلفها مع روما ، وأعلن فينيب الخامس ملك مقدونيا أنه سيعقد حلفا مع هانيبال لأن السناتو الروماني حاول التدخل في شئون شبيه جزيرة اليونان ، وأسلم هذه المقاعب اجتهد الرومان فسي مضع قيسم هذا للحلف واستطاعوا إثارة حرب أهلية في اليونان تحالفت فيها إيتوليا وأسبرطة وبرغاميا ضد مقدونيا وشغلت هذه الحرب مقدونيا نحو تسع سنوات انتهت بهزيمتها سنة ٢٠٦ ق.م. وارغم فيليب على الصلح .

وفي النهاية وجد هانيبال نفسه في موقف صعب إذ عجز عن فتح المدن الإيطالية المحصنة التي ظلت على ولائها لروما ، وفي الوقت نفسه كان عليه ان يدافع عن المدن التي ثارت على روما وانحازت إليه . وبدأ الرومان يسترجعون المدن التي ثارت ضدهم مبتكرين بذلك التي في صقلية . وبالفعل سقطت سيراكيوزة في أيدي الرومان بعد حصارهم الطويل لها . ثم انتقل الرومان بعد ذلك إلى جنوب إيطاليا حيث حاصروا مدينة كابو بثلاثة حيوش ، فحاول هانيبال أن يفك حصارها بتحويل أنظارهم للدفاع عن روما ، التي نصب خيمته على بعد ثلاثة أميال منها . وبدأ الهجوم عليها ولكنه لم ينجح في حصارها لعدم وجود آلات حصار معه . وسقطت كابو بعد قتال مريرا راح ضحيته كثيرون من الطرفين سنة ٢١١ ق.م . وفي العام التالي تمكن الرومان من استرداد تارينتوم أيضا . وبعد هذه الانتصارات نقل الرومان جزءا من جيوشهم إلى أسبانيا التي كان موقعهم فيها حرجا .^(٢)

(١) د. سيد الناصري : المرجع السابق ، ص ١٤٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٥٠ .

وفي تلك الأثناء عينت روما اثنين من كبار أسرة سكيبو لقيادة الجيوش الرومانية في أسبانيا ولكنهما هزما وهكلا سنة ٢١١ ق.م على يد هاندرويسال القائد القرطاجي في أسبانيا . وعينت روما قائدا جديدا هو الذي عرف باسم سكيبو الأفريقي الذي أظهر مهارة فائقة في قتاله في أسبانيا مما عوض الرومان كثيرا من خسائرهم وعادت الثقة إلى نفوسهم . وفي سنة ٢٠٩ ق.م هاجم هاندرويسال هجوما خاطفا كان من نتيجته ان استولى على مدينة قرطاجنة الجديدة عاصمة القرطاجيين في أسبانيا واتجه إلى إيطاليا برا ليوقف إلى جوار أخيه هناك لعلمه بأنه في حاجة لمزيد من الجنود والإمدادات ، وأدرك الرومان خطورة انضمام الجيشين القرطاجيين معا في إيطاليا حيث يصبح أمل روما في النصر ضعيفا وخاصة ان حروبها الطويلة استنزفت مواردها ودمرت أراضيها .

ورغم هرج موقف هانيبال استطاع ان يصمد في إيطاليا لمدة عامين بعد سنة ٢٠٧ ق.م . ولكنه لم يحرز نصرا بالطبع لعدم وصول إمدادات إليه وأصيب باليأس وعاد إلى قرطاج بعد ان قضى في حروبه خمسة عشر عاما دون هزيمة واستولى على إيطاليا بأسرها ودمر نحو ٤٠٠ مدينة . اما سكيبو القائد الروماني الشاب فقد انضغ أسبانيا بأسرها واتجه إلى قرطاج لمحاربة هانيبال في عقو داره ، وساعده الحظ بقيام ثورة من الجنود المرتزقة في جيش قرطاج أثناء المعركة التي دارت عند زاما بالقرب من قرطاج وتخلوا عن هانيبال الذي منى بهزيمة فادحة سنة ٢٠٣ ق.م . وكانت هذه أول وآخر مرة يهزم فيها وعلى أثرها فر هانيبال إلى الشرق حيث تعاون مع ملك ليديا في حربه ضد الرومان ولكن هؤلاء انتصروا على الليديين فانتحر هانيبال سنة ١٨٢ ق.م واعترف الرومان بأن هانيبال قام يوم معركة زاما للكبرى بكل ما في استطاعة البشر القوام به .^(١)

(١) المرجع السابق ، ص ١٥٢ - ١٥٤ . وعن مسئولية وأسباب اندلاع الحرب البونيقية الثانية ، راجع : المرجع السابق ، ص ١٥٤ - ١٦٦ .

يذكر د. الناصري أن " القائد هانيبال كان يقيم في قصر الملك انطيوخوس الثالث ملك سوريا منذ هزيمته . واشترط الرومان على انطيوخوس تسليم هانيبال لهم لأن بقاءه هيا معنى احتمال اندلاع الحرب بين روما وقرطاجة مرة أخرى . ووافق الملك السوري على ذلك . ولكن هانيبال تمكن من الهرب ولجأ إلى قصر ملك بيتينيا اندوبلة التي تقع في شمال أسيا الصغرى . ولم علم الرومان بذلك طالبوا هذا الملك بتسليم هانيبال وعندما أدرك هانيبال أن الرومان يتعقبونه وسوف يقبضون عليه ، انتحر بتناول سماً كان يخفيه في خاتمه .. وهكذا مات أحد الأبطال العظام الذين أدلوا روما ويلات "الحرب مما جعلها لا تتساه أبداً على طول تاريخها فقد كان هانيبال اعظم عبقرية عسكرية عرفها التاريخ " . (١)

وقد فرضت روما شروطاً قاسية على قرطاجة بعد هزيمتها في معركة زاما الكبرى منها : التنازل عن أسبانيا ، وإن تدفع قرطاجة لروما غرامة مالية ضخمة ، وإن تتخلى عن استخدام القوة في قواتها العسكرية وإن تقضى عن سفنها الحربية فيما عدا عشر منها ، إن لا تعلن حرباً في داخل ليبيا أو خارجها دون إذن من روما .

وحينما عاد سكيبيو من معركة زاما استقبلته روما بأقواس النصر ومنح لقب سكيبيو الأفريقى تخليداً لانتصاره .

الحرب البونيقية الثالثة (١٤٩ - ١٤٦ ق.م) :

أخذت روما تزداد جارات قرطاجة على مهاجمتها والاستيلاء على بعض أراضيها ، واستغلت بعض الدول مساندة روما أو تفاضيتها عن بعض التجاوزات فتحالف ملك نوميديا (الجزائر) الذي كان تابعاً لقرطاجة مع روما وأخذ يطالب بتوسيع رقعة بلاده وكثيراً ما هاجم الأراضي القرطاجية متغصناً بهذا السبب أو ذاك ، ولم تستطع قرطاجة رد هجماته بل كانت مضطرة لأن تقدم شكوى إلى مجلس السناتو

(١) المرجع السابق ، ص ١٧٧ - ١٧٨ .

في روما فكلفت روما تكتفى بإرسال لجنة التحقيق وكانت عادة ما تقرر تصرف ملك نوميديا ^(١).

وفي إحدى المرات أرسلت روما أحد المحاربين القدامى وهو سيلسي يدعى كاتو فلاحظ أن قرطاجة استعادت قدرا من الرخاء وانتشرت تجارتها ، واعتقد بأن ذلك قد يساعد قرطاجة على أن تصبح قوة عسكرية من جديد ، ولذا بادر بتبنيه روما إلى القضاء عليها واخذ يردد في كل خطبة في مجلس السناتو شعار " لابد من تدمير قرطاجة " . وبمرور الزمن قرر أعضاء السناتو إرسال حملة لمحاربة قرطاجة سنة ١٥١ ق.م. متزعين بالرغبة في معاقبتها لخلافاتها مع ملك نوميديا . ويذكر د. الناصري : " نمت قرطاجة لشكوى إلى روما تشكى فيه تصرف جارتها نوميديا وملكها ماسينا صديق الرومان الوفي ، وتطلب من روما التدخل . ولكن روما لم تفعل شيئا إزاء مطالب قرطاجة عام ١٥٠ ق.م ، فاضطرت الأخيرة إلى اخذ حقها بيدها وهاجمت نوميديا عام ١٥٠ عندئذ أعلنت روما الحرب على قرطاجة بحجة مخالفة معاهدة الاستسلام التي وقعت قرطاجة عام ٢٠٢ ق.م . ووجدت قرطاجة نفسها محاصرة بين القوات الرومانية من الشرق وقوات النوميديين الذين عرفوا بمهارة فرسانهم وجرائهم في الحرب وتمكن النوميديون من هزيمة قرطاجة ^(٢) وهنا تدخلت روما وفوجئ القرطاجيون بالصلة التي لم يكونوا قد استعدوا لها ولم يرغبوا في أول الأمر خوض غمارها وعرضوا على روما أن تأخذ ثلاثمائة طفل من أبناء أسرها الكبيرة كرهائن ولكن الرومان لم يقبلوا ذلك وطالبوا القرطاجيين بأن يحلوا عن مدينتهم إلى مسافة عشرة أميال بعيدا عن السلاح ليتمكنوا من تدميرها . فأدرك القرطاجيون أن الرومان يرغبون في القضاء عليهم وعلى مدينتهم نهائيا فأتروا القنال بدلا من الاستسلام . وعلى الرغم من عدم استعداد القرطاجيون مسبقا لهذه الحرب إلا أنهم استطاعوا أن يهيئوا أنفسهم لها على وجه السرعة واستقبلوا في الدفاع عن وطنهم مستميتين في القتال إلى درجة أثارت إعجاب الرومان أنفسهم ، ومما يروى

(١) د. سيد الناصري : المرجع السابق ، ص ١٧٩ - ١٨٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٨٠ .

في هذا الصدد انهم حولوا كل معبد وكل حفوت إلى مصنع لإنتاج الأسلحة والأت
للقتال وظلوا يفلومون ثلاثة أعوام ، ثم رأيت روما ان تغير قائدها وعينت قائدا جديدا
يدعى اميليانوس الذي استطاع بعد حصار مريز أن يقهر قرطاجة سنة ١٤٦ ق.م .
وان يدمرها عن آخرها ثم احرقها وأشعل النار فيها لمدة مبعة عشر يوما . وبعد ان
صبب جام غضبه على المدينة أمر بمرور العربات الحربية وحرث الأرض حتى لا
تبعث فيها الحياة مرة أخرى ، وبيع سكانها كرقيق ^(١).

لقد اشتكت قرطاجة منذ أواخر القرن الخامس ق.م حتى هزيمتها الأخيرة
سنة ١٤٦ ق.م في حروب متكررة ولكنها لم تنقش جيشا دائما تحت السلاح ولكن
اعتمد القرطاجيون على كل المننيين و الرعايا الذين لم يكونوا مدربين على القتال
وقد كان هؤلاء بالإضافة إلى تعزيزات من المدن الحليفة في صقلية ومن المرتزقة
قوة هائلة التي استطاعت أن تصمد خلال هذه الحروب ضد الرومان ويذكر
د. الناصري * واختلفت قرطاجة من الوجود عام ١٤٦ ق.م وظلت غائبة عنه مائة
عام أخرى عندما أمر القائد الروماني يوليوس قيصر عام ٤٦ ق.م بإعادة بنائها
بشرط أن تكون مدينة رومانية وذلك أثناء الاحتفال بمرور مائة عام على تدمير
قرطاجة . وعلى أي حال أعلنت روما زوال اسم قرطاجة من الوجود وضمها إليها
كولاية رومانية تحت اسم ' ولاية الفريقيا ' وهكذا دمرت روما قرطاجة من أجل إبعاد
مناقص تجاري عن طريقها ولتصبح هي سيدة بلا منازع على حوض البحر
المتوسط " ^(٢).

ومهما يكن من أمر تدمير الرومان للمدينة واشتعال النار فيها إلا انهم لم
يستطيعوا هدم المقابر التي حفرت على صق كبير في باطن الأرض . وقد حدث أول

(١) د. احمد فخري : المرجع السابق ، ص ١١٥ - ١١٦ ؛ د. عبد الحميد زايد :

المرجع السابق ، ص ٢٨٢ - ٢٨٤ ؛ د. أبو المحاسن عصفور : معالم تاريخ

الشرق الأدنى القديم ، ص ٢٨١ - ٢٨٢ .

(٢) د. سيد الناصري : المرجع السابق ، ص ١٨٠ .

كشفت أثرى في المدينة عام ١٨٧٨ ولم يشمل هذا الكشف المقابر وبعد الحرب العالمية الأولى عثر عن طريق الصدفة على بعض الآثار منها لوحات كانت مخصصة للمعبود بعل هامون معبود قرطاجة الكبير وللمعبودة تانيت . كما عثر على جبانة للأطفال كانوا كضحايا لهذا المعبود . وقد تحدث ديودور الصقلي عن هذا الأمر وليس لنا أن نحكم على هذا العمل طالما أن هذا العمل كان فيه تضحية للمعبود وكان الشعب يطيع معبوده . كما عثر أيضا على بعض الآثار في مدينة قرطاجة التي ترجع إلى العصر الروماني وكانت المدينة في هذا العصر تتعدى للقدس " الحصطن " في نهاية القرن الرابع .

ونعود مرة أخرى إلى بقية الشعوب الكبرى التي لعبت دورا في تاريخ بلاد الشام القديم .

ثالثا : الآراميون :

هم قبائل رحل عاشوا في شمال شبه الجزيرة العربية ثم هاجروا إلى سوريا وذلك في منتصف الألف الثانية ق.م . ولقد ظهر اسم " ارام " في المصادر التاريخية منذ القرن الرابع والعشرين ق.م . كما ورد أيضا في وثائق مدينة مارى وفي وثائق أورجارت في النصف الثاني من الألف الثانية ق.م (١) وفي الوثائق الآشورية المبكرة في القرن الرابع عشر عندما تحدث الملك الآشوري " اريك - دين ليلو " (١٣١٧ - ١٣٠٦ ق.م عن انتصاره على الآراميين ، وما ذكره تيجلات بلاصر الأول (١١٢٠ - ١٠٧٤ ق.م) عن انتصاره على الآراميين - الاخلامو الذين جاءوا من الصحراء وبثوا الفوضى على الشواطئ الفرات (٢).

أسس الآراميون العديد من المدن والولايات في وسط بلاد النهرين وفي شمال سوريا وجنوبها منذ القرن الحادي عشر ق.م . وقبلها ، وكان اسم إحدى هذه

(١) د. أحمد فخري : دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ص ١١٦ - ١١٧ .

(٢) د. أبو المحاسن صفور : معالم حضارات الشرق الأدنى القديم ، ص ١٦٧ .

الإمارات " أرام - نهرايم " أى أرام النهرين . ولكن الآشوريين قضوا على هذه الإمارة فى القرن التاسع س . ومن هذه الإمارات أيضا كانت دولة أخرى عاصمتها فى حران وتسمى أرام فدان (بيت بختي) ولكن الدولة التى أصبح لها شأن كبير كانت مملكة دمشق " أرام دمشق " التى تأسست فى أواخر القرن الحادى عشر ق .م . أى وقت تأسيس مملكة العبرانيين على الساحل ، وأصبحت لها مكانة كبيرة واتسعت رقعتها . وامتدت مملكة دمشق من الفرات شرقا حتى نهر اليرموك غربا . اختار الآراميون كعاصمة لهم مكانا يسمى صوبا (زوباء) ^(١) ويرجح ان مكانها الآن بلدة عنجر فى البقاع جنوبى زحلة . وجاء فى الكتاب المقدس ذكر إمارات أخرى مثل :

أرام بيت رحوب و أرام معكة و جشور . وتقع إمارة بيت رحوب إلى الجنوب ، فى الإقليم الوسط من مجرى الليطاني ، وكانت تحتل معكة بدون شك منطقة دان (تل - القاضى) . أما جشور فقد كانت فى الناحية الشرقية بين اليرموك ومنطقة دمشق .

أما مدن السواحل فقد بقيت بعيدة عن التأثير الأرامى الرئيسى ويضع معظم العلماء أرام صوبا فى البقاع الشمالى مع الامتداد إلى شرق جبال لبنان الشرقية وشمال دمشق حتى سهول حمص ، باتجاه الشرق حتى البادية .

أخذت أهمية دمشق تزداد مع مرور الوقت لأنها كانت واحدة من محطات الطرق التجارية العديدة بين الجنوب والشمال ، من الجزيرة العربية إلى شمال سوريا ، وبين الغرب والشرق ، من البحر المتوسط إلى بلاد النهرين . وقامت حروب كثيرة بين الآراميين وبين العبرانيين ^(٢) .

ولما تولى الملك داود على عرش مملكة إسرائيل كان للصراع مع الآراميين عنيفا فتكون تحالف أرامى من بيت رحوب ومعكة وصوبا . وشارك مع ملك صوبا

(١) د. احمد فخري : المرجع السابق ، ص ١١٧ .

(٢) د. أبو المحسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ص ٢٨١ - ٢٨٣ .

رحوب ابنه هدد عازر وشارك معه الآخرون من الجانب الآخر لنهر الفرات أى آراميو النهرين . وهكذا تحرك آراميو الجنوب ضد داود . ولكن انهزم الآراميون أمام جيش داود .

ويقص الكتاب المتكلم غزوة أخرى لداود ضد الآراميين . وكان الخصم الرئيسى هو هدد عازر بن رحوب الذى أراد ان يقيم من الفرات إلى الأردن اتحادا من الدويلات الآرامية من الفرات إلى الأردن . وكان يعمل على أن تكون صوبيا عاصمة تلك المملكة الآرامية . ولكن قضى داود على أحلامه وهزمه وأخذ منه ١٧٠٠ فارسا وعشرين ألف رجل . وبالإضافة إلى ذلك أخذ منه الدروع الذهبية التى كانت مع ابنى هدد عبيد ، وكذلك كمية كبيرة من البرونز جئ بها من مناجم صوبيا وقضى داود على آرامى دمشق المتحالفين مع عبيد . وأقام معسكرات فى آرام دمشق . وبذلك اضطر الآراميون إلى الخضوع إلى داود ودفعوا له الجزية .

وأشار المصدر نفسه إلى ان " قصى " ملك حماه كان عدوا لهدد عازر ملك صوبيا فلما علم بهزيمته أرسل لولده يورام إلى داود الملك ليقترنه السلام ويشاركه لأنه قاتل هدد عازر وهزمه . وقدم له أواني من فضة وذهب وبرونز .

واستطاع داود بعد هذه المعارك القضاء على صوبيا وعلى الدويلات الآرامية الأخرى المجاورة لها . ولقد قلنى ملك صوبيا أيام داود من هزائم مرة . وعلى الرغم من ان صوبيا قد قوضت شوكتها إلا أن أحد ضباط مملكة صوبيا يدعى رزون خرج على الخضوع لداود ويكُون هو وبعض الرجال الأثداء الأحرار غرقا لمقاومة جنود داود وطردهم من دمشق وأقام نفسه ملكا عليها . وليس لدينا أية وثيقة عن تفاصيل الحروب بين هذا الملك وسليمان . ولكن مرعان ما تخلصت دمشق من هذه السيطرة .

وبعد موت سليمان وتفرق كلمة العبرانيين استطاع الآراميون الاستيلاء على بلادهم وأصبحت مملكة إسرائيل نفسها تحت حملتهم وكان ذلك حوالى عام ٨٧٠ ق م .

وعندما بدأت الدولة الآشورية فى توسعها فى القرن التاسع ق.م واصطدمت بالآراميين وهددت جميع الأراضى السورية ، كون ملك دمشق لاتحادا من اثنى عشر ملكا كان على رأسه ملكها (بن هدد " أو " بن حدد الأول) (حوالى ٨٧٩ - ٨٤٣ ق.م) وكئن عليه ان يرجع شالما نصر الثالث فى عام ٨٥٢ ق.م وكان من أشهر الذين انضموا إلى هذا الاتحاد أحلب ملك إسرائيل ، وملك حماه ارخولينا وبعض المدن الفينيقية وبلغ عدد جيشهم ٦٠ ألف جندي . فقابلوا الآشوريين بقيادة شالما نصر الثالث فى معركة القرقار على نهر العاصى عام ٨٥٢ ق.م . ولم يكتب للنصر الكامل لأحد الجيشين وانسحب الآشوريون . واتسع نفوذ مملكة دمشق فى عهد ابن هدد ويسمى أيضا حزائيل (فى حوالى ٨٠٥ ق.م) فهاجم مملكة إسرائيل ووسع سلطانه جنوبا حتى ضم شرق الأردن ووصل إلى سهل فلسطين الساحلى وتمكن بذلك من السيطرة على طرق التجارة التى كانت تمر فى ذلك الوقت بين بلاد النهرين والساحل ومصر والجزيرة العربية وأصبحت مملكة إسرائيل تحت رحمتها ، كما قبل مملكة يهوذا دفع الجزية لها .

ولكن حروب حزائيل المستمرة أدت إلى ضعف مملكة دمشق فاستطاع يربعام الثانى ان يستقل ثانية ، بل استطاع مهاجمة بعض بلاد المملكة الآرامية نفسها ، ومن بينها دمشق وحماه ، حوالى عام ٧٨٥ ق.م وأخسر انتهاز الملك الآشورى تيجلات بلاصر الثالث (٧٤٥ - ٧٢٧ ق.م) فرصة النزاع بين ممالك دمشق وإسرائيل ويهوذا واستطاع أن يهزم الآراميين ، وصب غضبه ونقمته على دمشق فى عام ٧٢٢ ق.م . ولم تقم للمملكة الآرامية بعد ذلك قائمة .

كان الآراميون أهل تجارة فانتشرت معهم اللغة الآرامية وكانت بين اللغات التى انتشرت مع التوسع الآشورى ، وزاد انتشارها حتى أصبحت لغة التجارة الرسمية فى جميع بلاد الشام قبل القرن الخامس ق.م . وكانت اللغة شبه الرسمية فى عهد الفرس . وكانت اللغة التى يستخدمها يهود فلسطين فى جميع البلاد التى تفرقوا فيها فيما بعد سبى بابل . كما كانت اللغة التى يتحدث بها الناس فى كل من سوريا وفلسطين عند ظهور للمسيحية ، وكتبت بها الأناجيل وانتشرت مع اللغة الآرامية الكتابة الآرامية أيضا فاستخدم اليهود من الآراميين ، بين القرنين السادس والرابع

ق.م الكتابة الآرامية وكثفوا قبل ذلك يستخدمون الكتابة الفينيقية . كما أخذ العرب الشماليون من الأبناط كتابتهم التي كثفوا يستخدمونها ، وهذه بدورها مشتقة من الكتابة الآرامية . كما تعلم ان الكتابة الآرامية قد انتشرت بين الفرس والأرمن والهنود . أما اللغة الآرامية فقد بقيت فترة طويلة من بعدهم ، وظلت في مملكة سامال في الشمال (في زنجولي بين إنطاكية ودمشق) وفي حماة وفي تكمر وفي فلسطين وفي الجنوب بين الأبناط . وقد ظلت حتى اليوم للغة الرسمية في الكنيسة السوربانية .

وابعا : الحوريون والهيتائيون : (١)

ظهر الحوريون في التاريخ في منتصف الألف الثالثة ق .م . وقد جاءوا من المرتفعات الواقعة شمال شرقي الهلال الخصيب بين بحيرة أورمية وجبال زاغروس ، وأصبح لهم كيان سياسي في شمال بلاد النهرين وشمال سوريا وبعض مناطق الأناضول في منتصف الألف الثانية ق.م وكان الأموريون قبل ذلك قد سكنوا هذا الجزء من سوريا .

وامتدت هجرة الحوريين ، في أعقاب هجرة الكاسيين ، إلى البحر المتوسط وإلى فلسطين ، ووصلت معها عناصر أخرى من الكنعانيين الذين أسهموا هم أيضا في نشاط تلك التحركات . وكثفوا بدون شك أكثر عددا ، كما كثفوا يمثلون الكيان الموحد والمؤثر في تلك الهجرات .

كون الحوريون لأنفسهم مملكة في ميولرتو وفي سوريا العليا وذلك أثناء غزو الهكموس لمصر . وكونوا في المناطق التي تركزوا فيها في شمال العراق دولة قوية عرفت باسم مملكة ميتاني . وليتداء من عام ١٥٠٠ ق.م بدأ نفوذهم في التقلص من المنطقة . وقد أقام الميتانيون مملكتهم إلى كسان يحدوها من الغرب ممالك

(١) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ٢٩٢ - ٢٩٣ ؛ د. لطفي عبد الوهاب : العرب في العصور القديمة ، مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار المعرفة للجامعة ، ١٩٨٦ ، ص ٥٩ - ٦٠ ؛ Contenau, op . cit., p. 101 .

أخرى صغيرة للهوريين ، وكانت هذه الممالك الصغيرة عرضة لهجمات الميتانيين أحيانا ، وكانوا يضمونها إلى مملكتهم ، وأحيانا أخرى كانت هذه الممالك تتعصم باستقلالها لفترة ما ، ولم يكن لهذه الممالك الصغيرة أية أهمية تذكر فيما بعد .

وكان كل من الهوريين والميتانيين يمثلان القوة السائدة في غرب آسيا ، وقبل ظهور قوة الحيثيين . وبعد زوال نفوذ الهوريين أصبحت شوجاني (الفخارية الحالية في شرقي تل حلف) عاصمة للملكة ميتاني الجديدة ، ومن أهم مراكزها نوزي ويوزغان تبة وارنجا جنوب كركوك الحالية .

وقد عرفت هذه المملكة في النصوص المصرية باسم نهارينا . وفي المصادر الآشورية باسم هانيجاليا . واعتلى عرش المملكة الحورية - الميتانية ملوك عديدون وكان من أشهرهم شوتارنا الأول وبارما شاتار وشلوشاتار وارتاتاما الأول وشوتارنا الثاني وشوشراتا ثم ملتيوازا وآخرهم المدعو هوربا - تولا .

وبلغ من قوة هذه الدولة أنها كانت تسيطر على المساحة الممتدة من البحر المتوسط حتى مرتفعات ميديا بما في ذلك آشور التي خضعت لنفوذها نحو قرن من الزمان حتى تحررت في عهد ملكها آشور أوبلاط الأول .

تقابلت جيوش ميتاني مع جيوش الملك المصري تحوتمس الثالث أثناء حملاته على آسيا ولكن مملكة ميتاني لم تكن قادرة على الصمود أمام الهجوم المصري ، فأخذت تبحث عن حليف لها ، ولكن سارع الأمراء المجاورون لها إلى تقديم فروض الطاعة والجزية للملك المصري .

ومن أقدم ملوك ميتاني المعروفين الملك ارتاتاما الذي بسط سيطرته على آشور ، انتظروا للأخذ بالثأر من المصريين . ولكن فجأة غير الملك من سياسته بعد أن اطمن من ناحية آشور . وحرص نوع من التحالف على الملك المصري تحوتمس الرابع (١٤٢٥ ق.م) الذي قبل هذا التحالف وتزوج من حفيدة ارتاتاما التي سميت بالاسم المصري موت أم ويا . واستمر هذا الترابط بين الأسرتين المملكتين فترة طويلة لدرجة أنه يقال أن المنحوب الثالث (١٤٠٨ ق.م) تزوج بدوره من أميرة

ميتانية هي جيلوهيا وكانت ابنة لثوتارنا . ثم زوج أمحتب هذا ابنه وخليفته أمحتب الرابع من اميرة ميتانية كانت أختا لثوتارنا .

لم يستمر رخاء المملكة الميتانية طويلا ، فبعد فترة أصبحت المملكة عرضة للاضطرابات والهجوم من جانب القبائل المجاورة . وفي هذه الفترة توج شوبونيوما ملكا على الحيثيين ، وأخذ يهدد مصالح الميتانيين في سوريا في عهد ملكها توشرتا . وفي تلك الأثناء أيضا استغل الآشوريون فرصة قيام تمرد في القصر الميتاني ، وكشفوا النقاب عن أغراضهم وبدلوا يتدخلون في السياسة الداخلية لميتاني ووجهت دولة الحيثيين الضربة الحاسمة للحيثيين وكسبت عليهم وكان الملك شوبونيوما قد استضاف أحد النبلاء الميتانيين الذي كان قد ألقى عن العرش ، وكان يسمى ماتيوازا ، وقد زوجه الملك الحيثي من إحدى بناته ، وساعده على استعادة عرش أبائه .

أخذت قوة الحيثيين تزداد شيئا فشيئا ، واستمرت حملاتهم ضد سوريا وانتهت هذه الحملات باستيلاء الحيثيون على الجزء الشمالي من سوريا الذي كان يحده نهر الفرات في الشرق ولبنان في الجنوب ، ثم ما لبث أن استولى الآشوريون على الجزء الباقي منها في عهد ملكهم داد نيرلري (١٣٠٤ - ١٢٧٣ ق. م) وهكذا انتهت دولة ميتاني من الوجود . وكانت في أحد المصور تشارك مصر وخيتا المنطقة في سوريا .

وفي عام ٦٤ ق. م. دخلت فينيقيا تحت الحكم الروماني وأصبحت جزءا من الإمبراطورية الرومانية . ويذكر د. الفاصري في هذا الصدد " سار بومبي من آسيا الصغرى جنوبا إلى سوريا (٦٤ - ٦٣ ق. م) للقضاء على حالة الفوضى التي كانت سائدة في تلك المنطقة منذ أن طرد لوكو اللوس تجرانيس الثاني منها ، وأعاد إليها ملكها انطيوخوس الثالث عشر الذي كان ضعيفا مثل ملوك البطالمة المتأخرين " عندئذ قرر بومبي عزله وأعلن ضم سوريا ونيقيا كولاية جديدة من ولايات روما باسم " ولاية سوريا " . بعد ذلك سار بومبي جنوبا إلى فلسطين ووضع حدا للصراع

الذى شهدته مملكة يهوذا اليهودية * (١).

ولفتح بلاد الشام تمهيدا لدخولها فى الإسلام اختار سيدنا أبو بكر أربعة قواد هم : أبو عبيدة بن الجراح ، وشرحبيل بن حسنة ، ويزيد بن أبى سفيان ، وعمر بن العاص وأمرهم على أربعة جيوش ، زحفت على بلاد الشام لتحريرها من الرومان . وعلم هرقل قائد الرومان بمسير القوات الإسلامية التى وصل عددها قرابة ثلاثين ألف ، فجهز جيشا كبيرا لمباغظة الجيوش الإسلامية وأخذ كل واحد منها على انفراد ، تدارس القادة المسلمون الموقف العسكرى من كل جوانبه فقررروا مواجهة العدو مجتمعين ، وأرسلوا للخليفة أبى بكر يطلبون إمدادات جديدة ، فكتب الخليفة أبو بكر إلى خالد بن الوليد فى العراق يأمره بالتوجه بجزء من جيشه لمساعدة المسلمين فى بلاد الشام وسار خالد ومن معه من جنوب العراق فى طريقه إلى بلاد الشام فسلك فى الصحراء طريقا صعبا . ونزل بعدها عين التمر وأغار على بعض القرى ، ثم تقدم نحو مرج راهط ومنها إلى بصرى وبعدها إلى اليرموك فى ١٣ هجرية حيث وقعت فيها المعركة الشهيرة . ونال عدد من الصحابة الشهادة ثم واصل المسلمون فتوحاتهم فى شمال الشام فتحت دمشق وحمص وقسرين وحلب وإنطاكية وبسروت وطرابلس . ولما علم هرقل بهزيمة جيشه فى سوريا حزن كثيرا وقال :

* سلام عليك يا سوريا ، سلا ما لا لقاء بعده * وهذا ما حدث بالفعل .

أقدم العلاقات بين شعوب شمال بلاد الشام ومصر :

ارتبط تاريخ مصر القديم ارتباطا وثيقا بتاريخ سوريا وفلسطين وبما يقع فيهما من أحداث وتأثير ذلك على السياسة الخارجية لمصر القديمة منذ أقدم العصور . ولم نعثر على وثيقة مكتوبة فى مناطق فينيقية تحثنا عما كان يفكر فيه الفينيقيون وعلاقتهم بالشعوب الأخرى خصوصا المصريين والآشوريين واليونانيين وملوكهم الميامى والتجارى مع جيرانهم ، أو عن فنونهم المختلفة وصناعاتهم

(١) د. سيد الناصرى : المرجع السابق ، ص ٣٢٠ - ٣٢١ .

المعدنية وبناء الأساطيل ولكن نعتد في أغلب الأحوال في معرفتنا لتاريخهم وعلاقاتهم صا ورد عند الشعوب الأخرى وكذلك من نصوص الآثار التي كشف عنها في بعض المناطق .

وهناك إشارات في بعض النصوص تدل على وجود اتصال ما لو تأثير ما بين مصر وجيرانها في الشمال الشرقي من أقدم العصور ^(١) . فطبقا لأسطورة أوزير التي سجلت أول ما سجلت في سياق متون الأهرام الدينية المنقوشة داخل هرم ونيس آخر ملوك الأسرة الخامسة والتي ترجع إلى عصور اسبق منها . كان أوزير وإيزيس أخوين وزوجين من مجموعة رباعية يكملها ست وأخته نفتيس . وكان الأربعة رجلا أول جمع بين الكهوية وبين البشرية في أعقاب انفصال السماء عن الأرض ، اختبر أوزير ملكا على البشر يحكم بينهم ، إلا أن أخاه ست نقم عليه ودبر مكيده محبوكة فدعى لحفل أكله في داره ، وأعد صندوقا فاخرا ووعد بأن يهبه لمن يطابق جسمه ، فتهاوت المدعون يتمددون فيه ، ولما جاء دور لوزير نزله فطابقه ، وهنا طبق أخوه الصندوق عليه وأحكم غطاؤه ولفاه في النيل فعمله التيار حتى مصبه ثم نُزل في البحر الأخضر (المتوسط) فعملته أمواج البحر بدورها حتى ألقت به على شاطئ جبيل (في لبنان) فإظلمت هناك شجرة مقدسة واحوتته وأخذت إيزيس تبحث عن جسد زوجها ، حتى بلغت جبيل واهتمت إلى الشجرة ، واستخلصت زوجها منها وحملته إلى مصر ، حيث أعادت إلى بدنه الحياة ^(٢) .

(١) Erman - Ranke, la Civilisation Egyptienne, p. 10.

د. فليبيب حتى : تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية ، ص ١٤٦ ، د. عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ، ص ٢٥٣ .

(٢) Montet, la Vie quotidienne en Egypte au temps de Ramses (١٩٤٦), p. 175 ; Pirenne, Histoire de la Civilisation de L'Egypte ancienne, p. 53 - 54 .

وقد تطورت العلاقات فيما بعد ومنذ عصر بدلية الأسيرات كان ملوك مصر يتبادلون الهدايا مع حكام وأمرأ جليل لتسهيل سبل التجارة وإقامة علاقات مسالمة بينهما . فقد عثر على اسم الملك خع سخموى آخر ملوك الأسرة الثانية منقوشا على جزء من آتية . كما عثر على بقايا اسم الملك خوفو من الأسرة الرابعة على جزء من إناء من الأكبستر ^(١) كما عثر على اسمه على إناء آخر من النيوريت وعلى اسم زوجته مريت إيت اس على قطعة من إناء ^(٢) . كما عثر على اسم الملك منكساورع على قطعة إناء من الأكبستر ^(٣) .

كما عثر على بعض ملوك الأسرة الخامسة على بعض الآثار . فقد عثر على اسم الملك ساحورع على ختم اسطوانتى وكذلك جد كارع اسيسى . كما عثر على اسم ونيس آخر ملوك الأسرة على قطعة من الأكبستر ^(٤) .

ولم يقف الأمر على تبادل الهدايا ، بل نعلم أيضا أن الملك سنفرو مؤسس الأسرة الرابعة قد أرسل إلى جبيل أربعين مركب لإحضار أخشاب الأرز اللازمة والتي استخدم بعضها لتثبيت بعض الكتل الحجرية فى داخل هرمه الجنوبى فى دهشور ^(٥) . كما نرى من نقوش معبد الملك ساحورع الجنازى فى لى صير من

(١) Contenau , op. cit. , p. 95

(٢) Montet , Byblos et l'Egypte . p. 74 .

(٣) Montet, op cit , p. 68 (45)

(٤) Montet, Quelques objets provenant de Byblos , dans Revue Syria , (1929) , p. 15 ; Montet , Egypte et Syrie pendant le 111 et II millenaires, dans Melanges de l'Université Saint - Joseph, t. 37 fasc . 2, Beyrouth (1961) , p. 34 .

(٥) Weigell, Histoire de L'Egypte ancienne , p. 32 ; Gardiner , Egypt of the Pharaohs , p. 78, 89 ; Montet , Byblos et l'Egypte : Id., Quelques objets, p. 14 . د. احمد فخرى : p. 69 (46) , p. 74 ;

المرجع السابق ، ص ٦١ - ٦٣ ، ٦٦ - ٧٢ : د. فليب حتى : تاريخ لبنان

منذ أقدم العصور التاريخية ، ص ٧٩ - ٨٠ .

الأسرة الخامسة منظرين يمثلان رحيل وعودة الأسطول المصري من جبيل ويرى مونتيه ان من بين الأشخاص الرئيسيين على ظهر الأسطول ، يوجد أميرة مسورية ربما أرسلت لكي تصبح زوجة الملك سامورع .^(١)

كما عثر على بعض الآثار التي تحمل أسماء بعض ملوك الأسرة السادسة فقد عثر على اسم الملك تيتي واسم بيبي الأول على قطعة من مائدة قرابين وجزء من آنية وعثر في أسامات معبد ربة جبيل على عدد كبير من الجعارين التي ترجع إلى عصر الدولة القديمة ، ربما كانت من عصر الملك بيبي الثاني . وقد عثر أيضا على معبد مصري هناك ووجد في ودائع أساس المعبد أربع ألوان تحمل أسماء بيبي الأول وبيبي الثاني ، وختم أسطواني كتب عليه اسم إن رع .^(٢)

وعن الرحلات البحرية إلى كين (جبيل) وبونت في عصر الأسرة السادسة لدينا نقش للملاح خنوم حتب في مقبرة حامل ختم المعبود ' خوى ' في مقبرته بالفتين ويقول فيه :

" مدير المقصورة خنوم حتب يقول : خرجت مع سيدي الأمير الوراثي حامل ختم المعبود تتي (وأيضا) خوى إلى كين (جبيل) وبونت إحدى عشرة مرة ، حاملا بسلام ما أفتجته (هذه) البلاد الأجنبية " .^(٣)

(١) Montet, le Roi Sahure et la princesse lointaine , dans Melanges Syriens (1939) , p. 191 - 195 ; Gardiner , op. cit . , p. 88 ; Erman - Ranke , op . cit . , p. 688 .

(٢) Montet , un Egyptien , Roi de Byblos sous la XII dynastie , dans Revue Syria (1927), p. 86 ; Montet , Byblos et L'Egypte, p 38, 62 , p. 70 - 71 (45-50) , 72 - 73 (51m 56-57) .

(٣) Urk I, 140 - 141 (291 , 1 . 14 - 15 , 1-2) ; Breasted , AR I, p. (٣) 361 .

ومنذ عصر الدولة الوسطى كانت التوابيت الخاصة بكبار الشخصيات فى مصر ، تصنع من خشب الأرز ، كما أن زيوت الأرز كانت تستخدم كذلك فى تحنيط المومياوات وذلك طبقاً لتصوص من عصر الدولة الوسطى (١) . ولدينا من الأسرة الثانية عشرة ، قصة سنوهى ، ذلك المصرى الذى خرج وعبر الحدود الشرقية وذهب إلى فلسطين ثم لجأ إلى رتنو (سوريا العليا) وتزوج هناك وعاش لفترة من الزمان ثم كتب إلى الملك سنوسرت الأول يطلب منه العودة لكى يظن فى ثرى مصر ويذكر د. فخرى : " وكان سنوهى أحد موظفى البلاط الملكى . ويقص علينا قصة هروبه من مصر ومغامراته مع حراس الحدود الشرقية ، ووصوله إلى سيناء ونقله من بلد إلى آخر حتى وصل إلى رتنو (سوريا العليا) وهناك أغراه أمير البلاد عامونتلى بالبقاء معه ورفع من قدره وزوجه من كبرى بناته وأعطاه جزءاً من ممتلكاته . وحدث أن تحده رجل قوى من اهل البلاد ودعاه للقتال دون أن يكون هناك أى عداة بينهما . ويقص سنوهى كيف نجح فى القضاء على خصمه . وعندما أدركته الشيفوخة أخذ يفكر فى نهايته وكتب إلى ملك مصر وعندما وصله رد الملك ترك أولاده جميعاً فى رتنو ووزع بينهم كل ثروته . وعاد إلى مصر فأحسن الملك استقباله فى قاعة العرش وأمر الملك بأن يصطحب إلى منزل أحد الأمراء حيث أعدوا له حمام وعطروه وألبسوه أفخر الثياب ويقول : " وجعلوا السنين تغادر جسمى وانسلخت عنى ، وسرحوا شعرى وألقوا بى الصحراء بحمل من المفصلات وألقوا بملابسى إلى ملائكى الصحراء وألبسونى أفقر الثياب وعطرونى بأحسن أنواع العطور ونمت على سرير وتركت الرمال لمن هم فيها وزيت الخشب لمن يدهن نفسه به " (٢) .

(١) Erman - Ranke , op . cit , P. 688 ; Contenau , op. cit ., p. 95 ;

Montet , Byblos et L'Egypte , p . 57 .

(٢) د. احمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم ، ص ٩٥ - ٩٩ ، د. فيليب حتى : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ص ٢٧ - ٨٥ ، ٩١ - ١٠١ ، المؤلف نفسه : تساريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية ، ص ٨٨ - ٨٩ : د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٢٥٢ - ٢٦٩ : Erman- Ranke , op . cit ., p. 689 ; Vergote , Joseph en Egypte (1969) , p. 16 .

وهناك نقش من عصر الملك سنوسرت الأول في الكرنك ، يتحدث عن حملة للملك في سوريا تحت إمرة قائد مصري وكان الروماء جيبيل يقطعون له أخشاب لشجار الأرز .^(١)

ويبدو أن مفوك الأسرة الثانية عشرة قد حرصوا على المحافظة على العلاقات السلمية بينهم وبين حكام وأمراء بلاد الشام وذلك حرصا على تأمين سبل التجارة بين البلدين . فقد عثر في بلاد الشام وفي مدنها على تماثيل وأواني وجعازين وأختام نقشت بأسماء أشخاص مصريين ترددوا على بلاد الشام وتعاملوا مع أهلها وحكامها ، وكان منهم رجل من البلاد الملكي المصري وحكام أقاليم ، ومنهم تجار يعمل لحسابه الخاص أو يعمل لحساب ملكه ، وعثر على هذه الآثار في جزر ومجدو وجبيل ورأس الشمرأ وقطنه شمالي حمص وقل عطشانة وغيرها ..

كما عثر على تماثيل صغيرة لمعبودات مصرية في شمال بلاد الشام . كما شاع في أسماء بعض النساء المصريات اسم ربة جبيل التي اعتبرها المصريون صورة من معبودتهم حتحور .^(٢)

ويؤكد الأثاث الجنائزي الذي عثر عليه في المقبرتين رقمي ١ ، ٢ في بيبيلوس في حفائر المعهد الفرنسي في بيروت عام ١٩٢٢ والتي كان يعاصرها صاحبيهما عصر الملكين أمنمحات الثالث والرابع ، إن بيبيلوس كانت في نهاية الأسرة الثانية عشرة موالية لمصر^(٣) وكان الملك إيسي - شمو معاصرا للملك أمنمحات الثالث وابنه إيشمو - إبي كان معاصرا لأمنمحات الرابع . وكان هذان

(١) Montet, le Pays de Negau , dans Revue Syria (1923), p. 183.

(٢) د. عبد العزيز صالحي : المرجع السابق ، ص ١٧٧ - ١٧٨ .

(٣) Montet, Un Egyptien , roi de Byblos , sous la XII^e dynastie, p.

91 د. فيليب حتى : تاريخ لبنان منذ أقدم العصور ، ص ٩٠ د. عبد الحميد

زايد : المرجع السابق ، ص ٣٠٦ .

الأميران بتلقيان الهدايا من ملكي مصر لتسهيل سبل التجارة المصرية . وكان لقب
الأمير المصري معروفا في جبيل ^(١) وكان يحمله أمراء جبيل المعاصرين للأسرة
الثانية عشرة المصرية على الأقل . فقد ورد في نقش عثر عليه في جبيل على اسم
أميرين كتب بالخط الهيروغليفي مع لقبهما . ^(٢)

كما عثر على آثار الملك أمنمحات الثالث أرسلها هذا الملك كهديا لتكريس
ربة جبيل وأمراتها . فعلم أن الملك أمنمحات الثالث أرسل كاسا إلى أبي - شمو
(صاحب المقبرة رقم ١) وأرسل أمنمحات الرابع صندوقا للحلى مصنوعا من
الأوبسيديان ومطعم بالذهب إلى ابنه إيشمو - أبي (صاحب المقبرة رقم ٢) . وربما
أرسل هذا الملك سيفا كتب عليه بالخط الهيروغليفي إلى الابن . ^(٣)

واتسع النفوذ المصري في عصر الدولة الوسطى حتى شمل بيروت وقطنة
شملى حمص وأوجاريت . وكان المصريون القدماء يتركون في تلك المناطق
التمائيل التي تمثل أبا الهول . ولكن أهم المناطق انتشارا لنفوذهم كانت جبيل . وكان
أميرها يتفاخر بثقافته المصرية ، فشيّد لنفسه مقبرة تحمل طابع الفن المصري وزين
آثاره الجنائزي على الطريقة المصرية وكتب اسمه عليه (هو وأمير آخر) بالخط
الهيروغليفي . ^(٤)

وقد عثر في قطنة شملى حمص على تمثال لأبي الهول يمثل الأميرة " إتا " -
ابنة أمنمحات الثاني . وتمثال للميرة خنميت زوجة سنومرت الثاني ، وتمثالين لأبي
الهول يمثلان أمنمحات الثالث وكل ذلك يدل على أن مدينة جبيل كانت وجهة لزيارة

(١) Montet , Egypte et Syria pendant la 111 et 11 .

وأیضا : د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ٩٨٨ ، 34. p. Millenaire ,

(٢) Montet , Notes et Documents , p. 91 - 95 .

(٣) Id., op. cit ., p 92 .

(٤) Id ., op. cit ., p. 93 .

المصريين أيضا في عصر الأسرة الثانية عشرة. (١)

ولدينا من أواخر الأسرة الثانية عشرة وبدلية الأسرة الثالثة عشرة أى الفترة ما بين ١٨٥٠ و ١٧٣٠ ق.م ما يسمى " بنصوص اللعنة " وهى النصوص التى كتبت على أولى فخارية حمراء أو على قطع صغيرة من الطين أو تماثيل من الطين وتذكر أسماء حكام وروساء الدويلات والمدن والقلاع فى فلسطين ومصر والذين كانوا يناصرون مصر العداء . وتنص على صب اللعنات والدعوات بالفناء على هؤلاء الأعداء لشل حركتهم والقضاء عليهم وذلك بكسر هذه الأوانى اعتقادا منهم بأن فى كسرها وتحطيمها فيه قضاء تام أو الحد من شر هؤلاء الأعداء الذين جاء ذكرهم أسماؤهم عليها (٢) . ومن أسماء المدن فى بلاد الشام التى جاء ذكرها فى هذه النصوص : بعلبك ، اكسويا ، مقتم (البقاع) ، عشتاروت ، ميشى ، شابلو ، جوادى ، كبن أو كبنى (جبيل) . (٣)

(١) Montet , Quelques objets provenant de Byblos , p. 12 - 13 ;

Id ., la Vie quotidienne en Egypte au Temps de Ramses , p.

16 ; Id ., Byblos et L'Egypte , p. 25 ; Id ; Egypte et Syria , p.

34 - 35 ; Posener , Princes et pays d'Asie et de Nubie , p 39 ,

43 - 45 .

وأیضا : د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٧٨ .

(٢) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، طبعة ١٩٨١ ، ص ٢٢٥ ؛ د. عبد الحميد

زايد : مصر الخالدة ، ص ٣٨٨ ، ٤٥٥ - ٤٥٦ ؛ د. عبد القادر خليل :

علاقات مصر بشرق البحر المتوسط حتى نهاية الدولة الحديثة ، الهيئة

المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية ١٩٨١ ، ص ١٦٣ - ١٧٢ ؛ د. رمضان

عبد : تاريخ مصر القديم ، الجزء الثانى ، دار نهضة الشرق بحرم جامعة

القاهرة ٢٠٠١ ، ص ١٣ - ١٤ حاشية (٣) .

(٣) د. عبد القادر خليل : المرجع السابق ، ص ١٦٤ - ١٦٨ .

ويقدم لنا د. فخرى ترجمة لمثال واحد لما هو مكتوب على أحد التماثيل :
 بأكويت المسمى جاي ، حاكم إباتس بن اهاسى واونكتف وجميع حلفائه الذين معه
 وجميع رجالهم الأقوياء وعدائهم وجميع أصدقائهم واتباعهم ، وكل من تحدته نفسه
 بالثورة أو التآمر ، والذين يحاربون أو يفكرون فى الحرب أو الذين يفكسرون فى
 الخروج عن الطاعة (أى طاعة ملك مصر) فى جميع تلك البلاد .^(١)

. وتذكر لنا هذه النصوص بالإضافة إلى أسماء هؤلاء الحكام الأعداء أسماء
 ثمانية من المصريين ومن بينهم أربعة يحملون لقب " مريى " أو " وكيل أعمال بعض
 السيدات المصريات " . وقد جاء فى النص انه صب على هؤلاء المصريين اللعنات
 أيضا ، ربما لأنهم خرجوا من مصر لاداء مهام معينة ورفضوا العودة إليها مفضلين
 الإقامة فى هذه البلاد الأجنبية دون أن يناضبوا مصر أو ملوكها العداء . ومن
 الصعب القول بأنهم خرجوا من مصر نتيجة لاشتراكهم فى مؤامرة ضد القصر
 الملكى أو نتيجة لشقاق سياسى .^(٢) ولكن يبدو ان الأمر يتخلص فى أنهم أبدوا عدم
 تأييدهم لم يحدث فى البلاد من عدم استقرار الأوضاع السياسية فى بداية الأسرة
 الثالثة عشرة . فكانت هناك اضطرابات داخلية لا نعرف عنها شيئا فقد مرت ست
 سنوات على بداية الأسرة الثالثة عشرة دون اختيار ملك يعترف به الجميع .

ويحتفظ متحف بروكلين بأجزاء من بردية كتبت على وجهها الآخر قائمة
 طويلة تشمل ٤٥ أميوبا من رجال ونساء وأولاد ألحقوا بخدمة موظف كبير فى
 صعيد مصر^(٣) وهى مؤرخة بالسنة الأولى والثانية من حكم الملك سبك حتب الثالث
 من الأسرة الثالثة عشرة .

(١) ترجمة د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٣٥ .

(٢) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٣٥ - ٢٣٦ ؛ د. عبد الحميد زبيد :
 المرجع السابق ، ص ٤٥٦ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ،
 ص ١٨٥ - ١٨٦ ؛ د. عبد القادر خليل : المرجع السابق ، ص ١٦٨ - ١٦٩ .

(٣) د. عبد الحميد زبيد : المرجع السابق ، ص ٤٥٠ ؛ د. عبد القادر خليل :
 المرجع السابق ، ص ١٧٤ .

وعثر في فينيقيا على لوحة غير كاملة صور عليها أمير جبيل يونثان جالسا أمام شخص عظيم اختفت صورته ، ولكن للنصوص المدونة إلى جانبه تشير إلى أنه الملك خع سخم رع - نفر حنوب من بداية الأسرة الثالثة عشرة ^(١) وهي في الواقع صورة تجمع بين صديقين أو حليفين .

انقطعت الصلات بين مصر والشاطئ السوري لفترة احتلال الهكسوس لمصر ، تلك القبائل التي جاءت في هجرة واسعة من أواسط آسيا وانتشرت بالتدريج في بعض بلاد الشرق القديم . وكانت إحدى هذه الهجرات هي التي قادت الهكسوس إلى مصر الذين دفعوا أمامهم القبائل والشعوب التي كانت تعيش في جنوب فلسطين .

ولكن بعد أن نجحت مصر في طرد الهكسوس فكر ملوك الدولة الحديثة أن الغزو والفتح هما الوسيلة الأفضل لمنع الغزوات المهيضة التي تعرضت لها البلاد على غرار الهكسوس ، فتركز اهتمامهم على الجيش وتنمية قدراته الحربية . وقد أُلْهِسَت الأحداث نفسها - صحة هذه الفكرة - وكانت هذه السياسة تتطلب اتصالات دائمة مع آسيا وتكوين مناطق نفوذ مصري فيها . فأخذ الملوك في التوسع أكثر وبقدر الإمكان نحو الشرق حتى يضعوا أكبر فراغ ممكن بينهم وبين تلك القبائل الآسيوية المشغبة الطامعة التي كانت تثير القلاقل على الحدود الشرقية لمصر .^(٢)

وقد أثرت هذه السياسة الجديدة بعمق في مظاهر الحضارة المصرية وكان طبيعيا أن تتجاوب وتدخل في اتصالات مباشرة مع الحضارات الكبرى في آسيا ، ولم يغيب عن أذهان ملوك مصر الرواج الاقتصادي الناتج عن وجود مناطق نفوذ واسعة وجنى المصريون ثمار انتفاضتهم للقوة عندما أهدوا خطر الغزو الأجنبي وتغير المناخ السياسي في البلاد الذي كان أساسا وليدا لمجهوداتهم الحربية وكان يهيم على مصر في كل علم ميل من الجزية المختلفة . وكان المستفيد منها هو الملك والكهنة

(١) د. أحمد فخري : المرجع السابق ، ص ٢٣٨ د. عبد الحميد زليد : المرجع

السابق ، ص ٤٥١ د. عبد العزيز صليح : المرجع السابق ، ص ١٨٤ .

(٢) د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ٩٠ - ٩٢ .

والجنود والموظفون الذين كان لهم نصيب من موارد الدولة . وقد حافظت مصر بقدر الإمكان على أصالتها ويمكن القول "مصريتها" وسوف تخرج من كل هذه الاتصالات بنوع من التغيير الشكلي^(١). وكان نجاح السياسة الخارجية والاستقرار والتقدم في الداخل ، مرتبطا بشخصية الملك الجالس على العرش ، فمن المعروف أن أغلب ملوك هذه الفترة كانوا يتمتعون بقوة الشخصية وكان لهم تأثير لا يمكن إنكاره على مجريات التاريخ المصري في هذا العصر وأولهم أحمس الذي اضطر إلى الذهاب إلى سوريا في العام العشرين من حكمه ، وذلك لكي يقضى على البقايا الباقية من قوات الهكسوس ، ووصل حتى جاهی في شمال فلسطين^(٢) . أما عن نشاط أمنحتب الأول في آسيا فهو ضئيل ولدينا إشارتين أولهما عن بسلاد قنمى (وهى جزء من فلسطين) في مقبرة أمنحتب ، والثانية عن ميتانى في نفس المقبرة السابقة ، وهذان اللصان هما الإشارة الوحيدة عن نشاط أمنحتب في آسيا ، وهما لا يذكران أى إشارة عن صليات حربية^(٣) . أما تحوتمس الأول فيعتبر أول من وضع اللبنة الأولى في صرح هذه العلاقات وكسب مناطق عديدة تخضع للنفوذ المصرى . فقد خرج من شرق الدلتا وعبر الصحراء ، ووصل إلى جنوب فلسطين ، ثم اتجه شمالا بامتداد الشاطئ حتى حلب ، وقام بصيد الأكيال في منطقة المستقعات بناحية " نى " بالقرب من أعالي سوريا ، ووصل أخيرا إلى نهر الفرات بالقرب من قرقيش وأقام هناك لوحة تسجل انتصاراته^(٤) . وتمتع تحوتمس الثاني بنوع من الهدوء خلال سنوات حكمه فيما عدا حملة قام بها ضد قبائل البدو في الصحراء الشرقية^(٥) .

(١) Erman - Ranke , op. cit ., p. 690 - 683 , 724 ; Montet , le Pays de Negau , dans Revue Sryia (1923) , p. 183 ; Eydoux , A le Recherche de Mondes perdus , p. 28 .

(٢) د. رمضان السيد : تاريخ مصر القديمة ، الجزء الثانى ، ص ٤٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٤ - ٥٥ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٥٩ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٦٤ ؛ د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ٩٢ - ٩٤ .

أما تحوتمس الثالث فكان أكثر ملوك مصر القديمة ذكاء فهو الذى دفع بسيطرة بلاده إلى أبعد الحدود . ففى آسيا استغل الميثقيون فرصة الهدوء الذى ساد عهد حتشبسوت فى السياسة الخارجية ، فلجأوا إلى تكوين تحالف معاد ضد مصر وكان يرأس هذا التحالف ملك قادش ، الذى عرض أكثر من مرة شعوب آسيا ضد المصريين واضطر تحوتمس الثالث إلى القيام بحوالى سبع عشرة حملة حربية لكسب يقضى نهائيا على تلك التحالفات وقد نجح فى فرض سيطرة مصر مرة أخرى على منطقة الهلال الخصيب (١).

وقام بحملته الأولى فى السنة الثالثة والعشرين من حكمه وكان عدوه الرئيسى هو أمير قادش (تلك المدينة التى تقع على نهر العاصى على بعد ١٥٠ كم شمال دمشق وتسمى حاليا تل النبي مند) وهى مدينة ذات موقع حربى ممتاز . إذ تقع فى الطريق الشمالى من سهل البقاع . وقد وضع أمير قادش نفسه على رأس تحالف من الملوك الصغار والأمراء السوريين ، الذين ثاروا ضد السيطرة المصرية التى فرضها عليهم تحوتمس الأول . وكان أمير قادش قد تقدم حتى مدينة مجدو إلى الغرب من سهل اسدالون ودعا هناك إلى تجمع كل قادة الثوار الآخرين وبعد مسير مجهد بطول الشاطئ وصل إليهم تحوتمس الثالث ونجح فى القضاء على أعدائه . وكان نظام الحكم فى مناطق النفوذ قائما على أن تبقى الحكومات المحلية فى أماكنها طبقا لمدى طاعتها . ويقومون بدفع الجزية سنويا ويرسلون الأمراء الصغار إلى مصر ليتعلموا مظاهر حضارتها ويصبحون بعد ذلك موالين أوفياء . وبعد ذلك قام بستة عشرة حملة ، كل منها لها ظروفها ونتائجها ، ففى الحملة الخامسة اهتم بتأمين سهل مواسلاته واستولى على بعض مدن الشاطئ الفينيقي وتغلغل حوالى ٢٥٠ كم إلى الشمال أكثر مما فعل من قبل واستولى أيضا على أحد موالى فينيقيا ، وهى أرواد (٢) ، وفى الحملة السادسة انطلق عن طريق البحر واتجه نحو قادش واستولى

(١) د. رمضان السيد : المرجع السابق ، ص ٧٨ - ٨٢ .

(٢) د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ٩٤ - ٩٦ ، ١٠٠ .

عليها كما استولى على مدينة تونيب ، أما الحملة السابعة فقد خصصها للاستيلاء على العديد من الموانئ في فينيقيا . وكانت الحملة الثامنة من أقوى غزواته الحربية ورحل فيها عن طريق البحر ونزل في فينيقيا وعبر سوريا ووصل إلى نهر الفرات الذي عبره بواسطة مراكب شيدت طبقا لأوامره في بيلوس وقطعت أخشابها من هناك . وتقابل مع الميتانيين وانتصر عليهم وتبعهم في وسط الجبال واستولى على الأراضي التي تقع شرق الفرات وأقام على الشاطئ اليمن لنهر الفرات لوحة حدود في مواجهة اللوحة التي كان قد أقامها من قبل تحوتمس الأول . وبفضل الانتصار على ميتاني ، أصبح جزءا كبيرا من آسيا خاضعا لنفوذ مصر .^(١)

وفي الحملة التاسعة استولى فيها على جاهي على الساحل ، وفي الحملة العاشرة انتصر فيها على بلاد النهرين التي قامت بثورة ، وفي الحملة الثالثة عشرة توجه إلى شمال سوريا وقضى على ثورة قامت هناك وفي الحملة السادسة عشرة حاصر فيها قادش التي اتحدت من جديد واستولى عليها مرة أخرى . وقد أرسل تحوتمس الثالث أحد رجال بلاطه من - نفر لإحضار أخشاب الأرز من جبيل .^(٢) كما أوكل للمدعو مين - مس تجديد معبد ربة جبيل خلال فترة هذا الحكم . كنوع من سياسة التقرب إلى حكامها^(٣)

(١) في نصوص تحوتمس الثالث المسجلة على جدران معبد الكرنك ، ورد أول ذكر لأسم دمشق : تا - مس - نو وتظهر التهجئة نفسها في نصوص امنحتب الثالث وفي نصوص تل العمارنة يذكر الاسم نفسه ثلاث مرات ، راجع : د. عيد مرعي : دمشق القديمة ، تحليل لكتاب لوين بيتارد (يحمل العنوان نفسه) ، في مجلة دراسات تاريخية ، المجلد ٣١ - ٣٢ حزيران ، دمشق ١٩٨٩ ، ص ١٦٩ .

Urk IV, p. 535. (٢)

Montet, Byblos, p. 286. (٣)

وفى عهد أمنحتب الثالث استغل المصريون فرصة وفاة تحوتمس الثالث وقاموا بثورة ومعهم بعض الإمارات الآسيوية . فخرج إليهم الملك ووصل إلى نسيهر العاصي وقضى على الثوار . ولما سمع أمير نهرينا وأمير منجر بهذا النصر الذى أحرزه الملك تسابقوا لإحضار هداياهم ، وفى الفترة ما بين قيام الدولة الوسطى والدولة الحديثة ، كون ملوك من أصل أرى المملكة الميتانية على أعلى نهر الفرات وسوريا . ولأول مرة نرى مملكة ميتاني ترسل مندوبين بالهدايا . وسعى الميتانيون إلى التقرب من ملك مصر خوفا من تزايد قوة الحيثيين (١).

جاء بعد ذلك تحوتمس الرابع وأثناء الفترة القصيرة التى أمضاها فى لحكم ، قاد جيوشه إلى آسيا ، وكانت مجرد حملة تفتيشية أكثر منها حملة حربية بالمعنى المفهوم . وفى هذه اللحظة كان الموقف فى آسيا قد تطور بالفعل وبدأ يظهر خطر الحيثيين . وفى شرق الفرات كانت تمتد مملكة ميتاني ، وكانت دولة متحضرة يحكمها الملك ارتاتاما وكان نهر الفرات يفصل هذه المملكة عن ممتلكات مصر فى آسيا . وقد رأى تحوتمس الرابع أنه من الأفضل عقد معاهدة مع ارتاتاما لئى يتفادى بهذه الطريقة أن يتعرض ممتلكاته البعيدة ومناطق نفوذه لآى هجوم ، ولهذا الغرض أرسل السفراء إلى بلاط ميتاني طالبا الزواج من إحدى بنات الملك . ولم يتردد الميتانيون فى البحث عن صداقة الملك المصرى نظرا لتزايد خطر الحيثيين . ولهذا عقدت معاهدة بين البلدين ، ولا نعرف أى شئ عن تفاصيلها وكل ما نعرفه أن الملك تحوتمس الرابع تزوج بالفعل من الأميرة الميتانية موت ام ويا وهى التى سوف تنجب ولده أمنحتب الثالث ، الذى يجرى فى عروقه الدم الهندولوروى . وقد أعطى لها هذا الاسم عند وصولها إلى مصر . ومنذ عصر تحوتمس الرابع أصبح ملوك ميتاني يرتبطون بملوك مصر أو البلاط الملكى المصرى - بملكات مصاهرة (٢).

(١) د. رمضان السيد : المرجع السابق ، ص ٨٨ - ٨٩ .

(٢) المرجع السابق : ص ٩٣ .

وقد جاءت إشارات عن نشاط تحوتمس الرابع في عدة نصوص منها إشارة في قوائم القرابين التي قدمها الملك إلى المعبود امون على أنه استولى على بلاد النهرين . وفي مقبرة أحد رجال عصره خع أم جالت ترى صورة لتحوتمس الرابع ومن ورائه أواني من الذهب والفضة جاء بها بعض الآسيويين .

تولى بعده أمنحتب الثالث ولم يكن له نشاط حربي كبير . فقد عثر على لوحة في معبده للجنائزى في طيبة تشير إلى أنه انتصر في الشمال والجنوب دون أية تفاصيل أخرى .

ونعرف أنه تزوج من الأميرة الميتانية " جيلوهيا " ابنة شوثرنا التي وصلت معها ثلثمائة من حريم القصر وتزوجت من الملك ولكنها بقيت إلى الصف الثاني بواسطة الملكة تي فيما بعد . ووصفت الأميرة الميتانية في النصوص المصرية بأنها " ابنة أمير نهارين مع ٣١٧ من اتباعها اختيروا من بين النساء الأكثر جمالا في الحريم الملكي " وقد تزوج الملك أيضا من إحدى الأميرات البابليات ، لذلك نجد أن أخاها الملك البابلي " كداشمان - نليل " يشكو من أنها اختفت بعد الزواج وهو يجهل ما إذا كانت على قيد الحياة أم لا . لدينا خطاب طويل من ملك ميتاني - توشراتا - قد أرسله بعد وفاة أمنحتب الثالث إلى ملكة مصر ، يطلب منها أن تستخدم نفوذها لدى العاهل الجديد (أمنحتب الرابع) لكي تستمر علاقة الصداقة بين البلدين . ولمس أيضا في الخطابات التي أرسلها توشراتا إلى أمنحتب الرابع نفسه ، عدة ملحوظات منها أن الملكة الأم كانت على علم بكل الرسائل الدبلوماسية بين ميتاني ومصر . وأكثر من ذلك فقد ذكر في إحدى الخطابات أن الملكة أرسلت إليه خطابا بعد وفاة زوجها ، وطبقا لظواهر الأمور يعتقد أن الملكة تي أخذت زمام أمور الدولة بدلا من ابنها الصغير (١) .

وعندما تولى الملك اخنتون كانت الأوضاع في سوريا وفلسطين في حالة يرثى لها . فقد استغل الحيثيون فرصة انشغال الملك المصري بشؤونه الدينية في

(١) د. رمضان السيد : المرجع السابق ، ص ٩٨ - ٩٩

الداخل ، لكي يقودوا التحالفات والمؤامرات ضد مصر ونفوذها في بلاد الشام . وقد نجحوا في ذلك هم وأعوانهم من الأموريين . ومن الوثائق الهامة التي تلقى لنا الضوء على الأوضاع السياسية التي سادت سوريا وفلسطين أثناء فترة حكم الملكين أمنحتب الثالث واخناتون ، خطابات تل العمارنة التي عثر عليها عام ١٨٨٧ وهي ألواح طينية كتبت بالخط المسماري بلهجة أكديّة وكان يحتفظ بها في أرشيف الديوان الملكي الذي تم العثور على مكانه بطريق الصدفة .^(١) وعرفت هذه الرسائل بالاسم الشهير

(١) وكان هذا المكان يقع في الأصل خلف قصر الملك اخناتون حيث كانت توجد مجموعة متواضعة من المكاتب الصغيرة وكان الغرض منها حفظ الأرشيف الملكي وكان يطلق عليها اسم " مكتب مراسلات الملك " . وعثر على هذه الرسائل إحدى الفلاحات عندما كانت تبحث عن بعض الأحجار والطوب لبناء فرن لها وعثرت على مكان هذه الألواح الطينية . وقضى سوء الحظ أنه لم يعرف قيمتها في ذلك الوقت . بل حدث أن نهب جزءا منها تجار الآثار ، ووصل بعضها إلى بعض العلماء الذين حكموا بأنها مقلدة ولا قيمة لها . وأن ما عليها من نقوش ليس إلا عبث أطفال مقلدين . ولهذا لم يبق من المئات الكثيرة التي عثر عليها إلا عدد قليل . وعندما جاء الوقت الذي عرف فيه المتخصصون قيمتها كان أكثر من نصفها قد تحطم نظرا لعدم صلابتها ولم يبق منها إلا نحو ثلثمائة . وعندما بدأ يترى في عام ١٨٩١ حفائره في تل العمارنة باحثا عن بعض منها لم يعثر إلا على القليل ولهذا لوثق العدد الكلي الآن إلى ٣٧٩ موزعة كالآتي : ١٩٩ بمتحف برلين ، ٨٣ بالمتحف البريطاني ، ٥٠ بالمتحف المصري ، ١٨ بمتحف أكسفورد ، ١ بمتحف اللوفر ، ١١ بمجموعة خاصة ، يضاف إليها قطعا صغيرة لا تحمل أرقاما راجع : Knudtson, Die El Amarna Tafeln, AAllen 1964, p. 991 – 996; Helck, LA I, p. 173.

ومن أهم ما عثر عليه بين هذه الألواح جزء من لوح عبارة عن قاموس كانت كل صفحته مقسمة إلى ثلاثة أعمدة سجلت في العمود الأول الكلمة بالمصرية وأمامها في العمود الثاني معناها بالمسمارية الأكديّة ، وهي لغة المراسلات الدبلوماسية في ذلك العصر . وفي العمود الثالث النطق الأكدي مكتوبا بالأحرف المصرية . وكان هذا القاموس في أيدي كتبة " مكتب مراسلات الملك " التابع للديوان الملكي للاستعانة به عند ترجمة ما جاء في هذه المراسلات وعند تحرير الرد عليها ، راجع : د. أحمد فخري : دراسات في تاريخ الشرق القديم ، ص ١٠٨ – ١٠٩ ؛ باري كيمب : تشريح حضارة (ترجمة أحمد محمود) المجلس الأعلى للثقافة ، المشروع القومي للترجمة ، ٢٠٠٠ ، ص ٣١١ .

خطابات تل العمارنة * . وهى عبارة عن مراسلات كانت متبادلة بين هنين الملكيين وبعض ملوك بابل وميتاني واشور وختي والازرا (شمالي طرابلس)^(١) وأمراء وحكام المدن السورية والفلسطينية . وكان بعض هؤلاء الأمراء والحكام يخضع للنفوذ المصرى ويدين بالولاء لملكها . والبعض الآخر لم يخضع لحكم ملك مصر مباشرة . وبعض أصحاب هذه الرسائل كانت تربطهم ببعض ملوك مصر صلة المصاهرة والبعض الآخر كان يتظاهر بولائه . وللأسف الشديد أننا لا نعرف المسدد الأصلي الذى كانت عليه هذه الرسائل .

ونفهم منها أنه كان من بين الموالين لملك مصر فى سوريا : ريعدى حاكم جبيل ، امونيرا حاكم بيروت^(٢) ، واكيزى حاكم لطفه شمالي حمص ، وأبو ملكى حاكم صور ، وزيمردا حاكم صيد (٢) ، ومدينة تونيب (بعلبك) وسيميرا المجاورة لجبيل . وفى فلسطين كان : عبد خيبا حاكم لورثليم ، وديا حاكم عسقلان ، وبريديا حاكم مجدو .^(٣)

أما حكام المدن المعادية للنفوذ المصرى فى سوريا : حاكم ارواد ، وايتاجاما حاكم قادش ، وحاكم أمور وعبد شرتا وخلفه وولده عزيرو . وفى فلسطين : لاهيا حاكم مشم وولده تاجى وزوج ابنته ملكى - إيلي .^(٤)

(١) د. عبد الحميد زايد : مصر للخالدة ، ص ٦٣٨ د. عبد العزيز صالحي : المرجع السابق ، ص ٢١٨ ؛ بارى كوسب : المرجع السابق ، ص ٢٣٥ .

(٢) د. عبد الحميد زايد : مصر للخالدة ، ص ٥٩٠ ، ٦٣٨ .

(٣) د. نجيب ميخائيل : الشرق الأدنى القديم، الجزء الأول، الكتاب الثانى : مصر، دار المعارف ١٩٥٨، ص ١٧٤ - ١٨٤ د. عبد الحميد زايد : مصر للخالدة، ص ٥٩٠ - ٥٩١ ، ٦٣٨ - ٦٣٩ د. عبد القادر خليل : علاقات مصر بشرق البحر المتوسط حتى نهاية عصر الدولة الحديثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية ١٩٨١ ، ص ٢٠٥ - ٢١٢ ، ٢١٤ - ٢١٩ .

(٤) د. نجيب ميخائيل : المرجع السابق ، ص ١٧٤ ، ١٨٤ د. عبد الحميد

زايد : المرجع السابق ، ص ٥٨٩ ، ٦٣٨ د. عبد القادر خليل : المرجع

السابق ، ص ٢٠٦ - ٢١٢ ، ٢١٤ - ٢١٩ .

وبينت لنا هذه الرسائل من كان مواليا لمصر ولملكها ومن كان عدوا لهما وملكها ويسعى للتخلص من النفوذ المصري تحت ضغط الحيثيين وأعدائهم . وأيضا تحت ضغط الأموريين الذين لعبوا دورا في تفويض النفوذ للمصري في سوريا . فكان شوبيلوليوما حاكم خيتا يفرض سيطرته على حلب وكذلك على كل شمال سوريا كما عمل مبعوثو الحيثيين على إقصاء الموالين والأوفياء لمصر عن الحكم . وتقدم الأموريون بطول الشاطئ واستولوا على المدن التي كانت موالية للمصريين الواحدة بعد الأخرى .

وكان يحتاج حاكم قادش يسعى بكل قواه للقضاء على النفوذ المصري في هذه المناطق . كما استخدم عبد شرتا وولده غازيرو كل ذكائهما تارة والقوة تارة أخرى للاستيلاء على الشاطئ بين صيدا وأوجاريت . وكان ريمدى حاكم جبيل السدي كان أكثرهم وفاء وولاء وأكثر من كتب من خطابات يكافح ويقاوم في أقصى الشمال هو وحاكم تونيب (بعليك) وحاكم أورشليم عبد خيتا يكافح في الجنوب ووقف ضد أعداء الملك المصري . ولو أنه من الصعب أحيانا في ضوء ما جاء في هذه الخطابات فهم من هو العدو ومن هو المخلص ، فالعدو يمكن أن يكتب إلى الملك متظاهرا بعكس ما هو متها به . فبينما رسائل ريمدى حاكم جبيل تظهر حاكم أمورو على أنه العدو هذا لم يمنع هذا الأخير من أن يكتب إلى الملك معربا عن وفائه ^(١) . كما أننا لا نعرف بالضبط هل كان زيمردا حاكم صيدا مخلصا أم لا لأنه كتب إلى الملك معربا عن إخلاصه ^(٢) في حين تظهره رسائل أبو ملكي حاكم مسور على أنه عدو ^(٣) .

-
- (١) راجع د. عبد القادر خليل : المرجع السابق ، ص ٢٠٧ .
 (٢) د. عبد الحميد زويد : المرجع السابق ، ص ٥٩٠ - ٥٩١ .
 (٣) د. عبد القادر خليل : المرجع السابق ، ص ٢١٤ .

وكذ أرسل ريعدى وحده أكثر من ستين من هذه الخطابات^(١) خطابا وراء الآخر طالبا قوات مساعدة ولكن لم تأت النجدة فكتب ريعدى إلى أمنتب الثالث خطابا يعرض فيه الأخطار التى تتعرض لها بيبولوس فيقول :

" جبيل الجارية أمينة للملك منذ أيام أبائه .. ها هو ذا الملك قد سمح أن تخرج المدينة المخلصة من يده .. ليقلب الملك مجالات بيت أبائه ليرى إن كان الرجل الذى فى بيبولوس ليس خادما مخلصا " .^(٢)

وكان ريعدى يتهم أمير أو حاكم أمورو عبد شرتا بأنه يسعى لتفويض النفوذ المصرى واحتلال الأراضى الخاضعة لنفوذ الملك ، فكتب يقول أيضا :

" عبد شرتا كلب يسعى لامتلاك مدن الملك " ..

ويرسل ريعدى فى طلب نجدة من مصر مكونة من عشرين زوجا من الخيل وثلاثمائة رجل حتى يستطيع أن ينقذ المدينة .^(٣)

ومن ناحية أخرى نجد أن أمير أو حاكم أمورو عبد شرتا يدافع عن نفسه فيرسل خطابا إلى الملك أمنتب الثالث ، يقول فيه :

" إلى الملك ، شمسى ومولاي ، يقول عبد شرتا وتراب قدميك : أجتو عند كدمى مولاي الملك سبعا وسبعا فلأنا خادم الملك وجرو بيته وحرس أرض امسور أو

(١) هى أرقام : 68 - 92, 95 - 96, 102 - 138

راجع : Knudtzon, Die El Amarna Tafeln AAllen 1964, p. 361
- 435, 441 - 443, 455 - 587.

(٢) ترجمة د. عبد القادر خليل : المرجع السابق ، ص ٢٠٦ - ٢٠٧ وراجع أيضا :

د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق، ص ٥٩١ (٢) حيث نجد ترجمة لخطاب آخر من ريعدى .

(٣) د. عبد القادر خليل : المرجع السابق ، ص ٢٠٧ .

كلها من أجل مولاي وسيدى " (١).

وفي خطاب آخر إلى اختاتون يشرح ربعدى الوضع العام فيذكر له أن والده ، أمنحتب الثالث ، قام بإرسال عدد كبير من الجنود إليه عندما طلب هو ذلك . وكان رد الملك على ربعدى قوله له أن يحمى نفسه ، فرد ربعدى قائلا :

" لما كتب الملك يقول دافع عن نفسك وسدافع عنك بغير شك ؟ ضد من أذاع عن نفسي ؟ ضد أعدائي أم ضد رعاياي ؟ من سوف يدافع عني ؟ إذا دافع الملك عن عبده فإن في هذا خلاصى ، ولكن إن لم يدافع عني فمن يدافع عني ؟ " (٢).

وانتهى الأمر بربعدى بأن قبض عليه وأقصاه أخوه عن الحكم (٣).

ولم يكن هدف عازيرو ابن عبد شرتا هو التخلص من ربعدى فقط ولكن كان يريد التخلص من أبو ملكى أمير أو حاكم صور ولكيزى أمير قطنة اللذين اتهماه بالعمل ضد النفوذ المصرى .

ويبدو أن تصرفات عازيرو هذه قد أغضبت الملك أمنحتب الرابع فكتب إليه قائلا :

" والآن أن هؤلاء الذين استمالوك إلى صفوفهم إنما يهدفون إلى القذف بك في النار ... ولو أنك اتعنت إلى الملك سيدك ، واحطته علما بما جرى هناك ، فمسا الذى لم يفعله الملك من أجلك " (٤).

(١) ترجمة د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢١٧ .

أرسل هذا الحاكم ستة خطابات هي أرقام : 67 - 62 ، راجع : Knudtson, Die El Amarna Tafeln AAllen 1964, p. 349 - 360.

(٢) د. عبد القادر خليل : المرجع السابق ، ص ٢٠٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢١٠ .

(٤) ترجمة المرجع السابق ، ص ٢١٢ .

وفى خطاب آخر محذرا يقول :

« أنك تعلم بالتأكيد أن الملك لا يرغب فى القيام بهجوم عنيف يشمل كل أرض كنعان ... تأكد أن الملك يمكنه التحرك كتحرك الشمس فى السماء ، وقواته وعرباته موجودة فى الشمال والجنوب بكثرة » (١).

ولكن غازيرو استمر فى مؤامراته واستمال إليه أمير صيدا الذى لجأ إليه ريمدى بنى آخر مطلقه لصلبه إليه ، واستولى هو على الأزا (شمال طرابلس) ، وارداتا (قرب زغرتا) ، وحرق لوجاريت ودمر سيميرا ، وظل يرسل خطابه المخادعة إلى اخناتون يظهر ولاءه فيها ويدعى أنه إنما يستولى على المدن ليحميها من الحيثيين وأنه يخرب بعضها حتى لا يستفيدوا منها ، وبلغت به صفاقته إنه كان يرامل الملك معبرا عن خضوعه وولائه (٢).

كما أن هناك خطابات أخرى أرسلت من : لمونيرا حاكم بيروت وابو ملكى حاكم صور واكيزى حاكم قلعة و زيمرد حاكم صيدا . فكتب امونيرا حاكم بيروت خطابين يقول فى أحدهما :

« أيتها الملك ، سيدى ، شمسى ، كتبت لى وأنا خادملك وتراب قدميك أن أعد (كل شئ) من أجل قوات الملك سيدك (هذا) ما نعى إلى سمعى والآن انظر فقد جهزت خيولى وعرباتى وكل ما يمتلكه خادم الملك سيدى ، من أجل قوات الملك ، سيدى ، شمسى » (٣).

كما كتب ابو ملكى حاكم صور عشرة خطابات يقول فى إحداها : « زيمودا حاكم صيدا وغازيرو عدو الملك ، قوم برونا ، قد أقسموا وأقاموا حلفا فيما بينهم وجمعوا سفنهم وعرباتهم ، ومثلتهم لى يهزموا صور خادمة الملك . (ولكن) يد

(١) ترجمة المرجع السابق ، ص ٢١٣ .

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢١٨ .

(٣) د. عبد القادر خليل : المرجع السابق ، ص ٢١٤ .

الملك القوية قد وصلت وتمكنت صور من سحقهم ، ولم يتمكنوا من هزيمتها ، ولكنهم تمكنوا من هزيمة سيميرا . . .

وفي خطاب آخر يقول : " لقد أدار الملك وجهه نحو خادمه وأعطاه ضباطا لكي يحمي مدينة الملك ، سيدى ، وكنت بمفردى " . وفي خطاب ثالث : " لقد أصابهم (أى الأعداء) الذعر من مشاة سيدى " . وفي خطاب رابع يذكر : " ان ما قاته الملك ، سيدى ، قد فعلته ، إن الأرض كلها ترتعد عند رؤية جنود الملك ، سيدى وقد أذنت لقومى بأن يعدو السفن من أجل استقبال جنود الملك سيدى " (١).

ويقول أيضا في إحدى رسائله : " هذه رسالة من عبد إلى سيده بعد أن سمع ما قاله الرسول الطوب من لدن الملك لخادمه عند وصوله إلى هنا ، (وشعر به —) العبير الحلو الذى خرج من فم جلائكتم نحو عبده " (٢).

ويقول أيضا : " لقد بدأ ابتاجاما ملك قادش وعازيرو العداء .. " (٣) وكتب أكيزي حاكم قطننة يقول :

" سار الآن ابتاجاما ضدى ومعه ملك خاتى وهو يطلب لرضى ، والآن قد أرسل لى ابتاجاما ، يقول : تعال معى إلى ملك خاتى وأجبتة أنا : (بله) إذا كلنسى ذلك الأمر حياتى ، سوف لا أذهب إلى ملك خاتى ، فأنا خادم الملك ، سيدى ، منسك مصر " . ويذكر فى خطاب آخر : " لقد أخذ ملك خاتى ، آلهة قطننة ورجالها " (٤).

وأرسل زيمردا حاكم صيدا خطابين يقول فى أحدهما : " إلى سيدى الملك وإلهى وشمسى ونفسى حياتى وعند نلقى سيدى وإلهى .. أسجد سبع مرات وسبعاً ، وأعلم يا سيدى الملك أن صيدا مطمئنة لخادمة لسيدى الملك الذى أودعها بين يدى ..

(١) هي أرقام : 155 - 146 ، راجع : Knudtson, op. cit., p. 633 - 637

وأيضا : للمرجع السابق ، ص ٢١٤ - ٢١٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢١٨ .

(٣) د. عبد القادر خليل : للمرجع السابق ، ص ٢١٨ - ٢١٩ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢١٨ .

وأعلم أيها الملك إنني أقود جند سيدي الملك وإني ألتفد كل ما يأمر به ، وأعلم أيضا أيها الملك أن لي أعداء أقوياء وإن كل المدن التي أولانيها الملك سقطت في يد اللصوص فهل يأذن الملك بأن أضع نفسي تحت حماية قائد جنده لاسترداد البلاد التي سقطت في يد اللصوص ... " (١).

وكتب حاكم مدينة تونيبي إلى الملك الخناتون رجيا أن يرسل إليهم بمساعدته وكتب إليه قائلا : " إلى مولانا ملك مصر . نحن أهل تونيبي أتباعك ندعوك بالحياة والمساعدة ونقبل كدميك . إن أمكنك مدينة تونيبي نقول من ذا الذي كان يستطيع أن يذهب تونيبي دون أن ينتقم لها من خبثها (أي تعوثن الثالث) ويفعل بالناهب ما فعل بها . إن معبودات مولانا الملك وتمائله موجودة لدينا ، ولیمال مولانا في ذلك المتكلمين في المن من رجاله ليعرف ما إذا كنا نقول الحقيقة أم غيرها .. إذا لم يدر كنا مشاة ملك مصر وعريقته قبل فوت الفرصة فإن غازيرو سيصنع معنا مثل ما صنعه في مدينة " نى " وحينئذ لن نبكى وحدنا بل سيبكى معنا أيضا ملك مصر مما يرتكبه غازيرو من أفعال لأنه سوف يرفع يده حينئذ ضد مولانا " (٢).

ويبلغ مجموع الرسائل التي أرسلها أهل تونيبي عشرين رسالة (٣) خطابا وراء الآخر طالبين قوات مساعدة ولكن لم تأتيهم النجدة . وكان آخرها هذا الخطاب :

(١) هما أرقام 145 - 144 ، راجع : Knudtzon, op. cit., p. 603 - 605

د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٥٩٠ .

(٢) انظر ترجمة د. أحمد فخري : دراسات في تاريخ الشرق القديم ، ص ١١٠ ؛

ود. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ص ٢١٨ .

(٣) د. أحمد فخري : المرجع السابق ، ص ١١٠ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع

السابق ، ص ٢١٨ .

" إن مدينتك توثب تبكى ، ودموعها تجرى ، ولا ناصر لنا ، أرسلنا
عشرين رسالة إلى مولانا ملك مصر ولم نتلق ردا منه " (١)

هكذا كان الوضع في الشمال في سوريا . أما في الجنوب في فلسطين فكان
لابايا حاكم مشتم وولده تلجى وزوج ابنته ملكى - ليلى يسمعون جميعا لتقويض دعائم
النفوذ المصرى . ومن ناحية أخرى كان هناك من أخلصوا لملك مصر في هذه
الناحية وكان على رأسهم عبد خويا حاكم أورشليم ويريدوا حاكم مجدو ويشدوا حكام
تاعا ناخ (سوف نتحدث عن مراسلاتهم عند الحديث عن فلسطين ، فيما بعد
ص ٢٩٤) .

وفي أثناء ذلك الوقت ، كانت شعوب الخابرو قد بدأت تتسأل إلى سوريا
من الجنوب ، وأرسل الأمراء المواليين لمصر خطاباتهم العديدة ، ثساكين طالبين
حماية الملك ويعلنون أن الغزاة ينتصرون في كل مكان .

وعلى الرغم من كل هذه الخطابات وما جاء فيها لم يتحرك اخناتون واكتفى
بإيفاد رسول لبحث الموقف في فينيقيا ولكن هذا الأخير بطريقة غريبة جدا ، ثبت
ملك أمور في الأراضي والممتلكات التي انتزعها من مصر ، تلك الأراضي التي
سوف تشمل فيما بعد بيلوس أيضا . وهذا يعنى أن الملك قد اعترف بالأمر الواقع
واكتفى باعتبار ملك أمور موال له يخضع لأوامره . أما في فلسطين فقد قسم الهدو
بدورهم بثورة واستولوا على مجدو ثم مناطق أورشليم أو (رو - ما- ليم) ، وفي
حالة من اليأس أرسل المواطنون يطلبيون مساعدة مصر ، ولكن اخناتون لم يرسل
إليهم أية نجدة وأخيرا سقطت مونتقى حليفة مصر تحت ضربات الحيثيين والآشوريين
المثالية ، وأصبح الحيثيون الآن في أوج مجدهم وقوتهم وأرغموا ملك أمور على
توقيع معاهدة تحالف معهم .

(١) د. أحمد فخري : المرجع السابق ، ص ١١٠ د. عبد العزيز صالح : المرجع

وظلت السياسة الخارجية في تدهور مستمر خلال عهود خلفاء اخناتون :
سينخ كارع ، توت عنخ آمون ، واي . ويبدو أن شرق الدلتا كان عرضة في ذلك
الوقت لتسربات من عناصر جاءت من آسيا وعندما بلغ الملك توت عنخ آمون مبلغ
الرجولة ، قاد بنفسه حملة عسكرية ضد هؤلاء الغزاة وتحشدنا النقوش عن يوم
" القضاء على الآسيويين " (١) ويبدو أنه كان هناك لقاء بينهم وبين جيش الملك أثناء
طردهم من حدود مصر الشرقية .

وفي عهد حور محب قام بقيادة الجيش المصري من جديد إلى آسيا ، ونجح
في استعادة جزء صغير من الأراضي التي فقدت هناك . (٢)

وفي بداية الأسرة التاسعة عشرة تولى الملك مسيقي الأول الذي بفضل
عرفت مصر من جديد فترة من المجد ولكن دون أن تصل إلى درجة التوسع التي
وصلت إليها في عهد تحوتمس الثالث . (٣) بعد مرور عامين من وفاة أبيه رمسيس
الأول وصعوده على العرش نجد أنه أعاد سياسة الغزو المصري في آسيا واستعاد
بعض النفوذ والسيطرة حتى جنوب سوريا . فقد حاول العبرانيون إثارة الشغب
واستغلوا فرصة تولي ملك آخر وأعلنوا ثورتهم ودفعوا بهندو الصحراء الشرقية
الناشئة إلى الحدود المصرية واستولوا على الحصون والحاميات المصرية التي تمتد
بطول الطريق البري من الحدود المصرية إلى فلسطين فخرج إليهم في السنة الأولى
من حكمه على رأس جيش كبير وقضى على هذه الثورة واستعاد الحاميات وتغافل
في فلسطين وقد حاول السكان المدفوعين بواسطة الحيثيين إلى الوقوف ضد
المصريين ولكن مسيقي الأول نجح في هزيمة المتحالفين قبل أن يتوافر لديهم الوقت
الكافي للتربط فيما بينهم . ثم واصل مسيرته بعد ذلك إلى لبنان وأعاد لمصر مرة

(١) د. رمضان السيد : تاريخ مصر القديم ، الجزء الثاني ، طبعة هيئة الآثار ، ص

١٢٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٣٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٢٧ - ١٣٨ .

أخرى نفوذها في غرب آسيا وسوريا العليا . وهكذا حققت الجيوش المصرية النصر حتى في المناطق التي تقع شمال لبنان . وقد تحقق كل ذلك خلال أربع سنوات^(١) وسجلت على الجدران الخارجية لصالة الأعمدة الكبرى في الكرنك أخبار هذه الحملة وصور أهالي بيبيلوس وهم يقومون بقطع أشجار الأرز للملك . وقد عثر على لوحات صغيرة في قادش وفي تل شهاب ذكر على كل منها اسم الملك سيتي الأول وعثر في بيت شان (بيسان) على لوحة تؤكد وصول جيوشه إلى مدينة حماة . وقد حاول الحيثيون الحد من تقدم الجيش المصري بعض الوقت ولكن دون جدوى . وعاد سيتي الأول مرة أخرى إلى آسيا لكي يتابع حملته الأولى التي طرد فيها الشامو وأخضع فلسطين وكنعان ، ولا نعرف تفاصيل هذه الحملة الأخيرة ، لأن نصوصها قد ضاعت معالمها على جدران معبد الكرنك . وتذكر نقوش تمثل له عثر عليه في معبده الجنائزي بالبر الغربي بطيبة أنه أخضع ستة عشر بلدا في فلسطين وربما قد وصل في هذه الحملة الثانية حتى قادش ، وتذكر نصوص تمثله أيضا أنه استولى على سامرا وبلاد أمور . وفي حملة ثالثة وصل فيها إلى وادي نهر العاصي كما يتضح من نصوص معبد الكرنك أنه كان يحارب في قادش ضد الحيثيين ، ويبدو أن الحيثيين قد تراجعوا ولكن لم ينجح في استعادة شمال سوريا . وفي حملة رابعة عاد مرة أخرى إلى آسيا وتقابل مع الحيثيين شمال قادش وربما وقع في هذه المرة معاهدة مع ملك الحيثيين ولكن لم تصلنا نصوصها . وليس لدينا أي تفاصيل عن هذه الحرب التي دارت بين المصريين وبين قوات مولاتي ملك الحيثيين ، إنما تذكر أن سيتي عاد منتصرا من هذه الحملة .

وعندما تولى رمسيس الثاني الحكم كان الموقف في آسيا خطيرا للغاية ، فقد أخذت قوة الحيثيين في النمو شيئا فشيئا وأخذ مولاتي ملك الحيثيين ، يتقدم نحو قادش وقام رمسيس بحملته الأولى في السنة الرابعة من حكمه وعبر فيها فلسطين حتى نهر

(١) د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ١٠٦ د. توفيق سليمان : المرجع

الكلب على بعد قريب من بيروت حيث أقام هناك لوحة تذكارية ^(١) ويذكر مونتيه ان رمسيس الثاني أسس مدينة تحمل اسمه في وادي الأرز (؟) ^(٢) وكان أحد حكام جبيل يدعى لحيروم صاحب المقبرة رقم (٥) وكان معاصرا للملك رمسيس الثاني . فقد عثر لهذا الأخير على بناء من الألبستر في مقبرة هذا الحاكم . وفي خريف العام الخامس من حكمه عام ١٢٩٢ ق. م . قام بحملته الشهيرة ضد موآبي بقصد السيطرة على سوريا ونقشت أخبار معركة قادش على جدران العديد من المعابد : للكرنك ، والأكصر ، الزمسيوم وأبو سمبل وذكرت على ثلاث برديات . وفي الواقع أن كلا الخصمين كانا في قوة متساوية ولم يدخلوا في معركة حقيقية وبقيت سوريا تحت التهديد الحيثي . ولكن الخسائر كانت فادحة جدا من كلا الطرفين . وقد نجح الملك في الحد من شوكة الحيثيين ، الذين كانوا قد كونوا تحالفا من عشرين شعبا ، وفي خلال العشر سنوات التي مرت بعد ذلك ، قام بعدة حملات إلى آسيا ^(٣) . ومن الواضح أن الحيثيين اضطروا إلى التراجع قليلا ولكنهم عادوا مرة أخرى لتأليب

(١) د. رمضان السيد : المرجع السابق ، ص ١٤٣ - ١٥١ .

Montet, Byblos, p. 286.

(٢)

(٣) إذ لم يمتد عاملان على معركة قادش حتى كانت فلسطين قد شارفت بأسرها وامتدت الثورة حتى وصلت حدود مصر إذ كانت صقلان من بين المدن التي وجد رمسيس الثاني نفسه مضطرا للاستيلاء عليها . وكذلك جزء من بلاد الأموريين وبخاصة حصن دبور التي دارت عنده إحدى المعارك الهامة وبعض المدن على الساحل الفينيقي ، راجع : د. أحمد فخري : مصر الفرعونية ، الطبعة الخامسة ، ص ٣٥٣ . وعند مغور نهر الكلب يوجد تحت بارز لاسرحدون أقيم إلى اليسار من نصب رمسيس الثاني . وكما روى رمسيس الثاني في نقشه كيف استولى على عدة مناطق في سوريا وفلسطين ، تجد أن اسرحدون يروي خبر الاستيلاء على منف في مصر وصقلان وصور ، راجع : د. فوليبي حتى : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، الجزء الأول ، ص ١٥٤ - ١٥٥ المؤلف نفسه : تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية ، ص ١٠٥ - ١٠٧ .

المدن الفلسطينية ولكن أزمة الخلافة على العرش أضعف ملك الحثيين . وفي أعقاب وفاة موآلي تولى ابنه الذي كان صغيرا جدا وبعد عدة سنوات من الحكم حل محله عمه الملك خاتوميل الثالث ، وانتهاز رميموس هذه الفرصة لكي يعاقب مدن الفلسطينيين التي كانت موالية للحيثيين وأراد أن يستعيد موآلي الشاطئ الفينيقي وتقدم نحو تونيب وأيضا حتى نهرينا ونجح في إعادة الهدوء إلى فلسطين واستولى على تونيب من يسد الحثيين . وعندما وصل إلى هذا الحد ، تطور الموقف الخارجى فجأة ، فقد ظهر فاتح ثالث في آسيا ، وهى آشور التي استولت على الجزء الأكبر من ميثاني القديمة ، ثم استقر ملك آشور على نهر الفرات ومن هنا بدأ يهدد الحثيين والممتلكات المصرية ولهذا نصح معاونو خاتوميل الملك بعقد معاهدة سلام مع ملك مصر وولدت المعاهدة بين الملكين . ولدينا النسختين المصرية والحيثية من هذه المعاهدة . وبعدها بثلاثة عشر عاما تقريبا ، جاء الملك الحيثي خاتوميل في زيارة رسمية إلى مصر مصطحبا معه ابنته لتصبح زوجة للملك المصرى ولقبت هذه الأميرة بالاسم المصرى مآعت نفرور رع . وظلت هذه المعاهدة سارية المفعول طوال حكم رميموس الثانى ، واستمر هذا السلام لمدة ستة وأربعين عاما حتى أيام ولده مرنبتاح ، فقد أرسل هذا الأخير حبوبا إلى الحثيين الذين واجهتهم مجاعة ^(١).

وعندما تولى مرنبتاح الحكم اضطر في بداية حكمه إلى قيادة حملة فى سوريا ، ولكن لا نملك وثائق عن هذه الحملة . وعلى لوحة أنصتب الثالث التى اختصها مرنبتاح يذكر بعض المدن الآشورية التى عاقبها مثل كنعان وعسقالون وجزر وينعام ثم يضيف عناصر " اليسيريرو قضى عليها ، ولم تصبح لها ذرية ، وأصبحت خارو (سوريا وفلسطين) أرملة لمصر واتحدت كل البلاد فى سلام ، لقد قضى على كل قاطع طريق " وعلى الرغم مما يعتقد الكثيرون من العلماء فإن كلمة " اليسيريرو " هنا ، فى رأينا ، لا تعنى إسرائيل ولكن يقصد بها عناصر بنوىسة كانت تتجول فى جنوب فلسطين ^(٢).

(١) د. رمضان السيد : المرجع السابق ، ص ١٥١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٦١ ، ١٦٦ - ١٦٨ .

وفى الأسرة العشرين كسان على رمسيس الثالث أن يواجه الغزو الهندو أوروبى ، فقد جاء الغزاة ومعهم زوجاتهم وأطفالهم من الشرق ومن الشمال . وهددوا مصر من البر والبحر فى نفس الوقت . ويبدو أن تلك الشعوب قد فشلت فى اتحادها مع الليبيين فى شمال أفريقيا ، فأخذت تبحث عن مجال جنود فى آسيا الصغرى وفى سوريا . وليس لدينا معلومات محددة عن الحملة البرية ولكن يبدو أن الجيش المصرى قد نجح فى محاصرة الهندو أوروبيين على الحدود الفلسطينية السورية ، أى خارج حدود مصر ، وقد أُرِخ هذا الحدث بالسنة الثامنة من حكم رمسيس الثالث ^(١) . وقد سجل الملك معاركه معهم على جدران معبد مدينة هابو ، وقد صور لنا الفنان قتال المصريين فوق مراكبهم وشوهد العدو أمامهم وكان من بين تلك الشعوب : الشردانة ، الدانو ، والبلميت الذين اشتهروا فيما بعد ، والتتككر أو التتكر ، وعلى أية حال فقد تحطم أسطول الغزاة من شعوب البحر اما شواطئ الدلتا ولم يعاودوا الكرة مرة أخرى ، ومن ثم فقد عادت للسيطرة المصرية كاملة على سوريا وعاد رمسيس الثالث إلى آسيا مرة أخرى ، واضطر للقيام بحملة أخرى على سوريا للقضاء على ثورة هناك وقد قضى بذلك على جماعة من البدو كانوا يتنقلون فى الصحراء جنوب فلسطين . ولم يكن هذا غير مجرد غارة لم تترك ثأرية . وأصبح الجزء الجنوبى م الشاطئ الفينيقيى عامرا بواسطة البلمست (الفلسطينيين) ^(٢) . وأصبحت حدود مصر وشواطئها آمنة وغدت السفن التجارية تستطيع للتجوال بين شواطئ مصر وفينيقيها دون التعرض لأى خطر .

وكانت مراكب الأسطول المصرى تشيد فى بيلوس أو تبساع إلى مصر بواسطة الفينيقيين أو أنها تشيد فى القرصانة المصرية بأخشاب الأرز على نماذج من بيلوس ^(٣) . ويذكر نص من عصر الأسرة التاسعة عشرة والأسرة العشرين ، انه لم

(١) د. رمضان السيد : المرجع السابق ، ص ١٩٥ .

(٢) د. فيليب حتى : تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية ، ص ١١١ - ١١٢ .

(٣) Montet, la Vie quotidienne en Egypte au temps de Ramses , p. 181 .

يكن هناك شئ إلا واستوردته مصر من سوريا . فمصر كسنت تستورد أخشاب القوارب والعربات والأسلحة (السيوف والحراب) والعصى وأدوات الموسيقى (القيثارة وأنواعا مختلفة من الغاب) ، ولوانى ثمينة متنوعة خاصة بالزيوت والنبيلد والجمعة وأنواعا مختلفة من الخبز والبخور والأسماك والثيران والأبقار .^(١)

ازدادت تبعاً لذلك الهجرات الأجنبية من الشمال الشرقى فى عصر الأسرة الثامنة عشرة وبدأت هذه الهجرات لولا فى صورة أسرى حرب ، وثانياً فى صورة عمال . وكان لهؤلاء العمال الأجانب أحواء خاصة بهم حول معبد الأقصر أو معابد البر الغربى فى عصر الدولة الحديثة ، وكان يتولى أمرهم و من بلى جنسهم ومنهم من حاول ان يتمصر ووصل بالفعل إلى المناصب الهامة فى الدولة . ففى عهد مرتبناح نجد أحد السوريين يعمل فى خدمة الملك . ونجد فى بلاط رمسيس الثالث أحد الأجانب الذين يعيشون بالقرب منه ويحمل اسما فينيقيا . ونعلم أنه فى نهاية الأسرة العشرين ، اغتصب أحد السوريين المقيمين فى مصر ويسمى لرسو العرش وأرغم البلاد كلها على أن تدفع له الجزية .^(٢)

ونتيجة لهذا نجد ان بعض المعبودات الفينيقية مثل عشتارت قد ذكرت فى البرديات بكثرة ابتداء من الأسرة الثامنة عشرة . كما دخل اللغة المصرية كلمات عديدة من اصل سامى^(٣) . ومن الناحية اللغوية حاول الفثاقون المصريون أن يمثلوا الشعوب الآسيوية فى أوضاع غير مألوفة بالنسبة للوضع التى اعتادوا عليها . مثل تمثيل بعض السوريين فى أحد مقابر البر الغربى فى طيبة ن الذين جاؤوا للكشف عند طبيب الملك . وكان ملك بيلوس احيرام الذى كان معاصرا للملك رمسيس الثانى يفخر بأنه يكتب ويتحدث باللغة المصرية إلى جانب لغته الأصلية التى استخدمت

(١) Erman - Ranke, op. cit., p. 693 .

وأيضاً د. فيليب حتى : تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية ، ص ٨٦ .

(٢) د. رمضان السيد : المرجع السابق ، ص ١٧١ .

(٣) د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ١٦٣ . Erman- Ranke, op. cit., p. ١٦٣ .

حروفا أجنبية من الكتابة الهيروغليفية المبسطة .^(١)

وقد بقى هذا النفوذ الثقافى لمصر فى منطقة الهلال الخصيب على الرغم من زوال نفوذها السياسى . ويرى بعض العلماء فى قصة ون أمون التى حدثت فى أواخر الأسرة العشرين وأوائل الأسرة الحادية والعشرين دليلا على ضعف هذا النفوذ السياسى لمصر فى سوريا . فقد ذهب هذا المبعوث لإحضار أخشاب الأرز اللازمة لترميم إقارب المقدس لأمون . ورحل فى مركب مع بضائع سورية . وعندما رسا على أول ميناء على الشاطئ الفينيقى ، سرق أحد البحارة من التكر (أو صقاية) كل فضته ، وعندما ابلغ ون أمون حاكم المدينة عن السرقة لم يزل أى رد اعتبار أو نوع ما من التعويض لذلك لجأ هو وبعض معاونيه إلى الاستيلاء على كمية معينة من الفضة فى الميناء التالى ، والتى كانت تخص أحد التجار من التكر على أمل ان يحتفظ بها حتى يرد إليه ما سرق منه من البحارة من نفس جنسية التاجر . وعندما وصل ون أمون إلى بيلوس كانت السلطات على علم بموضوع احتفاظ أمون بفضة التاجر ، لذلك احتجز لمدة معينة حتى يتم التحقيق فى هذا الموضوع . وبعد أيام من الانتظار اضطحب إلى قصر أمير بيلوس ، ذكر بعمل الذى استمع إلى قصته وما حدث له . وطلب منه الأمير ان يحدد طبيعة مهمته الحقيقية ، فأخبره ون أمون انسه جاء ليحصل على كمية من أخشاب الأرز ، ومن ثم أخذ الأمير يبحث فى وثائقه ووجد ان المصريين الذين جاموا لشراء مثل هذه الأخشاب من قبل كانوا يدفعون لها ثمنا باهظا . وفى النهاية اتفق معه على إرسال مبعوث إلى مصر للتحرى عن صحة أقوال ون أمون . وعاد الرسول فى الوقت المحدد ، حاملا من طرف حريحور كبير الكهنة فى مصر الهدايا المختلفة . وأعلن الأمير رضاه وأمر بقطع الأخشاب له ، وبعد ثمانية أشهر من رحيل ون أمون من تانيس ، كانت الأخشاب مكدسة كلها على الشاطئ استعدادا لتصديرها إلى مصر . ولكن جاء أسطول من إحدى عشرة مركب

(١) Montet, la Vie quotidienne en Egypte au temps de Ramses, p.

عليها بحارة من التكر ودخلوا الميناء وأعطوا أنهم يطلبون محاكمة ون آمون ويجب القبض عليه . وعندئذ أجابهم أمير بيلوس أنه لا يستطيع أن يقبض على مبعوث لأمون رع ولكنه منحهم الحق في الاقتصاص منه كما يحضون لهم عندما يصبحون جميعا في عرض البحر . ويبدو أن ون آمون قبل التحدي ولكن هبت عاصفة فركبت المراكب التي كانت تطلوده ونفقت به الرياح إلى بلاد الآسيا (قبرص) فخرج عليه أهل الجزيرة وقبضوا عليه واصطحبوا إلى ملكة الجزيرة وخلصته من يد رجالها الذين أرادوا أن يقتلوا به ووجد هناك من يتكلم اللغة المصرية . وللأسف تنقصنا نهاية القصة ولكن يبدو أن ون آمون قد عاد إلى أرض الوطن سالما حتى يروى لنا هذه القصة .^(١)

وعلى الرغم من كل هذا فإن تأثير مصر الثقافي ظل موجودا ، فقد عثر على تمثال يخص ششنق الأول كرسه أمير جبيل أبي - بعل لمعبوده ومعبود جبيل بعلت وبعل ، وكرس ابنه إيلي بعل تمثالا لاوسركون الأول إلى نفس المعبودات .^(٢)

وكان هناك بعض المصريين الذين عاشوا في جبيل زمنا طويلا وساتوا ودفنوا في أراضيها ، فمن قصة ون آمون أنه كان هناك مصريا يعمل في خدمة ذكو بعل حاكم جبيل وكانت هناك مغنية مصرية تعمل في بلاطه .^(٣) وسبق لنا أن ذكرنا بأن نصوص اللعنة من نهاية الأسرة الثانية عشرة تذكر لنا ثمانية أسماء من المصريين ممن يحملون لقب ربي أو وكيل أصال بعض السيدات المصريات ، يبدو

(١) د. رمضان السيد : المرجع السابق ، ص ٢١٤ د. عبد الحميد زايد : للفسق الخالد ، ص ٢٦١ - ٢٦٩ د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ١٠٧ - ١٠٨ د. عبد القادر خليل : علاقات مصر بشرق البحر المتوسط حتى نهاية عصر الدولة الحديثة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية ١٩٨١ ، ص ٢٣٠ - ٢٣١ .

Montet, op. cit., p. 41 - 49.

(٢)

Gardiner, late Egyptian Stories, 71 - 74.

(٣)

أنهم ذهبوا إلى سوريا لأداء مهام معينة ورفضوا العودة إليها مفضلين الإقامة في هذه البلاد الأجنبية دون أن ينامسوا العداء ولهذا صبت عليهم اللعنات ضمن أعداء مصر من حكم بعض المدن السورية .

قام نكاو الثاني في عصر الأسرة السادسة والعشرين ، على أثر توليه الحكم بحملة إلى سوريا مكونة من قوات مصرية ويونانية وذلك لاستعادة نفوذ مصر القديم في هذه البلاد . وتقدم نحو فلسطين وسوريا ووصل إلى القرات ، تلك المنطقة التي كانت تمثل آخر مدى لحدود ممتلكات مصر في فترة مجدها التاريخي الغابر . وذهب نكاو من جديد حتى القرات لملاقاة ملك بابل في قرقيش^(١) . وكان نابوخذ نصر الأمير الوراثي هو الذي يقود العمليات الحربية بدلا من أبيه ، ونجح في الاستيلاء على قرقيش وتتبع المصريين الذين هزموا بالقرب من حماة . وأصبحت فلسطين تحت النفوذ البابلي . ولم يخرج الملك المصري من حدوده بعد ذلك ولكنه أرسل بعثة للاستكشافات البحرية حول الشواطئ الأفريقية وربما أيضا بفرض التجارة وقد تمت الرحلة بنجاح ثلاثة أصوام ، فقد رحلت المراكب من ميناء على البحر الأحمر وعادت عن طريق مضيق جبل طارق ، ويبدو أن هذا المشروع قد نفذ بمساعدة بعض البحارة الفينيقيين أصحاب الخبرة الكبيرة في مجال الملاحة البحرية^(٢) .

وقال هيرودوت " وهناك قالوا ما يصدقه البعض ولكنني لا أصدق أنه بدورانيهم حول أفريقيا وكانت الشمس على يمينهم " وهذه العبارة الأخيرة التي لم يصدقها هيرودوت ثبتت صحة القصة . ذلك أنه عندما توجه السفن إلى الغرب حول رأس الرجاء الصالح فإن شمس نصف الكرة الجنوبية تكون عن يمينها^(٣) .

(١) د. رمضان السيد : المرجع السابق ، ص ٢٧٣ - ٢٧٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٧٦ .

(٣) د. فوليبي حتى : المرجع السابق ، ص ١٣٧ - ١٣٨ : المؤلف نفسه : تاريخ

سوريا ولبنان وفلسطين ، ص ١٠٨ .

ولسنا نملك دليل آخر يشير إلى هذه الرحلة إلا ما ذكره هيرودوت نفسه وهو يشك فيها ولا يصنفها هو نفسه ، ولكن بعض الدارسين في العصر الحديث يميلون إلى صحتها التاريخية على أساس عبارات وردت في وصف هيرودوت من أن هؤلاء الرحالة من الفينيقيين حين وصلوا إلى ليبيا من الغرب كانت الشمس على يمينهم .^(١)

(١) د. أبو المحاسن عصفور : المدن الفينيقية ، ص ١٢٢ - ١٢٣ ؛ د. فليب
حتى : المرجع السابق ، ص ١٣٨ .

بعض المظاهر الحضارية لشعوب شمال بلاد الشام القديمة

بعض المظاهر الحضارية عند الفينيقيين :

• نشط الفينيقيون في مختلف مجالات الحضارة . فأنشؤوا في تأسيس المدن والنظم السياسية وبناء المجتمع والديانة والنشاط الاقتصادي في الزراعة والصناعة والتجارة وفي الحياة الثقافية بما توصلوا إليه في الكتابة والحروف الهجائية وفي مجال الفنون المتعددة وقد أدخل البردي بلاد الإغريق عن طريق الفينيقيين حيث كان استعماله معروفا ومألوفاً حتى القرن السادس قبل الميلاد . وتأثر الفينيقيون بالمصريين في كثير من أمورهم كالآداب والعقائد .^(١)

أولاً : نظم الحكم والإدارة :

كانت المدن الفينيقية تتميز بنوع من الاستقلال ، ولم يكن هناك دولة فينيقية ، ولكن ممالك حضارية صغيرة . ولكن مع ذلك استمرت الملكية اسمياً في صور ومبيدا ، والذين تولوا السلطة كانوا ينتمون إلى طبقة التجار ، أي أن كل الطبقة الثرية كانت تسهم في النشاط الميلمي ، وكان ممثليها الأكفأ يعقدون ما يشبه اجتماع يرفعون خلاله مطالبهم للملك . وقد احتفظت العلاقات القوية بالسلطة العليا ، لأنهم كانوا يتمتعون بنظام الوراثة . وكانت المدن التجارية تحكم في الأراضي وتعمل على استغلال المزارع والغابات .^(٢)

(١) عن هذه المظاهر الحضارية ، راجع : د. عبد الحميد زايد : الشرق الفلاند ، ص ٢٨٥ - ٢٠٩ د. أبو المحاسن عصفور : المدن الفينيقية ، ص ٩٩ - ١٩٠ د. فيليب حتى : تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية ، ص ١٢١ - ١٧١ ، ١٨٩ .

Philippe et Roche, Histoire, p. 75.

(٢)

وكان النظام الملكي هو السائد في مدن الساحل الفينيقي ابتداء من القرن الرابع قبل الميلاد ، وكان وراثيا . ومن هؤلاء الملوك احييرام الأول ملك صور وأسرته ولولى ملك صيدا وصور وأسرته . وكان يعاون الملك مجلس شيوخ ، كسان يتكون من كبار التجار وأصحاب المال وكبار الملاحين وقباطنة البحار الذين كانوا يؤلفون جماعة لها نفوذها . وقد عرفت جبيل مثل هذا المجلس كما تذكر التوراة ولكنها لم تذكر عدد أعضائه . وكان لملك أوجاريت ٧٠ مستقارا من الإشراف . وأثناء الحكم الفارسي على المدن الفينيقية كان مجلس الشيوخ في صيدا يتألف من مائة عضو (١) وكان لصور مجلس مماثل . وحاولت المدن الفينيقية في العهد الفارسي أن تنشئ اتحادا بينهما ترأسه مدينة طرابلس . وكانت هذه المدينة تتألف في الأصل من ثلاث جاليات صيدناوية وصورية واورادية . وأطلق عليها الإغريق اسم طرابلس (ومعناه ثلاث مدن) .

وكانت المدن الفينيقية الأربع المستقلة تعقد مؤتمرا سنويا في هذه المدينة الجديدة (طرابلس) يحضره حوالي ٣٠٠ مندوب يبحثون فيه المشاكل والشئون التي لها علاقة بمصالح البلاد عامة . وفي ٣٥١ ق. م . انعقد أحد هذه المؤتمرات في شكل مؤتمر عام أعلن فيه المؤتمرون عن عزمهم على الاستقلال التام عن الحكم الفارسي .

ولكن عندما وقعت فينيقيا مرة أخرى تحت الحكم البابلي الكلداني أصبح الحكم في صور شبه جمهوري وكان على رأس الدولة موظفون كانوا يعرفون بالقضاة على نحو ما عرفه العبرانيون . وكان في مقدور أعضاء مجلس الشيوخ في صور أو غيرها من المدن أن يتخذوا قراراتاً في غيبة الملك . وفي مدينة صيدا كان في استطاعتهم متى شاءوا أن يتخذوا قراراتاً ضد قرارات الملك . ومثل هذه المجالس لم نجدها في بلاد النهرين ومصر ، غير أن هذا النظام وجد عند الفرس فكان يحيط

(١) كان هناك مجلس شيوخ مشابه في قرطاجة يتكون من ثلاثمائة عضو ، راجع :

د. سيد الاناصري : تاريخ الرومان من القرية إلى الإمبراطورية ، ص ١٣٦ .

بالمالك مجموعة من النبلاء الذين أطلق عليهم اسم "أصدقاء الملك" وهم أشبه بمجلس الشورى ، يتشاور معهم الملك لاتخاذ قراراته .^(١) وكان يوجد في تكمر مجلس شيوخ للمدينة الذي كان له سلطة من القوانين . وكان يوجد كذلك في مملكة معين وقتبان في جنوب الجزيرة العربية مجالس تكبر شئون المدن فسي المسلم والحرب ومجالس استشارية للدولة ومجالس تمثل الشعب تمثيلا نيابيا .

ثانيا : الحياة الاجتماعية :

كان المجتمع في فينيقيا مقسما إلى عدة طبقات ، ففي الطبقة الاجتماعية الأولى نجد جماعة الأشراف والنبلاء من الملاك الإقطاعيين والمحاربين الذين كانوا يستطيعون اقتناء مركبات حربية وكانت هناك جماعة من الأرستقراطيين من التجار وأصحاب المال ، وفئة الملاحين الكبار ، قباطنة السفن الذين كانوا يؤلفون جماعة لها نفوذها واحترامها في المجتمع .

كان الصناع والتجار يحتلون مركزا وسطا في المجتمع الفينيقي . أما في الطبقة الدنيا نجد الاثنيان (الذين لا يملكون الأرض) والعبيد . وكانت العادة أن ينشأ أبناء الصناع على تعلم صناعة آبائهم . ويظهر أن أصحاب الصناعات والفنون والحرف كانوا ينتظمون في نقابات حيث تجمعهم الصنعة أو المهنة الواحدة وتربط بينهم قرابة للرحم أحيانا ، ويسكنون في أحياء خاصة بهم .

وكان بالمجتمع الفينيقي فلاحون يملكون الأرض وطبقة من اثنيان الأرض وكان الفلاح يحصد القمح والشعير ويصنع منه خبزه . أما الطعام فلم يكن يعتمد على اللحم ، لأن اللحم (الذي كانوا يطبخونه في قدور خزفية واسمة للفومة وما كان يؤكل إلا في الأعياد والمناسبات) واكلوا يشربون ماء الآبار أو العيون الجارية وينقلونها إلى منازلهم أما في جرب من الجلود أو في جرار خزفية كبيرة . وكسافوا يضيقون منازلهم بحرق زيت الزيتون في مسارج بسيطة الصنع ، وهي عبارة عن صحنون

(١) د. فيليب حتى : تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية ، ص ١١٤ .

خزفية لها في حافتها نتوء مقعر لتستقر فيه القتيلة .^(١)

ثالثا : الحياة الاقتصادية :

الزراعة : إذا كنا قد ذكرنا من قبل أن أرض لبنان قد انتشرت إلى السهول ، فهذا لا يعنى أن الفينيقيين لم يعملوا بالزراعة . فقد قاموا بزراعة الحبوب في بعض السهول والأشجار كالنخيل والعنب والزيتون كما قام القرطاجيون أيضا بفلاحة الأرض واشتهر عندهم عالمان هاميلكار وماجون ، وقد قلما بتأليف كتابين في الزراعة . كما استخدم الفينيقيون المحراث العادى الذى كان يحجره الثور أو الحمار أو الإنسان . وكان حصاد القمح يتم فيستخلص الحب من السنابل بواسطة هرس أرجل الثيران والخيل والبغال . وطحن القمح كان يتم على كتل حجرية صلبة . وزرع القرطاجيون الكروم واستخلصوا منه النبيذ . واستخرج الفينيقيون والقرطاجيون الزيت من شجر الزيتون وأدخل الفينيقيون زراعة شجر الرمان إلى شمال أفريقيا .

وعرفوا خزن الماء العذب المتجمع من الأمطار ، وذكر سقراطون أن سكان ارواد كانوا يعتمدون على ماء عذب يغور وسط البحر للمالح .^(٢)

وكانت غابات لبنان مصدرا غنيا للأخشاب من الأشجار المخروطية مثل الصنوبر والأرز والشربين والسرو والبطم . ولم تقتصر تجارة ميناء جبيل وصور وصيدا وارواد على تصدير الأخشاب إلى موافئ مصر وبلاد فارس وبلستان للعالم الأخرى ومدها بهذه الأخشاب المستلزة لصنع المراكب وسقوف وأبواب ونوافذ المنازل والقصور والمعابد وقطع الأثاث والمجالات الحربية والتوابيت ، بل كانت شقوف جذوع هذه الأشجار تفرز الصمغ اللينة والطلاء وهما من المواد الهامة التى تطلبى بهما أخشاب المراكب وقطع الأثاث لحفظها من التآكل ، كما أن هذه الصمغ كسائت

(١) د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ١٢ - ١٢٣ .

(٢) د. عبد الحميد زليد : الشرق الخالد ، ص ٣٢٨ .

تستخدم في عملية التخطيط في مصر القديمة (١).

ويبدو أن استقلال وتصدير الأخشاب كان احتكرا للسلطة ولتمتازا يتمتع به حكام المدن الفينيقية لأن هذه الغابات كانت تعتبر ملكا للدولة ولم يشمل هذا الاحتكار أخشاب الأرز فقط بل شمل أيضا أخشاب المسرو والشريين والععر (٢).

ولما كثر الطلب على هذه الأخشاب بصورة كبيرة لم تعهدا البلاد من قبل ، شعرا المسؤولون بضرورة إيجاد القوانين لحماية هذه الغابات وإيجاد طرق فعالة لقطع الأخشاب وتعضيرها . لذلك ألقيت لوحات عليها نقوش كعلامات حدود للمناطق الجبلية التي اعتبرت من أملاك الدولة . وفي متحف الجامعة الأمريكية في بيروت لوحة من عصر الإمبراطور هادريان يحدد عليها حدود الغابة التي تقع على قمة الجبل بين ظهور الشوبر وزحلة (٣) وذلك يعني أن الفينيقيين ظلوا ينعمون بأحد مواردهم الاقتصادية التي لا تنضب وهي خشب الأرز فترة طويلة .

(١) د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ٨٦ ، ١١٧ ، ١٢٨ ، ١٣٧ ، ٢٣٧ .

نعرف أن قصر سيدنا سليمان كان من صنع البناتين الفينيقيتين اللتين استخدموا خشب الأرز في بنائه ، وكان في هذا القصر من أعمدة خشب الأرز ما جعله يعرف فيما بعد باسم " بيت وحر لبنان " .

وكذلك يقال أن سيدنا سليمان شيد مركبته من خشب الأرز وهيكله المزعم (؟) وأسطول سفنه من خشب الأرز ، راجع : د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ١٢٨ - ١٢٩ .

ويذكر للملك دارا في نقش عثر عليه في قصره في مدينة موس بأنه شيد قصره من " الخشب الذي يسمى نوريثا (أي الأرز) مصدره جبل يسمى لبنان ، انظر : المرجع السابق ، ص ١٨٧ .

(٢) د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ٢١٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٣٧ .

كانت زراعة القنب (الذى يصنع من أليافه الأَسجة الكتانية) معروفة فى
 فينيقيا وفى جميع أنحاء غرب آسيا فى القرن العاشر ق. م . أما القطن ، الذى يظهر
 أن زراعته كانت قديما تقتصر على الهند فقد نقل الفينيقيون زراعته من آشور وهناك
 من يرى أن زراعة القطن دخلت فينيقيا بدخول العرب وأدخله الفينيقيون بدورهم إلى
 بلاد اليونان .

الصناعة : برع الفينيقيون فى صناعة الفخار والنسيج ، وكانت جبيل
 مركزا هاما لصناعة النسيج^(١) ، وكانت صناعة النسيج فى فينيقيا تقتصر فى الدرجة
 الأولى على :

الصوف والكتان ، وكانت المواد الخام لهذين النوعين من النسيج متوفرة فى
 البلاد . وعرفوا صناعة الأقمشة الصوفية منذ منتصف الألف الثانية قبل الميلاد على
 الأقل . وعرفوا صناعة النسيج من الكتان وصناعة الحرير منذ القرن السادس قبل
 الميلاد . وكانوا ينتجون الحرير إنتاجا محليا وعلى نطاق ضيق ، وذلك بتربية دودة
 القز البرية التى لجدها شائعة غربى آسيا . وكان الحرير حتى ذلك الحين احتكسارا
 صينيا ، وكان يعد من أثمن الكماليات . ولم يستورد الحرير الصينى الأصيل إلى
 لبنان إلا بعد عام ١١٠ ق. م . وكان الحرير الصينى والأقمشة الحريرية الصينية
 تصل البلاد برا بعد عبور القوافل بلاد الفرسيين ومنها إلى تدمر التى كانت محطة
 للقوافل التجارية البرية . ومن البتراء وتدمر كان الحرير الخام يصل إلى أحد الموانئ
 الفينيقية حيث كان يصبغ ويحلك ثم يرسل أقمشة تروق عيني الرومانى . وكان يوجد
 فى بيروت وصور أنوال يهيا بواسطتها الحرير الخام لصبغه بالأرجوان . وكان
 الحرير الأرجوانى أغلى أنواع الحرير . ولم تستطع أمة فى العالم القديم أن تجارى
 الفينيقيين فى صنعه . فقد ذكر الجغرافى سترابون أن رائحة المصليغ الكثيرة فى

(١) د. أبو المحاسن عصفور : معالم حضارات الشرق الأدنى القديم ، ص ١٦٠ -

صور جعلت منها " مكافأ غير مقبول " (١).

وقد اشتهر الكتان البيروتي في كل العالم . وفي شرايح ديو كليشيان التي تتعلق بالضرائب والمكوس نجد أنه راعى بصورة خاصة الضريبة على الكتان مسن اللانقية وجبيل وصور .

واحتفظت فينيقيا بالسيادة الأولية في حقل تصدير الأقمشة المصبوغة بالأرجوان وظل الصناع الفينيقيون محافظين على مستوى عال من الدقة والمهارة اللذين اشتهروا بهما . واشتهرت منسوجاتهم باللون الأحمر البرتقالي ، التي عرفت فيما بعد باسم " الأرجوان " .

وكانوا يستخرجون المسائل الأرجوانية من أصناف المريق التي تعيش قرب الشاطئ الفينيقي ، ونجده أيضا قرب الشواطئ الأخرى في البحر المتوسط . ولكن أجود أنواع الأرجوان هو الأرجوان السوري لأن أجود أنواع هذا الحيوان كانت تعيش على شواطئ صور وصيدا إلى جانب صناعتهم لأصباغ الأرجوان ، وصنعوا أيضا أصباغ للقرمز وأدخلوها في تجارتهم . وكان يصنعونها من حشرات تعيش على أنواع من شجر السنديان التي تنمو على شواطئ البحر المتوسط الشرقية (٢).

كما على الفينيقيون التقدم أيضا بدباغة الجلود وصنع الفراء فكان يعيش الدب السوري في أعالي القمم ولا سيما في شرقي لبنان وكانت الثعالب وبسات أوى كثيرة . والمناطق الجبلية كانت مراعى ممتازة لتربية الأغنام . وكان للصناع الفينيقيون في طليعة صناع الزجاج في العالم القديم . وكان الإقبال شديدا على الزجاج الذي كانت تصنعه كل من صيدا وصور بصورة خاصة .

(١) د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ١٣١ - ١٣٢ ، ٢١٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ - ٢٣٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٣٢ - ١٣٣ .

وكانت هاتان المدينتان ، حتى في عهد متأخر كالعصر الروماني تمونان الأسواق العالمية آنذاك بأحسن أنواع الزجاج . وذلك بفضل جودة الرمل على ساحليهما . فقد كان من الزجاج المصبوب صيا ، أما طريقة صنع الزجاج بالنفخ لم تكن معروفة عندهم . إذ أن اكتشاف هذه الطريقة لم يتم إلا في أواخر القرن الأول قبل الميلاد ، وقد شاع استعمال الزجاج المصنوع بطريقة النفخ شيوعا كبيرا في جميع أرجاء المدن الفينيقية . وطريقة صنع الزجاج بالنفخ لم تقضى على الطريقة القديمة ، طريقة الصب في قوالب ، بل ظلت الطريقتان متبعتان جنبا إلى جنب .^(١)

وعثر في أماكن في لبنان وسوريا على كتل من الزجاج المذاب الذي نم يستعمله الصناع في صنع الأواني .

وعثر على زهريات زجاجية عليها توقيع رجل من صيدا اسمه انيون ، وقد كان أشهر رجل يصنع الزجاج في القرن الأول الميلادي في أماكن متباعدة مثل مصر وقبرص وشمال إيطاليا وجنوبي روسيا ، ويظهر أنه كان لمصانع هذا الرجل مكتب في روما ويبدو أن صانع زجاج آخر أنشأ له مكتب تجارية في مدينة كولون على نهر الرين . وقد أصبحت الأتية الزجاجية والمعدنية التي كان يحملها الفينيقيون إلى بلاد الغرب فيما بعد نماذج كان الصناع الغربيون يقلدونها ، وكان الصناع الفيلينيون يلونون الزجاج ويتقنون تلوينه انقلنا تلمنا .^(٢)

وظلت صيدا في العصر الروماني تمد أسواق العالم بزجاجها الممتاز وكانت هي وصور تصدران الرخام الأبيض . وبالتقريب من مدينة بعلبك مقالع يستخرج منها الطباشير .

وكانت صناعة الخزف من أقدم الصناعات وألحها ربما في التجارة وقد بلغت ذروتها في منتصف الألف الثانية قبل الميلاد وذلك بسبب إدخال دولاب الخزف

(١) د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ١٣١ ، ٢١٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٢٣ ، ١٣٠ - ١٣١ ، ٢٤٣ .

الذى كان له أثر كبير فى تحسين هذه الصناعة ، وكان الصناع يستخدمون القصدير فى طلى الخزف فيكون له وجه مصقول لامع - كما أنهم كانوا يصنعون تماثيل وأشكال خزفية يستخدمونها فى طقوسهم الدينية .^(١)

وأما الصناعة المعدنية فقد تقدمت تقدما كبيرا . فكانت ضواحي بيروت غنية بمعدن الحديد ، والحديد كما هو معلوم ، مادة ثمينة اقتصاديا^(٢) لم يعرف الفينيقيون صهر المعادن فحسب ، بل كانوا يعرفون طريقة مزج الحديد بمعادن أخرى لصنع الفولاذ^(٣) هذا بالإضافة إلى تصور صناعة البرونز فى الألف الثانى ق. م . مما أدى إلى رواج تجارة المعادن والتي كانت وقفا على الفينيقين . وكانت هذه التجارة مصدرا من مصادر الثروة فى صور وصيدا وقرطاج ، هذا إلى جانب صناعة للمعدات من البرونز والحلى والتي كانت تصدر إلى الخارج .

وكان هناك إقبال على المعادن الخام الفينيقية التى تلتى من مناجم صيدا وبيروت . ففى أثناء الاضطهادات التى قام بها ديو كليشان ومكسيميان بين ٣٠٣ - ٣١٣ م ضد المسيحيين كان يحكم على الأسرى الذين كانوا يعترفون بمسيحيتهم ويجهرون بها بالأعمال الشاقة فى مناجم لبنان ، وخاصة فى مناجم النحاس فى منطقة صيدا ومناجم الحديد فى ضواحي بيروت . وكان الصناع الفينيقيون الذين يعملون بالمعادن على درجة كبيرة من المهارة والحنق وأنهم كفء لتلبية طلب الأسواق المتزايد . وقد أعجب الإغريق بجمال صنع الأدوات المعدنية ، وقد عبر عن هذا الإعجاب شاعرهم هوميروس فقد قال فى جام من الفضة " هم الذين قد صاغوا هذا الجام الذى لا مثيل لجمال صنعه فى الدنيا"^(٤) هذا فضلا حسن الفتحاج للمطلى من الأخشاب والنسيج والأصباغ والزجاج والخزف والمعادن .

(١) د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ١٢٣ - ١٢٤ ، ٢٣٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢١٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٢٤ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢١٤ - ٢٢٥ ، ٢٣٧ .

ومن الحرف التي كانت معروفة في فينيقيا ، فن التطعيم وخاصة تطعيم العاج الذي كان يزين الأثاث للثمين كما يبدو لنا من المجموعات العديدة التي عثر عليها في أرسلان تائي (هادتو) وفي رأس الشمر ، في الحفائر الأخيرة ، وفي مجدو والسامرة في فلسطين . وتلمس في هذا الفن التأثير التجاري الذي كان يربط بين مختلف مناطق العالم القديم ، ويجمع مدارس فنية مختلفة تكثر بها فنانون فينيقيا وسوريا .

وكان الفينيقيون أول من عطلت على بالهم فكرة صنع زهور اصطناعية ووضعها في أواني أو زهرات .^(١)

التجارة : لم يتمكن الفينيقيون من إنشاء دولة كبيرة لهم . ولكنهم فرضوا شهرتهم في التاريخ لما امتازوا به في مجال التجارة الخارجية ونشطوا في الاتجار مع الخارج وأسسوا مراكز تجارية في مناطق بعيدة .^(٢) كما كان لهم دور هام في نقل مختلف السلع وأبرزوا مهارة فائقة في الملاحة وتجارة أخشاب الأرز والسنوبر وكان لهم دور هام في تنشيط التجارة البحرية العالمية وفي هذا النشاط البحري وصلوا إلى أسبانيا وبريطانيا ، وأسسوا مراكز ومدن تجارية كانت أعظمها في مدينة قرطاجة التي أصبحت لها سيادة تجارية ونفوذ سياسي يمتد من حدود ليبيا إلى مضيق جبل طارق ثم ضمت بعض جزر البحر المتوسط ثم تناهت مع روما من أجل السيادة على البحر المتوسط ونشبت بينهما حروب دامت أكثر من مائة عام وانتهت بأن أحرقها الرومان .

وكانت المدن الفينيقية تصدر للبيذ وزيت الزيتون والتمر وأجود أنواع الطحين وتصدر أيضا الثمار المجففة (التين) والخوخ واللوز والورد . فكانت

(١) د. فيليب حتى : تاريخ لبنان منذ أقدم العصور للتاريخية ، ص ٩٤ - ٩٦ ، ١٠٠ .

(٢) د. أبو المحاسن عصفور : معالم حضارات الشرق الأدنى القديم ، ص ١٥٨ - ١٥٩ .

أشجار الكرمة وشجرة التين وشجرة الزيتون وشجرة النخيل والتوت من الأشجار العريقة في لبنان . ومن أهم الغلال التي كانت تنتجها أرض لبنان القمح والشعير والذرة . فقد اشتهرت بيروت بزبيبها " الذي لا يفوق في حلاوته زبيب آخر " . وكان الرومان يقدرون جودة نبيذها كما كانوا أيضا يقدرون جودة نبيذ صور . وفي أوائل القرن الأول الميلادي كثر الطلب على النبيذ من اللاتفية لا سيما في الهند وأفريقيا . وكانوا يعنون أيضا بإنتاج الأدوية والروائح العطرية والعقاقير وأنواع مختلفة من المراهم للتصدير التي يدخل في صناعتها زيت الزيتون ^(١) . وقد أدخل الفينيقيون زراعة الزيتون إلى بلاد اليونان وإيطاليا وشمال أفريقيا وشبه جزيرة ليبيريا ..

وكما كانوا يصدرون البضائع التي يقومون بتصنيعها كانوا يستوردون أخرى لهذه الصناعة ، أو يتاجرون في بضائع يشترونها من أماكن أخرى أو يحتكرون تجارتها .

وكانت المراكب الفينيقية تخرج من موانئ صور وصيدا وارواد وغيرها محملة بالبضائع والسلع السابقة وتعود بالسلع الواردة بحرا مثل السكر والأرز والأحجار الكريمة والفلفل والقرفة من الهند ، والبهارات والعقاقير وخشب الصندل واللؤلؤ من جنوب الجزيرة العربية وما جاورها من البلدان ، والحديد من الشرق الأقصى (الصين) ومن موانئ أوربا وجنوبها وشمال أفريقيا .

وكانوا يستوردون للفضة والحديد والتصدير والرماس من إسبانيا والأواني النحاسية من ليون . وقد ذهبوا إلى أماكن بعيدة ليحصلوا على معادن كالفضة والذهب ولا سيما التصدير لمزجه مع النحاس لصنع البرونز حتى أنهم بلغوا المحيط الأطلسي . وكانت مراكبهم تنقل الخشب والنحاس لتعود محملة بالذهب من

(١) د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ٣٦ - ٥٠ ، ٢٢٦ - ٢٣٨ .

بلاد أوفير .^(١)

وكانوا يستوردون أيضا التعاويذ والتماثيل والأختام والخرز والأواني والأسلحة حتى برع الصانع في فينيقيا بتقليدها أو تقليد أشكالها وبيعها .^(٢) وحرصا منهم على حفظ المورد الطبيعي للأرجوان من النفاذ ، فإن الفينيقيين حاولوا اكتشاف مصادر أخرى ونجحوا في استيراده من ميناء أسبرطة وقرطاجة وعوثيقة في شمال أفريقيا .^(٣)

أما البضائع التي كانوا يشترونها من أماكن أخرى لبيعها مرة ثانية فهي الحنطة والزيت من فلسطين ويدفعون أثمانها بضائع أخرى من أدوات الزينة .^(٤) كما كانوا يشترون الزجاج المصنوع في مصر ويتاجرون فيه^(٥) ، كما تكل صناعية العاج الفينيقي على ذوق رفيع ودقة في الصنع .

واحتكر الفينيقيون تجارة سلعتين أخريين ، فكانت مصر ويأتي بعدها في المرتبة الثانية فينيقيا تمون الأسواق العالمية بالبردى . ويرجع بعض العلماء اسم التوراة في الإنجليزية Bible إلى الاسم الإغريقي لميناء جبيل : بيبلسوس Byblos

(١) يرى د. عبد المنعم عبد الحليم أن هناك تشابه بين بلاد بونت وأوفير وخاصة في تجارة سلعة البخور التي كانت تجلب من المنطقتين . وذكر أن أوفير كانت تقع في منطقة أفريقية وليس في منطقة آسيوية كما ذكر ورأى بعض الباحثين الآخرين . وحدد لنا موقعها على الساحل الأفريقي للبحر الأحمر بالقرب من خليج تاجورة في الصومال الفرنسي سابقا (جمهورية جيبوتي الحالية) ، راجع د. عبد المنعم عبد الحليم : البحر الأحمر وظهوره في المعصور القديمة ، ص ٢٢ - ٢٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٢٤ ، ١٣٧ ، ٢١٢ ، ٢٣٨ .

(٣) د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ١٣٣ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١١٧ .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٣٠ - ١٣١ .

وهو المكان الذى كان يستورد منه الإغريق البردى . وقد أدخل البردى بلاد اليونان عن طريق فينيقيا حيث كان استعماله معروفا حتى القرن السادس قبل الميلاد .^(١)

ونعرف من قصة ون آمون أن أمير جبيل زكر - بعث طلب من المبعوث المصرى جزءا من المال وخمسمائة لفة من البردى نظير شحنة خشب الأرز .

* كما كانت تجارة الأفاوية والعطور والبخور الهام فى اللطفوس الدينية القديمة حكرا على الفينيقيين . وكثروا يذهبون إلى شواطئ الجزيرة العربية والشواطئ الشرقية لأفريقيا بغية الحصول على هذه المنتجات وقد أحاطوا المسالك البحرية التى كانت تسلكها مراكبهم بمساج من الكتان التام ، وأسرفوا فى نشر الأخبار عن المخاطر والمخاوف التى كانوا يلقونها فى البلدان التى تنتج البهارات والأفاوية والبخور ونقله إلى سائر البلدان . حتى أن الناس فى العهد اليونانى كانوا يعتقدون أن سوريا كانت بلد المر والبهم ولم يدرك الناس أن البلد الذى ينتج المر هو جنوب الجزيرة العربية . وأن القوافل التى كانت تنقله إلى حوض البحر المتوسط كانت القوافل السبائية .^(٢)

وكانت تجارة الرقيق تسير من الشرق إلى الغرب فتمر فى الموانئ الفينيقية ثم أوروبا . فكان التجار يشترون الرقيق من بلدان مختلفة وراحت سوق هذه التجارة واتسعت كثيرا بين الدول الهلنسية وبين العالم الخارجى . ويذكر الشاعر هوميروس فى أشعاره مدينة صيدا ويتحدث عن تجارة الأكشمة والنحل والرقيق على أنها كانت

(١) د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ٢١٦ . وقد عرفت جبيل أو بيبيلوس فى النصوص المصرية القديمة باسم كنب ، راجع : د. أحمد بدوى - د. هرمن كيس : المعجم الصغير فى مفردات اللغة المصرية القديمة ، ص ٢٦١ ؛ وأيضا :

د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ٨٥ ؛ 2 ، 118 ، Wb V

(٢) د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ١٠٨ ، ١٤٥ .

من احتكار مدينة صيدا. ^(١)

قامت هذه للتجارة البحرية الدولية على نظام المقايضة ^(٢) وربما قسم هذا النظام على تجديد قيمة السلع والبضائع والبدول لها . وربما كان هناك قوائم لتحديد هذه القيم فنعلم من بردية ون أمون أنه عندما ذهب للحصول على كمية من أخشاب الأرز لترميم المقارب المقدس لأمون ، نجد أن أمير جبيل زكر - بعل أخذ يبحث في وثائقه (أى قوائمه) عن قيمة هذه الشحنة فوجد أن المصريين الذين جاءوا لشراء هذه الأخشاب من قبل كانوا يدفعون ثمنها باهظا . ^(٣) فأكثر تجارتهم كانت تتم عن طريق مقايضة بضائعهم أو بضائع غيرهم ببضائع أخرى لها أهميتها في الأسواق التجارية في العالم القديم . بالإضافة إلى الأخشاب كان التجار الفينيقيون يجلبون إلى مصر العطور والبخور والخيل والعبيد للمقايضة بمنتجات مصرية كالذهب والمعادن والبردى ومنتجات أخرى محلية مصرية كالزجاج المصنوع في مصر .

وعندما أرسل ملك صور احيرام الأول أخشاب الأرز لسيدنا سليمان لبناء أسطوله . كان يأخذ ثمنه حنطة وشعيرا وزيتا ونبيذا .

وكانت المراكب الفينيقية على عهد هوميروس ، كما يظهر من شعره تجئ إلى الموانئ الإغريقية محملة بالأزهار والتمر والتين والرمان والمر والخوخ واللوز . وهذه المراكب الفينيقية ذاتها التي كانت تنقل إلى الغرب نتاج الشرق الأدنى كانت تعود لتدخل إلى بلاد الشرق الأدنى ببعض منتجات الغرب التي كانت أغلبها من المعادن والخزف ، ومن بلاد اليونان كانت تنقل بعض النباتات مثل القار والدافلة والسوسن واللبان والزعفران والخرنوب ^(٤) .

(١) د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ١١٨ - ١١٩ ، ٢١٢ ، ٢٤٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٢٤ .

(٣) د. رمضان عبده : معالم تاريخ مصر القديم ، القاهرة ، مكتبة نهضة الشرق ،

١٩٨٤ ، ص ٥٣١ .

(٤) د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ٨٦ ، ١١٧ ، ١٢٨ ، ١٣٧ ، ١٤٥ .

وكان أهالي جزر القصدير يقاضون معدنا التتک والرصاص بالخزف والملح والأواني النحاسية من فينيقيا^(١) ومثل هذه العلاقات التجارية الدولية للنشطة التي أنشأها التجار الفينيقيون تقضى إنشاء وكالات للتجار والعملاء في المدن الأوربية وغيرها ، وقد كان أولئك الوكلاء والعملاء من سوريين ولبنانيين يعرفون باسم 'الوكلاء السوريون' أو 'المفاوضون السوريون' .^(٢) ولذلك أصبح الفينيقيون عملاء في توزيع بضائع الشرق في الغرب والبضائع القليلة القادمة من الغرب في الشرق ومعظمها من المعادن والأواني الخزفية .

ويذكر عن القرطاجيين دهانهم في التجارة وابتكارهم مختلف الوسائل للمقايضة . ويقول هيرودوت أن الملاحين الفينيقيين كانوا يعبرون إلى شاطئ إفريقيا الغربى ، وعند الشاطئ كانوا ينزلون البضائع والسلع ويشعلون النار علامة على وصولهم ثم ينسحبون إلى مراكبهم .

وكان السكان الأفارقة عند رؤيتهم النار على الشاطئ يتقدمون ويأيدبهم الذهب فيتركونه على الشاطئ كتمن ثم يتراجعون قليلا ليروا ما إذا كان الثمن مرضيا عند التجار الفينيقيين فينزل الملاحون الفينيقيون إلى الشاطئ فليسه لفحص مقدار الذهب فإذا وجدوا أن كمية الذهب ترضيهم حملوها وأقبلوا راجعين تاركين مسلمهم على الشاطئ ... وإذا كانت الكمية أقل مما كانوا ينتظرونه فليهم يعودون ثانية إلى مراكبهم ويترقبون عودة أهالي مرة أخرى ليزيدوا من كمية الذهب وبهذه الطريقة من المساومة الصلصة يقول هيرودوت كان الفريقان يتفان على البيع والشراء دون أن يغش أحدهما الآخر .

وقد عثر في حفائر رأس الشمر على ميزان صانع ومولزينه . وكانت الفضة تستخدم كقود ولكن لم تكن نقودا مصكوكة إنما كانت توزن وزنا للبيع

(١) د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ١٤١ ، ١٤٦ - ١٤٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٤٠ .

والشراء . ولكن معظم التجارة كانت تتم عن طريق المقايضة بالبضائع .^(١)

إن هذا النشاط التجارى الذى أبداه الشعب الفينيقي بعد القرن الثامن عشر قبل الميلاد جعل منهم ملاحين وتجارا من أمهر الملاحين ومن أعظم التجار فى تلك الحقبة من التاريخ القديم .

وقد احتفظوا بهذا النشاط فى مجالى التجارة والصناعة فترة طويلة حتى أنه فى عهد الأسرة البطلمية والسلوقية فى فينيقيا قد عاودتهم من جديد رغبتهم القديمة فى إنشاء المراكز والمدن التجارية . ففى عام ٦٥٠ ق. م . أنشأت مدينة صيدا مركزا تجاريا هاما فى جنوبى فلسطين يعرف باسم مريسة ، التى كانت مدينة تجارية هامة فى عصر البطالمة .

وكان يربط بيروت بجزر بحر ليجه روابط ، فكان هناك مركز فى جزيرة رودس ، وكان فى المدينة هيكل ، وأماكن تعرض فيها البضائع الفينيقية وكانت هناك جالية من بيروت مستقرة فى جزيرة ديلوس تحتل المقام الثانى بعد الجالية الإيطالية فى التجارة .

وكانت هناك جالية صورية كبيرة فى الموانئ الإيطالية وفى روما وأوستيا . وكانت الجاليات الفينيقية التى استقرت فى أماكن بعيدة عن الوطن الأم تقوم بأعمال الاستيراد من فينيقيا ويقومون بأعمال التصدير من البلدان الغربية التى كانوا يقيمون فيها ، فكانوا يصدرون الفخار من إيطاليا وبلاد اليونان والسمك المملح من أسبانيا ، والبضائع الصوفية من غرب أوروبا إلى بلاد الشرق .^(٢) وقام السلوقيون بالاهتمام بطرق المواصلات للتجارية وحسنوا فى هذه الطرق وأضافوا إليها طرقا أخرى مما زاد فى نشاط التجارة والصناعة وقد اتبع السلوقيون فى التجارة سياسة تكل على بسد

(١) د. فليبي حتى : المرجع السابق ، ص ١٢٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢١٥ - ٢١٦ ، ٢٤١ - ٢٤٣ .

نظر وتعل . ذلك أنهم حاولوا جعل سوريا ولبنان مركزا تنصب فيه السلع التجارية من أواسط آسيا للاستهلاك المحلي أولا ولتصديره إلى العالم اليوناني الروماني ثانيا .

وتحت الحكم الروماني هب الفينيقيون مرة أخرى ليؤكدوا ذاتيتهم كقوة فعالة في تجارة الشرق القديم وليحتلوا مركزهم التجاري المرموق تدفعهم العزيمة الصادقة والإرادة الثابتة ، وقد سجلت المدن البحرية نجاحا وزدهارا في التجارة لم تبلغه من قبل ولا من بعد . وقد أدرك الفينيقيون في العصر الروماني أهمية السوق الأوروبية وتعاضلوا الطلب على المنتجات الفينيقية التي يمكن تصديرها إلى الخارج . فعملوا على إعداد طرق القوافل القديمة غير المعبدة في منطقة حوض البحر المتوسط الشرقي وجعلوا منها طرقا واسعة معبدة . وأقاموا أنصبة عواميد على هذه الطرق لا يزال بعضها قائما إلى يومنا هذا في لبنان وسوريا . وقد كتبت عليها أسماء الطرق والمسافات كما نشهد اليوم في بناء الطرق المعصرية .

واحتلوا أيضا بالمراني البحرية والجسور وأحواض بناء السفن . وقد بدأ تنظيف البحر المتوسط من أصل القراصنة في عهد بومبي الذي لقتلع من غابات الأرز أخشابا لبناء سفن لمطاردة القراصنة . وقد نجح في عمله هذا نجاحا تاما .^(١)

(١) ويذكر د. الناصري : " إذ قسم البحر المتوسط إلى مناطق عمل وتطهير ، وعين على كل منطقة ضابطا كبيرا من نوابه ، ثم حاصر مضيق الدردنيل من الشرق ومضيق جبل طارق من الغرب ثم سيطر على المنطقة ما بين شواطئ شمال أفريقيا ومواهل منقلية وذلك ضيق الخناق على القراصنة وجعلهم يسقطون في أيدي رجاله وقبائله الجديدة ، وفي خلال أربعين يوما كسان قد قضى فعليا على القراصنة في شرق البحر المتوسط بعد معركة بحرية حاسمة قرب شواطئ كيليكيا ، وبعد ثلاثة أشهر بالضبط من صدور قرار جالينيوس أعلن بومبي أن البحر المتوسط قد أصبح خاليا تماما من خطر القراصنة " ، راجع : د. سيد الناصري : المرجع السابق ، ص ٣١٨ - ٣١٩ .

وكل ذلك لتأمين التجارة البحرية ، كما اهتم الرومان بإنشاء الحصون والقلاع على الحدود الشمالية والشرقية لحماية طرق التجارة البرية . ووضعوا حاميات عسكرية عند العيون والأبار لحمايتها . وكذلك وضعوا كتائب رومانية ومعظمها من أهل البلاد المسجدين في نقاط استراتيجية .

ونتيجة لذلك زاد الإقبال على الأخشاب والمعادن الخام الفينيقية والمصوف والكتان والنبيد وزيت الزيتون والثمار المجففة .

وازدهرت تجارة الترانزيت ، وكانت الطرق البحرية والبرية تستخدم في تجارة الترانزيت غير أن الطرق البرية - رغم أن نفقات النقل عليها تبرز على نفقات النقل البحري - كانت في نظرهم طرقا سليمة لا تتعرض لمخاطر البحار (١).

إن هذا النشاط التجاري الذي أبداه الفينيقيون بعد القرن الثاني عشر قبل الميلاد يرجع في المقام الأول إلى حسن استغلالهم للخامات ذات القيمة التجارية من موارد بلادهم الأولية ، ولتحصم لأسواق ومراكز تجارية جديدة وإقامة علاقات تجارية مع معظم موانئ العالم القديم ، وإعدادهم لوسائل النقل من أسطول بحري منظم وإعدادهم لبحارة من أشهر الملاحين ، واهتمامهم بالطرق والقوافل البرية المنظمة مما ساعدتهم على سهولة تصريف سلهم المصاحبة وبيع غيرهم إلى الأسواق الخارجية فتوفر لتجارهم كل عوامل النجاح حتى أصبحوا من أعظم التجار في العالم القديم في تلك الحقبة من الألف الأولى ق. م . وقد انعكس هذا التأثير التجاري الذي كان يجمع بين مدارس فنية مختلفة من مصر وجزر بحر إيجه واليونان وآشور وغيرها على فنونهم وحرفهم وصناعاتهم . ومما ساعد على سرعة التبادل التجاري أن الفينيقيين اخترعوا العملة . وأقدم صلة شرقية فينيقية ضربت في صور في منتصف القرن الخامس ق. م . تقريبا وقبعتها صيدا وارواد وبيبلوس في أواخر القرن الخامس وأوائل الرابع ق. م . أما بقية المدن الأخرى فلم تضرب عملتها إلا في العصر اليوناني . والراجح أنهم قد قلدوا اليونانيين في ضرب العملة الذين عرفوها في القرن

(١) د. فليب حتى : المرجع السابق ، ص ٢١٢ ، ٢٣١ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ .

السابع ق. م . وغالبا ما استخدم الفينيقيون العمل لليونانيين .^(١)

وسائل النقل : اعتمدت التجارة البحرية الفينيقية على حسن إعداد وتنظيم وتجهيز أساطيلهم وكان الفينيقيون يشيرون مراكب أساطيلهم من مراكب تجارية وحربية من أخشاب الأرز . وكانوا يقطعون أشجار الأرز من أعالي جبالهم ويلقون بها إلى مجرى الأنهار فإذا جاء سيل فصل الشتاء تطفوا هذه الجذوع فيمالجونها إلى أن تصل إلى أقرب الموانئ لصنع مراكبهم من خشبها الصلب . وكان مصدر أخشاب صيدا وصور هو غابات الأرز والشربين في سفوح جبل الشيخ (حرمون) . وتظهر المراكب الفينيقية التجارية في رسوم ونقوش الآثار المصرية والآشورية (مثل جدار قصر سنعاريب من نينوى ، وجدار قصر خورسياد وهو بمتحف اللوفر الآن) وعلى آثار فينيقية وخاصة صلات أو نقود من أرواد وجبيل وصيدا .^(٢) وقد استخدم الفينيقيون سفنا للصيد والنقل البحري أو النهري وهي التي أسماها سترابون "بيوس" ومراكب حربية . وتتخذ هذه المراكب للشكل الهلالي أي أن مقدمتها ومؤخرتها مستكبرتان معقوفتان كطرفي الهلال . وفي المقدمة مجدافان يستعملان كدفعة

- (١) د. فيليب حتى : تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية ، ص ١٣١ ، ٢١٥ .
 (٢) لملى قطعة نقود فضية من أرواد يظهر على وجه رأس رجل وعلى رأسه اكليل غار وعلى الوجه الثاني مركب فينيقي وفوقه نقش كتلي بمعنى "من أرواد" .
 وعلى قطعة أخرى من العصر الفارسي (حوالي ٣٤٠ ق.م) ، يظهر على الوجه رسم سفينة فينيقية وتحتها فرس بحري ، وعلى الوجه الثاني أسد يهاجم ثورا ، وفوق ذلك نقش كتلي بمعنى "أدرا ملك جبيل" . أما العملة الثالثة فهي من صيدا وترجع إلى العصر الفارسي أيضا حوالي ٣٨٤ - ٣٧٠ ق.م ، وعلى وجه منها تظهر مركب فينيقية ، وعلى الوجه الآخر ملك فارسي في عربته التي تجرها الخيل . وعلى ناووس عثر عليه في صيدا يوجد تحت بارز يمثل مركب شراعي كبير . وهذا الناووس يوجد الآن في المتحف الوطني في بيروت ، راجع : د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ٩٦ ، ١٨٦ ، ١٩١ ، ٢٣٩ .

للمركب ، ولها صارية واحدة ذات شراع مربع فى أعلاها . ولكى تتسع مراكزهم لنقل البضائع ولكى لا تكون طويلة فإنهم كانوا يبنونها عريضة فى أواسطها . غير أن شكل بناء السفن تغير فيما بعد . وفى بادئ عهدهم ببناء السفن كسلان الفينيقيون يضعون مجدافين أو أكثر الواحد فوق الآخر . غير أنهم أخذوا فيما بعد بتزويدها بصندين من المجداف على جانبى الطابق الأول فى كل صف أربعة أو خمسة مجداف ، أى أنه كان للمركب الواحد بين ١٦ - ٢٠ مجدافا . وقد زادوا العدد فيما بعد إلى خمسين مجدافا . أما الشراع فكانوا يحكونه من الكتان فكان يطوى إذا دخل المركب الميناء أو إذا كانت الريح غير مواتية . وهذا النوع من المراكب الشراعية اتخذه عنهم الإغريق كما تدل على ذلك الرسوم المنقوشة على الأواني الإغريقية . أما المراكب العربية فلها مقدمة عالية تنتهى بمذقة وهى آلة حرب للهدم والتكسير وتتألف من طبقتين (١).

أما وسائل النقل الداخلية فكانت أكثر وسائل النقل استخداما عند الفيلينيون
هى عربات ذات عجلتين تجرها أربعة خيول (٢).

رابعا : المعتقدات الدينية :

المعتقدات الفينيقية : كانت الديانة الفينيقية قبل اكتشاف آثار رأس الشمرى معروفة لدينا فقط بواسطة " أوسب القيسرى " من القرن الرابع الميلادى (٣) ، الذى

(١) د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ١٣٦ ؛ المؤلف نفسه : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ص ١٠٦ - ١٠٧ ؛ د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٣٢٨ ، ٣٣٢ .

(٢) د. أبو المحاسن صفور : معالم حضارات الشرق الأدنى القديم ، ص ١٦١ .
(٣) كان رئيسا للكهنة ، وولد فى فلسطين ، فى حوالى عام ٢٦٧ ميلادية ، وتوفى عام ٣٤٠ ، وكان يعتبر من أكبر علماء عصره ، كتب عن تاريخ الكنيسة وتطورها ، راجع : Larousse, Dic. Univ. Encycloped., p. 369.

استخدم كتابات " فليون من بيلوس " الذى فقدت كتاباته الآن^(١) ، وقد قام فليون بكتابة قصص سان شونيا تون وهو كاهن من بيروت ، عاش فى القرن الحادى عشر ق. م ، ولم يحفظ أى شئ من كتابات هذا الكاهن .

ولكن بعد اكتشاف لوحات رأس الشمر ، أصبح لدينا صورة كاملة عن المعتقدات الفينيقية ، التى سادت بوجه عام فى الجزء الشمالى من سوريا ، فى منتصف الألف الثانية قبل الميلاد .

ومن الغريب أن نلاحظ ، أن الديانة الآسيوية قد عاشت فى هذا المجتمع السامى ، وإما أيضا قد انفردت بهذا دون غيرها من تلك الديانات المتميزة ، فالديانة الفينيقية تعد هى الوحيدة التى حافظت جيدا على معالم هذه الديانة الآسيوية .

وتعد الديانة فى فينيقيا ذات أهمية كبرى ، لسهولة تتبع مراحل تطور المعتقدات فيها . فى العراق أو بلاد النهرين لاحظنا التداخل العميق بين الديانة الآسيوية السامية . وعند الحثيين والعوريين وجدنا العكس حيث احتفظوا بالصفة الآسيوية للمبادات .

وقد ظهرت هذه الديانة فى فينيقيا فى منتصف الألف الثانية ق. م . وطراً تقدم ملحوظ ، على الديانة الفينيقية فى العصر المتأخر ، فقد تعرضت الديانة لتأثير المعتقدات فى العصر اليونانى الرومانى . فتأثير المبادات الآسيوية بقى فى شخصية المعبود أدونيس ومن ناحية أخرى أن أسطورة الخليفة قد استمدت خصائصها من تلك الأساطير التى كانت سائدة فى بلاد النهرين وفى الفكر اليونانى نجد أكثر من جعل ، يحكم فى ذلك الوقت على كل مدينة وموقع هام فى الشمال وفى صور . وتشابهت بعض المعبودات اليونانية مع المعبودات الفينيقية مثل رشف المضئ الذى يشبه أبوللون وأشمون الذى يمثل اسكليبيوس معبود صيدا . وأدونيس ، ما هو إلا صورة

(١) مؤرخ ، خطيب ، عالم لغة يونانية ، ولد فى بيلوس وعاش حتى حكم الإمبراطور هادريان ، ألف كتاباً عن تاريخ فينيقيا حفظ جزء منه ، راجع :

Larousse, op. cit., p. 845.

يونانية من أنون الذى يعنى سيد ، والذى كانت لعبادته أهمية كبرى على الشاطئ
العورى . وكان معبودا للحبوب والخضرة ، وعُشِّرت التى أصبحت فى اليونانية
استُرت . وعلى الرغم من الوثائق فإن الصورة لم تكتمل بالنسبة لمعرفة المعتقدات
البدائية فى فينيقيا . وقامت الديانة الفينيقية على تقديس مظاهر الكون وعبادة
الطبيعة .^(١)

المعبودات : كان هناك مجموعة من المعبودات ، وتمثل لنا نصوص
رأس الثمرا رئيس مجمع المعتقدات الفينيقية :

إيل : كان هناك معبودان رئيسيان هما معبود السماء وهو المعبود الأب ،
ومعبودة الأرض وهى المعبودة الأم . وكان معبود السماء يسمى إيل ومعبودة الأم
تعرف باسم عشتروت وتعبد فى أوجاريت وكان إيل هو المعبود الخالق والأب لكل
الإنسانية . وهو معبود بعيد ، ينطلق كالنجوم ويحيا عالم كالجنة بها : " ألف حقل ،
عشرة آلاف مرعى ، ومصادرهما نهرين ، فى وسط منابع ذات خليجين " . وقد لقب
هذا المعبود بلقب " أبو السنوات والإنسانية وأقدم المعبودات " وكان يستقر فى شمال
جبل (أى جبال كاسيوس ، الأكرأ حاليا) . وفى أماكن أخرى مختلفة ، هو يُقَارَن
أيضا بالثور بين قطع من البقر والمجول . وكان زواجا للمعبودة عشتروت التى
أصبحت فيما بعد ، أختا له والتى صبت أحيانا كالمعبودة الأم ومن ألقابها " بعل " أى
" سيدة " ولم يكن لها نصيب من العبادة فى البلاد ذات المساحة الكبيرة ، وهى ترمز
أيضا إلى المصادر الحيوية فى الأوساط البحرية . وعن أدوار المعبود إيل فكان يعبر
عن الرعد والرياح والسحب ويتحكم فى الفيضانات والأمطار ، وهو الذى يأمر السحب
بأن تنزل ، وأمر بأن تبني له نافذة فى قصره السماوى وقد أثار هذا الأمر جدلا
كبيرا بين العلماء حتى وقتنا هذا ، وكانت وجهة نظر البعض أنه قد طلب فتح نافذة
لكى يعد الطريق أمام أعدائه موت ويلم (سيد البحر) وتفتح النوافذ فى رأس
الثمرا ، يرمز إلى تلك الفتحة التى كانت فى القصر السماوى . ويرى بعض العلماء

(١) د. أبو المحاسن صفور : معالم حضارات الشرق الأدنى القديم ، ص ١٥٨ -

أن هذه الفتحة كانت مخصصة لنزول الأمطار. (١)

عليان - بعل : من أهم المعبودات الفينيقية المعبود عليان ، الفتى النشط الذى كان يعرف باسم بعل ، الذى يعنى اسمه " سيد " أو " ملك " وكان يشبه المعبود أداد عند العراقيين . وهو يحكم فوق القمم ، ويتحكم فى الأمطار والعواصف والصواعق (٢) مثل إيل - وتذكر الأساطير والمعتقدات ، أن بعل لم يكن يملك معبدا على حين تمتلك المعبودات الأخرى معبدا واحدا وهذا يعنى أن بعل كمعبود ، سمح له بأن يكون من بين مجموعة المعبودات الفينيقية . وهو يعد المعبود الأسوى الأول الذى تقابله فى هذه المنطقة ، فى بداية استقرار الفينيقيين على الشاطئ ، فقد اتخذ بعل كزوجة له المعبودة عشتار وكان ابن بعل يسمى عليان الذى كان ذا خصائص تشبه إلى حد كبير خصائص أبيه ، كما هو معزوف لكل شخصيات الإبن المقدس فى الديانات الآسيوية وكان لعليان أخت تسمى (ثلات أو علات) وهى حفراء محاربة ، لها خصائص عشتار ، سيدة المعارك ، وعشتارت معبودة الخصب ، وفى العصر المتأخر اندمجت علات وعشتارت مع بعضهما ليصبحا للمعبودة أتلرغاتس .

أخذ بعل كل صفات إيل ، فهو الذى يتحكم فى الفصول والأمطار والثلال والينابيع والأنهار ، فعن طريق المطر ، يجلب الخصب ، وعن طريق المطر يملس وظيفته كخالق على الأرض فهو " السيد الذى يشق الحقول " و " الأمير ، سيد الأرض " ، وهو " سيد الخصوبة " لدرجة أن وفاته تعنى فناء كل النباتات والخصرة . ولم يكن بعل هو الوحيد الذى يتحكم فى الخصوبة ، فقد ورث هذه الصفة

(١) James, Mythes et Rites, p. 159 - 161.

(٢) صور بعل معبود العواصف والصواعق يقف فوق قمم الجبال ويمسك فى يده اليمنى بدهوس القتال وفى يده اليسرى بالحرية التى ينتهى أعلاهما بما يمثل الصاعقة أو ربما ما يمثل النبات ، وهذا النقش موجود على لوحة عثر عليها فى رأس الثمرا ، راجع د. أحمد فخري : دراسات فى تاريخ الشرق القديم ، ص ١٢٠ صور .

عن عال أيضا ، معبود النباتات في العراق القديم .

وكان لبعل معبد في أوجزيت . وكان يساعده أتوا السورى معبود السماء ، ونجد في الحقيقة أن بعل تشابه مع كثير من المعبودات في غرب آسيا . ونجد أن النصوص من أوجاريت تمثله أولا وقبل كل شيء كمعبود للزهد والنباتات ، متحدا في هذا الدور مع زوجته وهو لا يحتل في مجمع المعبودات المكافئة الأولى مثل ملاردوك في بابل ، فالثاء صراعه مع خصومه ، كان يتعرض للهزيمة . وهذا قللت عنات بتحرير العالم السفلي ، وعندئذ عاود الصراع ضد موت لكي يؤكد حقه وبإستطاعته أن يحكم مع المعبودات .

وكان من النقوش التي عثر عليها في أوجاريت (رأس الثمرا) نصوص دينية وتتصل بطقوس المبادات . وتتور إحدى القصائد الهامة من هذا الأدب الدينى حول الصراع السنوى بين معبود النباتات حليان - بعل وخصمه موت ويتقصر موت على بعل في أول الأمر . وهذا طبيعى في بلاد يسيطر فيها جفاف الصيف ، ولكن عندما تتجدد الأمطار في الخريف فإن بعل يعود فينتصر على موت وهناك تشابه بين أفكار أنب أوجاريت وسفر أيوب ، وهناك أيضا موازاة في شعر أوجاريت أخذها الشعر العبرى فقامت ديانة الفيليين على عناصر هي تقديس الخصب وعبادته (١).

ومن الصفات البارزة في ديانة الخصب المامية هذه هي الحزن على موت معبود النبات وإجراء طقوس لتمكينه من الفوز على خصمه موت (إله الموت والعالم السفلي) حتى يضموا نزول كمية كبيرة من الأمطار في الموسم القادم وأن زواج المعبود بعل بعد بعثه من المعبودة عشتار تنتج عنه تلك الخضرة التي تكسو الأرض في الربيع . وهذا الزواج المقدس يتخذ صفة روحية رفيعة يصبح فيما بعد اتحادا بين قوى الخصب والطبيعة . وتعاقب الفصول يرمز إليه بالصراع بين عيلسان - بعل وأخيه موت الذي يتشابه في بعض خصائصه مع نرجال البابلي ، الذي يمثل شمس

(١) د. فيليب حتى : تاريخ لبنان منذ أقدم العصور لتاريخية ، ص ١٥٥ - ١٦٨ ؛

المؤلف نفسه : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ص ١٢٤ - ١٢٩ .

الظهيرية ، المحرقة المهلكة ، وكان يعد في نفس الوقت معبودا للحصاد ومعبودا لفترة الركود التي تلي الحصاد في الطبيعة . وتقص الأساطير أن عليان كان يحكمهم فوق الأرض على حين يمكن أخاه في العالم السفلي .

إن فكرة موت معبود الخضرة في الصيف ويعنه في الربيع ، كانت تقتزن بقوة الشمس وشدة حرارتها وانتصارها على الشتاء وعواصفه الباردة ، وفكرة انتصار الشمس على الشتاء تمثلها أسطورة تموز أو ادون ومعناه السيد المولى وعرف عند الإغريق باسم " أدونيس " أي " سيدى ومولاي " .

وكانت زوجته تسمى أيضا على اسم زوجة ليل عشتروت سيدة جيبيل وظلت عبادة تموز أو أدونيس وعشتروت عبادة شائعة في لبنان حتى العصر الروماني .

ونجد أن بعض الأساطير الأخرى في الديانة الفينيقية تخص الحياة الزراعية مثل أساطير بعل وميلاد المعبودة الكريمة والترباط المقدس أى الترباط المقدس للمعبودة التي تشرف على الحياة على الأرض .

ملقارت : يبرز المعبود ملقارت ، معبود صور ، بين أسماء المعبودات ومعنى اسمه " ملك القرية " وبفضل مركز صور انتشرت عبادة ملقارت في أنحاء فينيقيا وفي المراكز الفينيقية في الخارج . وقرنوا اسمه باسم المعبود هرقل عند الإغريق .

أشمون : الذي تركزت عبادته في صيدا .

رشف : الذي يعنى اسمه النار أو الثور ، وكانت له علاقة بالشمس أو بالنار وكان يعتبر عندهم معبودا للموت والخصب في آن واحد وعرف باسم " بعل - شمين " أى رب السماوات .^(١)

(١) د. أحمد فخري : دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ص ١٢١ .

أحد : معبود أكدي يرمز إلى العواصف والطبيعة عرف تحت اسم حداد في سوريا وفينيقيا وكلمن ، ويصور وهو يمسك برمز الصاعقة ويقف فوق ثور .^(١)
 داجون : الذي تعبد إليه الآموريون في الألف الثالثة ق. م . وعبد كذلك أهل أوجاريت وماري . وعبد كذلك الفلسطينيون على شكل سمكة وجعلوه معبودهم القومي .

عنت : هناك نقوش أثرية عثر عليها في بيت شان من القرن الثالث عشر ق. م . تعطينا اسم المعبودة عنت ، سيدة السماء وتظهر على لوحة من أوجاريت كشقيقة لعليان - بل وأعطي لقب العذراء ولخططت هذه المعبودة بالمعبودة عشتار فأصبحت عنت - عشتار التي تهب الحياة وتمنحها . ومن خصائصها البارزة أيضا الحب والحرب .^(٢)

شيد الفينيقيون المعابد والهيكل لهذه المعبودات . وكفوا يستغيثون عن نحت التماثيل للمعبودات بإقامة عمود بسيط من الحجارة أو من الخشب كرمز للمعبود غير أنهم صنعوا أيضا تماثيل صغيرة من البرونز .

وكانت فكرة الثواب والعقاب عند الفينيقيين منحة من المعبود ينالها المتعبد على هذه الأرض . فكفوا ينظرون إلى الصحة والثروة وما شابهها على أنها ثواب نظير القيام بالفروض الدينية . وإذا حرموا هذه النعم فليتهم كانوا ينظرون إلى الأسر على أنه عقاب لتركهم لفروض ديانتهم والتقصير في أمور العبادة . وعلى الرغم من ذلك فإن البعض منهم كان يعتقد في الحياة بعد الموت .^(٣)

(١) Parrot, Assur, p. 76 Fig. 84.

(٢) د. فيليب حتى : تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية ، ص ١٠٦ .

(٣) James, op. cit., p. 161.

فكرة الصراع بين الخير والشر :

نجد في النصوص التي عثر عليها في لوجاريت ، موضوع الصراع الأبدي بين طين - بعل ومنافسه موت ، ويتمثل هذا الصراع في تساقب الفصول (١) . فالأمطار كانت ضرورية للزراعة . وكان بعل يعد سيد الأرض والمصادر ، لذا فهو الذي يقترب من السحب . وعندما ينزل إلى العالم السفلي فإنه يصطحب معه السحب ، لذلك تختفي الأمطار والخضرة ولا تظهر مرة أخرى إلا عندما يظهر خصمه موت الذي يهزم أيضا بمساعدة المعبودة عنت ، وعندئذ تعود الخصوبة والخضرة مرة أخرى فوق الأرض .

كان بعل يعد معبودا للرعد والأمطار ، وهما أساس الخصوبة ويبدو أن موت كان يرمز إلى الموت وذهول الحياة على الأرض (٢) فهو الذي ينتزع الحياة من كل كائن حي . واسمه يوحي بأنه كان يرتبط بالجفاف والصحراء ، والموت والعالم السفلي . وكان يمثل العدو الدائم لبعل ويمثل تبعا لذلك القوى الشريرة التي تريد أن تسيطر على ظواهر الحياة وأيضا مظاهر الدمار والفناء والموت . وكان صراعه مع بعل أبديا ، فهو يطابق جفاف الصيف الذي يتبعه من جديد موسم الشتاء . ويلاحظ في تلك العقيدة ، أن الصراع دائم ومستمر ولم يقض على أي من المتنافسين ، فعلى الرغم من التمزيب الذي تعرض له موت من المعبودة عنت ، إلا أنه بعث من جديد لكي يصارع المعبود بعل عندما يعود هذا الأخير من العالم السفلي .

وعندما تقابلا مما للمرة الأولى تملكه الخوف من بعل ، الذي عاد إلى منزله باكيا وكان على استعداد لأن يخضع لعدوه دون أية مقاومة وتوقف مظاهر الحياة يتمثل في ذبول النباتات في موسم الجفاف وعند عودة الأمطار تيمسث الحياة مرة أخرى في تلك العناصر النباتية وهنا يعود بعل إلى القتال مرة أخرى ، مع كل

James, op. cit., p. 194 – 195.

(١)

Id. op. cit., p. 195.

(٢)

مصلحته ، ويساعده في ذلك معبودة الشمس شاپس ، ولكن لم يحالف أحدهما النصر . وهنا دعت معبودة الشمس ، المعبود موت ، إلى التخلي عن القتال والنزول إلى العالم السفلي .

لم يكن موت ، هو العدو الوحيد لبعل ، بل كان هناك أعداء آخرون فمعبود الطقس عليان كان يعمل قبل أن يصبح سيدا للأرض ليتحكم في التيسات والإيسات ، وكاد عليان أن ينتزع السلطة من عال كبير المعبودات وهنا يتدخل عال لمساعدته موت ، وأيضا الأمير " مر " الذي كان على بعل أن ينزله لكي يحصل على " المملكة الأبدية " وبالإضافة إلى ذلك فقد أمر عال ، بأن يشيد منزلا للأمير " مر " على جبال سابون في مقاطعة بعل وذلك بتكليف المعماري المصري " هارين " الذي قام بتشيد قصر بعل من قبل . وهنا وجد بعل نفسه مضطرا إلى القتال ، وكان من نتيجته أن أصبح بعل سيد مجموعة المعبودات وقضى أيضا على لوتان الثعبان الذي يمثل قوى الموت والفتاء واليأس ، أعداء المعبود بعل الأبديين .^(١)

النصوص الجنائزية :

منذ الكشف عن آثار رأس الشمرا في فينيقيا ، ولدينا الكثير من اللوحات التي تحتوى على نصوص دينية . وأهم هذه النصوص هي نصوص جنائزية تخص ملوك صيدا . ونجد فيها ذكرا لأصلهم الخيرية والأمنى للحصول على الراحة والهدوء في مقابرهم وكانوا يرددون بأنهم بدون أية ثروة يمكن أن يطمع فيها لنصوص المقابر . ويمثلون أن كل من يتعدى على مقابرهم سوف يتعرض لعقاب شديد .

ونجد أن أحد ملوك صيدا ، الملك تابوت كان مدفونا في تابوت قائد مصري الذي يحمل حتى الآن اسم القائد باللغة المصرية القديمة ، ولم يمح هذا الاسم من على التابوت .

اعتقد الفينيقيون في البحث وكانت توابعهم تأخذ الهيئة الأدمية مثل التوابيت المصرية (١).

خاصة : الحياة الثقافية :

الكتابة واللغة :

الفينيقية : لم يكن لدينا من هذه اللغة إلا القليل من النصوص حتى السنوات الأخيرة ، وخاصة النصوص الجنائزية لملكين من صيدا وهما : تابنيت ، واشمونازار من القرن الخامس ق. م . وقد وجدت هذه اللغة مكتوبة أيضا على تابوت أحد ملوك بيبلوس (أو جبيل) والذي كان معاصرا للملك رمسيس الثاني من القرن الثالث عشر ق. م . وكان بعض النصوص يتكون من عدة سطور .

وقد عثر في عام ١٩٢٩ أثناء حفائر رأس الصمرا على العديد من النصوص التي تحدثنا عن صراعات حربية أو نصوص دينية وبعض النصوص التي تعالج جوانب الحياة العادية وترجع إلى النصف الأول من القرن السابع عشر ق. م . على الأقل . وواجه العلماء صعوبات عديدة عند التراجع الأولى لهذه النصوص حيث لا يمكن مقارنتها بلغات أخرى ، بل هناك نوع من الأدب له طابع متميز يتفق مع التقاليد الفينيقية في لغة يمكن تسميتها بلغة " ما قبل الفينيقية " التي تتماثل كثيرا مع اللغة العبرية (٢).

(١) د. أبو المحاسن عصفور : معالم حضارات الشرق الأدنى القديم ، ص ١٦٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٦٤ - ١٦٨ ، p. 254 - 255, Philipe et Rouche, Histoire,

الأبجدية الفينيقية :

كان الفينيقيون أول من استعمل الأبجدية الرقمية التي لا شك قد اقتبسوها من اللغة المصرية القديمة الممثلة في المخريشات المينائية ، كما أنهم تأثروا بالمصريين في كثير من أمورهم ونقل اليونانيون عن الفينيقيين الأبجدية . وقام الفينيقيون بانقلص العلامات المستخدمة في الأبجدية إلى اثنتين وعشرين علامة وعلى الرغم من ذلك لم تصبح اللغة الفينيقية للغة الدولية . وإنما كانت الأكديّة هي اللغة الدولية الرسمية .

وكان على الأبجدية الفينيقية أن تتدثر ، لتحل محلها أبجدية أخرى أكثر مرونة ، وهي الأبجدية المسمارية التي تتطلب ألواح طينية ومعها القلم الذي يضغط به على الطين اللين . وتطبع العلامات مرة واحدة بكل المسامير . ولم يستخدم الشاطئ السوري الألواح الطينية إلا للتقليد فقط ، لأن الرق ، الذي عرفه الآشوريون كان يستخدم في الكتابة وكان سهل الاستعمال . وكانت العلامات التجارية متطورة مما سمح باستيراد البردى للكتابة عليه بخطوط قصيرة كانت تستخدم للأبجدية الفينيقية .

وقد ظهرت الفينيقية ، منذ القرن الثالث عشر ق. م . وحلت محل جميع اللغات الأخرى في سوريا ، وترجع إلى الأبجدية الفينيقية بعض المشتقات في الأبجديات الأخرى المستعملة فيما بعد وخاصة الأبجدية التي استخدمها الفينيقيون في قرطاجة . والتي كانت تسمى هناك " بونيقي " و " بونيقي الجديدة " ويفصل بينهما الغزو الروماني اللتين عاشتا واستخدما حتى بداية دخول المسيحية .^(١)

ويجب القول بأن هذه الأبجدية الفينيقية على الرغم من التقدم الذي أحرزته ، ألا أنها بقيت غير كافية فهي لا تحتوي إلا على الحروف المتحركة ، فالنص الذي كتب في مثل هذه الظروف لا يمكن أن يقرأ بواسطة شخص على دراية جيدة باللغة . وكانت الأبجدية الفينيقية تعد من اللغات السهلة إذا ما قورنت بالتعقيدات الموجودة في

(١) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ١٦٤ .

اللغة المسمارية الأكديّة ، ولكن بالتمنية القراءة والتعبير ، فهي تعد مختلفة لأن الأكديّة كانت تحتوي على الحروف الساكنة .

ويجب أن نضع ألعلم أعولنا أن في طريقة الكتابة وأيضا في طريقة التعبير يظهر توازن واعتدال الكتبة أنفسهم ، فهم وحدهم الذين كانوا يمارسون فنون الأكتب ، طوال الثلاثة آلاف علم أو أكثر التي عاشتها حضارات الشرق القديم . فعندما حلت الكتابة المسمارية محل الكتابة التصويرية كانت هناك بعض التغييرات البسيطة ، ولكن على العكس اللغة الهيروغليفية ، والهيروغليفية الجديدة في قرطاجنة ، اللتين لم تخضعا لتأثير توازن الكتبة فقد أصبحتا في فترة قصيرة من التعقيد بحيث يصعب قراءتهما .

لم يكن الهيروغليفيون حملة تجارة فحسب ، بل كانوا حملة ثقافة وعلم إلى جميع أرجاء العالم القديم . وكانت أكبر خدمة أنوها للبشرية هي نشر الحروف الهجائية الهيروغليفية التي كانت سببا مباشرا في نشر العلم في أوروبا الجنوبية ، وكان لهم أثر مباشر على نهضة بلاد اليونان في أكثر من مجال .

فهذه الحروف الهجائية تعد بحق أعظم اختراع حققه إنسان الشرق القديم في فينيقيا . وبواسطة هذه الرموز استطاع الإنسان أن يسجل أفكاره وعلمه وأدابه ويقيها من بعده إرثا للخلف . وبواسطة هذه الحروف كتب اليونانيون كنوز عبقريتهم الأدبية والفلسفية وخلقوا لنا صرحا أدبيا كبيرا . وقد أخذ الرومان هذه الحروف الهجائية من الإغريق فنوّنوا بها قوانينهم المشهورة التي اتحفوا بها العالم المتقدم (١).

وتعتبر الكتابة الهيروغليفية أول كتابة استخدم الإنسان فيها الحروف الهجائية ولا ينبغي أن يتبادر إلى الذهن أن المعالولة الهيروغليفية كانت المعالولة الوحيدة للوصول إلى الكتابة بالحروف الهجائية ، أو أنهم توصلوا إليها كاملة دفعة واحدة . فالنقوش الهيروغليفية التي وصلتنا لا تعد كثيرا في دراسة تطور هذه الكتابة لأن أقدم نقش هيروغليفي

(١) د. فيليب حتى : تاريخ لبنان منذ أقدم العصور للتاريخية ، ص ٦ : د. أحمد

فخرى : دراسات في تاريخ الشرق القديم ، ص ١٠٥ - ١٠٧ .

أبجدى وصل إلينا بهذه الكتابة هو النقش الموجود على تابوت ملك صبور احيرام الأول الذى يرجع أكثر العلماء أنه يرجع إلى أوائل القرن العاشر قبل الميلاد (١٠٠٠ ق. م) ولا شك فى أن كثيرا من الكتابات الفينيقية سبقتة وكان هذا النقش يحتوى على حوالي ٢٢ حرفا هجائيا .

وعثر فى حفائر رأس الشمر (أو أوجاريت) على مكتبة ضخمة تشتمل على عدد كبير من الألواح الطينية المحروقة والتي ترجع إلى القرن الرابع عشر ق. م . واحتوت على نقوش بسبع لغات مختلفة هي :

السومرية والبابلية والآشورية والمصرية والحيثية والاوغاريتية ولغة سامية لم يتمكن العلماء من قراءتها فى البداية ، ولكن سرعان ما توصل أكثر من باحث (منهم دروم وباور) إلى حل لغزها عام ١٩٢٠ وذلك عند مقارنتها بالأبجدية الكنعانية .^(١) وعثر بين هذه اللوحات على عدد من القواميس للترجمة من السومرية والبابلية إلى الاوجاريتية . مما يدل على أن هذا المكان كان بقايا مدرسة لتعلم الكتابة وربما اللغات أو اللهجات التي كانت معروفة فى بلاد الشرق القديم . ويرى د. فخرى أن تلك اللوحات الطينية كانت جزءا من مكتبة القصر الملكى وقد ألقت دراستها الضوء على الحياة الدينية والاجتماعية فى مدينة أوجاريت .

وبالإضافة إلى نقش تابوت يخصص ملك صبور وألواح رأس الشمر . وعثر فى سرابية الخادم فى وسط شبه جزيرة سيناء على نقوش مكتوبة على لوحات جنائزية أو تماثيل نسائية صغيرة مقدمة لربة المعبد فى هذا المكان وهى المعبودة حتحور . وبالإضافة إلى ذلك وجد أيضا نحو من اثني عشر نقشا مكتوبة بكتابة مختلفة وترجع كلها إلى الفترة الواقعة بين ١٦٠٠ و ١٥٠٠ ق. م . وقد أثارت هذه اللوحات القليلة ذات الكتابة الجديدة اهتمام العلماء نظرا لأن الطابع الغالب عليها هو الكتابة بالصور والعلامات المختصرة .^(١) وكلفت الجفائر قد توقفت فى هذا الموقع

(١) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ١٠٦ .

(٢) د. فليب حتى : المرجع السابق ، ص ١٥٠ - ١٥٢ .

عام ١٩٣٩ ثم استؤنفت عام ١٩٤٨ وعاد إلى الموقع يُفسر المكتشف الأول عام ١٩٥٠ وتركزت في حفائره في القصر الملكي وعثر فيه على كثير من الوثائق ذات الأهمية السياسية والإدارية والقانونية وأكثرها مكتوب بالأكدية . وفي عام ١٩٥٣ عثر على مجموعة من المراسلات الدبلوماسية بين أمراء أوجاريت وملوك الحيثيين^(١).

كما عثر على عدد من الكتابات في فلسطين مثل نقوش مجدو ولخش وشكيم وبيت شمس ، كلها تحمل كتابات بحروف هجائية تمثل حلقة وصل أخرى أكثر تطوراً بين الكتابة السينائية والحروف الفينيقية .

وهذه الكتابة الفينيقية كما يمثلها أقدم نماذجها وهو نقش الملك أحشiram من صور ، تتكون من اثنين وعشرين حرفاً تخلصت تماماً في شكلها من أى رسم أو صور للأشياء ، وأصبحت خطوطاً مجردة تقريباً .

وكانت هذه الحروف هي الأصل الذي اشتقت منه الكتابات السامية الهجائية الأخرى وأهمها الفينيقية والعبرية القديمة والآرامية والسبئية . وكان للفينيقيين الفضل الأول في معرفة هذه الطريقة في الكتابة في العالم القديم ، فقد كانت الحروف الفينيقية هي الأصل الذي أخذ الإغريق عنه أبجديتهم ، واتخذ اليونانيون هذه الكتابة وحصلوها خصوصاً باستخدام بعض الحروف للحركات الصوتية . وقد حدث ذلك في القرن الثامن قبل الميلاد حينما كان اليونانيون ينشرون تجارهم في أسواق الشرق القديم .

ولم يمض وقت طويل حتى استخدمت الكتابة الفينيقية في إيطاليا نقلاً عن اليونانيين . ومن الغريب بأن اللغة الفينيقية قد اندثرت في حفر دارها وحلت محلها اللغة الآرامية واليونانية في العصر اليوناني .

وقد عاشت الفينيقية في سردينيا فترة طويلة . وقد زحفت اللاتينية إليها حينما اشتد نفوذ روما . وعثر على أقدم نقش فينيقي في قبرص ووجد مكتوباً على

(١) د. أحمد فخري : المرجع السابق ، ص ١٠٦ .

إناء من البرونز وهو مؤرخ من النصف الثاني من القرن الثامن قبل الميلاد .

الكتابة البونيقية :

اشتقت هذه الكتابة من الفينيقية مباشرة وعاصرتها . ولدينا نوعان من الكتابة البونيقية وجدا في شمال أفريقيا (في تونس وليبيا والجزائر) : البونيقية القديمة واشتقت من الفينيقية منذ القرن الثامن قبل الميلاد وظلت مستعملة حتى سقوط قرطاجة عام ١٤٦ ق. م . وقد تشابهت البونيقية القديمة مع الكتابة الفينيقية في كل شيء . ولم يكن هناك أى اختلاف جوهري . أما النوع الثاني فيطلق عليه اسم البونيقية المتأخرة أو الحديثة . وقد دخلت إلى الاستعمال متطورة من البونيقية القديمة بعد سقوط قرطاجة وظلت مستعملة حتى القرن السادس الميلادي . والاختلاف الجوهري بين البونيقية القديمة والبونيقية الجديدة استخدام هذه الأخيرة للحروف المتحركة النينة متأثرة في ذلك بالكتابة اليونانية واللاتينية فيما بعد .

وقد وصلت الكتابة البونيقية إلى جزر مالطة وسردينيا وصقلية كما دخلت إلى فرنسا وأسبانيا .^(١) ولقد نقش بونيقى عشر عليه في قرطاجة كتب على صدىرة مؤرخة من القرن السادس قبل الميلاد . ولقد نقش عشر عليه في سردينيا هو ما وجد مكتوبا على ثلاثة كتل حجرية وهي من القرن التاسع قبل الميلاد .^(٢)

وعن اليونانيين أخذ الآثرومسيون الذين كانوا يحتلون جزءا من إيطاليا قبل مجئ الرومان إليها .^(٣) لغتهم وحروفهم ، ومن هؤلاء جاءت الحروف اللاتينية التي

(١) د. شعبان خليفة : الكتابة العربية في رحلة للشوّه والأرتقاء ، العربي للنشر

والتوزيع ١٩٨٩ ، ص ٥٥ .

(٢) د. عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ، ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .

(٣) وكان الآثرومسيون مثل الفينيقيين ، بحارة وتجار مهرة ، بنوا الأساطيل

التجارية التي كانت تمخر عجايب البحر المتوسط وتكافئ سفن اليونانيين ---

أصبحت حروف الكتابة لأكثر الدول الأوروبية منذ القرون الوسطى .

حل رموز اللغة الفينيقية :

حاول أحد الفرنسيين وهو الأب برتلمي أن يجمع بعض القلائد القديمة واستطاع أن يجد على القلائد الفينيقية أسماء بعض المدن ، وتعرف هكذا على بعض الحروف . وقد عثر من ناحية أخرى في مألطة على قاعدتين صغيرتين يحملان صودا صغيرا محددا في النهاية ، مؤرختان من القرن الثاني ق. م . ويحملان نصين كتبنا بحروف فينيقية ويونانية . وبعد دراسة إحدى القاعدتين المحفوظة الآن في متحف اللوفر ، لجأ الأب برتلمي ، إلى الاستعانة بالنص الموجود على نفس القطعة ، ونجح في التوصل إلى معرفة قيمة الحروف الأبجدية ، وبفضل اللغة العبرية التي تتأرب الفينيقية أمكن حل رموز النص الفينيقى .

وقبل اكتشاف نصوص رأس الشمرا ، كان لدينا بعض النصوص القصيرة الخاصة بصيغ الإهداء ، وبعض النصوص الهامة ، مثل النصوص الجنائزية الخاصة بملوك صيدا ، ثم لوحة " يوما ملك " ملك بيبيلوس ، التي تحدثنا نقوشها عن الترميمات والإصلاحات التي قام بها هذا الملك في المعبد ، و لوحة " ممبا " ملك مواب التي تؤرخ من منتصف القرن التاسع ق. م . وهذه اللوحة الأخيرة تعد أثرا هاما بالنسبة للتاريخ فهي تقيم علينا أحداث تنقلها الكتب المقدس ، ولكن من وجهة نظر مختلفة ، اعتنقها مواب عدو مملكة إسرائيل ، وأيضا بالنسبة لطريقة الكتابة لأنها تحتوي على علامات ذات شكل مطور .

ويوجد على تابوت الملك احيرام ، ملك بيبيلوس الذي حكم في القرن العاشر ق. م. بعض المطور من الكتابة الفينيقية ، التي أمدتنا بالأشكال القديمة جدا للأبجدية الفينيقية والتي لا يمكن الشك فيها ، وقد أدى العثور على هذه الأشكال إلى نفى بعض النظريات العديدة التي قيلت عن أصل اللغة الفينيقية . وكان معنى الحروف محل

دراسة أيضا طبقا لقراءتها . فالحرف الأول مثلا ، " ألف " يعبر عنه برسم الثور أو برسم علامة تمثل مقدمة رأس الثور بقرنيه ، وأيضا بعض الحروف الأخرى . ولكن بعضها كان من الصعب تفسيره . ومن المقبول اليوم أنه إذا كانت هناك بعض العلامات التي يمكن إرجاعها إلى الأصل ، فبعضها الآخر ربما كان قد تعرض للتغييرات الأولى .

وعلى عكس الكتابة المسمارية ، والنصوص التي عثر عليها في مسينا ونصوص رأس الشمرا ، فهذه الكتابات لم تستمر طويلا ، ولم تستمر أيضا الطريقة التي كانت تكتب بها بعض نصوصها بحروف مشتقة من اللغة المصرية القديمة ويقال عنها " الشبيهة بالهيريوغليفية " والتي عثر عليها في بيلوس وترجمها العالم دروم ^(١) .

أبجدية رأس الشمرا :

كانت الكتابة في هينقيا لختيارا فالصرا على الكتابة ، ولكن حدث اكتشاف كبير في عام ١٩٢٩ على الشاطئ السوري ، والذي يدل على وضع الكتابة في متناول أكبر عدد ممكن من الأشخاص . حيث عثر هناك على مجموعة كبيرة من النصوص في منطقة رأس الشمرا ، وكتب على ألواح من الطين مثل الكتابة المسمارية التي اشتقت منها ، وقد عثر على هذه النصوص أثناء الحفائر في القصر الملكي ، وكانت عبارة عن نصوص متنوعة بعضها يعكس الحياة اليومية من خطابات ، قصص ، قوائم . ولكن أغلبها كان له الطابع الديني . ويرجع تاريخ هذه الألواح إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد على أقل تقدير . وتشمل الحروف الأبجدية ثمانية وعشرين حرفا ، يعطى بعضها القيمة الصوتية التي لا تملكها اللغات الهندوأوروبية . أما العلامات فهي مشتقة بصورة مبسطة من العلامات المسمارية ويوجد في الحروف الأبجدية ، شرطة بسيطة ، مخصصة لفصل الكلمات وهذه الطريقة كانت من أهم العوامل المساعدة للعلماء لحل رموز هذه الكتابة .

ومقارنة الألواح الأولى التى كشف عنها من قبل بطريقة الكتابة الجديدة التى كشف عنها فى رأس الشمرا ، وجد الآثريون أنفسهم أما شئ جديد ولیموا أمام لغة تكتب بخطين . أحدهما يمكن قراءته ويساعد فى حل رموز الأخرى ، كما حدث بالنسبة لعلماء علم المصريات وحل رموز اللغة المصرية القديمة عن طريق الكتابة الهيروغليفية والديموطيقية وكما حدث فيما بعد لعلماء الكتابة المسمارية .

ولقد اقترح كلا من دروم وباور أن هذه اللغة لغة سامية وأن مصدرها كان شمال إفريقيا ، واتضمن إليهما فيرولد الذى قام بعدة أبحاث ^(١) وقد أوضح هذا الأخير معانى الحروف الأبجدية ، وبدأ بعدها فى ترجمة النصوص . وكانت هذه الأبحاث تشمل محاولة إيجاد كلمات سامية على هذه اللوحات وعلى بعض الأسلحة الرمزية من البرونز التى حمل نصوصا قصيرة . -

ومن الجدير بالذكر أنه لم يمض غير بضعة أشهر بين نشر هذه النصوص وإيجاد أو التوصل إلى طريقة كتابة الأبجدية ويتضح من هذه الأبجدية أنها كانت مشتقة من الكتابة المسمارية ، وأنها تبسط لأبجدية المسمارية ، التى كانت منتشرة فى معظم بلاد الشرق القديم .

ساميا : الحياة الفنية :

العمارة : يعد تخطيط المدينة وتشيد المنازل مظهر من مظاهر الحضارة وأول ما نلاحظه فى تخطيط المدن الفينيقية صغيرة أو كبيرة - أنه كان يحيط بها سور . وكانت المدن الفينيقية صغيرة الحجم عادة لذلك كانت مزودة بالمنازل التى كانت تتكون من أكثر من طابق .

ويذكر سترابون من القرن الأول ق.م - أن منازل صبور ولرواد كانت تتكون من عدة طوابق . وأن منازل صبور كانت أكثر ارتفاعا من المنازل فى روما

ذاتها . ويذكر ابياقوس وهو من مؤرخي القرن الثاني للميلاد ، بأن المنازل فى بعض أحياء مدينة قرطاجة كانت تتكون مما لا يقل عن ستة طوابق . ولكن مثل هذه المنازل العالية وجدت فقط فى الأحياء التجارية قرب الميناء . أما عن تخزين المياه فكان يتم عن طريق تخزين الأمطار فى الآبار . وكانوا ينتفعون أيضا بمياه نبع عذب تظهر مياهه فى المضيق الذى يفصل جزيرتهم عن البر .

أما عن طريقة الحصول على المياه من هذا النبع البحرى فقد كانت غاية فى البراعة فكانوا ينزلون من قارب قعما من الرصاص واسع القدم وفى وسطه أنبوب من الجلد . وكان الماء يصعد فى الأنبوب الجلدى فيملأون جرارهم وهى طريقة لا عهد للناس بها إذ ذلك . ولا يزال فى مدينة لرواد إلى يومنا هذه الأحواض منحوتة فى الصخر لحفظ المياه .

وكان يحرسون على أن تشيد هذه المدن فوق مرتفعات حتى يسهل الدفاع عنها وفى نفس الوقت تكفل الحماية للفرق الساحلية وتحرس الطرق المؤدية إلى المناطق الداخلية (١).

عرفت سوريا بناء القصور الذى كان يطلق عليها " بيت هيلانى " كما فى بلاد خيتا . وقد كشف فى تل تالينات على بقايا قصر من هذا النوع وإلى جانبه كان يوجد معبد صغير .

وكانت المدن السورية محاطة بسور به بوابات أيضا يعلوها أبراج وكانت هناك بعض الأجزاء المشيدة من الخشب فى أعالي هذه الأسوار كما حدث فى خيتا وجزر كريت .

أما المقابر فكان يوضع فيها توابيت وكانت هذه المقابر على شكل قبور (مثل جبانة ملوك بيلوس أو ملوك سيدا) .

وفي العصر المتأخر كانت التوابيت تصنع من الحجارة ، وتتخذ شكل التوابيت المصرية على هيئة مومياء .

ونلمس في مقبرة احيرام من القرن الثالث عشر ق. م . في بيلوس تأثير الفن المصري الذي يظهر في نقوش تابوته .

كما عثر على أولي من المرمر تحمل اسم الملك رمسيس الثاني ، وعثر في نفس المقبرة على أدوات من العاج والفخار يغلب عليها طابع فن الميسيين (اليوناني) كما عثر على أولي ربما أحضرت من جزيرة قبرص أو تقلد ما كان يصلع في هذه الجزيرة .

وهكذا تأثر الفن الفينيقي في الألف الثانية ق. م . بالفن المصري والفن الميسيني . وقد تأثر الفينيقيون بالمصريين في مجال العمارة وصادات الفن . أما بالنسبة لفن النحت فنجد أنه في المناطق التي خضعت للحوريين والحيثيين الجدد ، وأنه على الرغم من عدم خبرتهم الفنية الطويلة ، إلا أنهم حققوا أشكالاً تليق بالذوق والحماس _ مثل رأس تمثال جابول في متحف اللوفر (. وكانت العيون في تماثيل المعبودات التي تخص مدينتي قرقيش وزنجولي ، كانت في أغلب الأحيان مطعمة بالأحجار ذات الألوان لكي تعطى نوعاً من الحيوية عند النظر إليها .

وكان الموضوع الرئيسي في فن النقش هو الصيد الملكي . وهو موضوع تقليدي في بلاد الشرق القديم . فنجد هذا الموضوع في أوجاريت وجنوب فينيقيا وفلسطين .

وقد عني الفينيقيون بالموسيقى . فقد اكتسبوا كثيراً من عناصر موسيقاهم من شعوب مختلفة في الشرق القديم . وذلك لأن طقوس العبادة عندهم كانت تقتضى استخدام الغناء والآلات الموسيقية وتكثر الطلب على لثناء مغنيهم ومغنياتهم من الجولاري في مصر في عصر الدولة الحديثة .^(١)

(١) - Amiet, les Civilisations Antiques du Proche Orient, p. 101-

بعض المظاهر الحضارية عند الآموريين :

لم تختلف الديانة الآمورية عن عبادة قوى الطبيعة عند الساميين التي كانت شائعة بين البدو والرحل في بادية الشام وبلاد العرب . وكانوا يتعبدون أسلماً إلى المعبود آمورو (مارتو) وهو معبود القبيلة وهو معبود العرب الذي حرفت عبادته أصلاً في بلاد النهرين ، وكانت زوجته المعبودة عشتارت أو عاشره وتنتصف بأسمها معبودة الحب والقوة وتميل إلى المسمرات والنشاط . ويرجح أنها كانت مقتبسة من المعبودة البابلية عشتار المعروفة وكانت تعتبر المعبودة الرئيسية . ونعرف أن الآموريين تعبدوا أيضاً عدداً من المعبودات كان أهمها حدد (بالأكدية آداد) المعروف أيضاً باسم رمافوا (صانع الصواعق) وهو معبود المطر والعواصف . ثم أصبح بعد ذلك بعل الأعظم ، معبود الرعد ، وصفتة معبود رئيسي في الغرب حرف باسم مارتو . ويوجد معبود آخر ذو شأن وهو رثف وربما كان له بعض الصلة بالنار واقتبسه المصريون في عصر الدولة الحديثة ، وعبدوا أيضاً المعبود داجون . وجاء ذكر هذه المعبودات على ألواح مدينة مارى .

ومن الطقوس البارزة التي أدخلها الآموريون إلى جنوب سوريا المعبود المقدس وكان يمثل على ما يظهر معبود القبيلة ويقلم عادة في مكان ظاهر وعادة في مغارة إلى جانبها مذبح من الحجر الكلسي لا تنصه أية آله (١) .

لم يترك الآموريون كتابات هامة بلغتهم أو كتابات أثرية ذات شأن وإنما تركت أسماء أماكن وأمرأ فقط . وأهم كتاباتهم كانت باللغة الأكدية التي شاع استخدامها كلفة تدوين رسمية .

حرف الآموريون الزراعة وأسسوا دويلات قوية ومن أهمها تلك التي شكلت

(١) د. فيليب حتى : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ص ٨٠ - ٨٤ د. عبد الحميد زايد : الشرق للخالد ، ص ٢٣٩ .

فى حوض الفرات الأوسط وكانت عاصمتها مارى . وعثر فى القصر الملكى فى هذه العاصمة على أكثر من ٣٠٠ حجرة عثر فيها على أكثر من عشرين ألف لوح من الألواح الطينية المكتوبة بالخط المسمارى ، وهى تتضمن وثائق مختلف الشئون منها السياسية والإدارية والاقتصادية والدينية . ونعرف من نقوش هذه النصوص أن هناك مملكة أمورية اسمها بمخاد كانت عاصمتها حلب وأن جبيل كانت مركزا صناعيا هاما للنسيج وقطعة مركزا تجاريا أيضا وأن زمرى ليم كان آخر ملوك مارى .

ونعرف أن مركز الأموريين الأصلي كان فى شمال سوريا ، ثم استقر بهم المقام فى أواسط حوض نهر الفرات ولهذا تعرضت فنولهم لتأثيرات سومرية وبابلية واضحة .

بحر المظاهر الحضارية عند الآراميين :

انقبس الآراميون الحضارة المادية للشعوب التى احتكوا بها وتأثروا بها . فى شمال سوريا أصبحوا ورثة الحضارة الآشورية والحيثية وفى وسط سوريا أصبحوا ورثة الحضارة الفينيقية . واتخذت عاصمتهم سامال فى الشمال الغربى مظهر مدينة حيثية ولكن ملوكهم كانوا يتسمون بأسماء آرامية وتركوا كتابات أثرية بحروف فينيقية .

وكانوا يتعبدون للمعبود حدد المعبود الزوابع والرعد ويسمى أيضا أد أو أدو وحيدت إلى جواره زوجته وهى المعبودة توالد أو أثارغاتس التى تعد المعبودة الأم وكان يرمز إليها بالهلال وقرص الشمس وانتشرت عبادتها فى فلسطين ثم انتقلت بمعد ذلك إلى الرومان . وكان اليونان والرومان يطلقون عليها اسم " المعبودة السورية " وانتشرت عبادة أثارغاتس أو أثارجاتس بين اليونانيين فى العصر السلوقى وبواسطتهم وصلت إلى روما حيث أقام معبد باسمها مثلها فى ذلك مثل عبادة المعبودة إيزيس المصرية فى روما .^(١)

(١) د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ١٨٧ - ١٨٨ .

وعندما تكونت مملكة ممالك الآرامية (زنجبارى) لدينا من عصرها
نصوص جنائزية واهداءات مكتوبة باللغة الآرامية ، تخص إحدى هذه النصوص
الملك بانامو الأول الذى عاش فى النصف الأول من القرن الثامن ق. م . وقد أقام
هذا الملك تمثالا ضخما للمعبود حدد ارتفاعه تسعة أقدام ونصف وتكرر نصوص
التمثال أن هم الملك الأكبر كان إسماع شعبة . ويذكر أن الأرض التى منحتة لهاها
المعبودة المحصنة الكريمة كانت : " أرض شعير وقمح وثوم ويعمل الرجال فى حرث
تربتها ويزرع كرومها " .^(١) ويصف الملك فى نصوصه الحياة فى العالم الآخر ،
ويذكر أنها أهل تعاسة من تلك التى كان يعتقد فيها أهل بلاد النهرين . وقد أمر بالمو
الأول ابنه فى النقوش التى تركها على تمثال المعبود حدد أن يتلو الصيغة الآتية
عندما يقدم القرابين :

" لتأكل روح بانامو مع حدد ولتشرب روحه مع حدد ولتسرح بالنقمة
لحدد " .

وهناك تمثال تذكرى للملك بانامو الثانى (٧٣٢ ق. م) أنهم غالبا فوق
ضريحه من قبل ابنه ويذكر :

" وفى أيام أبى بانامو عين حاملين للكؤوس وسلقى مركبات " وبذلك زاد
فى فخامة البلاط الملكى .

وكان ابن بانامو الثانى بار ركاب وظهر شكله منحوتا بشكل بارز جالسا
على العرش ، والنقش مطور جيدا فى الأبنوس والماج والذهب .^(٢) وتأثر الآراميون
بحضارات الشعوب المجاورة وخاصة حضارة وادى النيل ، ولقبسوا منها الكثير فى

(١) د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ١٨٥ . عن الحضارة الآرامية
ومظاهرها فى الديانة والمعتقدات الدنيوية وعقائد الحياة الآخرة والفنون ، راجع
د. عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ، ص ٣٦٧ - ٣٧١ .

(٢) د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ١٨٦ .

مجال الثقافة والفن . واعتنق الآراميون ديانة البلاد التي أقلموا فيها ، فعبّدوا إلى المعبودات الفينيقية والحيثية والحورية ومعبودات بلاد النهرين . وتأثر الآراميون بالحيثيين في مجال الزراعة وعرفوا طرق زراعة الشعير والقمح والنبث والكروم . واشتهر الآراميون بالتجارة البرية وتاجروا في بعض المنسوجات والكتان والنحاس والأبنوس والعاج واللؤلؤ .

وعندما تكونت مملكة سامال الآرامية على نهر الفرات ، نجد أن الملوك هناك كانوا يسجلون نصوصهم بالآرامية ، على حين كانت الخصائص الحيثية هي السائدة في فنونهم . وكان النفوذ الحيثي هو الوحيد السائد في قرقيش حيث كان للفن الخصائص السائدة في زنجلي .

أما عن الآرامية فقد كانت بالية فيما يسمى باللغة السورية ، وليس هناك ما يدعو على الاعتقاد بأنها كانت لغة بالمعنى المفهوم ، وإذا كانت اللغة السورية لم تكن اللغة الرسمية ، إلا أنها أصبحت شيئا فشيئا لغة حديث لكل الآراميين .

وانتشرت الآرامية بسرعة وكان يتحدث بها معظم السكان في أرض فينيقية وللأسف لا توجد هذه اللغة إلا في بعض الملاحظات القصيرة المكتوبة بالمداد على اللوحات المسارية من عصر المملكة البابلية الجديدة .

وعندما فهارت آسيا للصغرى أمام التداخلات الأجنبية ، فيمكننا القول بأنه منذ زمن بعيد لم يتحدث الشعوب على الإطلاق اللغة الأكديّة المكتوبة على اللوحات ، ولكنها كانت تعتمد الآرامية التي كانت أسهل وأصبحت في المرتبة الأولى ^(١) وذلك عندما انهار النظام الاجتماعي الذي كان فيه الكتبة يمثلون العصر الفعلي ويعنون أهم طبقة في المجتمع .

واستخدمت الآرامية في التجارة واستعملت كلفة رسمية في الإمبراطورية الفارسية وكان انتشارها سببا في انتشار الأبجدية الفينيقية التي استخدموها . وكانت

(١) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ١٦٨ .

أيضا لغة سيدنا عيسى عليه السلام وأتباعه .

وعن الخط الآرامي تفرع الخط الهندي ، وكذلك للشمري والعسورياني والنبطي . ومن النبطي تفرع الخط العربي . وتفرع أيضا من الآرامية للخط البهلوي والآسني والأرضي والجورجاني (نسبة إلى جورجيا جنوبي الاتحاد السوفيتي) وغيره من الخطوط أما التمودي والهياني والصقوي والحيتي فهي خطوط متفرعة كلها من الخط العربي في جنوب الجزيرة العربية .^(١)

بقايا العواصم والمدن القديمة :

ماري : اسمها الحالي تل الحريري وهي ليست بعيدة عن القفرات على الضفة الشرقية على بعد ٤٥٠ كم من دمشق . وعثر فيها عام ١٩٢٢ على تمثال جذب أنظار علماء العالم لأهمية آثار هذه العاصمة وبدأت الحفائر فيها منذ هذا التاريخ ولكنها توقفت بسبب الحرب العالمية الثانية وبدأت مرة أخرى في عام ١٩٥١ ، وأدت إلى الكشف عن مدينة هامة ترجع إلى الألف الثالثة ق. م . وعثر فيها على القصر الملكي الخاص بالملك زمرى - إيم من الألف الثانية ، ذو مساحة ضخمة لا توازي أية مساحة أخرى . وعثر فيها على معابد وتمثال ولوحات ، ويحدثنا د. صالح عن بقايا هذا القصر فيقول :

" كل قصر ماري شهرته الخاصة ، لتساع مساحته ورسوم جدرانه وكثرة ملحقاته وكثرة الأكواح المكتوبة التي عثر عليها في ديوان مملكته وهي جزء من أرشيف القصر الملكي ، ويحتوي بعضها على خطابات ووثائق وجاء فيها ذكر أسماء الكثير من المدن في بلاد الشام . فقد شغل القصر نحو ستة أفنية ، وتضمن مائتين وستين حجرة هذا مسكن الملك ، وعثر فيه على نحو عشرين ألف (٢) لوحة طينية ، ورسمت بعض جدرانه الرئيسية لوحات مرسومة وملونة أخذت مناظرها بما

(١) د. فيليب حتى : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ص ١١٨ - ١٢٢ ؛ د. أحمد

فخري : دراسات في تاريخ الشرق القديم ، ص ١١٨ .

أخذ به فن النحت المحلى . فصورت مناظر حربية وأسطورية وقصصية ودينية لم يبق منها للأسف غير أجزاء يسيرة . وأحاطت بها إطارات ضيقة تتألف من شجيرات وكائنات خيرة وأخرى مخيفة . وإطارات زخرفية ذات وحدات لولبية تشبه مثيلاتها فى الفن الأيجى . ولا تزال أكثر مناظر القصر حيوية منها مناظر مواكب القرابين . ومناظر تمثل الملك وهو يتقبل رموز الملكية والسيادة من المعبودة عشتار .^(١) وقد تعرضت هذه المدينة للغزو فى القرن الثامن عشر ق. م . من قبل جيوش حمورابسى الذى قضى على ماري ودمرها .^(٢)

صيدا : التى لا تبعد كثيرا عن المدينة الحديثة وهناك نوع من التداخل بين المدينتين صيدا القديمة والحديثة ولا يفصل بينهما سوى شارع رئيسى ، وعثر فيها عام ١٨٥٦ على تابوت من البازلت الأسود المصنوع فى مصر وهو خاص بالملك اشمونازار الذى عاش فى القرن الخامس ق. م .^(٣) ويحمل نصوصا مكتوبة بالفينيقية ، وتتكون من اثنين وعشرين سطرا ، وهى تعد الأعمال الأخيرة التى قام بها الملك لصالح معبودات صيدا .^(٤)

بيبلوس : تقع جبل أى بيبولس القديمة على بعد ٤٠ كم فى شمال بيروت ، وهى مدينة صغيرة على الشاطئ اللبنانى ، وقد عثر فيها مونتيه فى عام ١٩١٦ على بعض الآثار التى يغلب عليها الطابع المصرى . وعثر فيها أيضا على مقبرة الملك احيرام ملك بيبولس الذى كان معاصرا للملك رمسيس الثانى . وكانت

(١) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، طبعة ١٩٧٦ ، ص ٤٥٤ ؛ د. أحمد فخري : المرجع السابق ، ص ١٠٣ .

(٢) Eydox, A la Recherche des Mondes Perdus, p. 66.

(٣) وهذا يؤكد لنا أن التمثال الذى عثرت عليه البعثة الفرنسية فى سوس للملك دارا الأول عام ١٩٧٢ وكان مغطى بنقوش كتبت بالخط الهيروغليفى أنه صنع فى مصر ثم نقل بعدها إلى سوس .

(٤) Eydox, op. cit., p. 67.

تحتوى على أوتى من المرمر باسم الملك المصرى . وعثر أيضا على تابوت عليه كتابة فينيقية قديمة ، كان لها أهمية خاصة بالنسبة لمعرفة الأبجدية .

أوجاريت : كشف عن رأس الفسفا ، أوجاريت القديمة على بعد ١٠ كم فى شمال الشاطئ المورى ، وهى مدينة ذكرت بكثرة فى لوحات تل العمارنة . وكشف فيها على معبد للمعبود بعل . وعثر فيها على لوحة من القرن الرابع عشر أو الثالث عشر ق. م . وتمثل للمعبود حدد معبود العلاميين . وكشفت الحفائر عن قصر لمولك بيلوس عاشوا فى القرن الرابع عشر أو الثالث عشر ق. م . وذلك على مساحة قدرها ٦ آلاف متر .^(١)

تدمر : تقع شمال بادية الشام إلى الجنوب من الرصافة وإلى الشرق من حمص وتدل خطابات الألواح الطينية التى عثر عليها فى ماري على أن منطقة تدمر كانت أهلة بالسكان حوالى عام ١٧٠ ق. م . ولا نجد وثائق مستمرة عنها بعد ذلك غير أن تدمر أخذت فى الظهور مرة أخرى فى حوالى القرن الأول قبل الميلاد وكان سكانها من القبائل التى استقرت فى المنطقة على طول الطريق التجارى الرئيسى بين شبه الجزيرة العربية وشرق البحر المتوسط .

وعثر على نقش على تمثال يسجل الصلح بين قبيلتين متنازعتين كما أن بعض النقوش تسجل اشتراك السكان فى بعض الطقوس الدينية وقد أقاموا تماثيل لمعبوداتهم المختلفة . وقد تعرضت هذه للقبائل لهجمات الآشوريين والكلدانيين كما تعرضت الدويلات الأخرى المتاخمة لها فى الجنوب تلك لهجمات فئسلا نعلم أن تيجلات بلامر الثالث تقبل خضوع أميرتين عرييتين . كما أن سنجاريب يذكر أنه توغل فى الصحراء متعبا العرب . ومن أشهر ملوك تدمر الملكة زنوبيا التى حكمت عام ٢٦٠ ميلادية . وكانت زوجة الملك العربى أنثيه الذى حارب الرومان والفرس دفاعا عن أرضه . وكان إذا خرج للحرب أقاب منه زوجته التى كانت مثله مقاتلة وفارسة تركب الخيل وتقود الجيوش . وكلفت إلى جانب ذلك متفقة تجيد الأرامية

واللاتينية واليونانية .

وقد نجحت في التصدي لجيوش الرومان وانتصرت في مقاومتها الباسلة
ضد الرومان بقيادة الإمبراطور أورليان .

ولكن تكرر سقطت تحت الحكم الروماني عام ٢٧٣ ميلادية وقضى عليها
الإمبراطور أورليان ولهذا كان للحضارة التدمرية خصائص الحضارة اليونانية
الرومانية .^(١)

(١) د. أبو المحاسن عصفور : معالم حضارات الشرق الأدنى القديم ، ص ١٥٤ .

تاريخ جنوب بلاد الشام القديم

(تاريخ فلسطين القديم)

البيئة الجغرافية :

يبدأ وادي الأردن من مرتفعات تبلغ حوالي ٥٢٠ متراً فوق سطح البحر ، وبحيرة الحولة على ارتفاع مترين ، وبحيرة طبرية على عمق ٢٠٨ متراً تحت سطح البحر ، بينما يقع البحر الميت على عمق ٢٩٨,٨ متراً تحت سطح البحر . فكل من ذلك انه شديد الانحدار فمنبعه على ارتفاع حوالي ٩١٤ متراً ، وطول للنهر من هذا المنبع إلى المصب حوالي ٢٢٠ كيلو متراً .

ونهر الأردن ثلاثة موارد للمياه ، أبعدما نهر الحصباني الذي يقع غرب جبل حرمون بارتفاع ٥٢٠ متراً فوق سطح البحر ، وأما المنبع الثاني فيوجد في نهر بنياس ، وهو يمر بالقرب من بنياس (قيصرية فيليب) ، التي تقع على ارتفاع ٣٣٠ متراً فوق سطح البحر . أما المورد الثالث فهو نهر اللدان ويغذي هذا النهر نبعسان ، على ارتفاع ١٥٤ متراً فوق سطح البحر عند تل القاضى ، وهو المصدر الرئيسى لمياه الأردن . ويلتقى نهر الحصباني مع نهري المنبعين السابقين على بعد حوالي ثمانية كيلو مترات من تل القاضى . ويبلغ ارتفاع المياه في نقطة الالتقاء هذه حوالي ٤٣ متراً فوق سطح البحر . ويتسع النهر في نقطة الالتقاء إلى ١٤ متراً .

ويجرى نهر الأردن شمال نهر الميت في أرض خصبة ، خصوصاً في المنطقة المحيطة ببخيرة الحولة ، التي تكثر حولها المستنقعات ولا يزيد طول بحيرة الحولة عن ٥,٨ كيلو مترات ، وأقصى عرض لها يبلغ حوالي ٥,٢ كيلو متر كذلك تمتاز الأرض الواقعة جنوب بحيرة الحولة بخصوبتها . ثم ينخفض مجرى النهر إلى أن يصل بحيرة طبرية التي يبلغ عمق مياهها بين ٥٠ ، ٧٠ متراً ، ولا يزيد عرض تلك البحيرة عن ٩,٥ كيلو متر ، بينما يبلغ طولها حوالي ٢١ كيلو متراً .

وهناك نهيرات أخرى صغيرة تمتد الأردن بالمياه شتاء ، وأهمها نهر يسمى شريعة المنادرة ، وسماه التلمود اليرموك ، ثم نهر الجالود ، ونهر آخر يسمى الزرقاء (ويسميه للمهد القديم ييوك) ، ثم وادي فرعه ، ووادي النكلت .

أما للبحر الميت ، ويسميه العرب بحر لوط ، فهو أكثر الجهات انخفاضا في تلك المنطقة . ومياهه تحتوى على الكثير من المعادن والأملاح وتشتد فيه الملوحة حتى أنه لا تعيش فيه أسماك .^(١)

وشرق الأردن هضبة شديدة الانحدار من الناحية الغربية ، أما من الناحية الشرقية فيتدرج ارتفاعها حتى الصحراء ، أما الناحية الجنوبية فهي عبارة عن سهول ، ويوجد في هذه الهضبة ثلاثة وديان : وادي الكرك ، وادي المجيب ووادي زرقاء معين .

العصور الحجرية القديمة :

عرفت أرض فلسطين كافة العصور الحجرية . ابتداء من العصر الحجري القديم (الباليوليثي) فقد عثر على بقايا العصر الحجري القديم الأسفل في جبل الكرمل وأم كطفة (في شمال غرب البحر الميت) ، وعثر أيضا على بقايا العصر الحجري القديم الأوسط في كهوف جبال الكرمل أيضا . أما العصر الحجري القديم الأعلى فقد عثر على بقاياها في كهف بالقرب من بحيرة طبرية . وتجدر الإشارة إلى أن كافة مواقع العصر الحجري القديم هي كهوف وملاجئ .

أما بالنسبة للعصر الحجري الوسيط (العصر الميزوليثي) فيسمى أيضا باسم العصر النطوفي أو الحقبة النطوفية (نسبة إلى وادي النطوف شمال غربي القدس)^(٢) ويرى العلماء أن حضارة العصر النطوفي قد ظهرت للوجود في حوالي

(١) د. عبد الحميد زايد : الشرق لخلال ، ص ٣٧٢ - ٣٧٣ .

(٢) د. فيليب حتى : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، الجزء الأول ، بيروت ١٩٥٨ ،

ص ١٥ : د. أبو المحاسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ==

١٠.٠٠٠ سنة قبل الميلاد ودامت حتى حوالي ٨٤٠٠ ق. م .

وتتميز هذه الحضارة بوجود الأدوات الصوتية ذات الأشكال الهندسية أو لتتشار الشظايا الصوتية مثل نصل المنجل والمكشط . وأن هذه الصناعة الحجرية ليست إلا جزءا من عدة خصائص حضارية كانت تشمل صناعة الأدوات المنزلية الثقيلة للطحن والجرش والسحق وصناعة الأدوات العظمية وأحيانا بعض الأعمال الفنية المصنوعة من الحجارة أو العظم . وقطع مختلفة لأدوات للزينة أو الحلى المصنوعة من الحجر أو العظم أو الصوف .

وكان السكان يعيشون في أكواخ مستديرة ، يوجد إلى جانبها المخازن لحفظ الأغذية وكانوا يعرفون صيد الحيوان والأسماك واستئناس بعض الحيوانات وللمسجل البدائية في الزراعة وعثر لهم على مقابر فردية أو جماعية ومن المحتمل أن الأطفال كانوا يدفنون تحت أرضية المساكن .

ويرى الباحث الأثرى باريوسف أن الحضارة النيوليتية هي حضارة فلسطينية بحتة لأن القسم الأكبر من خصائص تلك الحضارة يظهر في الشواهد الأثرية المكتشفة في فلسطين ، في حين أن الشواهد المماثلة التي اكتشفت في سوريا ولبنان وصحراء النقب تمثل حضارة مختلفة يطلق عليها الكيلبرائية . فقد عثر على أدوات هذه الحضارة الأخيرة في مواقع الطيبة بحوران ، وفي سميدة وفي جعيتا بلبنان ، وفي وادي الفرات ، يضاف إلى ذلك عثر على أدوات مماثلة في موقعي أبي هريرة والمريبط في أواسط الفرات . وبذلك بدأ التاريخ يسجل بعض الألفة على قيام تطور متشابه للحضارة النيوليتية في كل من فلسطين ومنطقة الفرات في أعقاب التأثير بالحضارة الكيلبرائية .

وفي البداية كان الإنسان يعيش في الكهوف ولا يقتصر ذلك على حدود المساحة اللازمة للسكن بل كان يمتد إلى خارج نطاقها ، أى نحو الخلاء ، فهناك ما يسمى بالمسطحات تصغيرة التي أعدها الإنسان في مواقع أم الزويتينية وطور أبو سيف في الضفة الغربية ، وجبال الكرمل وجبال الساحل الفلسطيني وموقع الواد وشقبة وهايونيم وودى القلاح . وعندما دخل الإنسان في مرحلة الخروج من الكهف تبين لنا الأمثلة السابقة أن الإنسان في العصر النطوفى لم يهجر الكهف كلية كما فعل بعدئذ في الألف الثامنة قبل الميلاد . ولكنه قام بتهيئة هذه المسطحات ، وهذا لا يعنى أنه أصبح يكره مسكنه القديم بقدر ما يعنى أن هذا المسكن لم يعد كافياً لاستيعاب مجموعة كاملة من سكان . وظهر الحصان الجرى منذ العصر النطوفى في فلسطين . وأقدم رسوم معروفة للجمال في العصور الحجرية كشفت في كلوة في الأردن^(١).

كما عثر في العصر النطوفى على تمثال صغير لغزال من العظم^(٢).

وعثر على بقايا العصر الحجري الحديث (العصر النيوليثى) في عدة مواقع تدرج ما بين ٨٣٠٠ و ٧٦٠٠ قبل الميلاد . ومن أهم هذه المواقع :

جيريكو : التي تقع على بعد ١٠ كم من البحر الميت ، وقد لفتت أنظار علماء الآثار ابتداء من عام ١٩٠٢ - ١٩٠٩ . وترجع هذه الحضارة إلى الألف السابعة ق. م . وكانت هذه المنطقة عبارة عن قرية كبيرة إلى حد ما ، تحتوى على مساكن مستديرة مبنية من الطوب بألس من الحجارة . وقد عثر أيضا على مبنى كبير له قاعة رئيسية مستطيلة مزودة بعمارات إضافية ربما كان هذا البناء عبارة عن بقايا معبد قديم . وفي النصف الثاني من الألف السابعة ، سكن للموقع مجموعة أخرى من السكان كفوا على جانب من التقدم الحضارى في العمارة . ولكنهم لم يعرفوا صناعة المعادن أو استخدامها . وكانت أدواتهم جميعا من الحجارة وكانوا

(١) د. عبد الحميد رايد : المرجع السابق ، ص ٢٢٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٢٣ .

يمارسون زراعة الحبوب وعثر لهم على رحي من الحجارة لطحن الغلال .

مبينها : كُثِفَ عنه الفرنسي باروه في عام ١٩٦٢ - ١٩٦٧ ، وعثر في هذا الموقع على ثلاث طبقات بيكنية ، لكنها يرجع إلى الألف السابعة ق. م . وكان سكان موهلتا يعيشون على الصيد ، وكما حدث في جريكو ، وربما نتيجة لتفسير الظروف الطبيعية ، جاء إلى موهلتا سكان جدد ، كانوا يسكنون الأكواخ ويمارسون الصيد .

وعثر على مواقع أخرى معاصرة ولها نفس الخصائص الحضارية ، على الرغم من اختلاف الأماكن . وأهم تلك المواقع بيدها بالقرب من بتراء وأريحا التي كشفت عند السيدة كينيون ونسبت إلى بواكير العصر الحجري الحديث ، وجلجال الذي يقع على بعد ٢٠ كم إلى الشمال من أريحا في غور الأردن ونُقب فيه للسيدة نوى واتضح أن موقع جلجال يرجع إلى بواكير العصر الحجري الحديث ويحتوى على حوالي ١٢ سكنا مستديرا وبيضاويا وعلى جدران من الحجر . وموقع وادي الفلاح الذي يقع إلى الشمال من جلجال على الساحل عثر فيه على ما يقبل عن ١٤ سكنا وكانت أرضية المسكن مغطاة بملاط من الطين وفيها حفرة موقد محددة بالحجارة . وكان بالمسكن أجران حجرية . وأبو سالم التي تقع في وسط النقب ويعود تاريخ هذا الموقع إلى نهاية الألف التاسعة ق. م. ويستند حتى حوالي ٨٠٠٠ ق. م . وكانت أرضية المسكن بحالة أفضل من حالة بقية المساكن ومقبرة تقعها خلفها وتحتوى على حفرة للنار (موقد) قريبة من الوسط ويجانبها جرن حجري كبير . وموقع المربيط التي تقع على وسط الفرات ، وظهر في هذا الموقع عدة مساكن مستديرة صغيرة الحجم ، مشيدة في باطن الأرض أو قلعة فوق مسطحه . وكان الحائط الذي يحيط بدائرة المسكن مشيدا بالطين وأساسه ممززا بصف من الحجارة المسطحة المرصوفة رمعا واقفا على السطح . وكان يجري تحصين أرضية المسكن عدة مرات قبل البدء بعملية بناء المسكن وذلك بتغطيتها بطبقة مسن الحجارة الصغيرة ، ثم تبليلها بقطع الحجارة المسطحة وأخيرا تدعيمها بطبقة من المسلات الطينية . وأخيرا تل الشيخ حسن الذي يقع على بعد ٢٠ كم إلى الشمال من المربيط في الفرات . وكان هذا الموقع هو أول موقع أثري يزورنا بنمط بيان مربع تبين

بشكل قاطع أنه صومعة أو مستودع وليس مسكنا . وهي صوامع أو مستودعات مؤونة كانت ملحقة بالمساكن الفعلية .

عصر المعادن :

تطورت حضارة العصر الحجري الحديث في فلسطين ببطء وظهر استخدام المعادن في حوالي الألف الرابعة ق. م . ولكن ما عثر عليه كان نادرا جدا ، واكتشفت مواقع المعادن في النقب وفي منطقة البحر الميت وأول هذه المواقع هي :

تليبات عسول :

في شمال البحر الميت . وكان أهلها يعرفون استخدام النحاس وفن البناء أيضا فقد عثر على ثلاث قرى ، كان أصحابها يسكنون مساكن مستطيلة الشكل أساسها من كتل الحجارة وجدرانها من الطوب اللبن . وكانوا يسقونها بأعواد النباتات ويضعون من فوقها الطين . وكانت بعض هذه المساكن مزينا بألوان مختلفة وعناصر مختلفة ، مثلا بنجمة كبيرة أو حيوان أو مناظر دينية . وعثر في المستوى الأعلى الذي يطلق عليه الطبقة الرابعة على فاسين من النحاس ، وكان السكان يعرفون الزراعة فقد عثر على بعض الحبوب والتمر والزيتون محفوظة فيما يشبه الأجران . ومما نلاحظه في تليبات عسول أنهم كانوا يدفنون الأطفال داخل أواني فخارية تحت أرضية المساكن . كما نلاحظ أيضا أن عادة حرق الجثث كانت معروفة بينهم . وعثر بالقرب من تليبات عسول إلى الشرق ، على جبانة عثر فيها على بقايا عظام محفوظة داخل صناديق من الحجارة .

وكانت عادة دفن الأطفال في الأواني عادة منتشرة في مناطق أخرى في سوريا في أوجاريت وتل جزر (جزر) جنوب شرقي الرملة في فلسطين . وعلى نكر جزر وثارها يمكننا أن نضيف أنهم كانوا يضعون مع الموتى أواني فخارية فيها بعض الأطعمة ، مما يدل على وجود إيمان بالبعث .

وقلم القفرنسى باروه بعمل حفائر فى منطقة جنوب النقب ، وعثر على مواقع مماثلة لتليلات عضول . وكان مكن القرى فى تلك المناطق يعيشون على تربية الحيوان وخصلة الماعز والخراف وكانوا يمارسون الزراعة وكانت كل مجموعة من السكان متخصصة فى حرفة معينة مثل صناعة الفخار والتسبيح وإعداد البازلت وصناعة الأدوات من العظام والعاج . وكان العاج يجلب من سوريا حيث كانت تعيش القبلة هناك حتى الألف الأولى ق.م . وقد عثر على نفس الحضارة فى مواقع أخرى جنوب فلسطين فى هدره و أزور بالقرب من تل أبيب ، حيث عثر فى هذا الموقع الأخير على كهف يحتوى على مئات من التوابيت المصنوعة من الفخار والتي كانت توضع فيها عظام الموتى بعناية كبيرة .

كما كان هناك حضارة مماثلة فى شمال فلسطين ، عاشت نفس مراحل التطور . وكانت تشمل المواقع الأتية : سهل أسدلولين ، مجدو فى المستوى رقم ٢٠ - ١٩ وشرق بيسان فى المستوى ١٧ - ١٦ ، أفولة ، تل فرعه بالقرب من نابلس . وتمتاز الحضارات فى هذه المواقع السابقة بوجود الأثاث فى المقابر الملحوتة فى الصخر والتي كانت تحتوى على العديد من الجثث وكان الفخار محل عناية ومتباين الأشكال ونادر التلويين ، وكان هناك نوعان : الأحمر والرمادى وينتمى هذا النوع الأخير إلى الحضارة التى أطلق عليها اسم " عصر البرونز القديم " (١).

وهناك فترة لا نعلم عنها أى شئ فى تاريخ فلسطين القديم من نهاية الألف الرابعة حتى منتصف الألف الثانية ق.م . ولكن المصادر المصرية تحدثنا عما كان يحدث على الحدود الشرقية من أحداث وكان لها صلة بالشموه والقبائل فى هذه المناطق قبل استقرار الفلسطينيين والعبرانيين فيها .

(١) Contenau, les Civilisations Anciennes du Proche Orient, Paris

(1963), p. 95; Amiet, op. cit., p. 29 - 32.

الأحداث التي أثرت في تاريخ جنوب بلاد الشام في منتصف الألف الثالثة والثانية ق.م.

استقرار الشعوب الفلسطينية والمجراني فيها مع السكان الأصليين :

إن أقدم اسم أطلق على سوريا وفلسطين هو "كنعان" نسبة إلى الكنعانيين . وكانت فلسطين حسب اشعار العهد القديم ، تعرف بكنعان أو بلاد كنعان أو أرض كنعان ويرى البعض أن المقصود بلفظ كنعان مدينة غزة الفلسطينية . وكان يسكنها منذ منتصف الألف الثالثة ق.م . سكان البلاد الأصليين من كنعانيين وأموريين . ويرى بعض المؤرخين أن أول من سكن أرض كنعان (فلسطين) هم الكنعانيون (اللبنيقيون) منذ عام ٢٥٠٠ ق.م . الذين استقروا في شمال فلسطين على ساحل البحر المتوسط ابتداء من حيفا . ثم دخلتها هجرة صغيرة من الشمال من أور بقيادة سيدنا إبراهيم ، وفي الوقت الذي كان فيه الآراميون يوطدون أركان ملكهم في داخل سوريا دخل الفلسطينيون أرض كنعان أي دخلت شعوب البلستي (الفلسطينيون) أرض كنعان في القرن الثاني عشر ق.م . ومن بعدهم العبرانيين الذين قدموا من مصر وأخذوا في هذه الفترة يتسللون ويقتلغون في بلاد كنعان . ويرى البعض أن سيدنا موسى وجماعته هاجروا إلى أرض كنعان في عام ١١٧٩ ق.م . وأقام يشوع بن نون - بعد سيدنا موسى - كيانا بسبب ضعف وتقسيم الكنعانيين والمثعب البلستي . وفي عام ٩٣١ ق.م . انقسم للعبرانيون إلى : السامرة في الشمال ، وقضى الآشوريون عليها بقيادة سرجون الثاني عام ٧٢٠ ق.م . ويهوذا في الجنوب وعاصمتها اورشليم ، وقضى البابليون الكلدانيون عليها بقيادة نابوخذ نصر الثاني عام ٥٨٦ ق.م . كل ذلك والسكان الأصليون لم يغادروا البلاد ولم يتركوا الأرض . وهكذا تجزأت بلاد كنعان بين أكبر شعبيين دخلوا أرضها : الفلسطينيون والعسبرانيين وأما ما تبقى من سكان البلاد الأصليين من كنعانيين وأموريين الذين لم يطردوا فقد اندمجوا بهذين الشعبين الجديدين . وقد دخل في هذا المزيج البشري عناصر أخرى من آراميين وحوريين وقبائل أخرى .

الفلسطينيون :

فى العام الثامن من حكم رمسيس الثالث (١١٩٨ ق. م) كان على الملك أن يواجه خطر هجوم الشعوب الهندولأوروبية وشعوب البحر الذين جاؤوا عن طريق البر من الشرق وعن طريق البحر من الشمال . وكان من بين تلك الشعوب : الشردانة ، الداثو ، والبلست الذين اشتهروا فيما بعد ، و التكر ، ويتضح من أسمائها أنها شعوب جاءت من جنوب إيطاليا وصقلية وجزر بحر إيجه . وقد نجح رمسيس الثالث فى إبعادهم عن الحدود الشرقية والشمالية لمصر وعاشت القبائل الهندولأوروبية بعد ذلك بطريقة غير منظمة ولم تحاول غزو مصر بالقوة مرة أخرى . وبدأت عناصر منهم فى الاستقرار فى معظم بلادان الشرق القديم .

ونرى على الجدار الجنوبى لصرح الفناء الأول فى معبد مدينة هابو مناظر تمثل حروب رمسيس الثالث ضد شعوب البحر والليبيين . ونرى بين صفوف الجنود المصريين جنود مرتزة من سردينيا بخوذاتهم ذات القرون وعناصر فلسطينية بقلنسواتها ذات الريش وكانوا يحاربون مع الجنود المصريين (١).

ولم يتبق من جماعات شعوب البحر غير فريقين ، هما : جماعات التكر وجماعات البرستى أو البلىستى . ونزل التكر موانئ جنوب سوريا ، وتزل البلىستى جنوب المناطق الساحلية ، وخطعوا اسمهم عليها . وكانت المنطقة الساحلية التى استقر فيها الفلسطينيون تمتد من غزة إلى يافا . ومن هناك أخذوا بالتوسع شرقا ومما ساعد الفلسطينيين على انتزاع المبالغة العسكرية والتفوق الحربى اسلحتهم . لأنهم كانوا على معرفة تامة بمعدن الحديد . وكانوا يتقنون صهره ويستخدمونه فى صنع اسلحة هجومية ودفاعية واحتكروا هذه الصناعة قبل العبرانيين بزمان طويل . واحتفظ التاريخ باسمهم للأرض التى نزلوها وهو اسم " فلسطين " ، وإن لم يرجع ذلك إلى أنهم أصبحوا غالبية أهلها أو أنهم بسطوا نفوذهم على كل أهلها ، وإنما يرجع إلى

(١) د. سيد توفيق : تاريخ العمارة فى مصر القديمة : الأخصر ، دار النهضة العربية ، طبعة ١٩٩٠ ، ص ٢٢١ .

أنهم كانوا من أواخر الهجرات التي دخلتها ، وإن تريد التوراة لأسمهم كان له الأثر في تسمية التاريخ لهذه الأرض باسمهم .

ويسأل أولبرايت عن أصل الفلسطينيين ، فذكر أن الكتاب المقدس يرجعهم إلى كافتور (تكتب بالأكدية كابتلرا أى كريت) . وينسبهم إلى المنطقة الجنوبية الغربية لآسيا الصغرى . وجاء في قصة ون أمون من نهاية الأسرة العشرين أسماء ثلاثة رؤساء من الفلسطينيين هم : واركتير ، وولرت ، و ماكمار . ويذكر أن أصل هذه الأسماء يرجع إلى جنوب غرب الأناضول . ويذكر أيضا أنه كان يوجد تحالف بين الأمير الفلسطيني واركتير وصيدا . وإن للفلسطينيين في هذه الفترة كانوا يسيطرون على الجزء الجنوبي الشرقي للبحر المتوسط . وأقاموا فيه مراكز استراتيجية وخاصة في سهل اسدرلون ووادي الأردن (بيت شان وسوكوث) .^(١)

وقد اندمج هؤلاء الباستيون (الفلسطينيين) مع سكان البلاد الكنعانيين شيئا فشيئا وأصبحوا قومية واحدة وكان حظ إخوانهم التكر أقل من حظهم في الاستقرار إذا اختفى اسمهم من التاريخ في أعقاب القرن العاشر ق. م .^(٢) وأسموا في فلسطين خمس مدن رئيسية : غزة و عسقلان و اشدود و عقرون و جت ، ويقع أغلبها على

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٣٣٨ - ٣٣٩ . ويذكر خالد العسك : تاريخ القدس العربي القديم ، ص ٣٦ ، أن الفلسطينيين جاءوا من اقريطش ' كريت ' وجزر بحر إيجه وجاء اسم فلسطين في سياق مسيرة اسحق في الإصحاح ٢٦ ، ويذكر الأخير أنهم جاءوا من جزر اليونان أو مواصلها في القرن الثالث عشر ق. م . راجع : عزه دروزه : تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم ، ص ١٦ .

(٢) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٣٣٧ - ٣٣٩ د. أبسو المحاسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ص ٢٨٤ - ٢٩١ د. عبد العزيز صالح : لشرق الأدنى القديم : مصر والعراق ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٢ ، ص

٢٤٦ ؛ وأيضا : Contenau, op. cit., p. 108.

ساحل البحر المتوسط ، وطبقت فيها نظم حكم ممالك المدن على أنها كانت تشكل اتحادا قويا ومنظما تحت إشراف مدينة أشدود . وبلغت قوة الفلاسطيين أقصاها فى النصف الثانى للقرن الحادى عشر ق. م .^(١)

المجرات والعناصر الأخرى من العبرانيين :

شهدت بوادى الشام والعراق تحركات سامية جدية منذ أواسط الألف الثانية قبل الميلاد ، واتجهت هذه التحركات بأطماعها ناحية الهلال الخصيب منذ القرن الرابع عشر . ووجهت تجمعاتها القبلية حينذاك فى ناحية وسط الفرات شرقا وفى أواسط سوريا وشرقها وغربها . وأشارت للنصوص الآشورية والمصرية إلى أنائلها فى مجموعها باسم الأخلامو واسم السوتو .

وذكرت نصوص الملك الآشورى أريك - دين لبلو فتصاها على الفريقين فى أواخر القرن الرابع عشر أو أوائل القرن الثالث عشر ق. م . وكانت قبائلهم قد تعدت نهر الفرات حينذاك ، ويبدو أنها حملت معها إلى العراق بعض العبرانيين المستضعفين ، إذا ظهرت فى لوحات بوزى القريبة من أشور أسماء عبرية الصيغة مثل هامانا وإيليا ، وتضمن بعضها عقود استرقاق بينت الطريقة التى تسال العبرانيون بها إلى أرض العراق واستقروا فيها . ولم يقلع المهاجرون الساميون طويلا بالحياة القبلية ولم يكتفوا بالتسلل إلى مواطن الحضارة والخصيب والعمران وإنما أخذوا يتجمعون شيئا فشيئا فى إمارات ، وعرفتهم النصوص الآشورية حينذاك باسم الأراميين إلى جانب اسمى الأخلامو والسوتو القديمين . ولعلهم طمعوا فى تسفل ما شغله الميتانيون من قبل فى شمال شرق سوريا وغرب الفرات .^(٢)

(١) د. عبد الحميد زليد : المرجع السابق ، ص ٢٨١ .

(٢) د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ١٩٢ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع

السابق ، ص ٥٠٣ .

وترى التوراة أن العبرانيين جماعات مسلمية جاءوا من شبه الجزيرة العربية وجاءوا مع الأراميين على ثلاث مراحل : الأولى بعد أن ذهبوا إلى الصحارى القريبة من شمال بلاد النهرين في القرن الثامن عشر ق. م . والثانية في القرن الرابع عشر ق. م . والثالثة كانت في أواخر القرن الثالث عشر ق. م . وقد هاجرت جماعة منهم (؟) إلى مصر ثم خرجوا منها بقيادة سيدنا موسى .^(١)

وتذكر الأساطير العبرانية * أن جدهم الأكبر سيدنا إبراهيم جاء من مدينة أور عن طريق حران واستقر مؤقتا بالقرب من حبرون (الخليل) ولأن حفيده يعقوب (ابن اسحق) عاش لمدة سنوات في آرام فدان ثم انتقل إلى مصر وحينما وقع الاختيار على اسحق ليكون صاحب الشأن بينهم غير اسمه إلى إسرائيل (؟) كما غير أخوه اسمه من عيسو إلى أدوم وسمى ورثته بالآدوميين * .^(٢) ومن أبناء يعقوب كان سيدنا يوسف الذى جاء إلى مصر وتربى فى بلاط العزيز ووصل إلى مكانة مرموقة فى مصر . وبعد أن عاش أحفاد يعقوب عدة أجيال فى مصر خرجوا منها وكان يقودهم سيدنا موسى * . هذا ما تذكره أساطيرهم .

* وعندما خرج بنو إسرائيل من مصر مع سيدنا موسى توجهوا إلى مدين (جنوب سيناء) * ويذكر بعض المؤلفين أن دخول بنى إسرائيل مصر كان عام ١٣٥١ ق. م . أى فى نهاية حكم اخناتون (١٣٥٤ ق. م) ؟ وإن الخروج منها كان عام ١٢٢١ ق. م . ؟ وإن كان هذا التاريخ ليس مؤكدا تماما ، لأنه قابل للزيادة أو النقصان فى عدد سنواته وأن فترة إقامة بنى إسرائيل فى مصر كانت ١٣٠ عام .^(٣)

(١) د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ١٩٠ ، د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٣٧٣ - ٣٧٤ .

(٢) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٢٨٤ - ٢٨٥ ؛ عزه دروزه : المرجع السابق ، ص ١٣٨ - ١٧٤ .

(٣) محمد قاسم : التناقض فى تواريخ وأحداث التوراة من آدم حتى مسيحي بابل ، مطابع سنتر برنس ، القاهرة ١٩٩٢ ، ص ٩٩ .

وهناك تزوج سيدنا موسى من ابنة شيخ مدين الذى كان يدين بالوحدانية وأن بداية التيه ودوران بنى إسرائيل حول جبل سيناء كان عام ١٢٢١ ق.م . إلى عام ١١٨١ أى ما يعادل ٤٠ سنة . واتخذت هذه الجماعات مكانا لها فيما بعد فى جنوب شرق الأردن استعدادا لدخول أرض فلسطين وكان عددهم يقدر بحوالى ستة أو سبعة آلاف شخص وعندما دخلوا أرض فلسطين انتقل سيدنا موسى فى نهاية التيه عام ١١٨١ ق.م . وتولى قيادة بنى إسرائيل بعده يشوع بن نون الذى بدأ الحرب للاستيلاء على أرض فلسطين لتقيم فيها جماعة إسرائيل وأن عمر سيدنا موسى عند الخروج من مصر كان ٨٠ سنة وعند انتقاله كان عمره ١٢٠ سنة^(١) ووجدوا البلاد أهلية بالسكان الأصليين من جماعات فينيقية وجماعات غير سامية ، فكان يوجد بفلسطين أيضا ، بنو اسحاق وهم أمباط يعقوب (الذى يذكر اسمه خطأ بإسرائيل (؟)) الذين لم يهاجروا إلى مصر ، ثم قدمت إلى أرض فلسطين بعد ذلك جماعات غير مسماة منهم الفلسطينيون ، الذى اندمجوا مع بقية السكان الأصليين . فكان على بنى إسرائيل أن يتأقلموا فى هذه البلاد ويكسبوا ود السكان الأصليين وعندما فشلوا فى ذلك لجأوا إلى غزو البلاد . فحاربوا أهل البلاد واستولوا على بعض المدن الكنعانية المحصنة فى فلسطين وأحرقوا وقتلوا أهلها حتى الأطفال ولكن بعض المدن الأخرى قاومتهم مثل جزر وأورشليم وبيت شان ، ولم تسقط هذه الأخيرة فى أيديهم إلا فى حوالى عام ١٠٠٠ ق.م . أو بعد ذلك بقليل . وبدأ بنو إسرائيل بالاستيلاء على أرض فلسطين فاستولوا على أريحا أولا ثم على عكا واستسلمت جبعون وهناك شعوب فى غرب الأردن لم يستطع بنو إسرائيل طردها من أرض فلسطين منهم اليبوسيين والفلسطينيين أصعب المدن الخمسة : غزة وعسقلان وأشدود وقصور وجث ، والكنعانيين الساكنين فى جزر ، وبقية المناطق من عكا وصيدا وحلب وبيت شمس . وفى شرق الأردن لم يطردوا الجشوريين والمعكيين .

(١) محمد قاسم : المرجع السابق ، ص ١٤٠ ، ١٨٢ .

وبعد أن استقروا في المناطق التي وصلوا عليها بدلوا يختلطون بالسكان (١).
 قسم بنو إسرائيل للمناطق التي سيطروا عليها في فلسطين بين إحدى عشرة قبيلة من القبائل الاثني عشر التي تضمهم منها قبيلة كهوتية التي تفرغت للشؤون الدينية .
 وهذا ما يعرف بعصر القضاة . وكان هؤلاء القضاة من الرؤساء المحليين الذين كانوا ذوو نشاط متعدد في وسط القبائل ، ونجحوا في الحصول على امتيازات صغيرة في كل مكان ، ما لبثت أن أصبحت في النهاية حقوقا شرعية لهم . وهم الذين قادوا قبائلهم في حروبهم ضد السكان الأصليين واشتهر فيهم الكثيرون منهم شمشون الجبار الذي روت عنه الأساطير العبرانية لثني الكثير فيما يتعلق بحروبه مع سكان البلاد الأصليين من الفلسطينيين الذين كانوا من أعداء العبرانيين . وينقسم تاريخ اليهود في فلسطين إلى : (٢)

- (يشوع بن نون) (خليفة ميخا موسى) .

- بنو إسرائيل في أرض فلسطين .

- قضاة بني إسرائيل : ويبلغ عددهم ١٥ ، أولهم عيشيئيل بن قناز وآخرهم صموئيل .

(١) توزع الأسباط في ثلاث شعب تشمل ثلاثة أقاليم : أحدها يقع في أقصى الجنوب وكان من نصيب يهوذا ، والثاني يقع شرق الأردن (وكان يسمى قديما جلعاد) ، والثالث يقع وسط أراضي فلسطين . وكان يسكن القسم الساحلي الشمالي الفينيقيون بينما أقام الفلسطينيون في القسم الجنوبي من هذا الساحل . ومما ساعد على تمكين بني إسرائيل من أرض فلسطين هو تخلص نفوذ قبلي الحضارة القديمة : مصر وبلاد النهرين عن المشاركة في أحداث المنطقة في هذه الفترة ، راجع : د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٣٨٠ .

(٢) محمد قاسم : التلخيص في تواريخ وأحداث التوراة من آدم حتى مسيحي بابل ، مطابع متار برنس ، القاهرة ١٩٩٢ ، ص ٢٨٣ - ٤٤٢ .

- فترة الملوك : شلؤل ، داود ، مملكة داود ، سليمان الحكيم ، انقسام مملكة سليمان :

أ - ملوك يهوذا (٢٠ ملك) :

رحبعام بن سليمان ، بيا ، آسيا ، يهوذا ، يهورام ، أخزيا ، عثليات بنت صرى ، يهوآش ، لصيا ، عزيا ، يوثام ، آحاز ، حزقيا ، منسى ، أمنون ، يوشيا ، يهوآحاز ، يهوآقيم ، يهوآكين ، صندكيا .

ب - ملوك إسرائيل (١٨ ملك) :

يربعام بن نباط ، ناداب بن يربعام ، بعشا بن أخيا ، إيليه بن العشا ، زمرى ، صرى ، أخاب بن صرى ، أخزيا بن أخاب ، يهورام بن أخاب ، ياهو بن شافاط ، يهوآحاز بن ياهو ، يهوآش بن يهوآحاز ، زكريا بن يربعام ، شلوم بن يابيش ، مناحيم بن جدادى ، قحيا بن مناحيم ، قحح بن رمليا ، هوشع بن إيليه .

ويعطى بعض المؤرخين كتواريخ لهذه الأحداث :

- دخول بنى إسرائيل مصر ١٣٥١ ق.م (١).
- خروج بنى إسرائيل من مصر ١٢٢١ ق.م (٢).
- فترة التيه ١٢١٩ إلى ١١٨١ ق.م (٣) (أو ١١٧٩ ق.م) .
- من نهاية فترة التيه إلى بداية فترة القضاء ١١٨١ (أو ١١٧٩ ق.م) إلى ١٠٦١ ق.م (٤).

(١) محمد قاسم : المرجع السابق ، ص ٩٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٤٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٨٢ - ٢٠٩ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٠٩ - ٢٥٧ .

من بداية فترة الملوك إلى سقوط القدس ١٠٦١ إلى ٥٨٦ ق.م

وفى رأينا أن هذه التواريخ مبالغ فيها لأنها مفتوحة جميعها من التوراة المحرفة وأن الفترة التي تشمل ملوك يهوذا وملوك إسرائيل هي حوالي ٢٢٧ عاما ، من ٩٢٣ إلى ٥٨٦ ق.م .

ومن أهم المدن التي استوطنها الفلسطينيون كانت غزة وعسقلان وأشدود وعزرون وجت واحتفظت بأسمائها السامية تحت حكمهم .^(١)

العراق بين الفلسطينيين والعبرانيين :

اتحدت الخمس مدن الفلسطينية الكبرى تحت زعامة أشدود ، وفى حوالي عام ١٠٥٠ ق.م . بدلوا فى محاربة العبرانيين وانتصروا عليهم واستولوا منهم على تابوت العهد ونقلوه إلى أشدود .^(٢)

خطط العبرانيون بعد ذلك لمشروع إعلان ملك عليهم حتى تكتسب أعمالهم قوة أكثر وتزداد ترابطا أموة بجيرانهم الذين كان يحكمهم ملك وطلبوا من زعيمهم الدينى صموئيل أن يعين عليهم ملكا فاختار شاول ولكنه كان ضعيفا ومسنا ، وازداد نفوذ الفلسطينين فى عهده . وعادت الحرب بين الفلسطينيين والعبرانيين ، ووقعت معركة فى جبل جيلبوا انتصر فيها الفلسطينيون وقتل ثلاثة من أبناء شاول وأصيب

(١) محمد قاسم : المرجع السابق ، ص ٣٥٧ - ٤٢٦ .

(٢) د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ١٩٦ - ١٩٧ ؛ د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٣٨١ .

(٣) وكما ذكرنا من قبل أنه مما ساعد على تفوق الفلسطينيين بصورة خاصة على أعدائهم هو تفوق سلاحهم الذى كان مصدره معرفتهم لصهر واستخدام الحديد فى صناعة أسلحة الدفاع والهجوم . واستثمر الفلسطينيون معرفتهم فى صهر الحديد واستخدمه مما أدى إلى اختكارهم لصناعته ، راجع : د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ١٩٨ .

هو نفسه بجراح .

جاء بعد شاؤول الملك داود ويعد المؤسس الحقيقي للمملكة العبرانية (حوالي ١٠٠٤ - ٩٦٣ ق. م) ونلذى نجاح فى الحد من سيادة الفلسطينيين وتمكن من توسيع مملكته واستولى بعد هجوم خاطف على اورشليم وأسس فيها عاصمة مملكته .^(١) وأصبح للملك داود عاصمة إدارية فى اورشليم ، ونظم جيشا قويا ، وفرض على الشعوب المنهزمة نوعا من الجزية التى كانت تعد من مصادر للدولة . وينسبون إلى داود انه فكر فى بناء معبد (٢) كبير أطلق عليه اسم قوس لرتباط يهو (٢) . وكون صداقة مع الفينيقيين الذين كانوا يحمونه من الفلسطينيين ، وكان من بين الموالين له عدد لا بأس به من المدن وذلك بالإضافة إلى أدوم ، موآب . وعقد تحالف مع دمشق التى كان يحكمها الملك رزون الأول ولكنها ما لبثت أن خرجت عن هذا التحالف .

قولى بعد داود ابنه سليمان فى حوالي عام ٩٦٣ - ٩٢٣ ق. م .^(١) والذى استطاع الوصول إلى العرش بعد صراع عنيف مع أخوته . وكانت تربطه بمصر علاقات طيبة ، وعندما أرسى سليمان عوامل الاستقرار فى الداخل لجأ إلى العمل على رخاء مملكته بفضل علاقاته التجارية ، وبمساعدة أسطول اصيرام الأول ملك صور ، استطاع أن يجلب من أوفير منتجات الهند والشرق الأكنى ونسبوا إلى سليمان انه تقبل مساعدة المهندسين المعماريين من صور . لكى يشيدوا بالأخشاب التى جلبها من لبنان ، بيتا للرب وبيتا له فى اورشليم . وكان طول بيت الرب ٦٠ ذراعا وعرضه ٢٠ ذراعا ومسكه ٣٠ ذراعا . وكان هناك رواق أمام هيكل البيت كان طوله عشرين ذراعا وعرضه عشرة أذرع . وقد بنى بيت الرب بحجارة صعبة مقلعة ولم يسمح فى البيت عند بنائه منحت ولا معول ولا أداة من حديد وشيد البيت كله بالحجارة وخشب الأرز والسرو والزيتون . وغشى البيت كله من الداخل

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٣٨٤ - ٣٩٦ .

(٢) د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ٢٠٣ - ٢٠٥ .

بالذهب . واستغرق بناؤه سبع سنوات^(١) كما شرع سليمان فى بناء بيتا له ، وكان طوله مائة ذراع وعرضه خمسون ذراعا وسمكه ثلاثون ذراعا واستغرق بناؤه ثلاث عشر سنة .^(٢) فقد جاء فى سفر الملوك الأول " أن سليمان بنى بيت الرب فى أورشليم ٤٨٠ سنة بعد خروج بنى إسرائيل من مصر " .^(٣) وقد تزوج سليمان من ابنة الملك بسوسنيس الثانى آخر ملوك الأسرة الحادية والعشرين . وحينما استولى الملك المصرى على حصن جزر أعطاه مهرا لابنته زوجة سليمان .

ولكنه آثار غضب شعبه عليه فى نهاية حياته ، وذلك نظرا للنفقات الباهظة من جانبه للصرف منها على بناء قصره والمعبد (؟) ، وبدأت تزول من الآن فترة المجد للملكة المبرانية ، التى ازدهرت فى عهد دلود وسليمان .

دويلتا إسرائيل ويعوزا :

مملكة إسرائيل :

قبل وفاته نصب سليمان ولده رجعام ملكا (حوالى عام ٩٢٣ ق. م) وعندما طلب منه ممثلو القبائل العبرانية الاثنى عشر أن يخفف عنهم عبء الضرائب التى فرضها عليهم ولده سليمان ، رفض بشدة ، ولهذا لم تعترف به القبائل ملكا واختارت القبائل العشرة فى الشمال ، يريمام بدلا منه ، والذي استغل فى الوقت نفسه فرصة عطف ملك مصر عليه ، وأعلن نفسه ملكا وعرفت مملكته باسم إسرائيل التى كان يحدها من الغرب الشاطئ ومن الشرق جبال الكرمل حتى يافا .

(١) محمد قاسم : التفاضل فى تواريخ أحداث التوراة من آدم حتى مسيى بابل ،

القاهرة ١٩٩٢ ، ص ٤١٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤١٨ .

(٣) د. عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ، ص ٣٢٦ ؛ المؤلف نفسه : مصر

الخالدة ، ص ٥٧٥ ، ٨٤٨ .

تولى الحكم من بعد يربعام ، عمرى (يدل اسمه على أنه من أصل عربى) وهو الذى شيد مدينة السامرة واتخذها عاصمته الجديدة وبني فيها قصرا وكان ذلك فى عام ٨٨٥ - ٨٧٤ ق.م .^(١) جاء من بعده ولده احاب (حوالى ٨٧٤ - ٨٥٢ ق.م) الذى وسع فى قصر أبيه وزخرفه ، وعرف هذا القصر باسم بيت العجاج . وكانت علاقة احاب بجيرانه ودية فقد تحالف مع مملكة دمشق وتزوج من ابنة ملك صور وصيدا .

وبعد فترة قام أحد الضباط واسمه ياهو بالثورة على الملك فى عام ٨٤٢ ق.م . وجعل عبادة يهوه العبادة الوحيدة فى مملكة إسرائيل . ولم يكن هذا الملك موافقا فى سياسته الخارجية حيث خضع لشالمانصر الثالث ملك اشور وقدم الجزية له . تجددت قوة مملكة إسرائيل فى عهد يربعام الثانى حوالى ٧٨٥ - ٧٤٥ ق.م . وهو ثالث ملك من سلالة ياهو حيث أمكنها أن توسع حدودها الشمالية على حساب الآراميين .

ظلت مملكة إسرائيل تنعم بالهدوء إلى أن اعتلى العرش فى اشور الملك تيجلات بلاصر الثالث الذى تدخل فى شئون سوريا وحولها إلى مقاطعة آشورية ، وبعد ذلك فرض الجزية على مملكة إسرائيل وبعد بضعة سنوات رفض هوشع ملك إسرائيل دفع الجزية فهاجمه شالمانصر الخامس وريث تيجلات بلاصر الثالث وحاصر السامرة ثلاث سنوات ولكنها لم تسقط إلا فى يد خليفته سرجون الثانى الذى نجح فى نهاية الأمر فى الاستيلاء على السامرة فى عام ٧٢٢ ق.م . وهو الذى سبى بنى إسرائيل وكان عددهم ٢٧٠٨٠ ونقلهم إلى نينوى وتلاشت بذلك مملكة إسرائيل إلى الأبد عام ٧٢٠ ق.م .^(٢) ولم يكتف سرجون الثانى وخلفاؤه بذلك بل نقلوا قبائل من بابل وويلام وسوريا والجزيرة العربية لتحل محل العبرانيين وأسكنوهم السامرة وما حولها فامتزج هؤلاء السكان واتحدت معتقداتهم الدينية مع عبادة يهوه وأصبح

(١) خالد العك : تاريخ القدس العربى القديم ، ص ١١٤ - ١١٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٢ ، ٧٧ - ٧٨ .

يطلق على الجميع اسم السامريين .^(١)

مملكة يهوذا :

اعتلى العرش فيها عدد من الملوك مماو لعدد ملسوك إسرائيل (أى ١٨ ملكا) إلا أن هذه المملكة استمرت مدة أطول من المدة التى عاشتها مملكة إسرائيل بنحو قرن وثلاث من الزمان . وكانت حدود هذه المملكة فى الغرب فلسطين وفى الشرق البحر الميت وفى الجنوب قادش . واحتفظت بأورشليم كعاصمة .^(٢) تولى العرش رحبعام ، وفى عهده حاول الملك ششلق الأول أن يغزو مملكة يهوذا ولم يتمكن رحبعام من صد هذا الغزو ونجح ششلق فى دخول أورشليم وضربها ونهب ممتلكاتها . ومن بعدها أصبحت مملكة يهوذا عرضة للهجمات المباشرة من آشور وعندما اعتلى العرش ملكها حزقيا (٧٢١ - ٦٦٢ ق.م) استجاب لتشجيع مصر للقيام بثورة ضد الآشوريين وتحدى آشور بالتحالف مع المدن الفلسطينية وغيرها من المدن المجاورة ، فتوالت على مملكة يهوذا حملات مرجون الثانى وخلفه سنحاريب الذى حاصر أورشليم . ولكنها لم تسقط فى يده ، ومع ذلك فقد أجبرت يهوذا على دفع الجزية بعد أن خضعت كلها فيما عدا أورشليم .

نحابة مملكة يهوذا :

عندما حل الضعف بآشور واستقلت مصر عن آشور وطردت الآشوريين من على أرضها حاولت مملكة يهوذا أن تعيد وحدتها مع مملكة إسرائيل ، وبعد أن سقطت نينوى على يد الدولة البابلية الجديدة ، سعت مصر إلى التدخل فى شئون

(١) د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ٢٠٩ - ٢١٤ .

(٢) أصل الاسم ياروشليم يعنى دح شالم يؤمس وكان شالم معبود السلام عند الكنعانيين ويظهر فى اسمى إيشالوم وسليمان ، راجع : فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ١٧٢ حاشية (٣) . وعرفت أورشليم فى المصادر المصرية باسمين رو- وشم - م أو ورو - ما - ليم ، راجع فيما بعد ، ص ٢٤٧ حاشية (٣) ، ٢٤٩ حاشية (١) .

سوريا وفلسطين . وقام الملك نكلو بإرسال حملة إلى هناك قوامه الملك يوشع ملك يهوذا وبعد ذلك قتل في مجزو .

وبعد هذه الأحداث ترددت مملكة يهوذا بين الخضوع لبابل وبين التحالف مع مصر . واختار ملكها يواقيم التحالف مع مصر . وكان جزاءه أن دخل نابوخذ نصر الثاني أورشليم عام ٦٠٠ ق. م . وقيد به بالصلاح ليحمله معه إلى بابل ولكنه قضى نحبه . وتولى الحكم من بعده ولده الذي لم يمكث سوى ثلاث شهور حول فيها الثورة على بابل فجاء نابوخذ نصر الثاني إلى أورشليم وسبى الملك ونساءه وموظفيه وسبعة آلاف من الجنود وألف من الصناع المهرة ونقلهم إلى بابل وعين صدقيا ملكا على يهوذا . وظل هذا الأخير يتظاهر بالولاء لبابل بضعة سنين ثم حاول الاستقلال فجاءت الجيوش البابلية مرة أخرى وضربت أورشليم وهرب الملك ، ولكنه قبض عليه أثناء هربه وقتل أبناءه أمامه ثم سلمت عيناه وحمل إلى بابل عام ٥٨٦ ق. م . وسبى أيضا عظماء المدينة وعدد كبير من أهلها بلغ عددهم خمسين ألفا تقريبا وكان هذا هو السبى الكبير . ولما أصبحت الإمبراطورية الفارسية تتحكم في لفظ الشرق القديم وتولى العرش قورش عام ٥٣٩ - ٥٢٩ ق. م . عامل العبرانيين المسيبيين في بابل معاملة حسنة وأعاد من رغب منهم إلى دياره في أورشليم (١).

مملكة الأنباط في بلاد جنوب الشام :

كانت دولة الأنباط أكثر اتصالا ببلدية جنوب الشام منها بشبه الجزيرة العربية ، وقامت عاصمتها في البتراء في شرق الأردن جنوب البحر الميت على بعد ٣٠٠ كم من عمان ، وكانت تعرف باسم رقيم أو ملح الذي يعنى الصخرة (التسي) لتصل بين واديين (وترجم الإغريق هذا الاسم الأخير إلى بترا ومنها جاءت التسمية البتراء .

وترك الأنباط آثار ضخمة في مدائن صالح ومغائر شعيب . كان الأنباط

(١) خالد الحك : المرجع السابق ، ص ٦٣ ، ٧٩ - ٨٢ ، ١١٧ - ١١٨ .

قبائل عربية الأصل ، انتشرت بطونها بين جنوب بلاد الشام ، وبين شمال غرب شبه الجزيرة العربية .^(١) (سوف نتحدث عن هذه الدولة وأعمال ملوكها بشئ من التفصيل في الجزء الثالث من هذا المؤلف عند تناول تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم ، ص ١٧٤ - ١٨٥) .

أقدم العلاقات بين شعوب جنوب بلاد الشام القديمة ومصر :

كان على ملوك مصر القديمة منذ بداية الأسرة الأولى (٢٩٢٠ ق.م) أن يتنبهوا لما يحدث على حدودهم الشرقية . فعرف أن ثالث ملوك الأسرة الأولى جر قد حارب جماعة من الأسبويين كما جاء عنى حوليات حجر بالرمو .^(٢) وذن خامس ملوك الأسرة قام بتأديب بدو سيناء .^(٣)

وفي الأسرة الثالثة نجد أن الملك جسر (٢٦٤٩ ق.م) أرسل حملة إلى شبه جزيرة سيناء لاستخراج الأحجار الكريمة من محاجرها وكذلك النحاس وذكر اسمه على أحد الصخور هناك .^(٤)

وعثر على اسم سلنخت (٢٦١١ ق.م) ثالث ملوك الأسرة مكتوباً إلى جوار جسر في شبه جزيرة سيناء .^(٥) وفي الأسرة الرابعة نجد أن أول ملوكها سفرو (٢٥٧٥ ق.م) تابع سياسة استغلال مناجم النحاس في صحراء سيناء وأرسل بعثات التعدين إلى سيناء .^(٦) وترك لنا رجاله ذكرى فلك على منحور وادى

(١) د. جواد على : تاريخ العرب قبل الإسلام ، الجزء الثالث ، ص ٩ - ١٥ .

(٢) د. رمضان السيد : تاريخ مصر القديمة ، الجزء الأول سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية ، مشروع المائة كتاب ، هيئة الآثار المصرية ، القاهرة ١٩٨٨ ، ص ١٧٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٧٧ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٩١ .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٩٤ .

(٦) المرجع السابق ، ص ١٩٧ .

المغارة .

ومن الأسرة السادسة عثر على نقش للملك بيبي الأول (٢٢٩٤ ق.م) في وادي المغارة وصور وهو يضرب البدو في سيناء .^(١) وقام بمسدة حملات ضد الآسيويين . وفي نقوش أحد كبار موظفيه ونى التي تركها لنا على لوحة كانت قائمة في مقبرته في أبيدوس نعلم أن الملك أرسله خمس مرات على رأس جيش مكون من آلاف الرجال منها أربع حملات عن طريق البحر وفي المرة الخامسة اضطر إلى مهاجمة العدو من الأمام وأنزل جنوده وتركز في نقطة ما في فلسطين ربما جبال الكرمل وهاجم الآسيويين وانتصر عليهم .^(٢)

وفي نهاية الأسرة السادسة قام البدو في شرق الدلتا بعدة غارات وتمثلوا عبر الحدود الشرقية .

وفي الأسرة الحادية عشرة قام الملك منتوحسب الثاني (٢٠٤٣ ق.م) بمحاربة البدو في شرق الدلتا .^(٣) وفي الأسرة الثانية عشرة شيد الملك امنمحات الأول (١٩٩١ ق.م) حائطاً كبيراً بطول حدود الصحراء الشرقية لكي يمنع القبائل من دخول مصر ، سمي هذا الحائط بحائط الأمير .^(٤) ونعلم من قصة سنو هي السدي كان أحد أعضاء العائلة الملكية في ذلك العهد والذي هرب من مصر إلى سوريا العليا .

ونعلم أنه اختبأ لمدة أيام في الصحراء ، حتى وصل إلى حائط الأمير . وهناك حاول أن يتجنب حراس الحدود الشرقية ، وتغلغل في الصحراء جنوب فلسطين . وكان على وشك الموت ظمأً ، واجده رئيس الصحراء الذي سبق له أن جاء إلى مصر وتعرف عليه واستقبله بكرم ، ومن هناك بدأ ينتقل من قبيلة إلى

(١) د. رمضان السيد : المرجع السابق ، ص ٢٢٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٢٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٥٣ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٥٩ .

أخرى حتى وصل أخيرا إلى سوريا العليا (١) وطلب منه حاكم البلاد أن يبقى معه ورفع من قدره وزوجه من كبرى بناته وأعطاه جزءا من ممتلكاته . ومكث هناك فترة طويلة من الزمن . وتنتهى القصة بأن ترك سفوهى أولاده فى رتكو ووزع ثروته بينهم . وعلى الرغم من المكثفة التى وصل إليها إلا أنه لم ينمى أنه سيصبح بانسا لو دفن بعيدا عن أرض مصر وطبقا للطقوس الدينية المصرية .

وفى عهد الملك سنوسرت الثانى (١٨٩٧ ق.م) ، علمت مصر رؤساء القبائل البدو التى تسكن الصحراء الشرقية باحترام ، وذلك لضمان صداقتهم ومساعدتهم . وفى إحدى مقابر بنى حسن وهى مقبرة خنوم حنب الثانى (رقم ٣) الذى كان حاكما لإقليم الوعل ورئيسا للصحراء الشرقية . نرى تمثيل وصول أحد أمراء الصحراء فى السنة السادسة من هذا الحكم ، وكان يسمى إيشاى الذى كان رئيسا لقبيلة من الساميين فى جنوب فلسطين وقد مثل إيشاى ومعه ستة وثلاثين شخصا من قبيلته ، رجالا ونساء وأطفال يرتدون جميعا الملابس الفاخرة ذات الألوان المتعددة ، وكان الرجال يطلقون لحيتهم ومسلحين بالأكواس والسهام وكان للنساء شعر طويل أسود ، وكن يلبسن الثعل وليس الصندل كما فى مصر . وكان خنوم حنب الثانى فى استقبال هذا الوفد ، فهل جاءوا إلى إقليم الوعل بمصر الوسطى لغرض الزيارة ، أو بغرض التبادل التجارى وخاصة وأنهم جاءوا يحملون منتجات بلادهم ، وكانوا يحملون معهم كهديا للكل للميون وزوجا من الماعز الجبلية (٢) ونعلم أن سكان مجدو قد أحسنوا استقبال المبعوث المصرى تحوتى حنب الذى أصبح فيما بعد حاكما لإقليم الأرنب فى مصر الوسطى ، وكان يشغل وظيفة المشرف على الثيران ، وربما ذهب إلى هناك للتفاوض على شراء قطع من الثيران من مجدو . ويبدو أن العنوى كانت قد انتشرت بين الثيران المصرية وذهب إلى هناك لتموين النقص أو المفقود . وتأكيذا لذلك نجد أنه مثل فى مقبرته بعض القطع الذى وصل إلى مصر (٣).

(١) د. رمضان السيد : المرجع السابق ، ص ٢٢٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٦٦ .

(٣) Montet, Egypte et Syrie, p. 34 - 35.

وفي عهد الملك سنوسرت الثالث (١٨٧٨ ق. م) ، أرسل أحد هؤلاء مسبك خو على رأس حملة إلى فلسطين ووصل فيها إلى مدينة مشم ومن نتائج هذه الحملة أنها زانت من ميطرة مصر على فلسطين وسوريا^(١) ولدينا من الفترة التي تقع بين عام ١٨٥٠ و ١٧٣٠ ق. م . ما يسمى بنصوص اللعنة^(٢) التي جاء فيها ذكر العديد من رؤساء المدن الفلسطينية والسورية منها رو - وشلم - م^(٣) ، عسقلان ، عشتاروت ، لجرون ، بيت شمس ، بيت شان ، مشم ، هاترور ، يافا ، اكر (عكا) ، سكيم ، زيلون ، سيمون . زيول هاداو ، وابو راهان وأسماء أخرى من الصعب التعرف على أماكنها الحالية .^(٤) وفي نهاية الأسرة الرابعة عشرة (١٦٠٣ ق. م) حدث غزو للهكسوس لمصر وكانوا من عناصر اسبوية وسامية دفعوا أمامهم القبائل التي كانت تعيش في جنوب فلسطين ودخلوا مصر لأول مرة .^(٥)

(١) د. رمضان السيد : المرجع السابق ، ص ٢٦٩ .

(٢) هذا هو تاريخ بوزنر ، Posener, LAI, p. 69 ؛ وأيضا د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٤٥٦ .

(٣) هذه هي القراءة لاسم أورشنيم كما ورد في هذه النصوص (راجع : Ebach, LA 111, p. 267) أما د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٤٥٦ فقد قرأه : أوشاميم ود. عبد القادر خليل : علاقات مصر بشرق البحر المتوسط حتى نهاية عصر الدولة الحديثة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية ١٩٨١ ، ص ١٦٧ (٤٤) فقد قرأه : أوشلم وهذه هي المرة الأولى التي يذكر فيها هذا الاسم في النصوص المصرية ، راجع د. أحمد فخري : مصر الفرعونية ، طبعة ١٩٨١ ، ص ٢٣٥ .

(٤) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٢٨٨ ، ٤٥٥ - ٤٥٦ ؛ د. عبد القادر القادر خليل : علاقات مصر بشرق البحر المتوسط حتى نهاية عصر الدولة الحديثة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية ١٩٨١ ، ص ١٦٤ - ١٦٨ . الذي يذكر لنا اسم حوالي ٦٣ مدينة في فلسطين وسوريا .

(٥) د. رمضان السيد : المرجع السابق ، ص ١٠ .

وكان أول من ربط بين العبرانيين وتاريخ مصر القديم هو المؤرخ اليهودي يوسفوس الذى تحدث عن فترة الهكسوس ودخولهم مصر مدعيا ان العبرانيين دخلوا معهم كفة تابعة لهم في نهاية الأسرة الثالثة عشرة (١٦٢٥ ق.م). (١)

وفي الأسرة الثامنة عشرة يقص علينا أحسن بن إيانا أحد قواد الملك أحسن (١٥٧٦ ق.م) ، كيف قام الملك بمتابعة الهكسوس بعد طردهم من مصر حتى شاروهم وهي مدينة تقع في جنوب غرب فلسطين ، والتي سقطت بعد ثلاث سنوات. (٢)

وكان ملوك هذه الأسرة أكثر نشاطا في الصحراء الشرقية وفلسطين وسوريا وذلك لتأمين الحدود الشرقية وما وراءها وتكوين مناطق نفوذ للحكم المصري . فقد عثر على لوحة للملك أمنحتب الأول (١٥٥١ ق.م) في سيناء مخصصة للقرابين في معبد سريانية الخادم تدل على وجود معاويته في شبه جزيرة سيناء. (٣) ونعلم ان تحوتمس الأول (١٥٣٠ ق.م) قام بحملة في آسيا وخرج الجيش المصري من شرق الدلتا وعبر الصحراء ، ووصل إلى جنوب فلسطين ، ثم إتجه شمالا بإمتداد الشاطئ حتى حلب. (٤) وقام تحوتمس الثاني (١٥٢٠ ق.م) بحملة ضد قبائل البدو في الصحراء الشرقية. (٥) وقام الملك تحوتمس الثالث (١٥٠٤ ق.م) أثناء حملته الرابعة عشرة بمحاربة البدو في شمال شرق مصر. (٦)

(١) د. عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ، ص ٣٧٦ ؛ د. عبد الميزز صالح :

الشرق الأدنى القديم : مصر والعراق ، ص ١٩٥ .

(٢) د. رمضان السيد : المرجع السابق ، ص ٣٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٤ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٦٠ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٦٣ - ٦٤ .

(٦) د. رمضان السيد : مصر القديمة ، الجزء الثاني ، طبعة هيئة الآثار المصرية ،

١٩٩٣ ، ص ٨٢ - ٨٣ .

وتكشف خطابات تل العمارنة من عهد أمنحتب الرابع (١٣٧٢ ق.م) أنه من بين الموالين لمصر كان عبد خيبا حاكم أورشليم^(١) الذى كتب إلى اخناتون ستة خطابات وديا حاكم عسقلان ، وبرديا حاكم مجدو^(٢) وكان من بين المعادين لاهيا حاكم مشم وولده تاجي وزوج ابنته مكى ايلي .

فكتب عبد خيبا فى إحدى رسائله مستجدا بالملك :

" لعل الملك يرعى البلاد ويرسل القوات ، لأنه إذا لم تأت القوات هذا العام ، فإن كل أراضي الملك سيبدى . سوف تضيق " ويضيف فى نفس الخطاب ملحوظة موجهة إلى سكرتير اخناتون قائلا :

" اشرح هذا إلى الملك بوضوح : البلاد كلها عرضة للفناء " .^(٣) وكتب برديا حاكم مجدو (التى قامت على اطلالها بلدة تل المستقيم الحالية) قائلا : " حقا انتى أهرس مجدو مدينة الملك مولاى ليلا ونهارا ولكن عداوة قوم ساجل شديدة . ليتعطف الملك مولاى بنظرة على هذه الأرض " .^(٤)

(١) كتب هذا الحاكم ستة خطابات (وهى أرقام : 290 - 285 EA) وترجم الكاتب المصرى اسم أورشليم من لغة هذه الخطابات التى كتبت بالمصرية (الأكدية) إلى المصرية بـ : Urusalim ورو - سا - ليم راجع : Knudtson, Die El Amarna Tafeln, Aalen, 1964, p. 856 - 877. وهذه هى المرة الثانية التى يذكر فيها هذا الاسم فى النصوص المصرية بعد ما ذكر فيما يسمى بنصوص اللعنة ، راجع فيما سبق ، ص ٢٤٢ (١) ، ٢٤٧ (١) (٢) د. نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول ، الكتاب الثانى ، مصر ، ص ١٧٤ - ١٨٤ د. عبد الحميد زايد : مصر الفخلة ، ص ٥٩٠ ، ٦٣٨ - ٦٣٩ .

(٣) د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ١٠٢ - ١٠٤ د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٢٥٨ - ٢٦٠ د. توفيق سليمان : دراسات فى حضارات غرب آسيا القديمة ، ص ٢٧٠ - ٢٧٧ .

(٤) د. عبد القادر خليل : علاقات مصر بشرق البحر المتوسط حتى نهاية عصر الدولة الحديثة ، ص ٢١٦ .

وكان يلتذنا الذي يحكم في ناعا ناخ في نفس المأزق فيبحث برسالة إلى اخناتون فأرسل الملك قوة للقبض على لابييا (حاكم مشم ، والذي كان يناهض النفوذ المصري في فلسطين) ولكنه فر بسبب وجود خوته من بينهم ^(١) . وبلغ من صفاقة لابييا أنه كتب إلى اخناتون قائلا : " إلى الملك مولاي وشمعي يقول لابييا خدامك والتراب الذي تطأ عليه : أجتو لدى قدميك سبعا وسبعا (وبعد أن تتصل من كل ما نسب إليه وادعى أنه وقف موقف المدافع) ختم رسالته بقوله : " وهل إذا طلب الملك امرأتى أستطيع أن أمنعها ؟ وإذا كتب إلى أن أضرب قلبك بخنجر ومث ، فهل أخالف أمر مولاي (؟) " ^(٢) .

وفي عصر الأسرة الثامنة عشرة في عصر الملك سيتي الأول (١٣١٢ ق. م) حاول العبرانيون إثارة الشعب ودفعوا بيدو الصحراء الشرقية الشاسو إلى حدود مصر الشرقية واستولوا على الحصون والحاميات المصرية التي تمتد بطول الطريق البرى من الحدود المصرية إلى فلسطين . فخرج إليهم سيتي الأول في السنة الأولى من حكمه على رأس جيش كبير وقضى على هذه الثورة واستعاد الحاميات وتغلغل في فلسطين ثم تقدم حتى مدينة كنعان وهي مدينة غزة لفلسطينية ثم قام بهزيمة الشاسو الثوار ^(٣) . ووصل بعد ذلك إلى لبنان . وعندما تولى رمسيس الثاني (١٢٩٠ ق. م) وكان عليه أن يواجه الحيثيين في معركة قادش نجد أنه مر بفلسطين ^(٤) .

وفي هذه الأسرة ربط بعض المؤرخين بين الجهود التي بذلت في تشييد مدينة بر رمسيس في شرق الدلتا (في عهد رمسيس الثاني) وبين ما روتته وتحدثت به كثيرا قصص الخروج في القورا من تسخير المسفل - فرعون

(١) د. عبد القادر خليل : المرجع السابق ، ص ٢١٦ - ٢١٧ .

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢١٨ - ٢١٩ .

(٣) د. رمضان السيد : المرجع السابق ، ص ١٣٨ .

(٤) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٣١ .

للعبرانيين (أو اليهود) فى إنشاء مدينة ضخمة فى أرض جوشن فى شرق النلتا .^(١) وهو ربط لم تؤكد الوثائق الأثرية المصرية حتى الآن .

ومن أهم الوثائق التى تحدثنا عن بعض المدن فى فلسطين فى عصر هذه الأسرة ، هى اللوحة التى اغتصبها مرنبتاح (١٢٣٥ ق. م) من أمنحتب الثالث فنذكر لنا نصوص هذه اللوحة القوائم التى قام الملك بمعاقبتها بعد حملته الشهيرة على الحدود الغربية . فيذكر النص بعض المدن مثل كنعان (غزة) وعسقلان ، وجنور ، وينعام وعناصر اليسيريلو قضى عليها ولم يصبح لها ذرية وأصبحت خرابو (فلسطين وسوريا) أرملة لمصر واتحدت كل البلاد فى سلام لقد قضى على كل قاطع طريق مما يدل على أن عناصر اليسيريلو (أى التى تعيش جنوب فلسطين) كانت تقوم بأعمال السلب والنهب على الحدود الشرقية لمصر .^(٢)

تحدثنا فى كتابنا تاريخ مصر القديم فى الفصل الرابع عشر بعنوان : هل هناك صلة بين أحداث حملة مرنبتاح على فلسطين ووقائع الخروج (ص ١٧٣ - ١٨٥) . وتحدثنا عما يسمى خطأ بلوحة إسرائيل وأقوال المؤرخين والأثريين عنها .^(٣) وأنه يجب تسميتها بـ " اللوحة ذات النصين " أو " لوحة نصى امنحتب الثالث ومرنبتاح " وبينا أن قراءة كلمة إسرائيل التى وردت السطر ٢٧ من هذه اللوحة ، هى قراءة غير صحيحة ويجب قراءتها اليسيريلو والمقصود بهذه التسمية فى رأينا هم سكان أو قبائل سهل يزرئيل أو جزريل (الذى جاء ذكره فى التوراة - Jezreel وهو مرج بنى عامر من الناحية الشرقية الشمالية من جبال الكرمل) والذى يمتد من حيفا غربا إلى وادى الأردن الفوق (ص ١٧٧) وما يعزل هذا الرأى هو

(١) د. رمضان السيد : المرجع السابق ، ص ١٧٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٧٧ - ١٧٨ .

(٣) د. رمضان السيد : تلوخ مصر القديم ، الجزء الثانى سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية مشروع المآة كتلب ، هيئة الآثار المصرية ، ١٩٩٣ ، ص ١٧٥ -

ما جاء فى نص مؤرخ من العالم الثامن من حكم رمسيس الثانى جاء فيه التعبير الجغرافى يسرى الذى يطلق على المنطقة جنوبى فينيقيا أو جنوب بلاد الشام (ص ١٨١) ومن ناحية كان هناك كلمة أخرى ظهرت فى عصر الدولة الحديثة وهى isr والجمع isyrw بمعنى " نباتات عشبية تصنع منها السلال " (راجع Wb I, 132, 20) فهل يسريارو تعنى المنتمون إلى النباتات العشبية أو أصحاب الكلا ؟

وعلى ذلك يمكن تفسير الاسم اليسريارو على أنهم أهل العوز أو القفر أى البدو الذين تعوزهم خصوبة الأرض وغناها ويعيشون حياة الرعى وفى حالة تجوال مستمرة . وكانوا يعيشون جنوب فلسطين فى الصحراء الجرداء فى هذه الفترة . ولكن منذ اكتشاف هذه اللوحة فى عام ١٨٩٦ بواسطة الأثرى الإنجليزى بقرى وحتى آخر ما ورد عنها حديثا فى كتاب سوروزيان الذى صدر عام ١٩٨٧ .^(١) نجد أن علماء الدراسات المصرية القديمة يمتدحون على القراءة القديمة للغير صحيحة ومسئون ثم يبنون عليها نظريات لا سند لها بالنسبة للخروج.^(٢)

وإنه مما يحز فى النفس أن بعض نظريات بعض علماء الدراسات المصرية القديمة والتفسيرات المفرضة تلقى قبولا من بعضنا فيقبحها غير مدرك خطورتها والسبب فى ذلك واضح أننا لا نقرأ النصوص الأصلية قراءة صحيحة وسليمة لا تحتل التأويل . لأن نص هذه اللوحة ليس له أية صلة على الإطلاق بأحداث الخروج . ولذلك لأننا نعلم أن الظروف التى مهدت للخروج وأسبابه معروفة فى آيات القرآن الكريم ، وكذلك المعجزة التى وقعت خلال الخروج . فكلمة خروج أو طرد لم ترد فى نص اللوحة بالنسبة لجماعة اليسريارو . ولم يذكر النص أيضا أية معجزة . وفى الواقع أن تسجيل أحداث الخروج بما فيها من وقائع وتفاصيل

Sourouzian, in : " le Monde de la Bible 41 ", Paris, Nov.- Dec. (١) 1985, p. 35 - 38 Fig. 38; Saleh - Sourouzian, The Egyptian Museum, Cairo 1987, no. 212.

(٢) د. فيليب حتى : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ص ١٩٣ - ١٩٤ ؛ د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٣٧٦ - ٣٧٩ ؛ د. أحمد فخري : مصر الفرعونية ، الطبعة الخامسة ١٩٨١ ، ص ٣٥٨ حاشية (١) .

ومعجزات يحتاج إلى مئات الأسطر وربما إلى أكثر من لوحة . ولهذا فلا يجب الاعتماد على فقرة قصيرة من جملة واحدة ، وعلى قراءة لاسم مشكوك فيه لسلاسل بآراء ونظريات عن هذا الحدث التاريخي الهام ألا وهو الخروج .

قامت علاقات بين ملوك مصر ومملكة داود في الأسرة الحادية والعشرين (١٠٨٥ - ٩٥٠ ق.م) وكانت علاقات عادية في مجملها وفي ظاهرها . ولكنها لم تمنع من التجاء الأمير هداد (أو حداد) حاكم أدوم في جنوب فلسطين إلى مصر بعد أن خرب داود وقائده يعقوب إمارته وسفك دماء آلاف من رجالها . وزوجه الملك المصري (مجهول الاسم) من أخت زوجته ، وأكرمه حتى عاد إلى إمارته بعد وفاة داود وأصبح من ألد خصوم ولده سليمان .

وعندما اتسع سليمان بملكه واشتهر أمره ، مال إلى محالفة المصريين ، وهنا استحب الملك المصري (الذي قد يكون ما أمون أو بسوسينس الثاني عام ٩٨٤ ق.م) أن يظهر لسليمان قدرة مصر ويبين له أن تحالفها معه هو تحالف الأكرياء ، فبعث ببعض جيشه إلى جنوب أرض فلسطين حيث استقرت جماعات من شعوب البحر منافسي سليمان ، وسيطرت قواته على مدينة جزر التي عجز العبرانيون عن الاستيلاء عليها عدة مرات ، ثم جعلها بلقته لابنته التي رضى أن يزوجه لسليمان . ولما ذلك ما يعنى ضمنا أن مصر ظلت حتى في عهد ضعفتها أقوى مرات من ملك سليمان الذي تحدثت به الأمثال .^(١)

وفي عصر الأسرة الثانية والعشرين (٩٥٠ - ٨١٧ ق.م) فتحت مصر أبوابها أمام الفارين من وجه سليمان كما فعلت من قبل في عصر أبيه . فلوت يريعام منافس سليمان ، وكان من نسل إبراهيم ووعده أحد الأنبياء بالملك ولكن سليمان أراد قتله . ولما توفي سليمان وتحققت كلمة الرب على اليهود بمزيق وحدتهم ، وأيد أول من تصموا باسم ششقق من ملوك الأسرة الثانية والعشرين يريعام منافس سليمان على الاستقلال بحكم عشرة من أسباط إسرائيل بحيث لم يتبق أرجعهم بن سليمان غير

(١) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم : مصر والعراق ، ص ٢٦٥ .

سبط يهوذا ، وحده ثم استعرض ششبق هذا قوة بلده مع ابن سليمان ، وخرج بجيشه ودمر عاصمته اورشليم وغنم كنوز دلود وسليمان ، وكان منها ٢٠٠ درع و ٣٠٠ ترس من الذهب المطروق ، لو كما روت أسفار التوراة انه أخذ خزان بيت السرب وخزان بيت الملك وأخذ كل شئ ، وأخذ جميع أتراس الذهب التي صنعها سليمان ، فصنع رحبعام عوضا أتراس نحاس وترك ششبق الأول عام ٩٥٠ ق. م . بعض آثاره في مجدو وغيرها من مدن فلسطين .^(١)

وفي الأسرة الرابعة والعشرين : حاول أول ملوكها تف نخت (٧٢٤ ق. م) إشعال الثورة في فلسطين ضد الآشوريين . وسعى إلى التحالف مع هوشع ملك السامرة عاصمة العبرانيين الشمالية ، فقبلت تحالفه ، وترتب على مساعدتها له أن صمدت عاصمته ثلاث سنوات أمام حصار الآشوريين لها خلال عهد شالمانصر الخامس . ولكن العاصمة ما لبثت أن اتهارت بعد ولاية مرجون الثاني ، الذي فتحها في العام الأول من حكمه (عام ٧٢١ ق. م) . وقضى على استقلالها وشرذ ألقا من أهلها .

واصل الملك باك ان رن اف (٧١٦ ق. م) خليفة تف نخت سياسة أبيه في تأييد من فلسطين في المحافظة على استقلالها ، فأيد هاتو حاكم غزة الذي كان قد لجأ إليه قبل سنوات وساعده على تكوين حلف يواجه به التوسع الآشوري وكلف باله ان ون اف قائده في رفح الذي كان يحمل اسم سيا ليب بمعاونة حاكم غزة ولكنه لم يستطع لقوة آشور وأصولها ، فانهزم حاكم غزة .^(٢)

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٨٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٩٠ - ٢٩١ .

وفي الأسرة الخامسة والعشرين ، حاول ثقي ملوكها شلباكا (٧١٢ ق.م)

التدخل في شئون فلسطين ، فقرر إرسال حملة إلى هناك لكي يحد من تقدم الآشوريين ولم يقودها بنفسه بل أسند القيادة إلى ابن أخيه طهرقا . وأندر الآشوريون العبرانيين بعدم الاعتماد على ملك مصر لأنه كان ضعيفا ، وبالفعل أعلن إسحاق في يهوذا أنه لا يمكن الاعتماد على مساعدة مصر وقرر ملك يهوذا حزقيا أن يهاجم آشور وقام بتكوين تحالف ضد ملك آشور سنحاريب . ولكن نجد أن هذا الأخير بعد أن وطد دعائم حكمه بحزم وقوة بعد مرور خمس سنوات قرر أن يعاقب فلسطين ، وبدأ سنحاريب حملته لإخضاع مدن الساحل وقضى على الثوار في فلسطين وحاصر حزقيا في أورشليم ولكنه لم يقض عليها ولكنه أصابها بشيء من الدمار . وقد اضطر حزقيا إلى دفع تعويض كبير وتنازل عن جزء كبير من خزائنه في مقابل أن يحتفظ بعرشه ويقوم بدفع الجزية .^(١)

وفي عصر الأسرة السادسة والعشرين ، تدخلت مصر لمعاونة ملوك يهوذا

ضد الآشوريين ، كما ظلت تستقبل اللاجئين بها من أهل الشام ومن اليهود الفارين من وجه البابليين الكلدانيين .

وعندما تولى نكاو الثاني (٦٠٩ ق.م) مقاليد الحكم في مصر ، كان

يشوع ملكا على أورشليم وموليا لأشور ، ولكنه كان يشد شرا من وراء هذا الولاء لأنه كان يرغب في تحطيم الإمبراطورية الآشورية . وقد حاول جاهدا أن يحد من تقدم جيش نكاو الذي أرسله لمعاونة ملك يهوذا ضد آشور . وهاجم يشوع المصريين في مجدو ، ولكن الجيش المصري هزم يشوع وقتل في المعركة وتقدم جيش نكاو حتى نهر الفرات . وبعدها بحوالي ثلاثة أشهر تولى العرش في يهوذا ملك جديد يحمل اسم يواقيم . وكان لليهود قد اختاروا عقب وفاة بومبيلس ، ملكا هو جواشازر ولكن نكاو عزله عن العرش وأخذ كأمير إلى مصر حيث توفي بها . وحديث في عهد الملك بسماتيك الثاني (٥٩٤ - ٥٨٨ ق.م) أن قامت ثورة في الجنوب ،

(١) د. عبد العزيز صليح : المرجع السابق ن ص ٢٩٤ .

فأرسل الملك حملة تشترك فيها مع المصريين مرتفعة من الإغريق والكلبيين ومن الصحراء الغربية وربما من اليهود المتمصرين أيضا ^(١).

وفى عهد الملك أبريس (٥٨٨ ق. م) عاد البابليون الكلدانيون إلى التوسع العسكري في فلسطين وقاموا بإخماد ثورة قامت في أورشليم عام ٥٨٨ ق. م . فحاول الملك تاليب المدن الفلسطينية على الثورة ضد النفوذ البابلي الكلداني ، مما أدى بجيوش نابوخذ نصر إلى مهاجمة ومحاصرة أورشليم للمرة الثانية وهنا ساعدها الملك أبريس على مقاومة الحصار في عام ٥٨٧ ق. م . وانقسم أهلها حينذاك فريقين : فريقا تزعمه صدقيا وشكر لمصر معونتها وتكلم باسمه النبي حزانيا فدعا إلى كسر النير البابلي باسم الرب ، وفريقا آخر تزعمه أرميا وأخذ يتنبأ بأن ملك مصر سوف يعود إلى بلاده وأن البابليين سوف يستولون على أورشليم ويهرقونها وأنه يجب وضع أضواق الأمة تحت نير ملك بابل الكلداني بأمر الرب أيضا .

وتحقق تشاؤم أرميا ، ودمر البابليون الكلدانيون أورشليم في عام ٥٨٦ ق. م . وشامت الأعداء أن يأسروا صدقيا صديق مصر وأتباعه وعينوا جواليا مكانه ، بينما لاذ بالفرار أرميا بعد أن ضيق البابليون عليه وعلى قومه الضائق .

وترك نابوخذ نصر أورشليم ودق الحصار على أسوار صور . فصمدت له ثلاثة عشر عاما ، وعاونها المصريون من البحر ، مما أثار حفيظته على مصر وجعله يصمم على الانتقام المباشر منها ^(٢).

وعندما استولى الفرس على مصر (٥٢٥ - ٤٠٤ ق. م) وكونوا الأسرة السابعة والعشرين ، وكان يحكمها والي من قبل الفرس وكان يماونه عدد من كبار الموظفين وجباة الضرائب من الفرس والبابليين والمصريين واليهود ، يعملون لصالحه ، إلى جانب قلة من كبار المصريين ترك بعضهم عدة مقابر في مقبرة ذات

(١) د. عبد العزيز صلح : المرجع السابق ، ص ٣٠٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٠٦ .

أبار عميقة ونقوش تشبه نقوش الأسرة السادسة والعشرين . وكان من الطبيعي أن يجعل الولاة للفرس لكتابتهم المعمارية نصيبا في تكوين أولهم إلى جانب الكتابة المصرية ، واستعملوا معها اللغة الآرامية مع أتباعهم الساميين واليهود .^(١)

كان من نتيجة إيواء مصر لليهود منذ اضطهاد الآشوريين لهم ، أن أصبحت لهم جالية كبيرة في مصر ، سمحت لها السلطات المصرية بمزاولة نشاطها التجاري وحرية العقيدة . وأصبح أبناء هذه الجالية أعمالا للفرس ضد مصالح مصر في عصر الأسرة الثامنة والعشرين (٤٠٤ - ٣٩٨ ق.م) .

وعثر في جزيرة الفنتين في أسوان ، على عدة وثائق آرامية يرجع أغلبها إلى أواسط القرن الخامس ق. م . ولقيت اهتماما واسعا من الباحثين في الساميات ومن الباحثين لليهود لترجمتها والتعقيب عليها . فكان من أفراد هذه الجالية اليهودية التي استقرت في الفنتين عسكريين ومدنيين . وارجع بعض العلماء تاريخ وجود هذه الجالية في أسوان إلى أحداث التاريخ اليهودي في فلسطين خلال القرنين السابع والسادس ق. م . فقد أدت مراحل النزاع بين يهود إسرائيل وبين يهود يهوذا ، ثم بينهم جميعا وبين الآشوريين ، إلى نزوح جماعات من هؤلاء وهؤلاء إلى أماكن بعيدة يلتمسون الأمن فيها . ولعل مصر العنية القريبة من فلسطين كانت الملجأ المفضي للبعض منهم وقد سبق وأن ذكرت مصر مرارا سند لليهود ضد الآشوريين ، حينما تدخلت في عهد تبخت لنجدة السامرة ضد جيش شالمانصر الخامس ثم في عهد شابهكا وطهرقا لنجدة اورشليم ضد جيش سنحاريب .^(٢)

وعندما دعا يوشيا في عام ٦٣١ ق. م . إلى التغيير الديني الذي تضمنه سفر تشيه الامتراع ، نزع بعض معارضيه وبعض الكهنة الذين فقدوا امتيازات معابدهم ، إلى مصر ، وزادت دواعي الهرب من يهوذا حينما اشتد حصار البابليين الكلدانيين حولها ، وقد علوتها مصر في عهد الملك أبريس على مقاومة هذا

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣١٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣١٧ .

الحصار . وعندما تمكن البابليون الكلدانيون منها ودمروها ارتحل بعض أهلها إلى مصر ووسعتهم رحابة صدرها ، كما استقبلت بدمهم نبيهم أرميا وأعوانه حينما لاذوا بها .^(١)

فضل اليهود أن يعيشوا في أقصى جنوب مصر وفي حامية أسوان ليشتعروا بنوع من الاستقرار والأطمئنان بعيدا عن العاصمة وما فيها ، وربما أيضا رغبة من ملوك الأسرة السادسة والعشرين في جعل المرتزقة الأجانب في أقصى الحدود .

وتزايد تولد اليهود في معسكرات أسوان على الحدود الجنوبية خلال عصر الاحتلال الفارسي ، فكانوا من أدواته ولقرب إلى الإخلاص له وعبونا له على الوطنيين المصريين . وكان الملك قورش هو الذي سمح لليهود بالعودة من المنفى إلى أورشليم ، ويبدو أن عناصر يهودية هي التي ساعدت الحملة الفارسية على مصر في عهد الملك قمبيز .

واستمرت سياسة تقرب اليهود من الفرس في مصر في عهود خلفاء قمبيز بحيث اعتبروا بأنهم احتفظوا لديهم بنسخة من تاريخ الملك دارا الأول ، وعندما بلغت كتبوا لأنفسهم نسخة أخرى .

وروى أحد يهود القرن الخامس ق. م . في أسوان . أن ملك الفرس (قمبيز) قد هدم كل معابد معبودات مصر وانقص مواردها ولكنه لم يصب المعبد اليهودي في جزيرة الفنتين بسوء فقد أقام يهود الفنتين في شمال الجزيرة معبدا لمعبودهم يهوه جمعوا له المعونات من أثريائهم وفرضوا له تبرعات على رجالهم ونسائهم ، ولعلمهم كانوا فيه بعض مظاهر معبد أورشليم في صورة متواضعة بطبيعة الحال .

ومع مرور الوقت قللت بين الأقليات في أسوان ومنسهم اليهود وبين المواطنين المصريين في المنطقة علاقات تراج وتجارة وعمل ومدينت . وكانت

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣١٨ .

اللغة الآرامية هي السائدة بينهم . وتأثرت لغتهم كذلك باللغة المصرية في بعض تعبيراتها .

وعندما تعاقبت الثورات المصرية ضد الاحتلال الفارسي في أعوام ٤٨٨ - ٤٨٦ - ٤٦٠ - ٤٥٤ - ٤٥٠ - ٤١٠ ق.م. لم يستسلم اليهود فيها ، فلزاد السخط عليهم حتى أدى إلى تدمير معبدهم في حوالي عام ٤١٠ ق.م. أي خلال العام الرابع عشر من حكم الملك الفارسي دارا الثاني . وألقى اليهود جانباً كبيراً من مسئولية هدم المعبد على الحاكم الفارسي المحلي فيدرتاجا وولده . وادعوا أن هذا الحاكم فعل ما فعله مقابل رشوة كبيرة .

وكتبوا شكاية إلى باجوهي حاكم السامرة لكي يعلنهم في إعادة بناء معبدهم ووعدهم إن استجاب لهم أن يقدموا كل هذا باسمه ويصلوا من أجله هم ونسلاهم وأطفالهم وكل اليهود الموجودين معهم وكتب إلى أصدقائه في مصر لإعادة بناء المعبد وإعادة القرابين والبخور والمحروقات . كما كتبوا إلى أرشام والسي مصر الفارسي يعونه إن هو مسح بإعادة بناء المعبد حيث كان بأنهم لن يقدموا أغناماً أو ثيراناً أو ماعز كأضاحي محروقة وسوف يكتفون بالبخور وقرابين الطعام والشراب ، وأنهم سوف يقدمون إلى بيت مولاهم في مقابل ذلك أموالاً كثيرة وألف أردب من الشعير . ويبدو أن التزامهم هنا بعدم تقديم الأضاحي المحروقة هو احتراماً لشريعة الفرس التي حرمت تذكيس الثيران بجثث الحيوانات .^(١) عندما تولى إرتاكسركسيس الثاني عمل على تنفيذ مطالبهم ربما في مقابل وقوفهم في وجه الثوار المصريين أيضاً . وأعادوا بناء معبدهم بصورة ما . وبعد قليل أعلن الملك المصري اميرتي في الأسرة الثامنة والعشرين ملكاً على البلاد وحرر بلاده من الفرس في حوالي عام ٤٠٤ ق.م . ولو أن الوثائق الآرامية واليهودية لم تؤرخ باسمه حتى العام ٤٠١ ق.م. مما يعني ترددهم في الاعتراف به ، ثم انقطعت وثائقهم بعد عام ٢٩٩ ق.م. في عصر الأسرة التاسعة والعشرين مما يدل على تبدد شملهم خلال عصور الأسرات المصرية الأخيرة ، وإن استعادوا بعض وجودهم مرة أخرى بعد ذلك في بداية العصر البطلمي .^(٢)

(١) د. عبد المزيذ صالح : المرجع السابق ، ص ٣٢١ - ٣٢٢ .
(٢) المرجع السابق : ص ٣٢٢ .

**بعض المظاهر الحضارية لشعوب جنوب بلاد الشام القديمة
والمعتقدات الدينية عند العبرانيين والكتب الدينية
وسير الأنبياء وشعوب أرض فلسطين
وعا مر بالقدس من أحداث ومراعات**

العبرانيون :

أولا : نظم الحكم :

ظل العبرانيون محتفظين بنظامهم القبلي فيما يخص الشؤون الإدارية ولم يحكم بينهم ملك إلا حسب أوامر الرب يهوه .^(١)

ثانيا : المعتقدات الدينية :

وإذا كان يبدو لنا أنه ليس من اختصاصنا ، وصف الديانة اليهودية ، كما هي مبنية في الوصايا القديمة فإنه من الضروري أن نعرف كيف تطورت هذه الديانة أولا بالنسبة لمعتقدات أرض فينيقيا ثم المعتقدات التي كان يعتنقها العبرانيون قبل استقرارهم في أرض فلسطين . فقد كان يطلق على العبرانيين " أناس الأطراف البعيدة " أي من الفرات ، وكان هذا يمثل أكبر خط للنزول أو الهبوط بالنسبة لأهل بلاد النهرين . فقد اعتنقوا معتقدات القبيلة الكبرى التي ينتمون إليها ، وهي قبيلة الأراميين . ومكانها الأصلي كان أور في جنوب العراق . حيث كان سيد المنطقة هناك هو المعبود سين ، معبود القمر . وفي خلال هجرتهم بامتداد الهلال الخصيب نشروا هذه العبادة في تلك المناطق التي جعلوا منها ، مستقرا لهم ، في هاران في شمال سوريا ، ومن المحتمل أيضا في كنة (اليوم ميشريفه) في أواسط سوريا .

(١) د. أبو المحسن عصفور : معالم حضارات الشرق الأدنى القديم ، ص ١٦٩ .

ولم تكن عبادة سين ، هي العبادة الوحيدة عند الآراميين ، فقد كانت هناك عبادة هاداد وخاصة عند السكان الأكثر استقرارا . وقد رأينا من ناحية أخرى ، أن هاداد السورى (آداد عند العرقيين) قد تشابه مع تيشوب الحورى فى خيتا .^(١)

كانت أرض فلسطين عندما هاجرت إليها ، مجموعة سيندا يراهم (يضع بعض العلماء هذه الهجرة فى عصر الأسرة البابلية الأولى) تسكنها مجموعة من الشعوب تحدثنا عنهم الوصايا القديمة ، وتركت لنا أسماءهم وهم :

الأموريون ، الفينيقيون (الذين ينتمون إلى المجموعة السامية) وأبناء هيث (الذين ذكروا فى الكتاب المقدس أى الحثيين والحوريين) .

اتبع العبرانيون فى مراحل حياتهم الأولى فى فلسطين النموذج الحضارى الذى كان يتبعه الكنعانيون . ولقبس العبرانيون من الكنعانيين (الفينيقيين) مجموعة من الطقوس والماراسيم القديمة التى تضم الأعمدة الخشبية والأماكن المرتفعة وعبادة الحية والمجل الذهبى . وكان الاعتقاد بأن الطريقة المناسبة فى هذه العبادة هى التضحية بحيوان وتقديمه وتقديم هدايا فى الهيكل من محاصيل الحقل والقطيع .^(٢) وتعددت الأماكن المقدسة ، وتميزت بخصائص لا يمكن تجاهلها ، منها وجود اللواح وموائد للقرابين ، الشجرة المقدسة أو المقبرة ، وأمكن التوصل إلى أن أماكن العبادة هذه والأماكن المرتفعة كما كانت تسمى وهى غاية فى القدم ، مثل جزر بين الساحل وأورشليم ، نرى هناك بقايا الموائد البدائية للقرابين ، والعديد من اللوحات القائمة .

وكانوا يعترفون بيهوه كمعبود رئيسى ويهوه من العبرية التى قد تكون صيغة المضارع لفعل هو بمعنى أحدث . ويقول آخرون بأن يهوه ليست كلمة ولا معنى بل هى الأحرف العبرية ي هـ و هـ . التى ذكرتها التوراة كرمز للمعبود .

(١) James, Mythes et Rites dans la Proche Orient Ancien, p. 157 -

197. 161, 194 - وأيضا د. أبو المحسن عصفور : المرجع السابق ، ص

(٢) د. فيليب حتى : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ص ٢٢١ - ٢٢٢ .

وان اليهودى عندما يأتى إلى هذه الرموز فى قراءته للتوراة لا يلتقطها يهوه بل يعتبرها رمز للمعبود فيقرؤها لدوناي بمعنى الرب . وفى السامرية الله بدلا من يهوه ، وكان يهوه يكتسب كثيرا من صفات المعبود بل مما جعله سيد السماء وباعث المطر والمسيطر والمتحكم على العواصف . ومارسوا الأعمال والطقوس التى اعتبرت ضرورية للخصب وضمنان محصول طيب فكلثوا يضحون بأحد الحيوانات ويقدمون قربان للمعبود من المحاصيل والمائية ويرقص ملكهم أمام تابوت العهد واعترفوا بالمعبودات المحلية التى تتعلق بالخصب والتماء إلى جانب معبودهم الرئيسى يهوه .

وفى القصيدة العبرية ، كانت فكرة موت وبعث المعبود ، غير متوافقة مع طبيعة المعبود يهوه لذلك كان عليه أن يصارع المعبودات الأخرى ، ليؤكد سيطرته الفعلية ، وأحيانا يمثل وهو يصارع صور وقوى الشر مثلما حدث لبعل وماردوك ، وذلك لكى يقر سلطته كخالق أوجد ، انتصر على المحيط الأزلئ وأسس نظاما دقيقا للكون ، ومنح هذا الكون الضوء والحياة ، ووضع الشمس والقمر والنجوم والكواكب فى مواضعها .^(١)

ونرى فى كتب الشعر اللوصاليا القديمة ، بعض إشارات إلى أسطورة الخليفة حيث قلم يهوه بصراع عناصر الشر .

وفى نهاية فترة النفى إلى نينوى ، نرى اسحق يدعو معبود مملكة إسرائيل إلى اليقظة واستعادة قوته . كما حدث من قبل عندما قطع العدو رحاب إلى أجزاء متناثرة وطعن التماسح (تاننين) وجفف مياه المحيط الكبير وهى إشارة إلى الانتصار على قوى المحيط الأزلئ وخلق الكون من جسد رحاب ، ذلك الحيوان الوحش فى المحيط الأزلئ ، الذى انتصر عليه يهوه .^(٢)

James, op. cit., p. 161.

(١)

Id., op. cit., p. 197.

(٢)

وكان كهنتهم يقومون بالطقوس الدينية ويمسحون ومسطاء بين الإنسان ومعبوده ، ومن هؤلاء من امتازوا بالحكمة وبلغوا مرتبة عالية في التفكير وعرفوا باسم الأنبياء الذين نادوا بمبادئ إله واحد .

وقد مرت التوراة بمراحل متعددة ثم انتقلت إلى مرحلة التكوين وفيها جمعت مدونات تاريخية قبل المبنى وبعد . وعرفت مجموعة القوانين والقواعد والأحكام والوصايا والتعاليم باسم التلمود وينبغي أن نلاحظ أن هناك تلمودان : لورشليم وبابل ، والأورشليمي هو ما وضعه أخصائى لورشليم ويحتوى على ٢٩ بحثا بالعبرانية وقد كتب ابتداء من القرن الثانى إلى القرن الرابع الميلادى . أما للتلمود البابلى فقد بدأ به فى بغداد فى أواخر القرن الخامس الميلادى ويشمل ٣٦ بحثا بالأرامية . ويتألف التلمود من المقن والأحكام الدينية . وهذا الأخير هو الشائع حاليا بين اليهود .^(١)

بحر المظاهر الحضارية الأخرى :

على امتداد كل الشاطئ السورى ، أرض كنعان ، التى تشمل فينيقيا وفلسطين ، كانت تنتشر اللغة الأرامية ، التى لم تكتثر على الإطلاق . فهى اللغة التى كتب بها الكتف المقدس الذى دون فى فقرات مختلفة وبينما كنا فى حاجة إلى حل رموز اللغات السامية الأخرى القديمة ، لم تكن بحاجة لهذا الأمر بالنسبة للعبرية . واستخدمت العبرية (الأرامية) فى حل رموز تلك اللغات السامية القديمة ، وبعض أجزاء من الوصايا العشر كانت مكتوبة بالأرامية . وترك العبرانيون لغتهم واستخدموا اللغة الفينيقية وأبجديتها .^(٢) ولذلك يمكن القول بأن الفينيقيين أو أرض كنعان أعطت لإسرائيل لغتها . فعندما استقر بنو إسرائيل فى الموطن الجديد تركوا لهجتهم السامية القديمة . واتخذوا لهجة الشعب الذى عاشوا بينه وذلك لأن لهجتهم

(١) د. أبو المحاسن عصفور : معالم حضارات الشرق الأدنى القديم ، ص ١٧١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٦٩ .

كانت لهجة تخاطب فقط .

ولم يحترفوا للزراعة إلا بعد أن استقروا في أراضي خصبة وظل مسكان المناطق المرتفعة يعتمدون على الزراعة . وتعلموا الزراعة من الفينيقيين لأن العبرانيين دخلوا البلاد كبندو ورحل وتم انتقالهم من مرحلة الرعى إلى الزراعة بعد استقرارهم .^(١)

ثالثاً : تأثير العبرانيين بالمظاهر المجاورة :

لم يقتصر تأثير العبرانيين بالفينيقيين على المظاهر الدينية فصحب بل تأثروا كذلك بالمظاهر الحضارية الأخرى : ففي مجال العمارة مثلاً يقال أن مكان العبادة الذي شيده سيدنا سليمان قد خطط على نمط معبد فينيقي وزخرف بزخارف فينيقية ولم يشيده معماريون من العبرانيين أنفسهم بل شيده معماريون من صور . وكان القصر الملكي في أورشليم من عمل وصناعة الفينيقيين وزخرف بزخارف تمثل مسا كان موجودا لدى الآشوريين والسوريين القدماء فهي تمثل حيوانات لها رؤوس بشرية تحرس شجرة الحياة . وقطع الأحجار المكريمة وصناعة الحلى أخذوها من الفينيقيين . وتعلموا استخدام بعض الآلات الموسيقية التي استخدمت في سوريا .^(٢)

ومن التراث الأدبي الذي تركه الفينيقيون اقتبس العبرانيون كثيراً في تراثهم وادخلوا في كتاباتهم المقدسة بعض الأساطير التي تدور حول الصراع بين الخصب والجفاف أو بين الإنبت والموت ثم البحث مرة أخرى للحياة . حتى في مجال الشعر العبري نجد أنه أخذ الكثير مما كان معروفاً عند الفينيقيين ويمكن مقارنة نصوص العهد القديم بما جاء في قلتون حمورابي في كثير من المواد .^(٣)

(١) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ١٦٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٧٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٧١ .

أما التأثير الفكرى للحضارة المصرية على الفكر العبرى فنجد فى التشابه بين أناشيد اخناتون وبين مزامير سيدنا دلود وخاصة ١٠٤ كما وضع هذا التأثير أيضا فى المبادئ التى تضمنتها تعاليم لمنموت وتأثر بها العبرانيين فى سفر الأمثال لسيدنا سليمان ، فى اللفظ والمعنى ، بل وفى تقسيم الفقرات أيضا (١).

وايضا : الكتب الدينية وسير الأنبياء وشعوب أرض فلسطين :

إن الكتب الدينية التى يتداولها اليهود فيما بينهم ويعاملون للشعوب بمقتضاها ليست الكتب الحقيقية التى أنزلها الله عز وجل . فقد فقدت التوراة التى أنزلت على سيدنا موسى : " لنا أنزلنا للتوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتب الله " (سورة المائدة : الآية ٤٤) " ولقد أتينا موسى الكتاب " (سورة البقرة : الآية ٨٧ وهود : الآية ١١٠ والمؤمنون : الآية ٤٩ وفصلت : الآية ٤٥) " وإذا أتينا موسى للكتاب والفرقان لحكم تهتدون " (سورة البقرة : الآية ٥٣) " وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل " (سورة الإسراء : الآية ٢ ، نفس المعنى نجده فى المسجدة : الآية ٢٣) " ولقد أتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرنا للمتقين (سورة الأبياء : الآية ٤٨) . فالتوراة الحقيقية قد فقدت من قديم الزمان ، وضاعت بسبب الأحداث التى مرت ببني إسرائيل من قتل وتشريد ، وتدمير وتسلط الله عليهم من يسومهم سوء العذاب جزاء بغيهم وإفسادهم فى الأرض ، ولم تكن كتابا محفوظا فى الصدور والسطور كسائر الكرىم ، فلما ذهب أهل للكتاب لتدثر معالمه ولم يعد لها أثر .

إن التوراة التى بين أيديهم الآن هى توراة محرفة وليست هى التوراة الأصلية التى نزلت على سيدنا موسى عليه السلام وقام بتسجيلها . وقد فقدت هذه النسخة الأصلية عقب خروجهم من مصر . ويبدو أن أصل هذه النسخة كانت مكتوبة باللغة المصرية القديمة التى كان يجيدها سيدنا موسى بسبب نشأته فى مصر (٢) وكانت

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣٦٢ .

(٢) محمد قاسم : التناقض فى تواريخ أحداث التوراة من آدم حتى موسى بلبل ، القاهرة ١٩٩٢ ، ص ٥٥٢ .

أصغر حجما من ذلك بكثير وأمكن نقشها على حجران نقشا جيدا . وأنها كانت مقتصرة على الشريعة فقط . وكانت موضوعة في تابوت العهد حتى استولى عليها الفلسطينيون في نهاية فترة قضاء عالي الكاهن حوالي عام ١٠٧٦ ق.م . وظل عندهم سبعة أشهر ثم أرجعوه في زمن قضاء صموئيل . وظل في قرية يعازيم عشرين سنة حتى أحضره سيدنا داوود في احتفال كبير وأدخله إلى الخيمة التي نصبها له في مدينة داوود . وذكر أيضا أن سيدنا سليمان قد شيد معبدا (٢) ووضعه فيه . ولم يكن التابوت إلا لوحا الحجر اللذان وضعهما سيدنا موسى هناك في حوريب ، أما التوراة المتداولة الآن هي التي كتبها أثناء المنى البابلي الشهير عام ٥٨٦ ق.م . ووضعوا فيها كل ما يأملون فيه من مطامع في أراضى الغير وأهواء شخصية . كما صوروا الرب على أنه إله خاص بينى إسرائيل وحدهم . وهي مجموعة من الأسفار فيها تواريخ وأخبار كتبها اليهود بأيديهم ، ثم قالوا هي من عند الله ليشتروا به ثمنًا قليلا ، قال تعالى : ' فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل مما يكسبون ' (سورة البقرة : الآية ٧٩) . وهي ٣٩ سفرا (كتابا) يعترف اليهود بأن الخمسة الأولى منها هي للتوراة الحقيقية ، وكلها مجموعة في كتاب يسمى العهد القديم .

وتحتوى هذه الأسفار الـ ٣٩ على تواريخ وأخبار كتبها كهان اليهود بأيديهم ووصلت إلينا عن طريق الروايات والتقاليد المتواصلة ، وتعرضت مادتها نفسها لتطورات كثيرة من الانتقاء والحذف والتحقيق والضبط والتغيير والتبديل ، وكان هناك عدد من المعلمين الدينيين فضلا عن المؤرخين الذي ساهموا في تأليف أسفار العهد القديم . ' واتخذوا أخبارهم ورواياتهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهًا واحدًا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ' (سورة التوبة : الآية ٣١) . ويرى بعض العلماء أن بعض هذه الأسفار مثل العدد وما يليه ويشوع وسفر العهد أو الميثاق وكذلك الوصايا العشر كلها كانت موجودة كتابة قبل عام ٨٥٠ ق.م . تقريبا .^(١) أما آخر ما جمع ما جاء في سفر القداصة (اللاويين)

(١) د. عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ، ص ٤١٩ حاشية (١) و ٤٢١ ؛ د. بيومي مهران : دراسات في تاريخ العرب القديم ، ص ٢٩ ؛ عزه لروژه : تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ، ص ٩ - ١٦ .

وعالبا ما كان قبل السبي . ومن يقرأ الأسفار الخمسة الأولى التى تحتويها هذه للتوراة المحرفة وهى : التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية ، يندهش أشد الدهشة من كذب ودعوى اليهود وأباطيلهم البالغة . وعلى الرغم من انتشار وتداول أسفار العهد القديم بالملايين فى كل بقعة من بقاع الأرض وبكل لغة من لغات شعوب العالم تقريبا ، ألا ما تنطوى عليه هذه الأسفار الخمسة من أحداث لا يصفه معظم الناس ولا يوجد نسق تاريخى بينها فيتناول سفر التكوين قصة الخليفة وطوفان سيدنا نوح ومواليد ، ثم قصة نزوح سيدنا إبراهيم إلى أرض فلسطين وذريته فيها ثم نزوحه إلى مصر إلى نهاية قصة سيدنا يوسف وإقامته فى مصر . واحتوت أسفار الخروج والعدد والتثنية قصة ظهور سيدنا موسى ومعجزاته وخروجه مع بنى إسرائيل وظهورهم فى شرق الأردن .

واحتوت أسفار يشوع والقضاة وصموئيل والملوك ، وأخبار الأيام قصة بنى إسرائيل فى فترة ما قبل السبي الذى حدث فى بداية القرن السادس قبل الميلاد . واحتوت أسفار استير وعزرا ونحميا ودانيال وأرميا ويهوديت وطوبيا والمكابيين قصتهم أثناء السبي وبعدة .

ومن الأسفار الأخلاقية والتشريعية والتفصيلى (مثل أشعيا وأرميا وهوشع ودانيال وعاموس وصفيان) والتنبؤات والمرثى ، والرؤى ما هو متصل بحقبة بنى إسرائيل وحالتهم قبل السبي ومنها ما هو عائد إلى حقبة بنى إسرائيل أثناء السبي وبعدة .

وكان هناك معلم عبراني من نوع آخر هو الكاهن الذى كان يعلم التفسيرية ولكنه كان يعمل أكثر من أن يعلم . وكان يقوم بالمراسم عند المذبح ويجرى الطقوس ويعمل كوسيط بين الإنسان والله . وكان الكهنة يشكلون طبقة خاصة بين الأمم القديمة والكهانة عند العبرانيين كانت تنحصر فى أسرة هارون بصورة وراثية .

ومن المعلمين أيضا الرجل الحكيم . وكان الحكيم العبراني يخطب الفرد وليس الجماعة وكانت إدراك النجاح أكثر منها الحصول على رضى الرب .

وكتب الحكمة العبرانية الكبرى هي أسفار أيوب والأمثال والجامعة .^(١)

وكان هناك طبقة الأنبياء . وكلمة نبي تعنى في العبرية من يتكلم بالنيابة عن الله . وقد ظهرت النبوة كاحتجاج ضد عبادة بعل وسفر العبادات الأخرى . وكان غرضها من وجهة إيجابية تأكيد ديانة يهوه . وقد ظهر هذا النوع من الأدب النبوى بين عامى ٧٥٠ و ٥٥٠ ق. م . وكان يبحث عن طبيعة الله وصفاته وعلاقة الإنسان بالله . ومن المرجح أن سيدنا موسى وكذلك سيدنا داود كانا من أتباع هذه المرحلة من التوحيد . فقد كان يهوه بالنسبة لهما إله العبرانيين وحدهم وسيطرته كانت على أرض إسرائيل .

ولم يرفع الإله يهوه إلى تلك المكانة الفريدة كإله وحيد في العالم ربما لأنسه يتصف بالمحبة والمدالة والرحمة والغفران إلا في مستهل فترة النبوة .^(٢)

وقد لا يصحق إنسان أن راعيا من قرية بسيطة في يهوذا كان أول رجل لى تاريخ الفكر أدرك وحدة الله وصفته المالمية . وذلك هو عاموس من قرية تقوع (جنوبى بيت لحم) الذى أعلن رسالته حوالى ٧٥٠ ق. م . وقد كان عاموس نبيا يتكلم . وقد نشر رسالته في مملكة الشمال في عهد يربعام الثانى وكان عاموس أول من نظر إلى يهوه كإله شعوب أخرى غير بنى إسرائيل وإله عدالة اجتماعية .^(٣)

وفكر النبي أشعيا الذى بدأ نبوته علم ٧٢٨ ق. م . كما فعل عاموس على أساس التوحيد الفئرى . وكان يعتبر الآلهة المتنافسة لا قيمة لها ومن صنع الإنسان . وقد أحدث تقدما في تفكير عصره بالإصرار على تسمية الله ويليراز كماله . وكان أشعيا نبيا يتكلم عن قدوم المسيح . وكان هناك أشعيا الثانى وهو مؤلف الإصحاح ٤٠ إلى ٥٥ موحدا أيضا . وظهر بعد ذلك أرميا وكان نبيا كاتبا . واتصفت نبوته بالالام

(١) د. فيليب حتى : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ص ٢٢٨ - ٢٣٠ .

د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٤٠٨ - ٤٠٩ .

(٢) د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ٢٣٢ - ٢٣٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٣٣ .

التي رافقتها مدة طويلة (٦٢٦ - ٥٨٦ ق. م) وقد شهد مهاجمة نابوخذ نصر لأورشليم في ٥٩٧ ق. م . وتخريبه لها في ٥٨٦ ق. م . وكان أرميا موحدا ولكن توحيدة كان مكتملا وصليا أكثر من عاموس وأشعيا الثاني . وتضم فصول ٣٠ حتى ٣٣ من سفر أرميا أنبل تفكير في العهد القديم . ففيها يقطع يهوذا عهدا جديدا مع شعبه حيث يجعل شريعته في دلوهم ويكتبها على قلوبهم وليس على ألواح حجرية كما حدث في عهد آبائهم (١).

وكان لبعض الأنبياء العبرانيين الآخرين فضلهم ومساهماتهم فقد توصل هو شع الذي كان من المملكة الشمالية ونشر تعاليمه بين ٧٤٥ و ٧٣٥ ق. م . إلى الفكرة السامية التي مؤداها ان الله محبة .

والنبي ميخا الذي نشر تعاليمه بين ٧٣٠ و ٧٢٢ ق. م . وكان معاصرا لأشعيا ومدافعا عن الفقير الذي كان يراه يتألم من الظلم وقلة العدل .

وقد أظهر النبي حزقيال شعورا بالمثل العليا الأخلاقية . وكان حزقيال معاصرا لأرميا (٢).

ومن أهم المؤلفات الكبرى بعد التوراة يأتي التلمود الأورشليمي الذي جمعه من القرن الرابع ميلادية ولم يبلغ في شهرته وأهميته درجة التلمود البابلي . ومن أقدم الحاخامات الذين اعترف بهم كمرجع هام في تفسير التوراة هو هلال الذي ولد في بابل وعاش في أورشليم وتوفي عام ٩ ميلادية . ومن كلماته الحكيمة :

“ لا تعلم لساتر الناس ما تجده قبيحا بالنسبة لك ” .

ومن أشهر أقواله : “ لا تعلم للآخرين ما لا تريد أن يفعلوه لك ” (٣).

(١) د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ٢٣٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٣٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٣٧ .

وجاء في سورة السجدة : " وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا
وكانوا بلآيتنا يوقنون " (الآية : ٢٤)

الحلائل على تهريبه التوراة :

جاء في سفر التثنية الفصل ٥٤ " فمات موسى عبد الرب في أرض مواب
ودفن بها ، وكان ابن مائة وعشرين سنة . ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل سيدنا موسى
" فمن أين جاءت بخبر انتقال سيدنا موسى ودفنه في أرض مواب . لما الله جل جلاله
لقد صوره في سفر التكوين الفصل ٢ ، ٢٤ كإسنان يتعب ويستريح فتقول :

" أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام واستراح في اليوم
السابع (يوم السبت) " وقد رد الله سبحانه وتعالى على اقترانهم بقوله :

" ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما معسنا من
لغوب " (سورة البقرة : الآية ٣٨) .

كما وصفته بالبخل والنفق ، فرد الله عليهم اقترانهم ولعنهم به فقال :

" وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان
يتفق كيف يشاء " (سورة المائدة : الآية ٦٤) . وقال كذلك :

" لقد سمع الله قول الذين قالوا أن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا
واقلمهم الأنبياء بخير حق ونقول نوحوا غلب الحريق " (سورة آل عمران : الآية
١٨١) .

وأما اليوم الآخر فلا وجود له في هذه التوراة ، فقد خلت من مجرد ذكره
فضلا عن إثباته ، وإقامة الأدلة على إمكانه ، والدعوى للإيمان به ، وخلت من ذكر
الجنة والنار والحساب يوم القيامة ، وكل ذلك من أصول الإيمان التي جاء بها كل
نبي ورسول ، وعليها يعتمد على دين مملو .

وقد جعلت الجنة التي يثيب الله بها على الطاعات هي الحياة على أرض فلسطين كما جعلت النار التي يعاقب بها على السيئات هي الطرد من أرض فلسطين فقد جاء في سفر التثنية الإصحاح ٥ - ٦ - ٧ - ٨ - ٢٥ :

(أ) أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك ولكي يكون لك خير على الأرض التي يعطيك الرب إلهك .

(ب) احفظ وصاياي وأعمل بفرائضي لكي تحيوا وتكثروا وتنعشوا وتمتلكوا الأرض التي أقسم الرب لأبائكم .

(ج) إن لم تحفظ فرائضي بوصاياي يطردك الرب إلهك من الأرض التي وعد آبائك .

فلين هذا من قول آيات القرآن الكريم : " إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار والذين كفروا يتمتعون ويكفون كما تساكل الأعمام والنار مثوى لهم " (سورة محمد : الآية ١٢) .

وهي ترفع العصمة عن الأنبياء وتنسب إليهم كباثر الإثم والقولحش كما نسب إلى سيدنا نوح وإبراهيم وإسمحاق ويعقوب ودلود وسليمان ما لا يليق أن ينسب لإنسان عادي فضلا عن نبي جعله الله أسوة حسنة للناس أجمعين (سفر التكوين ١٥ وما بعده) .

ونسوق مثالا واحدا لما تنسبه هذه التوراة لسيدنا موسى فقد جاء فيها (الخروج إصحاح ٢) :

" قال موسى لبني إسرائيل عند خروجهم من مصر : لا تمضوا فارحين بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتلبسون المصريين " .

ومحال أن ينزل الله على سيدنا موسى كتابا يأمر فيه بالخيانة وهو الذي أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم :

" إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل " (سورة النساء : الآية ٥٨) .

وحسبك من الأحكام هذه الأمثلة التي يكفى ولحدا منها للدلالة على أنها ليست من عند الله :

كما جاء في سفر التثنية ١٩ : " للأجنبي تفرض برياً ، لكن لأخيك لا تفرض برياً " وعدد حاخامات اليهود إلى تحريفها لتناسب طبيعتهم الشريرة التي تمسك بالهدم وتحقق أغراضهم السياسية ، وهذه القنطرة مليئة بما يعسر عن ذلك أصدق تعبير (١) . وقد كتبه اليهود بأيديهم لإثارة شعبهم وربطهم بأرض الميعاد في فلسطين .

ولقد جاء في سفر التكوين : الإصحاح ٧٥ : ٧ :

" في ذلك اليوم قطع مع أبرام - آي : إبراهيم - ميثاقاً قاتلاً : لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات " " لأكون إلهاً لك ولنسلك من بعدك . وأعطى لك ولنسلك من بعدك أرض عريتك كل أرض كنعان ملكاً أبدياً " . قال المؤرخ أرنولد توينبي : إذا كان العالم كله ينتسب لرب العالمين ويخضع لإرادته ، فإن الهدف الأعلى لهذه الإرادة لا يمكن أن يكون إعادة تأسيس دولة يهودية على أرض فلسطين ، لأن هذا لا يكن الهدف الأعلى لإله قومي خاص فقط . وقد جاء في سورة الأنبياء " ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون " (الآية : ١٠٥) .

ويصر علماء المسلمون هذه الآية بأن الأرض هي أرض فلسطين المقدسة وأن عباد الله الصالحين هم أمة الإسلام .

(١) خالد الحك : المرجع السابق ، ص ١٠٣ .

وجاء في سفر التثنية الإصحاح ٧ :

" متى أتى الرب إلهك إلى الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها ، وطرد شعوبا كثيرة من أمامك ، ودفعهم الرب إلهك أمامك وضربتهم وخربتهم فإنيك تحرمهم ، لا تقطع لهم عهدا ولا تشفق عليهم " .

وجاء في سفر التثنية أيضا الإصحاح ٢٠ :

" حين تقترب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح ، فإن أجابته فكل الشعب الموجود فيها يكون للتسخير ويستعبدون لك . وإن لم تسألك بل حملت معك حربا فحاصرها ، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف " .

بهذه المفاهيم تصور التوراة اليهودية معاملتهم للآخرين .^(١) وإن هذا من قول الله عز وجل :

" وإذا أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالأولادين إحسانا وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتهم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون " (سورة البقرة : الآية ٨٣) .

أما التوراة الحقيقية التي أنزلها الله على سيدنا موسى ، فهي التي تدعو إلى الهدى والنور ويحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا ، مصداقا لقوله تعالى :

" أنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأخبار بما استحفوا من كتاب الله وكنوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون - ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا " (سورة المائدة : الآية ٤٤) . ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحست أرجلهم منهم أمة معتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون " (المسورة نفسها : الآية ٦٦) .

(١) خالد العك : المرجع السابق ، ص ١٠٣ .

لقد جاء سيدنا موسى بالهدى :

" وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وأتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين " (سورة المائدة : الآية ٢٠) .

خامسا : الأنبياء الثلاثة الذين شرفهم بهم أرض فلسطين ومصر :

وفى الواقع أنه خلال تاريخ مصر القديم وأثناء فترات حكم بعض ملوكها ، وفد إليها كذلك بعض أنبياء ورسول الله عز وجل يبلغون رسالات ربهم . وكان لهم دور كبير فى عقيدة الوحشية بالله سبحانه وتعالى ونشأت تطورات فى العلاقات بينهم وبين بعض ملوك مصر القديمة الذى لا نعرف أسماءهم وعصورهم وارتبطت سير هؤلاء الأنبياء وأحداث عصورهم بأرض فلسطين وشبه الجزيرة العربية أيضا . وهم سيدنا إبراهيم أبو الأنبياء ، وسيدنا يوسف ، وسيدنا موسى عليهم السلام جميعا . وقد جاء سيدنا إبراهيم إلى مصر واستقر فيها فترة وبعد أن عاد سيدنا إبراهيم إلى أرض فلسطين ، أنجب سيدنا يعقوب الذى جاء هو وعشيرته بحثا عن مورد للرزق الدائم فى ربوعها ثم جئ بسيدنا يوسف صغيرا إلى مصر وولد بها سيدنا موسى عليه السلام .

والغريب أن نقوش الأكار لا تزال على صحتها إزاء مجئ سيدنا إبراهيم إلى مصر وكذلك مجئ سيدنا يوسف وكبره فيها وعظم شأنه فيها ودوره الدينى فيها . ونشأة سيدنا موسى وتبليغه برسالة الإيمان على أرضها وما حدث له من قبل الممنول - فرعون والمعجزات التى أتى بها ثم أحداث الخروج وما تلاها من وقائع . ولكن على العكس نجد أن آيات القرآن الكريم التى هى أصدقها وأصحها على الإطلاق عن سير الأنبياء تتناول دورهم بالتفصيل وعندما تتعرض آيات القرآن الكريم للتقصص الدينى فإنما هى للعبارة والعظة لبئسى الإنسان فى ماضيه وحاضره ومستقبله .

وفى الواقع أن المعجزات الربانية لا تحتاج إلى إشارة أو سرد فى نقوش هى أصلا من صنع البشر .

ولذلك سوف نتحدث عن هؤلاء الأنبياء الثلاثة من واقع آيات القرآن الكريم وكيف ربطت آيات القرآن الكريم بينهم وبين رسالات الإيمان برب العالمين التي نادوا بها وبين شعوب المناطق التي تولدوا فيها وخاصة مصر .

سيدنا إبراهيم أبو العبيد :

سوف نتحدث عنه أولاً : نظراً لارتباط سيرته المعطرة بأكثر من بلد في الشرق القديم : بلاد النهرين ، وفلسطين ، ومصر ، وشبه الجزيرة العربية حيث أسره الله عز وجل ببناء الكعبة أي البيت الحرام . ولن سيدنا إبراهيم كان ينسب ، وسيدنا إسماعيل يرفع له الحجارة حتى أتماه " وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا نقول من أنك أنت المسموع العليم " (سورة البقرة : الآية ١٢٧) . وهو الذي أذن في الناس بالحج إلى هذه البقعة المقدسة " ولكن في الناس بالبعج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق " (سورة الحج : الآية ٢٧) .

وهو الذي نادى بالحنيفية التي كانت تمهيدا لرسالة الإسلام لكل الناس ، فالإسلام ليس مقصوراً على الجنس العربي أو لم يربوا إلا لبلاد العرب ولكن للبشر أجمعين . ومن مبادئه عليه السلام جاء الصالحون والبر . فقد أجمع المورخون على أن قريشاً الذين منهم قصي بنى كلاب ، الجد الرابع لسيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام ، هم من لد كلفة ، الذي يرجع نسبه إلى عدنان وينتهي إلى سيدنا إسماعيل عليه السلام . وإلى ذلك يشير الحديث الذي أثر عن سيدنا رسول الله : ' اختار الله من إسماعيل كلفة ، واختار قريشاً عن كلفة واختار بنى هاشم من قريش ، واختارني من بنى هاشم ، ففأخيار من خيار من خيار ' .^(١)

(١) د. حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ،

كما أن العرب يجمعون على أنه من لد سيدنا إسماعيل ، وبفوا على ذلك أنسابهم ، وظهرت فيه عصيقتهم واضحة جليلة ، فمن أولاد سيدنا إسماعيل الاثنى عشر ومنهم تفرعت بطون كثيرة .^(١)

حدثنا العهد القديم في سفر التكوين طويلا عن سيرة سيدنا إبراهيم عليه السلام وقد أوضح أنه ولد في أور في بلاد النهرين وأنه من ولد سام بن نوح ، وأنه خرج من أور وذهب إلى أرض حران (تقع على أحد فروع نهر الفرات) وأقام هناك فترة ومن هناك ذهب إلى أرض كنعان وأنه أقام ما شاء الله أن يقيم في أرض كنعان ثم رحل عنها صوب أرض مصر بسبب مجاعة حلت بأرض كنعان . وقد جاء خليل الله عليه السلام إلى مصر مع زوجته سارة ، وتذكر التوراة أنه عاد منها ببقر وعنم وحمير وعبيد وإماء واستقر في كنعان مرة أخرى .^(٢)

ولكن نقول الرد على ما جاء في العهد القديم أن سيدنا إبراهيم عندما جاء إلى مصر ليصيب من خيرات أرضها ، فإنه جاء أيضا لسمع ما يقول أحبارها فسي أمر الله .^(٣) وجاء كذلك لدعوة دينية ليبين لأهل مصر سبل الهداية والإيمان بالله عز وجل :

وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضسل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم " (سورة إبراهيم : الآية ٤) .

" رب اجعلني مقيم للصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء " (سورة إبراهيم : الآية ٤٠) .

(١) د. حسن إبراهيم : المرجع السابق ، ص ١٢ - ١٣ .

(٢) عزه دروزه : تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ، ص ٢٦ - ٦٤ ؛ د. عبد الحميد زايد : الشرق للخلد ، ص ٣٧٤ ، ٤١٦ - ٤١٩ .

(٣) د. بيومي مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم ، الجزء الأول ، ص ١٣٥ حناية (٢) ، ص ١٣٦ - ١٣٧ .

وجاء فى المشنا التى تشتمل على تفسيرات التوراة ، والمدرش التى هى عبارة عن شروح الفقهاء لكتب التوراة الخمسة (التكوين والخروج واللاويين والمعد والثنىة) ما يشير إلى سيدنا إبراهيم ^(١) . وجاء فى هذه الكتب " انه لما كبر سيدنا إبراهيم ذهب إلى أرض بابل وبدأ بالدعوة من هناك إلى الله الإله الأحد رب السموات ورب الأرباب ورب نمرود (الملك) وأنذرهم أن يتركوا عبادة الأصنام التى صنعوها على مثال نمرود " ، " فإن له فما ولكنه لا ينطلق وعينا ولكنه لا يبصر ، وأذنا ولكنه لا يسمع وكفما ولكنه لا يسمي " ^(٢) . وكل هذه الكتب بما فيها التوراة او العهد القديم كانت موجودة كتأية قبل عام ٨٥٠ ق.م تقريبا ^(٣) .

أما عن العقائد التى ظهرت فى العهد الجديد مع المسيحية وهى الأنجيل الأربعة وأقوال الرسل والحواريين ، فهى تشير إلى أن رسالة سيدنا إبراهيم روحية وليست جسدية . وجاء فى الإنجيل الثانى من لوقا أن السيد المسيح قال لليهود : " لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم " ^(٤) .

وقد وردت اخبار سيدنا إبراهيم فى سور كثيرة فى القرآن الكريم (فى سورة البقرة ، آل عمران والأعام وهود وإبراهيم ومريم والنحل والأنبياء والحج والصفات والذريات وغيرها) .

وتفبرنا الآيات أولا أن والده أزر كان يصنع الأصنام التى يعبدونها قومهم : ولكن سيدنا إبراهيم لم يكن راضيا عن الوضع ولا عم عمل والده . إذ رأى فى عبادة الأصنام شيا منكرا .

وإذ قال إبراهيم لأبيه أزر أنتخذ " آلهة إني أراك وقومك فى ضلال مبين " (الأعام : الآية ٧٤) .

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٤١٩ - ٤٢١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٢٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤١٩ حاشية (١) .

(٤) المرجع السابق ، ص ٤٢٢ .

وتحدثنا ثانيا عن إيمانه وهديته : " كذلك نرى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين " . (سورة الأنعام : الآية ٧٥) ، " إني وجهت وجهي للذي في السماوات والأرض حنيئا وما أنا من المشركين " (سورة الأنعام : الآية ٧٩) ، " وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال لو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي " (البقرة : الآية ٢٦٠) ، " إن إبراهيم كان أمة قاتنا لله حنيئا ولم يكن من المشركين شاكرا لا نعمة لاجتباؤه وهده إلى صراط مستقيم " (النحل : الآيات ١٢٠ - ١٢١) ، " ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب لمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون " (سورة الحديد : الآية ٢٦) .

وتحدثنا ثالثا عن استمرار سيدنا إبراهيم في دعوة أبيه وقومه لترك عبادة الأصنام إلا أنهم أسروا على ما هم عليه :

" إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون قالوا وجدنا آبائنا عليها عابدين قال لقد كنتم أنتم ولآباؤكم في ضلال مبين " (الأنبياء : الآيات ٥١ - ٥٤) ، " إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون أفلكم آلهة دون الله تريدون " (الصافات : الآيات ٨٥ - ٨٦) ، " إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا ، يا أبت أنى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك ، فاستبعنى أهدك صراطا سويا " ، " قال أراغب أنت عن آلهتى يا إبراهيم لئن لم تقتله لأرجمنك وأهجرنى مليا " (مريم : الآيات ٤٢ - ٤٣ ، ٤٦) .

وتحدثنا رابعا عن تحطيم إبراهيم عليه السلام للأصنام : أنصرف إبراهيم عن والده حتى لا يشاركه في صناعة التماثيل وعمل على نشر دعوته بين قومه مبينا لهم إن الأصنام لا تبصر ولا تتحرك ولا تضر . ولكنهم اسعوا في الضلال ، مما دفعه إلى انتهاز فرصة غيابهم وحطم الأصنام إلا كبيرهم أبقاه .

" وتالله لأكيدين أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون ، قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين قالوا مسمعتنا قسى يذكرهم يقال له إبراهيم ، قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون ، قالوا أأنست

فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون *
(الأنبياء : الآيات ٥٧ - ٦٣) .

وتحدثنا خامسا عن تصميم القوم على إلقاء سيدنا ابراهيم في النار عقابا له
على ما أرتكبه في حق آلهتهم :

* قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين قلنا يا نار كوني بردا وسلاما
على ابراهيم ولأولوا به كيذا فجعلناهم الأхسرين * (الأنبياء : الآيات ٦٨ - ٧٠) .

وتحدثنا سادسا : عن ذرية سيدنا ابراهيم إسماعيل واسحق ويعقوب :

* الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل واسحق ابن ربي لسمع
الدعاء * (ابراهيم : الآية ٣٩) ، * وامراته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن
وراء إسحاق يعقوب قالت ياويلتي ألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا ان هذا لأشئ
عجيب * (هود : الآيات ٧١ - ٧٢) ، * ووهبنا له اسحق ويعقوب نفلة وكلا جعلنا
صالحين * (الأنبياء : الآية ٧٢) ، * وجعلناهم أئمة يهودن بلأمرنا ولأوحينا إليهم فعل
الخيرات وأقم الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين * (الأنبياء : الآية ٧٣) *
وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا * (مريم : الآية ٤٩) ، * ولذكر في الكتاب
إسماعيل انه كان صابقا للوعد وكان رسولا نبيا وكان أباه صالحا ورزقا
وكان عند ربه مرضيا * (مريم : الآيات ٥٤ - ٥٥) ، * فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب
والحكمة وأتيناهم ملكا عظيما * (سورة النساء : الآية ٥٤) ، * وبشرناه بإسحاق نبيا
من الصالحين وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين *
(الصافات : الآيات ١١٢ - ١١٣) .

تزوج سيدنا ابراهيم هاجر وولدت له إسماعيل عليه السلام ن وبعدها رحل
بها مع طفلها إلى حيث أراد الله ان يسكنهما في واد غير ذي زرع في مكة ، وكانت
هذه رحلة ابراهيم عليه السلام الأولى إلى مكة وهذا ما تحدثنا عنه سابعاً آيات
القرآن :

* وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام
رب أنهن أضللان كثيرا من الناس فمن تبعتني فلقه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم
ربنا غني أسكنت من ذريتي بواد غير زرع غد بينك المحرم ربنا ليقوموا الصلاة
فاجعل الفضة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون * (إبراهيم :
الآيات ٣٥ - ٣٧) .

عاد سيدنا إبراهيم مرة ثانية إلى مكة للاطمئنان على زوجته وأبنه ن وهناك
في مكة رأى في المنام أن الله يأمره بذبح ابنه إسماعيل فاستبشرا بالإيمانه بإله وتنفذا
لأوامره ولما عرض على ابنه المر أجابه مستسلما لأمر الله ، لكن الله تعالى أنزل
كفشا من السماء فداه لسيدنا إسماعيل عليه السلام وهذا ما تحدثنا عنه ثامنا آيات
القرآن :

* فلما بلغ معه السعي قال يا بني أتني لرى في المنام أتبعك فَأَنْظِرْ مَلَا
ترى قال يا أبت أفعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين فلما أسلما وتله
للجبين وناديا أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا فإنا كذلك نجزي المحسنين إن هذا لسهو
البلاء المبين وفاديا بذبح عظيم * (الصافات : الآيات ١٠٢ - ١٠٧) .

وعندما وجد إبراهيم عليه السلام أن زوجته هاجر قد توفيت ، رحل للمرة
الثالثة إلى مكة ، وفي هذه المرة أمره الله عز وجل ببناء الكعبة فتمولون مع ولده
إسماعيل على بناتها وهذا ما تحدثنا عنه على بناتها وهذا ما تحدثنا عنه تاسعا آيات
القرآن :

* وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا أنك أنت
المسيح العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا منا سكنا ونحب
طينا أنك أنت الثواب الرحيم * (البقرة : الآيات ١٢٧ - ١٢٨) .

* إن أول بيت وضع للناس للذي بمكة مباركا وهدى للعالمين ، فيه آيات
بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا والله على الناس حج البيت لمن استطاع إليه
سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين * (آل عمران : الآيات ٩٦ - ٩٧) .

" وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت غلا مشركه بي شيئا وطهر بيته للطائفين والقائمين والركع السجود وإذ في الناس بالحق يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج صيق " (الحج : الآيات ٢٦ - ٢٧) ، " وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيته للطائفين والعاكفين والركع السجود " (البقرة : الآية ١٢٥) .

وأخيرا تحدثنا آيات القرآن في عائش عن دين مدينا إبراهيم ومنازل الأديان وأخصها الإسلام : " يا أهل الكتاب لم تعاجون في إبراهيم وما نزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون " (آل عمران : الآية ٦٥) ، " ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن حنيفا مسلما وما كان من المشركين " (آل عمران : الآية ٦٧) ، " ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا ، وما كان من المشركين " (سورة النحل : الآية ١٢٣) ، " قل فتنى هداني ربي إلى صراط مستقيم ديننا قديما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين " (سورة الأنعام : الآية ١٦١) .

" وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين " (سورة البقرة : الآية ١٣٥) ، " قل صدق الله فاقبلوا ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين " (سورة آل عمران : الآية ٩٥) .

" ومن أحسن ديننا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا واتخذ الله إبراهيم خليلا " (سورة النساء : الآية ١٢٥) .

" هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم هو سبيلكم المملمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم " (سورة الحج : الآية ٧٨) ^(١) " ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه نبي الدنيا وأنه في الآخرة لمن الصالحين ، إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ، ووصى بها إبراهيم بنبيه ويعقوب وإبنى أن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي

(١) د. حسن إبراهيم : المرجع السابق ، ص ١٧١ - ١٧٢ .

قللوا نعبد إلهك وغلّه أبائك إبراهيم وإسماعيل واسحق إليها واحدا ونحن له مسلمون * (سورة البقرة : الآيات ١٣٠ - ١٣٣) .

كما تحدث المؤرخين القدامى والمؤرخين في العصر الحديث ومختلف العلماء والباحثين عن سيدنا إبراهيم عندما تعرضوا لدراسة تساريف الشرق القديم ومنهم : يوسفوس اليهودي ونقولا الهمشقي في الكتاب الرابع من تاريخه وأبو الفداء الذي عاش في القرن الثامن الميلادي ولخص سيدنا إبراهيم بدقة معتمدا على مصادر قديمة (١) . ومن الجانب ابنجدون وهالي وأوليريت وغيرهم (٢) . وملخص ما جاء عند أبو الفداء هو ما يلي :

هو إبراهيم بن تارح ن وهو أزر بن ناحور .. وولد إبراهيم بالاهواز ، وقيل بابل . وهي العراق ، وكان أزر يصنع الأصنام ويعطيها لإبراهيم ليبيعها فكان إبراهيم يقول : من يشتري ما يضره ولا ينفعه . ثم لما أمر الله إبراهيم أن يدعو قومه إلى التوحيد دعا أباه فلم يجبه ن ودعا قومه فلما قتل امرء وتصل بنمرود بن كوش وهو ملك تلك البلاد ، فاختلج نمرود إبراهيم الخليل ورماه في نار عظيمة فكانت النار عليه بردا وسلاما وخرج إبراهيم من النار بعد أولم ، ثم آمن به رجال من قومه على خوف من نمرود وأمنت به سارة وهي ابنة صه هاران . ثم أن إبراهيم ومن آمن معه وأباه على كفره فارقوا قومهم وهاجروا إلى حران وأقاموا بها مدن . ثم سار إبراهيم إلى مصر وصاحبها (أي حاكمها) فرعون قيل كان اسمه سنن بن علوان ، وقيل طوليس فذكر جمال سارة لفرعون وهو طوليس المذكور . فاحضرت سارة إليه وسأل إبراهيم عنها فقال : هذه أختي ، يعني في الإسلام . فهم فرعون المذكور بها فأبى الله يديه ورجليه ، فما تخلى عنها أطلقه الله تعالى ، ثم هم بها (مرة أخرى) فحدث له نفس الشيء ، فأطلق سارة وقال : لا ينبغي لهذه أن تخدم نفسها ، ووهبها هاجر جارية لها ، فأخذتها وجاءت إلى إبراهيم ثم رحل إبراهيم من مصر إلى الشام فأقام بين الرملة وابليا ، وكانت سارة لا تلد ، فترج إبراهيم السيدة هاجر المصرية

(١) د. عبد الحميد زليد : المرجع السابق ، ص ٤٢٨ - ٤٣١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٢٢ - ٤٢٤ .

فولدت له إسماعيل فحزنت سارة لذلك فرزقها الله إسحق ثم غارت سارة من هاجر وابنها إسماعيل . وقالت " أن ابن الأمة لا يرث مع ابني " وطلبت من إبراهيم أن يخرجها عنها . وأخذ إبراهيم هاجر وابنها وسار بهما إلى الحجاز ، وتركهما بمكة وبقي إسماعيل بها وتزوج من جرم امرأة وتوفيت هاجر بمكة ، وقدم إليه أبوه إبراهيم وبني الكعبة ، وهي بيت الله الحرام ، ثم أمر الله إبراهيم أن يذبح ولده ، وقد اختلف في الذبيح هل هو إسحق أم إسماعيل ، وقدها الله بكبش . وكان إبراهيم في أواخر أيام بيور اسب المسمى بالضحك ، وفي لوائل ملك الفريزون ، وكان نمرود عاملا له .^(١)

ويذكر د. زايد أن المصادر اليهودية ناقصة فيما يخص أخبار من جاورها من الأمم . ولدينا على ذلك أن كتب اليهود لم تشر إلى قوم عاد وثمود وذكروا في آيات القرآن وقد جاء اسمهما في جغرافية بطليموس . وكان أمرهما مجهولا مقصودا أيضا .

ارتبط تاريخ سيدنا إبراهيم بتاريخ بعض الدول في منطقة الهلال الخصيب وفي فلسطين وكان على علاقة تامة بالحجاز . وعلى ذلك فقد نشأ إبراهيم في أور وانتقل إلى مدينة آشور ، لكن لم تطل إقامته هناك . وبدأت دعوته في هذه البقعة من الشرق ثم انتقل بدعوته إلى حبرون وخليج العقبة وإلى الحجاز . وقد شهد إبراهيم عصره عبادات كانت قائمة في بلاد النهرين وفي وادي النيل . وكان ينتقل بين دول تنتشر فيها عبادات عديدة وظهر للخليل إبراهيم على مفترق الطرق وجاهر بالوحدانية في هذه الدول ، لقد اتجه إبراهيم للخليل إلى الحجاز حيث اتجه أصحاب الدعوات النبوية ، وقد تعمدت المصادر اليهودية إغفال تلك القبلة التي اتجه عليها أبو الأنبياء إبراهيم وتعلقوا ببيت المقدس وإن إغفالهم ذلك الاتجاه نحو الكعبة كان سببا في إسقاط حجتهم في إقامته في بيت المقدس^(٢)

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٤٣٠ - ٤٣١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٣١ - ٤٣٦ .

اختلف العلماء في تاريخ ميلاد أو ظهور سيدنا إبراهيم فيرى البعض انه كان بين سنة ٢٣٠٠ و ٢٠٠ ق.م^(١) . ويرى البعض الآخر انه كان حوالي عام ١٩٩٦ ق.م^(٢) . ويرى فريق ثالث انه كان قبل قيام مملكة إسرائيل بألف سنة^(٣) . ويرى فريق رابع أن مولده كان بين أعوام ٢١٦١ و ١٩٨٦ ق.م^(٤)

وجاء في سفر التكوين (٢٣) * عن إبراهيم دفن في مغارة المكفلة المشتراه من حثي : وهذه أيام سني حياة إبراهيم التي عاشها : مائة وخمسة وسبعون سنة ، واسلم إبراهيم روحه ومات بشيئة سالمة ن وانضم إلى قومه . ودفنه إسحاق وإسماعيل ابناه في مغارة المكفلة في حقل عفرون بنى صوحر الحثي الذي اسام ممرا^(٥) .

عاد إبراهيم عليه السلام إلى فلسطين وتوفي فيها ودفن في مدينة حبرون التي حملت اسمه فيها بعد (الخليل) وأقيم عند قبره مسجد عرف بالحرم الإبراهيمي . ويرى بعض العلماء أن سيدنا إبراهيم انتقل إلى الرقيق الأعلى في عام ١٧٦٥ ق.م . وكان عمره ١٧٥ سنة^(٦) .

ونقول في النهاية عن سيدنا إبراهيم ، وهو أبو الأنبياء الورعين والذين يشكل تاريخ حياته تراثاً دينياً وروحياً لا يجب إهماله في قضايا تاريخية غير مؤكدة واعطاء التفسيرات الخاصة بسيرة حياته للمطهرة بمدا تاريخياً .

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٤٢٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٢٤ ؛ د. بيومي مهران : المرجع السابق ، ص ١٧٩ ، ١٩٤ يعطى كتاريخ لظهور سيدنا إبراهيم ١٩٤٠ - ١٧٦٥ ق.م وكلها تواريخ غير مؤكدة .

(٣) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٤١٩ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٤٤٨ ؛ د. حسن إبراهيم : المرجع السابق ، ص ١٢ حاشية (٢) ، ص ٤٦ ، ٧٥ .

سيدنا يوسف :

تحدثنا في مقالة سابقة عن تفسير سورة سيدنا يوسف من خلال اللغة المصرية القديمة ^(١) . وسورة يوسف هي إحدى السور المكية التي تناولت قصص الأنبياء ، وقد أفردت الحديث عن نبي الله يوسف بن يعقوب وما لاقاه عليه السلام من أنواع البلاء ، ومن ضروب المحن والشدائد ، ومن أخواته ، ومن الآخرين ، في بيت عزيز مصر ، وفي السجن ، حتى نجاه الله من كل هذه المحن والمواقف الصعبة .

وسورة يوسف من السور التي نتحدث عن بيئة تاريخية معينة جرت أحداثها في فلسطين ومصر ، وبهنا هنا الفترة المصرية من القصة أي ابتداء من شراء عزيز مصر ليوسف من القافلة التي التقطته من الجب ، وأغراء امرأة العزيز له ن ودخوله السجن ، وتصيره للأحلام ، وإخراجه من السجن ، ولقائه بملك مصر ، وتعيينه أميناً على خزائن الأرض (أي أرض مصر) ، ثم مجيئه لحوته عليه وتعرفهم عليه وأخيراً استدعاه أبويه ، ورفعها على عرش مصر .

وجاء ذكر حدث بيع سيدنا يوسف في مصر في نهاية الإصحاح ٣٧ من سفر التكوين .

ويرى البعض أن سيدنا يوسف جئ به إلى مصر عام ١٣٧٢ ق.م ^{(٢) (٣)} . وتولى سيدنا يوسف أمر خزائن مصر وكان عمره ٣٠ سنة في بداية السنة الأولى للثبوع . وقابل أباه سيدنا يعقوب في السنة الثانية للمجاعة أي عمره ٣٨ . وكان عمر سيدنا يعقوب عند دخول مصر ١٣٠ سنة . وإن بداية السنة الأولى للمجاعة وحضور أخوته إلى مصر وتعرف سيدنا يوسف عليهم ولكنهم لم يعرفوه كلن في عام

(١) د. رمضان السيد : أضواء جديدة على تفسير سورة يوسف ، في مجلة دراسات

عربية وإسلامية ، الجزء الثامن ، القاهرة ١٩٨٩ ، ص ١٤ - ٥٧ .

(٢) محمد قاسم : التناقض في تواريخ وأحداث التوراة من آدم حتى سبي بابل ،

القاهرة ، ص ٩٢ .

١٣٥٢ ق.م . وانتقل سيدنا يوسف عام ١٢٧٩ ق.م . وعاش سيدنا يوسف ١١٠ سنة .

ومما يلاحظ على سبيل القرآن الكريم لقصص الأنبياء والأمم السابقة ، استخدامه لبعض مفردات وتعبيرات من بيئة أصحابها ، ولا شك في أن هذا الجانب يعتبر أحد جوانب الإعجاز في القرآن الكريم ومدى دقة وأحكامه في نقل وقائع حدثت من زمن بعيد جدا عن فترة الرسول صلى الله عليه وسلم . وتتميز سورة يوسف على نحو خاص بأنها من أكثر سور القرآن الكريم تمثيلا لهذه الظاهرة . ولا معنى هذا مطلقا أن القرآن الكريم قد استخدم ألفاظا أجنبية ، أو غير عربية ، لأن كل هذه الألفاظ المصرية القديمة وغيرها كانت قد دخلت إلى اللغة العربية ، وأصبحت جزءا من نسيجها المتين .^(١)

وكانت رسالة سيدنا يوسف وموسى واضحة الأهداف في مصر بالتمسبة للإيمان وعبادة الله وحده " ذاكما ما علمني ربى ، انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون ، واتبعتم ملة أبائى إبراهيم واسحق ويعقوب ما كان لنا ان نشرك بالله من شئ ذلك من فضل الله علينا وعلى للناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ، يا صاحبي السجن أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار . ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون " (سورة يوسف : الآيات ٣٧ - ٤٠) . " ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتكب (سورة غافر الآية ٣٤) .

ويرى بعض العلماء أن عشيرة سيدنا يعقوب كانوا وقت دخولهم مصر اثني عشر رجلا ، وأنهم دخلوها في عصر الهكسوس^(٢) . ويرى بعض العلماء أن مجيء

(١) د. رمضان السيد : المرجع السابق ، ص ١٥ .

(٢) د. بيومي مهران : المرجع السابق ، ص ٨٢ د. رزق الطويل : بنو إسرائيل في القرآن ، ص ١٧١ ؛ وأيضا :

سيدنا يوسف إلى مصر كلن في عام ١٢٧٢ ق.م . تقريبا وهذا يوافق بداية حكم إخناتون (١٣٧٢ ق.م) وإن توليه مسئولية القضاء على المجاعة وتوليه أمر القمح وخزائن البلاد كان بتاريخ ١٢٥٩ ق.م . وإن مجئ اخوة سيدنا يوسف إلى مصر حدث في عام ١٢٥٢ ق.م . وأن مجئ سيدنا يعقوب إلى أرض مصر حدث في عام ١٢٥١ ق.م . وعندما ارتحل سيدنا يعقوب إلى مصر كلن كل نسله معه ، بنوه وبنوه بنيه وبناته وبنات بنيه ، وبلغ مجموع الأفراد الذين جاءوا إلى مصر والخارجين من صلب سيدنا يعقوب ما عدا نساء بنيه ٦٦ فردا وأبناء سيدنا يوسف اللذان ولدا له في مصر . وبذلك يصبح مجموعهم في مصر ٧٠ فردا وسكن سيدنا يعقوب في أرض برعمسيس كما امر بذلك المسئول فرعون . وانتقل عام ١٢٢٤ ق.م . ودفن في مغارة حقل المكيلة حيث دفن سيدنا إبراهيم واسحق . وقد عاش سيدنا يعقوب في مصر ١٧ سنة وتوفي وعمره ١٤٧ سنة .

سيدنا موسى :

وتحدثنا آيات القرآن عن نشأة سيدنا موسى عليه السلام في أرض مصر
وكيف تربى في قصر المسئول - فرعون . كما نقص علينا آيات القرآن تكليفه بالرسالة . وأهداف الرسالة وتبليغه الرسالة للمسنول - فرعون وتمادى المسئول - فرعون وقومه في كفرهم ، عقاب المسئول فرعون وملئه . وتذكر لنا الآيات الذين آمنوا برسالة سيدنا موسى من آل المسئول - فرعون ومن بنى إسرائيل . ونقص علينا أيضا أحداث الخروج .

أشرنا في مقال نشر حديثا عن وجود سيدنا موسى في مصر وما قام به مع

Mayani , les Hyksos et Monde de la Bible , p. 154 , 161 ;
pirenne , la Societe Hebraique d'apres la Bible , p. 29 n (1);
posener , Dictionnaire de la Civilisation Egyptienne , p. 108;
Lalouette , L'Empire des Ramses , Paris (1985) , p. 259 n .
166 , 490 .

المسئول - فرعون وملئه كما تحدثنا عن حقيقة بنى إسرائيل الذين جاء نكرهم فى آيات القرآن الكريم (١).

لقد اختص الله سبحانه وتعالى أرض مصر الطيبة بعدة تكريمات منها وقوع أحداث قصة سيدنا يوسف على أرضها كما ذكرنا (٢) ، ومنها أيضا ميلاد سيدنا موسى على أرضها وحماية الله له حتى شاب وكبر شأنه وتكليم الله له ومناداته له وإظهار المعجزات له وتكليفه بالرسالة مع أخيه سيدنا هارون على أرض سيناء على جانب الطور وفى الوادى المقدس طوى . ومن بلاغة آيات القرآن الكريم إنها استخدمت لقباً كان معروفاً فى مصر القديمة ، وكان يطلق على بعض الملوك فى بعض الفترات . وكان يشير إلى الحاكم وصاحب السلطة الفعلية فى البلاد . ولكن فى آيات القرآن الكريم يشير هذا اللقب إلى حاكم أو مسئول عات متجبر وظالم ومستكبر ويمكن أن ينطبق هذا اللقب على كل حاكم متجبر ومتكبر فى كل عصر من العصور ولهذا فليس من المنطقى أن يطلق المصريون القدماء على بعض ملوكهم أو بعض حكامهم هذا اللقب بهذا المعنى . ولكن آيات القرآن الكريم ربما تشير إلى حاكم أو مسئول كان فى مرتبة الوزير أو حاكم الإقليم أو حاكم مدينة فى مصر القديمة . لأننا نعلم أنه فى عصر الدولة الحديثة كان الوزير هو الذى يرأس الجهاز الإدارى ، وهو الشخص المماثل فى المقام والدرجة إلى حد ما الملك . وكانت أعماله ومسئوليته كثيرة ومتشعبة لهذا قسمت أعباء هذه الوظيفة بين اثنين فى هذا العصر . فكان هناك وزير للجنوب ويوجد مقره فى العاصمة طيبة ، ويشرف على إدارة ممتلكات الدولة وشئونها من أقصى الجنوب إلى الشمال حتى القوصية فى مصر الوسطى . كما عين وزيراً آخر للوجه البحرى وكان يقيم فى منف أو ليونو وتمتد دائرته اختصاصه من

(١) د. رمضان عبده : سيدنا موسى فى مصر ، فى مجلة التاريخ والمستقبل . التى يصدرها قسم التاريخ كلية الآداب جامعة المنيا ، العدد الثانى . يوليو ٢٠٠٠ ، ص ١ - ٥٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٩ - ٧٥ .

مصر الوسطى حتى شمال الدلتا وسواحلها .

وكان هذا الوزير أو المسئول صاحب السلطة وسلطان ن وكان يسكن بيت عال مثل الملك للحكم ، وربما كان من طبقة النبلاء أو الإشراف في الأقاليم ويبدو انه كان مسئولاً عن الأكليات والجماعات الأجنبية في مصر . ويبدو أنه كان قريباً من طائفة بنى إسرائيل وكان كبيراً لهم أو رئيساً عليهم ن وتولى أمرهم أثناء إقامتهم في مصر . وكان يتمتع برعدة في العيش هو ومن معه من أتباعه ومعاونيه ^(١) . ويبدو ان هذا المسئول - فرعون قد زاد نفوذه وقت ضعف السلطة الملكية في العاصمة الرسمية ومن المحتمل انه كان يقوم أحياناً في شرق الدلتا في إقليم كبير له عاصمة ومما يدل على ذلك ورود كلمة " المدينة " في بعض آيات القرآن الكريم (القصص الآيات ١٥ ، ١٨ ، ٢٠) أو في منطقة تكثر فيها أفرع النيل أو تنتشعب إلى عدة فروع مصداقاً لقوله تعالى " وهذه الأنهار تجري من تحتي " (الزخرف الآية ٥٤) وقرب هذه المنطقة التي كان يقوم المسئول - فرعون أحياناً من منطقة البحيرات كما يدل على ذلك كلمة " اليم " (الأعراف الآية ١٣٦ ؛ طه الآيات ٣٩ ، ٧٨ ؛ القصص الآيات ٧ ، ٤٠ ؛ الذاريات الآية ٤٠) و " البحر " (البقرة الآية ٥٠ ؛ يونس الآية ٩٠ ؛ الشعراء الآية ٦٣) . وهي المنطقة الى حدثت فيها معجزة لتفلق البحر وغرق هذا المسئول - فرعون وجنوده ^(٢) . وتحدثنا في المقال نفسه عن من هم ملاؤ فرعون وجنوده ومن معه . وذكرنا ان المقصود بكل هذا هم أهله وعياله وأتباعه وأنصاره وأقاربه ومن يكونون بمنزلهم تبعاً له ^(٣).

وأشرنا إلى انه كان ضمن أتباعه وحشيرة فئة بنى إسرائيل وكانوا محدودي العدد . ولم يقصد بهذا شعب مصر أو أهل مصر جميعاً .

وذكرنا ان بنى إسرائيل الذين كانوا يقيمون في مصر كانوا أصلاً من نسل

(١) المرجع السابق ، ص ١١ - ١٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٨ - ٢٣ .

أو ذرية العبد المذكور ذرية من حصلنا مع سيدنا نوح (الإسراء الآيات ٢-٣ : مريم الآية ٥٨) . ولم يكن بنو إسرائيل من ذرية سيدنا يعقوب أو أن لقب إسرائيل كان لقباً لسيدنا يعقوب كما جاء في أغلب كتب التفسير . كما ذكرنا أننا لا نعترف متى جاءت هذه الذرية من بنى إسرائيل إلى أرض مصر واستقرت بها ؟ من أى طريق جاءت أو سلكت ؟ وأين كان مكان استقرارها ؟ وبماذا كانت تعمل ^(١) ؟ واقتربنا إليهم ربما أقموا في شرق الدلتا بالقرب من منطقة حدوث معجزة انغلاق البحر . وإنهم كانوا فئة قليلة تمتد جنوباً إلى زمن بعيد . وكانت تعيش على أرض مصر . ومع مرور الوقت زاد نسلهم وكثر عددهم وكانوا مستضعفون مما أدى إلى استغلال الممنول - فرعون لهم بذبح أبناءهم واستحياء نساءهم لعدم طاعتهم لأوامره وأمر هذا الممنول - فرعون جميع أتباعه أن يطرحوا كل المواليد الذكور في النهر . وفي هذه الظروف ولد سيدنا موسى . ويرى بعض العلماء أن مولده كان عام ١٣٠١ ق.م. وبالطبع كان يتحدث اللغة المصرية القديمة التي نشأ عليها . ويرى بعض العلماء أيضاً أن سيدنا موسى خرج من مصر لأول مرة عام ١٢٤١ ق.م تقريباً .

ثم تحدثنا عن مجي سيدنا موسى ومعه سيدنا هارون برسالة الإيمان والتوحيد إلى هذا الممنول - فرعون وملئه وينصحه بالهداية وكان سيدنا موسى يجيد اللغة المصرية أكثر من العبرية . لذلك فقد حاضده الله سبحانه وتعالى بسيدنا هارون أخيه الذي كان يجيد الحديث باللغتين فيأخذ التعليمات من سيدنا موسى ويترجمها إلى بنى إسرائيل بلغتهم . ولظهر المعجزات أمامهم ولكن على الرغم من كل هذا ظلوا على كفرهم واستكبارهم . كما تحدثنا عن هامان الذي كان مسئولاً عن تنفيذ كل أعمال هذا الممنول - فرعون وتحدثنا أيضاً عن قارون صاحب الثروة والجاه ، وعندما جاءهم سيدنا موسى بالآيات استكبروا هم الثلاثة * لقد جاءهم موسى بالبينات واستكبروا في الأرض * (المنكوت الآية ٣٩) .^(١)

(١) للمرجع السابق ، ص ٢٣ - ٢٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢١ - ٢٣ .

كما تحدثنا عن الذين آمنوا برسالة سيدنا موسى واستمروا آل المسنول -
فرعون واتباعه على كفرهم عل الرغم من وقوع الرجز عليهم ^(١) . ثم تحدثنا عن
خروج سيدنا موسى .

ومن آمنوا برسائلته من بنى إسرائيل ومن المصريين أنفسهم واتباع المسنول
- فرعون وجنوده لهم وحدثت معجزة انغلاق البحر ونجاة سيدنا موسى ومن معه
وعرق المسنول - فرعون ومن معه . على الرغم من انه أعلن إسلامه في اللحظة
الآخيرة من الفرق (يونس الآية ٩٠) ونجى الله عز وجل ليكون آية لمن يجرى من
بعده ويسلك نفس مسلكه مصداقا لقوله تعالى " فاليوم نتجيك ببنتك لتكون لمن خلفك
آية " (يونس الآية ٩٢) ^(٢) كما تصور لنا آيات القرآن الكريم كيف أصبح هذا
المسنول - فرعون وماله مثالا لأكوار الكفر السابقة وما حاق بهم من عذاب
وعقاب . ^(٣)

وتحدثنا الآيات والمعجزات عندما قابل المسنول - فرعون وبعد ذلك وقعت
أحداث الخروج . واصطحب سيدنا موسى معه غلامه يشوع بن نون الذي كان عمره
حوالي عشر سنوات وذهبوا معا إلى أرض مدين . ويرى البعض إن إقامة بنى
إسرائيل في مصر كانت حوالي ١٢٠ سنة وكان عمر سيدنا موسى ٨٠ سنة عندما
قابل المسنول - فرعون وعمر سيدنا هارون ٨٣ سنة وأنه انتقل في نهاية فترة التيه
وعمره ١٢٠ سن وحدث ذلك في عام ١١٨١ ق.م ^(٤) ودفن في الجواه في أرض
مواب ولم يعرف إسمان قبره حتى هذا اليوم . ^(٥)

(١) المرجع السابق ، ص ٣٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٣ - ٤٤ .

(٤) محمد قاسم : التناقض في تواريخ وأحداث التوراة من آدم حتى مبعي بابل ، ص
٢٠٩ - ٢١٢ قام المؤلف بإعداد جدول لتسليط الأحداث في زمن سيدنا

موسى .
(٥) لا بد من إعادة النظر في موضوع عمر الرسل والأنبياء ، فمن المعروف أن
بعض الرسل أولى العزم يقل عمره عما سبقه بمقدار النصف سيدنا محمد ٦٣
عاما ، وسيدنا عيسى ١٢٦ ، وسيدنا موسى ٢٥٢ ، وسيدنا إبراهيم ٥٠٤ ، وسيدنا
نوح ١٠٠٨ (منها ٤٠ قبل الدعوة ، ٩٥٠ للدعوة ، ١٨ بعد الدعوة) وأخيرا
سيدنا آدم ٢٠١٦ .

سابعاً : القدس في العصور القديمة :

إن دراستنا لتاريخ الشرق الأدنى القديم تحتم علينا التعرض لموضوع تاريخ القدس القديم نظراً لما تعرضت له القدس وفلسطين من أطماع صهيونية . فليس الوجود الإنساني قضية تستند إلى الأباطيل والأكاذيب مثلما استندت إليها الصهيونية العالمية في مزاعمها المختلفة حول الحق لليهودى فى القدس وفلسطين . ولهذا كان تاريخ فلسطين بشكل عام وتاريخ القدس بشكل خاص ، مجالاً خصباً للترديد التاريخى والدعاية المتأججة بأن اليهود إنما يعودون إلى أرض الميعاد أرض إسوآنيل القديمة ، إن هذا المكذب السيلامى والصريح لا يؤيده دليل تاريخى لقد تظاهر جهابذة علماء الغرب من المستشرقين بتصديقه والاعتراف بأنه من مسلمات التاريخ القديم فالصهيونية التى نسبت نفسها إلى أحد جبال القدس ، وهو جبل صهيون لا تفتأ منذ القرن التاسع عشر ، تهدف إلى جمع شتات اليهود من أنحاء العالم فى فلسطين ، وإقامة دولة يهودية تجعل القدس عاصمتها ، زاعمة الاستناد إلى الحقوق التاريخية والرابطة الدينية المزعومة التى تربطهم بجبل صهيون وهيكـل سليمان المزعوم (٢) . (١)

لقد تركنا البحث فى مجال تاريخنا القديم إلى علماء الغرب والمستشرقين لكى يشوهوا حقائقه لأن فاعليتهم تقتصر فقط على التسيق والتفسير المجرد دون الموضوعية المطلوبة من باحث التاريخ . فكتابة التاريخ لدى المؤرخ اللواعى لا تستلزم إحياء الحدث التاريخى أسلوباً وموضوعاً فحسب ، بل هى تتطلب كذلك رصيداً من الصدق وتحرى الحقائق التى تساعد على إدراك جوهر التاريخ ومضمونه .

فالتاريخ يدل على المجرى الفعلى للأحداث التى تصنعها الأمم والشعوب فى ماضى عصورها وغابر دهورها ، ولا يكفى ترجمة النصوص وسرد الوقائع والأحداث من غير تفاعل معها ، ولا يمكن التوصل إلى رؤية صحيحة كاملة لهذا

(١) خالد الخليل : تاريخ القدس للعربى القديم ، ص ٢٢ .

التاريخ إلا بالاعتماد على القيم والوسائل التي تصنع التاريخ وتوجهه ، ولا يتحقق الفهم الحقيقي لمعنى التاريخ إلا بافتراض نوع من الأمانة العلمية بين المؤرخ نفسه وبين ما يعالجه من قضايا التاريخ ، وخاصة القضايا الحساسة التي لا تحتاج إلى الانفعال بقدر ما تحتاج الحق والصدق المبنيان على وقائع التاريخ ومنطق التاريخ ، لأن القدس ليست مجرد مدينة مقدسة ذات معنى روحي في قلب وضيق كل مسلم ممكن ، لما خصها الله تعالى من مكانة سامية فقد كانت مهبط الرسلات ومسجد النبوات ، وهذه حقيقة لم ينكرها أحد سوى السبيلية ومن سار في فلكهم وحتى نذكر أهمية تاريخ القدس القديم ، يجب علينا أن نعرف القدس تاريخيا . دورها وما عاصرت أرضها من أحداث على مر العصور .

وبالنسبة لهذا الموضوع سوف نتحدث عن عدة عناصر هي :

ما قيل في أسماؤها ، ما قيل في بناتها ، ما قيل في أول من سكنها ،
أورشليم في عهد الإسرائيليين أو العبرانيين ومبيدنا دلود ومسلمان ، أورشليم
والهجمات الآشورية والكلدانية والسبي البابلي الأول ، والسبي البابلي الثاني ، عودة
اليهود إلى أورشليم مرة أخرى ، أورشليم في ظل الحكم اليوناني والسلوقي ، أورشليم
في عهد مبيدنا عيسى عليه السلام ، إعادة الرومان لليهود ، صلة الإسلام بالقدس
والفتح الإسلامي لها ، وما قيل في وصفها ، وما كشفت عنه الحفائر فيها وفي مناطق
أخرى من فلسطين .

(١) ما قيل في أسماؤها :

عرفت القدس بأسماء أربعة : ورشليم ، أيلياء ، القدس (أو المقدس) بيت
المقدس (المسجد الأقصى) يرى بعض المؤرخين أن القدس سميت — ورشليم
بمعنى بيت السلام نسبة إلى ملكي صادق ، وهو أحد ألقاب مبيدنا نوح أو ابنه مسلم ،
الذي اشتهر بحبه للسلام ، لأنه هو الذي لخطها وعمرها . وهو اسم دينوي وليس
دينيا .^(١) ويؤكد د. فيليب حتى بأن أصل الاسم من الكنعانيين أورشالم بمعنى دع شالم

(١) خالد المك : المرجع السابق ، ص ٦٨ - ٦٩ .

يؤسس (١).

ومن نهاية الأسرة الثانية عشرة ، لدينا ما يسمى بنصوص اللعنة التي جاء فيها ذكر رؤساء العديد من المدن الفلسطينية والمصرية ومنها : رو - وشلم - م (أورشليم) ، عسقلان ، عشتاروت ، لجرون ، بيت شمس ، مشم ، هلتزور ، يافا ، اكر (عكا) بيلوس ، بلاد عاكيم ، زبلون ، سيمون ، زبول هداداد ، وابورايمان واسماء أخرى (٢).

كما كشفت لنا رسائل تل العمارنة من عصر المنحطب الرابع (١٣٧٢ ق. م) أنه من بين الموالين لملك مصر كان عبد خييا حاكم أورشليم (٣) الذي كتب إلى اخناتون ستة خطابات (هي أرقام 290 - 285 EA) وترجم الكاتب المصري اسم أورشليم من لغة هذه الخطابات التي كتبت بالمصرية (الأكديّة) إلى المصرية — : ورو - ما - ليم . (٤) أي أن اسم أورشليم كان معروفا قبل دخول بني إسرائيل هذه المدينة وهو ليس عبريا أصلا ونجد أن هذا الاسم بعد هذا التاريخ يتكرر في مصادر أخرى . ففي نقوش الملك الآشوري سنحاريب (حوالي ٧٠٠ ق. م) يرد اسمها هكذا ' اورسليمو ' وهو قريب من تسمية النصوص المصرية رو - وشلم - م أو ورو - ما - ليم . (٥)

(١) د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ٧٣ ؛ لأحمد سوسة : الرب واليهود بين الماضي والحاضر ، الملحق الأول أورشليم في أقدم العصور ، ص ٣٨٨ - ٣٩١ .

(٢) راجع فيما سبق ، ص ٢٤٢ (١) ، ٢٤٧ (١)

(٣) خالد الحك : المرجع السابق ، ص ١٠٥ .

(٤) راجع فيما سبق ، ص ٢٤٢ (١) ، ٢٤٩ (١)

(٥) المرجع السابق ، ص ١٠٦ ؛ أحمد سوسة : المرجع السابق ، ص ٣٨٧ .

ووردت في النصوص العبرية يروشالاييم ويذكر لنا المؤرخ وحاكم الجليل اليهودي يوسفوس الذي عاش بين أعوام ٣٧ و ٩٥ ميلادية أن أول من أسسها أسوة من الكنعانيين وحكمها ملك منهم كان يسمى الملك العادل ، وهو الذي أعطى اسم أورشليم للمدينة التي كانت تسمى حتى هذه الفترة سوليميا .^(١) وفي النقوش اليونانية من عهد الإسكندر الأكبر حوالي ٣٢٠ ق. م ، وردت بلفظ خيروسوليميا أو سوليميا باختصار^(٢) ، وانتشر هذا الاسم أورشليم من الكتاب المقدس في جميع لغات العالم تقريبا ولهذا أدخل اليهود هذا الاسم في التوراة المحرفة ، لإعطائه المسمى الدينية اليهودية التي يتذرعون بها في دعواهم .

أما بخصوص التسمية إيلياء فقد أورد الإمام ياقوت هذا الاسم إيلياء بكسر أوله واللام ، وباء وألف ممدودة ، قيل معناه بيت الله وقد روى ياقوت بخصوص تسمية القدس إيلياء عن كعب أنه قال : لا تسموا بيت المقدس إيلياء ولكن سموه باسمه ، فإن إيلياء امرأة بنت المدينة بما لها وقيل إنما سميت إيلياء باسم بانيتها ، وهو إيلياء بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام ، وهو أخو دمشق وحمص وأردن وفلسطين .^(٣) وظلت هذه التسمية تطلق على القدس عندما دخلها الإسلام في نص وثيقة صر بن الخطاب لبطريرك القدس آنذاك :

“ هذا ما أعطى عبد الله صر بن الخطاب أمير المؤمنين أهل إيلياء (يعني القدس) من الأمان أعطاهم أمانا لأنفسهم ، وأموالهم ، ولكنائسهم وصلباتهم ... ولا يضار أحد منهم ، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود .^(٤) كما جاءت هذه التسمية

(١) De Saulcy, les Derniers jours de Jerusalem, Paris (1866), p. 422.

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٦٦ - ٦٧ ، ٦٩ .

(٤) خالد لك : المرجع السابق ، ص ٢٦ - ٢٧ ، ١٧٦ ، ١٩٨ (يوجد بهذه الصفحة الأخيرة نسخة من هذه الوثيقة) .

في بعض الأحاديث النبوية .^(١) أما اسم القدس فلا بد أنه رافق المدينة منذ بداية تاريخها القديم ، أي منذ قبل دخول بني إسرائيل . وذلك لأن المؤرخ اليوناني هيرودوت (٤٨٤ - ٤٢٥ ق.م) . لم يذكر في تاريخه المشهور اسم أورشليم ولكنه ذكر مدينة كبيرة في الجزء الفلسطيني من الشام ، وسماها قديس مرتين في الجزء الثاني والثالث من تاريخه . ويرى بعض المستشرقين أن هذا الاسم على الأرجح هو القدس محرفا في اليونانية عن النطق الآرامي قديشتا .^(٢)

وكانت تسمية الإسلام القدس أو المقدس لتلك البلاد الطاهر التسمية الدينية التي يقصد منها : ' التزهر والتنطهر والبركة ' .^(٣)

وجاء اسم المقدس في معجم البلدان للإمام ياقوت . ولما سئل ياقوت أي بلد أجل ، قال : المقدس ، قيل : فأيهما أطيب ؟ قال : المقدس ، قيل : فأيهما أكثر خيرات ؟ قال : المقدس ، قيل : فأيهما أكبر : قال : المقدس ، أما قولي : أجل : فلأنها بلدة جمعت الدنيا والآخرة ، فمن كان من أبناء الدنيا وأراد الآخرة وجد سوقها ، ومن كان من أبناء الآخرة فدعته نفسه إلى نعمة الدنيا وحدها .^(٤)

أما التسمية بيت المقدس فكانت معروفة في جهود الأنبياء الأوائل والمرسلين عليهم السلام ، وقد ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم باسم " بيت المقدس " عند عودته من الأمراء والمعراج حيث يقول في حديثه الشريف قال أبو مسلمة : سمعت جابر بن عبد الله يحدث أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " لما كنت في قريش قمت في الحجر ، فجلى الله لي بيت المقدس ، فطفت أحدثهم عن آياته وأنا أنظر إليه " .^(٥) أي أخذت أحدثهم عن علامته ومعالمه وأنا أنظر إليه أماسي .

(١) خالد الحك : المرجع السابق ، ص ٦٩ - ٧٠ حاشية (٦١) .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٧٠ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٦٧ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٧٠ حاشية (٦٢) ؛ يحيى كامل : رسالة الإسلام ، الجزء الأول ١٩٧٥ ، ص ٩٥ (ثانيا) (ب) .

وجاءت هذه للتسمية في قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

“ فضلت الصلاة في المسجد الحرام على غيره بمائة ألف صلاة ، وفي مسجدي بألف صلاة وفي بيت المقدس بخمسمائة صلاة ” وبيت المقدس يعني المكان أو البيت الذي كان يعتمد فيه أهل المال السابقة للإسلام .^(١)

أما للتسمية المسجد الأقصى فقد جاءت في سورة الإسراء (الآية ١) “ سبحانه الذي أسرى عبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله ” . وفي قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : “ لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ، ومسجدي هذا ” .^(٢)

(٣) ما قيل في بنائها :

حكى أهل التاريخ أن سيدنا آدم عليه السلام شارك في بناء القدس ، لأن أرضها كانت صحراء بين أودية وجبال ليس فيها بناء أو عمارة ، ثم من بعده نوح وابنه سام عليهما السلام بعد الطوفان الذي عم الأرض في زمنه والذي أصبح ملك البابليين واشتهر بلقب ملكي صلاتق ملك الصندق .

ويذكر لنا المؤرخ وحاكم الجليل يوسفوس اليهودي الذي عاش بين أعوام ٣٧ - ٩٥ ميلادية أن أول من أسسها أسرة من الكنعانيين ، وحكمها ملك منهم كان يسمى الملك العادل ، وهو الذي أعطى اسم أورشليم للمدينة .^(٣)

وروى القاضي مجير الدين الحنبلي في كتابه الشهير : الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل فقال :

(١) يحيى كامل : المرجع السابق ، ص ٩٥ (أولاً) .

(٢) خالد المك : المرجع السابق ، ص ١٦١ .

(٣) De Saulcy, les Derniers Jours de Jerusalem, Paris, 1866, p. 422.

ومما حكى فى أمر بناء القدس فى تواريخ الأمم السالفة : ان مليكى صادق وهو سام بن نوح ملك اليبوسيين^(١) نزل بأرض بيت المقدس ، وقطن بكهف من جبالها يتعبد فيه ، واشتهر أمره حتى بلغ ملوك الأرض الذين هم بالقرب من أرض بيت المقدس وبالشام وسدوم وغيرهما ، وعدتهم أثناء عشر ملكا ، فحضرُوا إليه فلما رأوه وسمعوا كلامه اعتقدوه وأحبوه حباً شديداً ودفعوا له مالا ليعمر به مدينة القدس ، فاخترها أى : كما علم ذلك من أبيه نوح عليه السلام وعمرها ، وسميت بـ وورشليم ومعناها بيت السلام فلما انتهت عمارتها اتفقت الملوك كلهم على أن يكون مليكى صادق ملكا عليها ، ولقبوه بأبى الملوك ، وكافوا بأجمعهم تحت طاعته ، واستمر حيث مات بها .^(٢)

وفى رواية أخرى : ان ابن نوح (سام) جدد البناء القديم ، لأنه جاء ملكا من بعد أبيه على قومه . وتشير بعض الروايات أن الله سبحانه وتعالى أطلع سيدنا نوح وهو على السفينة أثناء الطوفان على مكان بيت المقدس ، بهذا الخطاب :

" يا نوح هذا موضع بيت المقدس الذى يسكنه الأنبياء من أولادك .^(٣) ثم من بعد سام سيدنا يعقوب عليه السلام ، كما روى أن أباه اسحاق أمره أن يسترجع من امرأة من الكنعانيين ، وأمره ببناء بيت المقدس لعبادة الله تعالى فبناه على أساس سيدنا نوح عليه السلام ، ثم من بعده داود وسليمان عليهما السلام ، حيث أتم سليمان ما بدأه أبوه داود .^(٤)

(١) ويرى البعض أن مليكى صادق كان من ذرية سام وأن عشيرته كانت إحدى العشائر القليلة التى استمرت على الاعتقاد بوحدانية الله . وأن اليبوسيين هم فرقة من الكنعانيين سكنوا فى أورشليم ودخلوها بعد نزوحهم من شبه الجزيرة النمرية فى بداية الألف الثالثة ق. م ، راجع : أحمد سوسة : المرجع السابق ، ص ٣٨٦ - ٣٩١ .

(٢) خالد للعك : المرجع السابق ، ص ٤٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٨ حاشية (٥) .

(٤) المرجع السابق ، ص ٤٨ .

ويروى الإمام ياقوت (في معجم البلدان ج ٥ ، ص ١٧٦) فيقول : ' وعن ابن عباس قال : بيت المقدس بنته الأنبياء وسكنه الأنبياء ، وما فيه موضع شبر إلا وقد صلى فيه نبي أو قام فيه ملك ' .^(١)

وبنى بيت الله الحرام في مكة قبل بيت المقدس مصداقاً لقوله تعالى : أن أول بيت وضع للناس الذي بمكة مباركاً وهدى للعالمين (سورة آل عمران : الآية ٩٦) .

لقد كانت نشأة القدس الشريف بإرادة سماوية ربانية ، فقد قيل عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه سئل : أي مسجد وضع في الأرض أولاً ؟ قال : (المسجد الأقصى) ، قال : كم بينهما ؟ قال : (أربعون سنة) قال الإمام أبو العباس القرطبي : يجوز أن يكون بناء - يعنى : مسجد بيت المقدس الملائكة بعد بنائها البيت الحرام بل إن الله تعالى ' ، وظاهر الحديث يدل على ذلك ، وقد روى أن الملائكة هي التي بنت للمسجد الحرام في مكة ، كما ذكره المؤرخ الأزرقي في تاريخ مكة .^(٢)

ولا غرابة في ذلك فإن الله تعالى قد اختص بمعتن من أرضه بقدسيته فجعل المسجد الحرام في مكة ، والمسجد الأقصى في القدس ، ولقد جمع الله سبحانه هذين المسجدين لرسوله الكريم عليه الصلاة والسلام ليلة الإسراء ، فكان ذلك دلالة ظاهرة على شرف هذين المكانين الطاهرين .

ولم يستطع الباحثون في تاريخ القدس أن يحددوا تاريخ نشأة القدس ، كيف بنى وكيف أنشئ ، وكل ما ذكروه أن القدس قديم بنشأته ولا مبريل إلى معرفة تاريخ تلك النشأة بشئ من الدقة والتفصيل .^(٣)

(١) خالد العك : المرجع السابق ، ص ٦٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٧ وحاشية (١ إلى ٣) .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٧ - ٤٨ .

ويدل هذا على أن بناء القدس وبيت المقدس ، الذي هو المسجد الأقصى كان يوحى من الله تبارك وتعالى ، كما هو الحال فى بناء الكعبة المشرفة ، وليس هو بمحض الاختيار أو التخطيط البشرى كما هو المعتاد فى إقامة المشاريع المعمارية . وفى مقال نشر حديثا للدكتور عبد الشافى عبد اللطيف فى جريدة الأهرام بتاريخ ١٥ / ١٢ / ٢٠٠٠ تحت عنوان " اليهود حول الأقصى وهكل سليمان " .

" إن بناء المسجد الأقصى الذى جاء بعد أربعين سنة من بناء المسجد الحرام طبقا للحديث النبوى الشريف " سأل أبو ذر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله " أى مسجد وضع فى الأرض أولا قال المسجد الحرام . قال ثم أى قال المسجد الأقصى قلت كم بينهما قال : أربعون سنة " رواه البخارى وبذلك تكون الملائكة هى أيضا التى بنت المسجد الأقصى والمسجد الحرام " . ويمضى د. عبد الشافى قائلا :

" إن قلنا أن الرسول عليه الصلاة والسلام يقصد بقوله أن أول مسجد وضع فى الأرض هو المسجد الحرام ويقصد ببناء إبراهيم له فإن المسجد الأقصى بنى بعده فيكون الأقرب إلى العقل والمنطق والواقع أن إبراهيم عليه السلام هو الذى بنى المسجد الأقصى أيضا " . " ونأخذ من هذا أن إبراهيم هو المؤسس للمسجدين الحرام بمكة والأقصى بفلسطين " . وخاصة وأنه انتقل وعمره حوالى ١٧٥ سنة ودفن فى مدينة حبرون التى حملت اسمه فيما بعد (الخليل) (راجع، فيما سبق، ص ٢٣٤) . أى أن البيت الحرام أول من بناء الملائكة ثم جند سيدنا آدم ثم أبناؤه ثم هدمه الطوفان فى عصر سيدنا نوح وظل مكانه مجهولا حتى أُرشد الله سبحانه وتعالى لسيدنا إبراهيم عن مكانه " وإنا يوأنا لإبراهيم مكان البيت " (الحج الآية ٢٦) ثم رفعه سيدنا إبراهيم ومعه سيدنا إسماعيل بناء على أمر الله تعالى " وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل " (البقرة : الآية ١٢٧) وأشرف على طهارته " وظهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود " (الحج : الآية ٢٦) .

ونذكر المؤرخون أن بيت المقدس أعيد بنائه ثمانى عشرة مرة فى التاريخ^(١)،

(١) خالد العك : المرجع السابق ، ص ٤٨ .

وذلك لما توالفت على هذا البيت المقدس من أحداث وأحوال حيث كان على مر الدهور مطمع أنظار الأمم والشعوب ، وهنكا من أهداف الغزاة والفاحين ، فحوصر مرارا وهدم تكرارا .

كما وتجدر الإشارة إلى أن شعوب الشام شاركت بما فيه الكفاية في بناء المدينة المقدسة مشاركة فعالة ، كما أثبت ذلك المؤرخون وتلك الشعوب هي :

الكنعانيون ، واليبوسيون ، وكثروا منحدري أصلا من بطون القبائل العربية الأوائل الذين نشأوا في قلب الجزيرة العربية وقرعروا في أرجائها ، ثم نزحوا عنها مع الزمن مع من نزع من قبائل واستوطنوا بلاد الشام ، والتي منها فلسطين والقدس وما حولها .^(١)

ونذكر الإمام القلقشندي في كتابه صبح الأعشى في صناعة الإنشا : " إن القدس من أصال بلاد الشام أي من أصال أهل الشام " .^(٢)

(٣) ما قبل الفيلق الأول من سكنها :

كان أول من سكن أرض فلسطين هم الكنعانيون ، وهؤلاء الكنعانيون هم الذين زرعوا أرضها وشيدوا مدنها منذ ألفي سنة ، وجماعة الكنعانيين هم الذين استوطنوا أيضا سواحل بلاد الشام ، وهم الذين أطلق عليهم اليونان اسم الفينيقيين أصحاب صور وصيدا وجبيل واوراد .^(٣)

وكان يوجد بفلسطين أيضا ، بنو إسماعيل وهم أسباط سيدنا يعقوب الذين لسم يهاجروا إلى مصر^(٤) ، ثم قدمت إلى أرض فلسطين بعد ذلك شعوب غير سامية منهم

(١) خالد الخك : المرجع السابق ، ص ٤٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٤ حاشية (١٧) .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٠ ، ٥٧ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٠٠ ؛ أحمد مومني : المرجع السابق ، ص ٣٩١ -

الفلسطينيين ، أو شعوب البِلست الذين اندمجوا مع بقية السكان الأصليين منذ ١١٩٨ ق. م . تقريبا .

وأما بنو إسحاق وهم أسباط يعقوب ، فقد نزحوا إلى مصر ، بعد أن جاء بهم سيدنا يوسف عليه السلام حين أصبح أمينا على خزائن الأرض في مصر ، وذلك قبل دخول شعوب البِلست إلى فلسطين . وفي هذا يقول الله عز وجل في كتابه الكريم :

‘ فلما دخلوا على يوسف أبى إليه أبويه وقال أدخلوا مصر إن شاء الله آمنين . ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا ، وقال يا أبت هذا تلويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا ، وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو (سورة يوسف : الآيات ٩٩ - ١٠٠) .^(١)

فلو كان بنوا يعقوب في فلسطين أو القدس ، لما قال لهم وجاء بكم من البدو لأنه لا يطلق على سكان المدن بدو ، ودلالة كلمة البدو بيئة ظاهرة على سكان الصحراء .^(٢)

وبعد مضى ثرون بعث الله سبحانه وتعالى سيدنا موسى رمولا في بني إسرائيل في مصر وأخرجهم منها لظلم فرعون لهم ، وأمرهم بدخول الأرض المقدسة .^(٣) ولقد عرف بني إسرائيل الذين دخلوا الأرض المقدسة بعد أن أخرجهم سيدنا موسى عليه السلام من مصر بـ ‘ العبرانيين ‘ الذين عبروا نهر الشريعة نهر الأردن والذين سموهم بالعبرانيين هم أهل فلسطين الذين كانوا من الكنعانيين والفلسطينيين لأن لفظ عبري مشتق من الفعل الثلاثي عبر الذي يفيد معنى للمجهل

(١) خالد الحك : المرجع السابق ، ص ٥٩ ، ١٠٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٦٠ ، ٧٤ .

بـ أو عامل (١).

ولقد سبق حادث عبور بني إسرائيل للأرض المقدسة أحداث وأحداث جوت بينهم وبين سيدنا موسى وهارون عليهما السلام بعد خروجهم من مصر ناجين مسن فرعون وملأته ، من تمرد وعصيان ، فيعاقبهم الله تعالى بالتيه أربعين عاما في صحراء سيناء ، مصداقا لقوله تعالى :

“ قال فأتها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تسأس على القوم الفاسقين ” (سورة المائدة : الآية ٢٦) (٢).

ويتوفى الله تعالى نبيه هارون ثم موسى عليهما السلام ، ويدفنان في أرض الطور (٣) وبعد ذلك جعل الله تعالى ملوكا عليهم وتبين آيات القرآن الكريم قصصهم التي تحكى فضائلهم وشجاعتهم التي فعلوها مع أنبيائهم وغير أنبيائهم (سورة البقرة : الآية ٤٩ وحتى الآية ٧٥ ، ومن الآية ٢٤٦ حتى الآية ٢٥١) .

(٤) ما تعرضت له القديس من أحداث وما شهدته من سرائع :

القديس في عهد الإسرائيليين والمصريين وسيدنا داود وسليمان :

وأخيرا يدخل بنو إسرائيل الأرض المقدسة ، ويحمل الله تعالى عليهم داود ملكا ، وكان داود عليه السلام قبل أن يزحف بجيشه على القدس يقيم في الخليل “ حبرون ” (٤) فدخل القدس ملكا عليها ، وهذا أول حكم يقيم على أرض فلسطين من

(١) خالد العك : المرجع السابق ، ص ٥٩ ، ٧٤ ، ١٤٧ - ١٤٨ . يعني فعل عبر في المصرية القديمة فهو يعني جهز ، زودب وعبروا يعني فرقة عمل أو نواتي ، راجع : أحمد بدوي - د. هرمين كيس : المعجم الصغير في مفردات

اللغة المصرية القديمة ، ص ٣٦ : ١٧ ، Wb I, 181,

(٢) خالد العك : المرجع السابق ، ص ١٠٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٠٢ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٧٥ .

بنى إسرائيل . وكما تشير الروايات أن المدينة المقدسة قد تعرضت في هذا الزحف العسكري عليها لدمار وخراب كبيرين ، فأمر الله تعالى داود عليه السلام ببناء بيت المقدس ، مكانا خاصا للعبادة ، فلما شرع سيدنا داود في ذلك شغل بأمور الملك والغزو فلم يتيسر له إتمام بنائه .

ولما اجتمعت بنو إسرائيل على سيدنا داود أنزل الله عليه الزبور وعلمه صنعة الحديد والأكه له معجزة له . وسخر له الجبال والطير . وقد اختار الله سبحانه وتعالى مدينة القدس لتكون مهبطا لوحى السماء ومستقرا آمنا لبعض الأنبياء فأنزل الله تعالى فيها الزبور على سيدنا داود ومن بعده الإنجيل على سيدنا عيسى عليهما السلام . مصداقا لقوله تعالى :

« وآتينا داود زبوراً » (سورة النساء : الآية ١٦٢ ، الإسراء : الآية ٥٥) .
ومصداقا لقوله تعالى : « وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين ، وعلمناه صنعة لبوس اتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون » (سورة الأنبياء : الآيات ٧٩ - ٨٠) . « ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالوا الحمد لله الذى فضّلنا على كثير من عباده المؤمنين » (سورة النمل : الآية ١٥) . « ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد » (سورة سبأ الآية ١٠) . وقد فقد هذا الزبور كما فقدت التوراة والكتب السابقة على القرآن الكريم . والكتب الموجودة الذى ينسب إلى سيدنا داود يسمى المزامير : وهو عبارة عن أدهية وتضرعات كلها بكاء على مجد إسرائيل ، وملك داود ، وهيك ملويمان المزحوم (؟) (الذى لم يأت ذكره ولو مرة واحدة في آيات القرآن الكريم) وجبل صهيون وقد كتبه اليهود بأيديهم لإثارة شعبهم وربطهم بأرض الموعد في فلسطين وهم يسمون الله فيه (رب الجنود وحسن إسرائيل) ولا هم لهم إلا أن يظلمهم ويهلك أعداءهم ويميدهم إلى الأرض التى وعد بها آبائهم إبراهيم واسحق ويعقوب كما جاء في المزامير (١ - ٤٤ - ١٤٩) وبعض هذه الأدهية ليس فيه أدب مع الله ، ولا مثل عليا في الحياة ، بل فيها تطاول على جلال الخالق . وحقد على جميع الخلق ، من غير بنى إسرائيل ، ولهذا ضمنت إلى أسفار التوراة المحرفة وأصبحت جزءا منها .

وبعد وفاة سيدنا داود آل الملك لسيدنا سليمان عليه السلام ، ومسخر الله تعالى له الجن والإنس والطير والريح ، وأتاه الله مع ذلك النبوة ، وسأل ربه أن يؤتیه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ، فاستجاب الله له ، فأعطاه ذلك وورث سليمان مصداقاً لقوله : " وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطلق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين " (سورة النمل : الآية ١٦) ، " وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهو يوزعون " (سورة النمل : الآية ١٧) ، " وللسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه " (سورة سبأ : الآية ١٢) ، " يعملون له ما يشاء من محاريب وتمائيل وجفان كالجواب وقدور راسيات " (سورة سبأ : الآية ١٣) .

ومن المعروف أن داود عليه السلام قد أوصى ابنه سليمان بأن يعتنى ببيت المقدس ويسمى لإتمام بنائه ، فقام سيدنا سليمان عليه السلام بتنفيذ ما أوصاه أبوه به ، فبنى المسجد ، وقد أتى البنائين من أطراف مملكته التي يقطنها سكانها الأصليون واتسعت القدس في زمن سيدنا سليمان ، فبنى فيها الدور وشيّد القصور واتسع ملكه ، فسمرت القدس في عهده بحيث ضاهت الحواضر والمدن الكبرى ، ومن الصعب العثور على آثار سيدنا سليمان عليه السلام في الأساس الكائن تحت المسجد الأقصى وفيما يسمى ببرك سليمان الواقعة إلى الجنوب من بيت لحم (١) .

ولما رفع سليمان عليه السلام البناء وفرغت يده منه جمع الناس وأخبرهم بأنه مسجد الله تعالى وهو الذي أمر به ويتخلذه بيتاً للعبادة وأن كل شيء فيه هو الله تعالى ، وأن داود عليه السلام عهد إليه ببناؤه وأوصاه بذلك كما أمره الله تعالى . وشارك الكثيرون في بنائه منهم ثلاثين ألف رجل ، وحشرة آلاف آخرين طيعهم قطع الأخشاب ، وكان الذين يعملون بالحجارة سبعين ألف رجل ، وحدد الأمناء عليه

(١) خالد المك : المرجع السابق ، ص ٧٦ . وقد جاء في سفر الملوك الأول " أن سليمان بنى بيتاً في أورشليم ٤٨٠ سنة بعد خروج بني إسرائيل من مصر " راجع : د. عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ، ص ٣٧٦ .

ثلاثمائة ، غير الممخرين من الجن .^(١) مصداقا لقوله تعالى : " واسلميمان الريح عاصفة تجرى بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين ، ومن الشياطين من يقصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين " (سورة الأنبياء : الايات ٨١ - ٨٢) . ويهنا يكون سيدنا سليمان عليه السلام من الأنبياء الذين قاموا بتهييد بيت المقدس وأن الله سبحانه وتعالى أمر سيدنا يعقوب بوضع الأساس له كما أوحاه إليه ، ليقيم للناس بناءه . ويتموه ويتخذوه للعبادة ، وأصبح هذا المكان مقدسا . فقد روى أن سيدنا إبراهيم حين مر بهذه المدينة وجد رجلا شيخا كبيرا يقنس البقعة المباركة ، ويقال أنه كان ملك المدينة ، وكان كنعانيا عربيا فاعترف إبراهيم عليه السلام بقدمه المكان الطاهر ، وأقر الملك على ذلك .^(٢)

وتشير آيات القرآن إلى محراب هذا المسجد في سورتين :

" كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا " (سورة آل عمران : الاية ٣٧) ، " فأنذته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يشرك ببحي مصداقا بكلمة من الله وميدا وحصورا ونبيا من الصالحين " (السورة نفسها : الآية ٣٩) ، " فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا " (سورة مريم : الاية ١١) .

وبعد أن توفي الله تعالى سيدنا سليمان عليه السلام ، انقسمت البلاد إلى مملكتين يهوذا وعاصمتها اورشليم ، وإسرائيل وعاصمتها السامرة ونشبت بينهما حروب ومغازات كبيرة ولا سيما فيما يتعلق بالثغور الدينية .

المجاعات الآشورية والبابلية الكلدانية والسبي البابلي :

لقد حكم الملك شالوول في حوالي ١٠٣٠ ق.م ، وسيدنا دلود عليه السلام ١٠٠٦ - ٩٧٢ ق.م ، وسيدنا سليمان عليه السلام ٩٧٢ - ٩٣٢ ق.م ، ثم تمزقت

(١) خالد العك : المرجع السابق ، ص ٧٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٧٧ .

بعد ذلك دولة سليمان ، إلى دويلتين صغيرتين ، استمرت الأولى في السيطرة على شمال فلسطين ، ثم محيت على أيدي الآشوريين سنة ٧٢٠ ق. م . واستمرت الثانية في اورشليم ، ثم اجتاحتها وضربها نابوخذ نصر سنة ٥٨٦ ق. م . في السبي البابلي المشهور (١).

وكان من النتائج البعيدة الأثر التي ترتبت على السبي البابلي هروب الكثير من اليهود إلى شتى بقاع الأرض : مصر والجزيرة العربية ويران وغيرها وبذلك قضى على بني إسرائيل كلمة لها كيان أو وطن (٢).

ومن هذا يتبين أن سيطرة بني إسرائيل لم تكن شاملة على جميع أرض الفلسطينيين وعلى ذلك فالحقيقة أنه ليس في تاريخ بني إسرائيل دولة أو دولة سوى عصر سيدنا داود وسليمان عليهما السلام ، والعصران في عهدي هذين النبيين غير داخلين في تاريخ اليهود ، ولا يمكن اعتبار عصور الأنبياء التي تطلعت تاريخ اليهود عصوراً يهودية (٣) ؛ لأنهم لم يكونوا يهوداً حاشى الله . وبعد ذلك خضعت فلسطين وأورشليم لسيطرة الفرس عندما تولى قورش عرش فارس ٥٣٩ - ٥٢٩ ق. م . الذى عامل العبرانيين المسيبيين في بابل معاملة حسنة وسمح لهم بالعودة إلى القدس وسمح لهم بإقامة حكم ذاتي تحت صليته وسيادته .

كانت عودة اليهود إلى اورشليم على مراحل ، فتحكى التوراة أن امرأة يهودية ذات لباقة ورشاقة وجمال لا نظير له في تمام عصرها ، يقال لها استير ، دفعها قومها لبلط ملك الفرس لتكون الوسيلة المباشرة لخلاص بني إسرائيل من السبي البابلي (٤).

(١) خالد العك : المرجع السابق ، ص ٦٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٨١ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١١٤ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٨٣ - ٨٤ .

عودة اليهود إلى القدس مرة أخرى :

ظما علم سكان فلسطين بخير عودة اليهود إلى الأرض المقدسة وقع عليهم كالمصاغة ، فشرعوا يرسلون لملك الفرس الاحتجاج تلو الاحتجاج على سوء صنيعه بإعادة اليهود إليهم ، ولكن دون جدوى ، فقام زعيم سكان فلسطين " جشم " بتتظيم الهجمات ضد اليهود القاطنين غير أن اليهود أوهموا ملك الفرس بأنهم سيكونون بجانب الجيوش الفارسية ضد الجماعات الموالية للنفوذ المصري ، وإزاء هذا دخلت قوافل اليهود أرض فلسطين وكثفت تحت الحماية الفارسية العسكرية .^(١)

وتمتع اليهود بالحكم الذاتي تحت سيطرة ملوك الفرس ، وكان يحكم عليهم الملك اليهودي زربابل الذي ملكه اليهود عليهم . واستعمل اليهود اللغة الآرامية في مراسلاتهم الرسمية ، أما اللغة العبرية فظلت تستخدم كلغة دينية .

القدس في ظل الحكم اليوناني والسلوقي :

واستمر اليهود كذلك ، حتى سنة ٣٣٢ ق. م . عندما دخل الإسكندر المقدوني فلسطين بالقوة ، وفتح اليهود بمقدمه وخرجوا لاستقباله ظناً منهم أنه سيكون المخلص لهم من نير الفرس وطغيانهم ، مع أن الفرس أعطوهم عن طريق استير ما لا يعطيه أحد . وبعد وفاة الإسكندر سنة ٣٢٣ ق. م . أصبحت فلسطين بين جماعة السلوقيين نسبة إلى سلوق ملك بابل والبطالمة نسبة إلى بطلميوس ملك مصر ، بين الصراع والخضوع .^(٢)

ويقول المؤرخ المسمودي أن بطلميوس الثاني عزا بنى إسرائيل ببلاد فلسطين وإيلياء من أرض القلم ، فسيبهم وقتل منهم .

(١) خالد لك : المرجع السابق ، ص ٨٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٨٦ .

وقال القاضي مجير الدين الحنبلي : ولما تولى بطليموس الثاني إرسال رسولا وهدايا إلى بني إسرائيل المقيمين بالقدس الشريف وذلك بعد ما رد إليهم سبيهم وطلب منهم أن يرسلوا له عددا من علماء بني إسرائيل لنقل التوراة وغيرها إلى اللغة اليونانية ، فصاروا إلى الامتنال لأمره .. واتفقوا على أن يعثوا إليه من كل مذهب من أسباطهم ستة . فبلغ من عددهم اثنين وسبعين رجلا . فلما وصلوا إلى بطليموس المذكور ، أحسن استقبالهم وترجموا له ستا وثلاثين نسخة من التوراة .^(١) وبعد فراغهم من الترجمة جهزهم إلى بلادهم وسلكه المذكورون في نسخة من تلك النسخ فأسعفهم بنسخة فأخذها المذكورون وعادوا بها إلى بني إسرائيل في أورشليم . وكانت نسخة التوراة المنقولة لبطليموس أصبح نسخ التوراة وأثبتها ، وهي التوراة اليونانية التي عليها عمل المؤرخين . أما التوراة العبرانية التي يسأدي اليهود والتوراة السامرية ، فكل واحدة منهما مبدلة لا يمكن الاعتماد عليها حتى أن المنهدين حين وضعوا التلمود الذي يعتبره بنو إسرائيل " صنو التوراة أو أعظم " وأرادوا أن يحددوا علاقتهم باللهم يهوه نجد أنهم أخضعوا إرادته لإرادة الحاخامات ، وطوعوا مشيئته لمشيئتهم . ففي سفر مويديقان أحرف أنقرأ أن " للحاخامين السيادة على الله ، وعليه إجراء ما يرغبون " .^(٢)

وفي عهد السلوقيين أمرانطيوخوس بالخراط اليهود في بوتقة المجتمع اليوناني والحضارة الهلينية ، كخطوة لتوحيد أجزاء الإمبراطورية ثقافيا ودينيا ، ووضع عقوبة الإعدام لمن يعتقد اليهودية مرا أو علنا ، وقد واجه ذلك بثورة عارمة .

وقد نشبت هذه الثورة سنة ١٦٨ ق. م . بزعملة يهوذا وهو ابن كاهن يدعى ماتاتياس ، واتخذ بعد ذلك لقب المكابي وقد نجحت هذه الثورة بعد معارك كثيرة ، وقد منح الملك السلوقي ديمتريوس الثاني الاستقلال الذاتي تحت حكم سمعان . وقد

(١) خالد الحك : المرجع السابق ، ص ٨٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٨٨ ، ١٦٤ .

بقى اليهود متمتعين بهذا الاستقلال حتى مجئ الرومان . وقام للملك الحارث الثالث في مملكة الأنباط بإيقاع العزيمة مرارا باليهود وحاصرهم في أورشليم .^(١)

القدس تحت الحكم الروماني :

وفي سنة ٦٣ ق. م . دخلت القدس ضمن النفوذ الروماني وذلك بعد أن دخل بومبي بلاد الشام وجعل سوريا تحت حكم الرومان مباشرة . وجرى بومبي الكاهن الأعظم لليهود هيركانوس الثاني من رقبته الملكية ، وفرض على اليهود ضرائب باهظة ، وقسم أقاليم مملكتهم إلى خمسة أجزاء يحكم كل جزء منها مجلس .^(٢)

وقد أدت حالة الإضراب في الدولة الرومانية إلى حالة اضطراب في سوريا ، وأثناء تقسيم الإمبراطورية الرومانية من قبل الحكومة الثلاثية أصبحت سوريا ومصر تحت سلطة انطونيوس وعندما عهد إليه بإدارة شئون الشرق أهمل أمر الأسرة المكابية ووضع مكانها الأسرة الهيرودية وقد برز من هذه الأسرة هيرود الذي عرف فيما بعد بالكبير . وفي عام ٣٧ ق. م . أخذ هيرود مدينة أورشليم ، ووطد سلطته كملك ، وبقي يدير الأمور لمدة ثلاث وثلاثين سنة بفضل روما .

وأقام هيرود في أورشليم ما لا يتفق مع اليهودية من ميدان لسبيل الخيل ومسرح ومدرج .. وقد اشتهر ابنه هيرود بأنه هو الذي قتل نبي الله ' يحيى ' المعروف بـ يوحنا المعمدان الذي كان يرمي السيد المسيح عليه السلام .

وتوفي هيرود ما بين سنة ٦ - ٢ ق. م . ومن بعده دخلت أورشليم عهدا جديدا ، بميلاد السيد المسيح عليه السلام .

(١) خالد العك : المرجع السابق ، ص ٨٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٩٠ .

القدس في عهد السيد المسيح عليه السلام :

وقد تعرضت مدينة أورشليم لأحداث خطيرة وذلك خلال التاريخ الميلادي ، في ظل الحكم الروماني ، حيث كان رد الفعل لثورات اليهود المنكورة التي جلبت الخراب والدمار عليهم وعلى المدينة المقدسة^(١) ، فعاد اليهم القتل والمبى والتشريد وذلك عقوبة لهم على ما فعلوه بالسيد المسيح ومحاربه ودم الإيمان برسماته .

بشر سيدنا جبريل عليه السلام سيدنا زكريا يحيى ، وكانت زوجة زكريا ايساح فولدت له يحيى قبل أن تلد السيدة العذراء سيدنا عيسى بسنة أشهر ، وكان سيدنا يحيى نبي وهو صغير ودعا الناس إلى عبادة الله تعالى : " فادعوه للملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله ييشرك يحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحضورا ونبيا من الصالحين " (سورة آل عمران : الآية ٣٩) .

وأنزل الله عليه الكتاب ، مصدقا لقوله : " يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا (سورة مريم : الآية ١٢) . وتسمى النصارى سيدنا يحيى يوحنا المعمدان ، لأنه هو الذي صمد سيدنا المسيح . وكانت " حنة " زوجة عمران لا تلد واشتهت الولد ، فدعت بذلك ونذرت أن رزقها الله ولدا أن تجعله في خدمة بيت المقدس ، فحملت حنة وتوفى زوجها عمران وهي حامل ، فولدت بنتا وسماها مريم ومعناه " العابدة " ثم حملتها^(٢) وأتت بها إلى المسجد ، ووضعها عند الأبحار ، وقالت " بولكنكم هذه المنقورة ، فتتلفسوا على أخذها ، لأنها بنت عمران ، وكان من أمتهم . فقال زكريا ، إنما أحق بها لأن خالتي زوجتي ، فأخذها زكريا وضماها إلى ايساح خالتيها . وما كبرت مريم بنى لها زكريا غرفة في المسجد ، وانقطعت في تلك الغرفة للعبادة ، وكان لا يدخل على مريم غير زكريا فقط " مصدقا لقوله تعالى : " كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا " (سورة آل عمران : الآية ٣٧) .^(٣)

De Saulcy, les Derniers jours de Jerusalem, Paris (1866), p. (١)

9 – 80.

(٢) خالد العك : المرجع السابق ، ص ١٢٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٢٦ – ١٢٧ .

* يا مريم اتقي لربك واسجدي ولوكعى مع الراكعين * (سورة آل عمران : الآية ٤٣) وبشرتها الملائكة بميلاد عيسى . فأرسل الله تعالى روحا تمثلت لها بشرا سويا * فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا * (سورة مريم : الآية ١٧) . فحملت في سيدنا عيسى عليه السلام ، وكنت ولادته في بيت لحم ، وهي قرية قريبة من بيت المقدس . ولما جاءت مريم بسيدنا عيسى تحمله قال لها قومها : * قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا * (سورة مريم : الآية ٢٧) .

وأخذوا الحجارة ليرجموها ، فتكلم سيدنا عيسى وهو في المهد معلقا في منكبها ، * قال إني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبيا ، وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا * (سورة مريم : الآية ٣٠ - ٣١) : فلما سمعوا كلام ابنها تركوها . وكان الله عز وجل قد طمئن السيدة مريم بقوله : * ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل * (سورة آل عمران : الآية ٤٨) وأيضاً * وقيلنا بعيسى ابن مريم وأتيناه الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رافة ورحمة * (سورة الحديد : الآية ٢٧) وكذلك * ومصدقا لما بين يدي من التوراة * (سورة آل عمران : الآية ٥٠) * وإذ علمت الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل * (سورة المائدة : الآية ١١٠) .

وقد فقد الإنجيل الأصلي واندثر كالتوراة وذلك بسبب الاضطهادات التي تعرض لها المسيحيون بعد المسيح عليه السلام وكنت مسببا في اختفاء النسخة الأصلية .

والإنجيل الموجود اليوم ليس إنجيلا واحدا ، بل أناجيل كثيرة هي عبارة عن قصص وروايات في حياة السيد المسيح عليه السلام تنسب إلى مؤلفيها وفيها جمل صالحة ، ومواظب حسنة يقولون أنها من كلام السيد المسيح عليه السلام وقد اتفق المسيحيون على أربعة منها هي : إنجيل لوقا ، متى ، مرقس ، و يوحنا .

ولد سيدنا عيسى في زمن هيروود حاكم اليهود . فكان هناك ثلاثة من المجوس في أنحاء المشرق يراقبون نجوم السماء ، فتبدى لهم نجم شديد التألق فتشاوروا فيما بينهم ، وجاءوا إلى فلسطين في هداية هذا النجم ، ولما بلغوا بيت لحم

وهو خارج المدينة وجدوا النجم ولحقا فوق المنزل حيث ولد السيد المسيح ، فذهب
المجوس إلى هناك ولما دخلوا المنزل وجدوا الطفل مع أمه ، فالتحنوا وسجدوا له .
فلما علم هيرود بالأمر خاف على سلطانه ، فعقد التية على قتل الطفل الذى ولد ،
ولكن بينما كان يوسف بن يعقوب بن ماثان (النجار) وكان حكيما وكان نائما فظهر
له ملاك الرب قائلا : انهض عاجلا وخذ الطفل وأمه واهرب إلى مصر ، لأن هيرود
يريد أن يقتله لأنه هو الذى سوف يرعى شعبى إسرائيل * مصداقا لقوله تعالى :
" ورسولا إلى بنى إسرائيل اتى قد جئتكم بآية من ربكم " (سورة آل عمران : الآية
٤٩) . وكان يوسف هو أول من تذكر حملها فى البداية ثم علم وتحقق من براعتها ..
فنهض عاجلا ويخوف شديد فاصطحب مريم وطفلها وساروا إلى مصر ، وأقاموا
هناك اثنا عشر سنة ، توفى خلالها هيرود الذى كان قد أرسل جنوده ليقتلوا كل
الأطفال المولودين حديثا فى بيت لحم .^(١)

ولما مات هيرود ظهر ملاك الرب فى حلم ليوسف قائلا : " عد إلى
القدس " ، فأخذ يوسف الطفل والسيدة مريم ، وكان الطفل بالغ سبع سنين من العمر
وجاء إلى القدس حيث سمع أن أرخيلوس بن هيرود أصبح حاكما فيها ، فذهب إلى
الناصره وبها سميت الناصري ، وأقام بها ، ولما بلغ السيد المسيح اثنا عشر عاما من
العمر صعد مع السيدة مريم ويوسف إلى القدس ليسجد هناك حسب شريعة الرب
المكتوبة فى كتاب موسى ، وكما جاء فى سورة مريم : " وأوصانى بالصلاة والزكاة
ما نمت حيا " (الآية ٣١) . ولما تمت صلواتهم انصرفوا بعد أن قدّموا يسوع لأنهم
ظنوا أنه عاد إلى الوطن مع أقربائه ، ولذلك عادت مريم مع يوسف إلى القدس
ينشدان يسوع بين الأكرباء والجيران . وفى اليوم الثالث وجدوا الصبي فى المحراب
وسط العلماء يحاججهم فى أمر التلموس ، وأعجب كل واحد بأسئلته وأجوبته قائلا :
كيف أوتى هذا العلم وهو حدث لم يتعلم القراءة . ولما بلغ السيد المسيح الثلاثين من
عمره صعد إلى جبل الزيتون مع أمه ليبنى زيتونا وبينما كان يصلى فى الظهيرة

(١) هذه قصة مأخوذة من إنجيل برنابا ، الفصل السادس ، ص ٨ ، راجع : خالدا

العك : المرجع السابق ، ص ١٣٠ - ١٣٧ .

وبلغ بكلمات ربه ورسالته وأنه أرسل رسولا لبني إسرائيل وللناس ، وسار إلى نهر الأردن ونهر الفور المسمى بالشريعة فاعتمد وبدأ الدعوة ، وكان يحيى بن زكريا هو الذى عمده وأظهر سيدنا عيسى عليه السلام المعجزات وأحيا ميتا يقال له (عازر) بعد ثلاثة أيام من موته ، وجعل من الطين طائرا وأبرا الأكمة والأبرص وكان يمشى على الماء ، كل ذلك بإذن الله وينبئهم بما يأكلون وما يدخرون فى بيوتهم مصدقا لقوله : " ورسولا إلى بنى إسرائيل إني قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وبرى الأكمة والأبرص وأحيى الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم إني فى ذلك لأية لكم إني كنتم مؤمنين " (سورة آل عمران : الآية ٤٩) . وأنزل الله عليه المائدة وأوحى إليه الإنجيل . وكان الحواريون الذين اتبعوه اثني عشر رجلا وكانوا من المسلمين . وهؤلاء هم الذين سألوه نزول المائدة . " وإذا أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بى ورسولى قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون ، إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إني كنتم مؤمنين ، قالوا نريد أن نأكل منها ونطمئن قلوبنا " . " قال الله انى منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فأني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين " (سورة المائدة : الآيات ١١١ - ١١٢ ، ١١٥) .^(١)

أخذ سيدنا عيسى عليه السلام يبشر بدين الله تعالى بين بنى إسرائيل الذين أنكروا عليه دعوته وكذبوه واتهموه بالسحر ، فقد وبخهم يسوع بأشد عنف لأنهم نسوا كلمة الله وأسلموا أنفسهم للفرور فقط ، ووبخ الكهنة لإساءتهم خدمة الله لجشمتهم ، ووبخ الكتبة لأنهم علموا الناس تعاليم فاسدة وغير صحيحة وتركوا شريعة الله ، ووبخ العلماء لأنهم أبطلوا شريعة الله بواسطة تقاليدهم وأثر كلام يسوع فى الشعب حتى أنهم بكوا جميعا .^(٢)

(١) خالد المكي : المرجع السابق ، ص ١٢٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٣٢ .

وأيقنوا مدى خطاهم وطلبوا من السيد المسيح أن يصلى من أجلهم ، وما خلا كهنتهم وروسائهم حتى صسموا على قتله لأنه تكلم ضد الكهنة والكتبة والعلماء . وذهب رئيس الكهنة إلى هيرود وإلى الحاكم الرومانى متهما يسوع بأنه يرغب فى أن يجعل نفسه ملكا على إسرائيل . وكان الحاكم الرومانى متعاطفا مع يسوع . فوقف حينذاك هيرود وهدد الحاكم قاتلا : أخطر من أن يكون عطفاك على هذا الرجل باعشا على ثورة فى هذه البلاد لأنى اتهمك بالعصيان أمام قيصر ، حينئذ خاف الحاكم من مجلس الشيوخ وصالح هيرود واتحدا معا على قتل يسوع ، وقالا لرئيس الكهنة ، متى علمت أين الأثيم فأرسل إلينا نعطك جنودا .^(١) وأرسل نيقوديموس الحمل سرا إلى البستان ليسوع وتلاميذه ، مخبرا بكل ما أمر به هيرود والحاكم ورئيس الكهنة ، ولما كان يهوذا يعرف الموضع الذى كان فيه يسوع مع تلاميذه ، ذهب لرئيس الكهنة وقال : إذا أعطيتنى ما وعدت به أخبرك عن مكان يسوع ورفاقه الأحد عشر . فأعطاه رئيس الكهنة ثلاثين قطعة من الذهب . فأرسل رئيس الكهنة إلى الحاكم الرومانى وهيرود ليحضرا جنودا .

ولما اقترب الجنود مع يهوذا من المكان الذى كان فيه يسوع ، سمع يسوع قرب غير من الناس ، فالتصحب إلى البيت خائفا وكان الأحد عشر رفيقا نياما ، فلما رأى الله الخطر على عبده أمر جبريل وميخائيل ورفائيل ولوريل ، سفراءه أن يأخذوا يسوع من العالم . فجاء الملائكة الأظهر وأخذوا يسوع من الغرفة للمشرقة على الجنود فحملوه ووضعوه فى السماء الثالثة فى صحبة الملائكة التى تصبح الله إلى الأبد .

ودخل يهوذا بعنف إلى الغرفة التى (صعد الله منها يسوع) وكان للتلاميذ كلهم نياما ، فأتى الله بمعجزة ، فتغير يهوذا فى النطق وفى الوجه ، فصار شبيها بيسوع حتى اعتقدوا أنه يسوع . وعندما دخل الجنود أخذوا يهوذا وأوثقوه سلخزين منه لأنه انكسر أنه يسوع . ولما أصبح الصبح التأم للمجلس الكبير للكتبة والشيوخ والروساء . وطلب رئيس الكهنة شاهد زور على يهوذا معتقدين أنه يسوع فلم يجدوا

(١) خالد لك : المرجع السابق ، ص ١٢٤ .

مطالبهم وأجابهم يهوذا بأنه الاسخريوطى الذى وعدهم بتسليم يسوع الناصرى وأكثر من ذلك أن لم يسوع العذراء المسكينة مع أقاربه وأصدقائه اعتقدوا ذلك حتى أن حزن كل واحد كان يفوق الحد .^(١) ولما أمسك لليهود الشخص المشتبه به ربطوه وجعلوا يقدونه بحبل ويقولون له أنت كنت تحبى الموتى ، أفلا تخلص نفسك من هذا الحبل ؟^(٢)

• وادخل يهوذا على الحاكم الروماني ، وكان يحب يسوع سرا ، لأجاب يهوذا صدقي يا سيدى أنك إذا أمرت بقتلى سوف ترتكب ظلما كبيرا لأنك تقتل بريئا ، لأنى أنا يهوذا الاسخريوطى لا يسوع الذى هو ساحر قهولنى هكذا بسحره . حينئذ صرخ رؤساء الكهنة ورؤساء الشعب مع الكتبة قائلين إنه يسوع الناصرى فإتينا نعرفه فأخذوه إلى هيروود الذى أمر بصلبه تحقيقا لرغبة اليهود .

وهكذا تضمنى الأحداث وهى تحكى قصة اليهود الذين مكبروا بأنبياء الله تعالى ورسله ، ولكن الله تعالى ينجى رسله والذين آمنوا ، وأنه لم يقتل ولم يصلب ولكن شبه لهم مصداقا لقوله تعالى :

” فيما نقصهم ميتاتهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغور حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا ، ويكفرهم وقولهم على مريم بهتان عظيم ، وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم . وإن الذين اختلفوا فيه لئى شك منه ما لهم به من علم إلا إتباع الظن وما قتلوه يقينا ، بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكما “ (سورة النساء : الآيات ١٥٥ - ١٥٨) .^(٣) إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا “ (سورة آل عمران : الآية ٥٥) .

(١) خالد المك : للمرجع السابق ، ص ١٢٥ .

(٢) للمرجع السابق ، ص ١٢٨ .

(٣) للمرجع السابق ، ص ١٢٥ - ١٢٦ .

وظننت السيدة مريم أن اليهود أصابوا سيدنا عيسى ونالوا منسه فأنزل الله المسيح من السماء إلى أمه مريم وهى تبكى عليه ، فقال لها : " إن الله رفعنى إليه ولم يصبنى إلا الخير ، وأمرها فجمعت له الحواريين فيهم فى الأرض رسلا عن الله وأمرهم أن يبلغوا عنه ما أمر الله به ، ثم رفعه الله إليه ، وتفرق الحواريون حيث أمرهم . وكان رفع السيد المسيح من طورزيتا ، وهو جبل شرقى بيت المقدس " (١) .

ثورة اليهود وإبادة الرومان لهم :

هذا ما فعله اليهود بيهودا من تعذيب وصلب وقتل ، ظنا منهم أنهم قد قضوا على الدين الجديد وعانت لهم الرئاسة فى دين إسرائيل ، ولكن الأحداث التالية لم تكن فى صالحهم ولا فى مصلحتهم ، فعاقبهم الله تعالى بالاضطهاد والتشريد والسبى على أيدي الرومان وعلى الرغم من المعاملة المميّزة التى منحها الرومان لليهود كإعفائهم من خدمة الجيش وعبادة الإمبراطور ، وبقاء أحكامهم الدينية فى يد حكامهم ، فقد استمر الاحتكاك بين الطرفين .

فتحت حكم نيرون بدأت ثورة اليهود فى اورشليم ما بين عامى ٦٦ - ٧٠ ميلادية ، فأمر قائد سبسيان بالقضاء عليها ومحاصر اورشليم . ولكن الأمور تطورت فى روما وتولى نيرون وتولى من بعده سبسيان الذى أمر ابنه تيتوس بإتمام مهمة القضاء على اورشليم ومحو آثار اليهود من المدينة المقدسة ، فحاصرها خمسة أشهر فى عام ٧٠ ميلادية وأوقع الرومان مذبحة كبيرة باليهود وذهب فيها مئات الألوف منهم ، وخربت المدينة المقدسة ويقال أيضا أنه أحرق الهيكل المزعوم (٢) وأزاله من الوجود حتى أن اليهود فيما بعد لم يهتدوا إلى مكانه (٣) وأخلت اورشليم من بنى إسرائيل ، ولم يعد لهم بعد ذلك رئاسة ولا حكم ولا عبادة ومنعهم بعد ذلك من دخول اورشليم ، والسكن

(١) خالد العف : المرجع السابق ، ص ١٢٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٩١ ، ١٢٠ ، ١٢٧ .

فيها ، بل ألدنوا منها .

لقد تمكنت فئة من جماعة القريسيين اليهود ، من الفرار من مذبحه تيتوس واللجوء إلى مدن الساحل الفلسطيني ، وكان من بينهم عدد من حاخامات السنيهريين فمكثوا بالقرب من حيفا ثم تحولوا إلى طبريا ، فلتخذوا مركزا لهم .^(١)

وقد ساد الهدوء مدينة اورشليم ن حوالي نصف قرن ، إلا أن شرارة عصيان جديد اعترضت هذا الهدوء ، وذلك على أثر إصدار الإمبراطور هادريان سنة ١١٧ - ١٢٧ م مرسوما يمنع الختان بشكل عام وإصداره أمرا بإنشاء معبدا بدل الهيكل الذي تهدم (٤) فاشتعلت نيران الثورة بقيادة باركوخبا الذي كان يساند الحاخام الكبير اكيبا واعتصمت جماعة في المواقع الجبلية الحصينة ، وأخذوا يقومون بشن هجمات وغارات على هيئة عصابات ، وبقوا معتصمين بمواقعهم هذه ثلاث سنوات من ١٣٢ إلى ١٣٥ م ، فجرد لهم الرومان حملة عسكرية اجتاحت مواقعهم وأزلت قلاعهم وأحرقت قراهم ، وحول هادريان مدينة اورشليم إلى مستعمرة رومانية وحرم على اليهود أن يسكنوها ، وغير اسمها إلى إيلياء كبتولينا .

وكلفت هذه هي الضربة الأخيرة لليهود في فلسطين ، ويعدّها لم يقم لهم كيان فيها طوال العصور التالية .^(٢)

وفيما بعد سنة ١٢٨ م ألغى الإمبراطور ثتونيوس المراسيم التي وضعها سلفه هادريان والقاضية بتحريم ممارسة شعائر الديانة اليهودية وبعدها استعاد اليهود المتبقون نشاطهم الديني وأنشأوا في الجليل الأعلى المجلس اليهودي الأعلى الذي أطلق عليه " جماعة السنيهريين " . وهم الذين وضعوا التلمود المشتغل على الشرائع اليهودية ، وقد سمي التلمود الفلسطيني ، لتمييزه تلمود بابل . وبعد ذلك ظهرت المسيحية في ظل الحكم الروماني ، فكان هذا الحدث فلجة كبرى عند اليهود ، حيث

(١) خالد العك : المرجع السابق ، ص ٩٢ ، ١٢٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٩٣ ، ١٢٠ ، ١٣٧ .

وقع عليهم الاضطهاد من جديد في كل أنحاء الإمبراطورية الرومانية .

وتكونت لدى الرومان قناعة كافية في فسهم العقيدة اليهودية ، ومعرفة طباعهم ، وعلى أساس ذلك أخذوا يسمون البقية المتبقية من اليهود ، وفسق خطة جديدة تتمثل في تولية أمورهم لقائد غريب عنهم ، حتى لا ينحرف خلف مذائرتهم ومؤامراتهم وكان ذلك القائد هو هيرود بن أنتيباتير الملك الجديد على اليهود ، حيث اشتهر إبان حكمه بولائه وحيه لروما وحضارتها ، وظل حاكما على اليهود طيلة حياته ، وبعد وفاة هيرود تجزأت مملكته بين أولاده الثلاثة ، فسقط اثنان منهم وهما ارشيلوس وانتيبا من جراء سبائل اليهود ودمائهم ، وسلم الثالث لكون شعب بلده كانوا غير يهود . وعلى أثر سقوط أبناء هيرود عادت المنطقة إلى الحكم الروماني مباشرة ، وبعدها ذاق اليهود ويلات دمائهم ومؤامراتهم ^(١) . وحدث في عام ٣٠٦ م أن اعتنق الإمبراطور قسطنطين الأول المدعو بالكبير الديانة المسيحية ، وبعد ذلك اتخذ القسطنطينية عاصمة له ، وهي أسطنبول . وقد أصدر قسطنطين في سنة ٣١٣ م مرسوما يقضى منح المسيحيين حرية دينية في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية . وقام قسطنطين بزيارة للقدس سنة ٣٢٦ م ، وأقام كنيسة في الموضع الذي صلب فيه يهوذا وعلى حد زعمهم المسيح حسب التقاليد الموروثة وهي كنيسة القيامة حاليا ^(٢) .

وبعد وفاة قسطنطين ، اعتلى عرش روما الإمبراطور جوليان سنة ٣٦١ م ، وقد سمي بالمرتد ، لخروجه من المسيحية وعودته إلى الوثنية . وقد حاول جوليان إعادة بناء ما يسمى بالهيكل اليهودي (٤) ، ولكن الزمن لم يمهله لتحقيق مأربه ، حيث مات بعد سنتين في حملته على بلاد فارس عام ٣٦٣ م . وموت جوليان تغيير الوضع لخير صالح اليهود الذين تمتعوا بشيء من الحرية في عهد جوليان ، وعاد الاضطهاد ضدهم إلى ما كان من قبل ^(٣) .

(١) خالد اللك : المرجع السابق ، ص ٩٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٢٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٢٩ .

وفي عام ٣٩٥م حدث حادث مهم في تاريخ الإمبراطورية الرومانية حيث تم تقسيم الإمبراطورية إلى قسمين : غربي وشرقي ، أصبحت بلاد فلسطين بصورة طبيعية من ضمن القسم الشرقي البيزنطي .

وبعد ذلك شهدت فلسطين نوعا من الاستقرار دام أكثر من مائتي عام ، وفي عهد الإمبراطور جستنيان (٥٢٧ - ٥٦٥م) أقيمت المباني الكثيرة في فلسطين وفي القدس ، من ذلك باب الذهب في القدس ، وهو ما يزال يسمى بهذا الاسم حتى هذا الزمن . كما أُنشئ في القرب من المسجد الأقصى كنيسة . وفي عام ٦١٤م هاجم ملك الفرس كسرى الثاني - لبريز سوريا ، وامتدت فتوحاته إلى أن سيطر سنة ٦١٤م على القدس . وبعدها قام الفرس بأعمال التخريب في البلاد ، فخرّبوا كنيسة القبر المقدس * كنيسة القبر الآن * كما خربوا باقي الكنائس الأخرى فهدموا دما كاملا ، وأخذوا بطريرك القدس سجيناً .^(١)

ومما يذكر أن اليهود انضموا إلى الفرس في حملتهم هذه رغبة منهم في الانتقام من مضطهديهم المسيحيين . وهكذا قد البيزنطيون سيطرتهم على البلاد المقدسة غير أن هذا الاحتلال الفارسي لم يدم طويلا ، فقد تولى الإمبراطور الروماني هرقل سنة ٦١٠ - ٦٤١م وفتح فلسطين سنة ٦٢٨م .^(٢)

ثم قام هرقل بإعداد حملات عسكرية لحق بها الفرس حتى بلادهم وقيل أنه استرجع حوالي سنة ٦٢٠م الصليب الأصلي الذي كان استولى عليه الفرس بعد احتلالهم للقدس سنة ٦١٤م .

القدس في العصر الإسلامي :

إلا أن هذا الانتصار لهرقل لم يكتب له الدوام أيضا ، حيث أعقبه من بعده الفتوحات في عهد الفاروق عمر بن الخطاب ، وفي عهده تم الفتح الإسلامي الكبير

(١) خالد الحك : المرجع السابق ، ص ١٣٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٤٠ .

للقس ، وكان ذلك سنة ١٧هـ - عام ٦٢٨ م^(١) وفي الشهر الذي أُمري الله تعالى برسوله محمد صلى الله عليه وسلم . وكان فتح القس على يدى عمر رضى الله عنه ، بناء على طلب بطريرك القس ، فحضر عمر شخصيا من المدينة المنورة عاصمة الخلافة الإسلامية ، ولما دخلها زلزل موضع الصخرة المشرفة التي خرج من عيسىها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى السموات العلى . وكانت الصخرة على حالة غير مرضية . فأمر بتخليتها وجعل فيها المصلى المعروف الآن بمسجد عمر الذي تم بناؤه في سنة ٣١ هجرية تقريبا وهو أول مسجد بنى للمسلمين فسمى مدينة القس حاليا . كما اهتم الخليفة عبد الملك بن مروان ببيت المقدس وبنى مسجد قبة الصخرة الذي شرع في بنائه في عام ٧٤ هجرية (٦٩١ ميلادية) . وبنى الخليفة الوليد بن عبد الملك بجانب مسجد الصخرة المسجد الأقصى عام ٨٦ هجرية (٧٠٥ ميلادية) .

ويذكر مولانا الشيخ يحيى كامل في مؤلفه القيم 'رسالة الإسلام' عدة حقائق بالنسبة لما شهد في القس :

(١) وأصل عمرو بن العاص فتوحاته في فلسطين ففتح غزة ونابلس واللد ويافا ثم توجه نحو بيت المقدس وتحصن الروم فيها واستمروا لمقاومة المسلمين بجميع كبير من قواتهم ، تقدم المسلمون نحو بيت المقدس وطلبوا تسليمها مسلما دون قتال ولكن سكانها رفضوا مما دفع للمسلمون إلى حصارها عدة شهور اشتد فيها الضيق ويات مقطوعا وشيكا . فرغب أهلها في الصلح شريطة أن يتولى عقد الصلح معهم الخليفة عمر بن الخطاب نفسه فكتب عمرو بن العاص إليه بذلك . خرج الخليفة عمر بن الخطاب من المدينة المنورة قاصدا بلاد الشام حيث وصل إليها وأكرم الصلح مع سكان بيت المقدس ، وأعطاهم فيه أمنا لأنفسهم وأموالهم ودور عبادتهم على أن يؤدوا الجزية المفروضة عليهم للمسلمين . وهكذا دخل المسلمون المدينة المقدسة صلحا دون قتال .

* عندما قدم عمر بن الخطاب إلى بيت المقدس وزار مكان الحرم الشريف وشيد به مسجدا لم يعرف مكانه على وجه التحديد . إنما يرجح أنه أقيم مكان المسجد الأقصى الحالي أى في الطرف الجنوبي من ساحة الحرم * (ص ٩٧) .

* ويذهب أكثر المؤرخين إلى أن باني مسجد الصخرة عبد الملك بن مروان ، هو نفسه الذي بنى ، بل شرع في بناء المسجد الأقصى وكان ذلك سنة ٧٤ هجرية (٦٩١ ميلادية) وقد استعمل في بنائه أنقاض كنيسة القديسة ماري أو كنيسة جوستيان التي كانت في نفس موقع المسجد الأقصى أو بالقرب منه والتي هدمتها جيوش كسرى في تاريخ سابق بنحو ٧٥ سنة . أما الذي أكمل بناء هذا المسجد فكان الوليد بن عبد الملك . وكان ذلك سنة ٨٦ هجرية (٧٠٥ ميلادية) * (ص ٩٨ - ٩٩) .

وبناء على ذلك يكون محصلة ما ورد عن المسجد الأقصى ومسجد الصخرة ومسجد سيدنا عمر هي كالآتي :

١- أن أقدم المساجد هو مسجد سيدنا عمر ويكون قد تم بنائه في سنة ٣١ هجرية تقريبا وهو أول مسجد بني للمسلمين في مدينة القدس حاليا لو ما كان يسمى بيت المقدس قبل الفتوحات الإسلامية .

٢- إن الشروع في بناء المسجد الأقصى كان في سنة ٧٤ هجرية وتم بنائه سنة ٨٦ هجرية وهي الفترة المعاصرة لبناء مسجد الصخرة (ص ١٠٠) .

ولا يعرف الكثير عن مسجد سيدنا عمر هذا . إلا أن سائح أوروبا اسمه اركولوف زار القدس سنة ٦٧٠ ميلادية وشاهد مسجد عمر ولم يمسح على بنائه ثلاثون عاما . ويذكر اركولوف هذا أن المسجد كان بسيطا للغاية * (ص ٩٩) .

* وبذلك يتضح أن المسجد الأقصى لم يكن له وجود وقت نزول سورة الإسراء على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (ص ٦٨) . وأن بناء المسجد الأقصى لم يتم إلا بعد حوالي ٨٦ سنة من نزول القرآن على سيدنا رسول الله حيث لم يكن موجودا في مكانه في ذلك الوقت إلا بيت المقدس * (ص ١٠٠) .

* إذن الإشارة في عبارة صريحة في القرآن الكريم إلى المسجد الأقصى في أول سورة الإسراء كانت باعتبار ما سيكون وهو نبأ عن المستقبل أوحى الله به إلى سيدنا رسول الله بأن موطن قدمه الشريف في البيت المقدس في ذلك الوقت سيكون فيما بعد مسجداً ويسمى كما قدر الله في كتابه العزيز المسجد الأقصى عند إتمام بنائه وقد حقق الله وعده الذي أنزله على رسوله وتم بناء المسجد وسيظل هكذا أبد الأبدين المسجد الأقصى مهما حاول المتآمرون وجاروا - وإن قلع أية مؤامرة أو مكيدة لتحويل هذا المسجد إلى معبد أو هيكل * (ص ١٠٠) . بعد ذلك دخلت مدينة القدس في تاريخ البشرية من توسع أبوابه . وأصبح لها مكانة خاصة في قلوب شعوب الأمم الإسلامية ، وذلك منذ اختارها الله تبارك وتعالى من بين بقاع الأرض بعد مكة المكرمة .

اختار الله سبحانه وتعالى مدينة القدس لتكون مهبطاً لوحى السماء ومستقراً آمناً للأنبياء ، أنزل الله تعالى فيها الزبور والإنجيل وجعلها قبلة للعالمين ووجهة للمؤمنين ، فكان فيها بيت المقدس ومن عظم شأنها عند الله عز وجل أنه سبحانه طهرها من رجس المشركين فلم ينصب فيها وثن ، ولم يشرع فيها بصلب .^(١)

وهناك أحداث ثلاثة ارتبطت بتاريخ القدس في العصر الإسلامي :

- الحدث الأول : حين اختار الله تبارك وتعالى القدس مهبطاً للإسراء وقاعدة للمعراج ، " سبحانه الذى أمرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير (سورة الإسراء : الآية ١) . لقد كان التوجه إلى المسجد الأقصى ليلة الإسراء ، تكريماً من الله تعالى لهذه الأمة الإسلامية ممثلة في شخصية نبيها سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، إذ حشد الله تعالى له ليلتها جميع الأنبياء والمرسلين ، ابتداء من سيدنا آدم حتى سيدنا عيسى عليهم السلام جميعاً ، ولشهادتهم بأنه تم نزع الملك والقبوة من بنى إسرائيل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها ، وذلك كما قال الله تعالى فيهم : * مثل الذين

(١) خالد المك : المرجع السابق ، ص ٢٣ .

حملوا التوراة ثم لم يحملوها ، كمثل الحمار يحمل أسفارا ، بنس مثل القسوم الذين كذبوا بأيات الله ، والله لا يهدي القوم الظالمين * (سورة الجمعة : الآية ٥) .^(١)

فكان هذا الاختيار ضرورة دينية لا بد منها لأن شعب إسرائيل حين أصبح مفسدا محرقا للتقيل ، كان لا بد من استبعاده عن مهمة حمل أمانة السماء ولقد أوضح له تعالى ذلك في قوله الحق : " يا أهل الكتاب لم تلمسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأتمتعون ظلماته " (سورة آل عمران : الآية ٧١) ، وأيضا قوله تعالى : " قول للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ، فويل لهم مما كتبت أيديهم ، وويل لهم مما يكسبون " (سورة البقرة : الآية ٧٩) .

وتأكدنا على هذا الاختيار تم لقاء بين سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبين شيخ الأنبياء سيدنا موسى عليه السلام ، في المسجد الأقصى بعد الإسراء ، وفي السماء السادسة أدى العودة من المعراج وتردد رسول الله بين ربه عز وجل وبين موسى مرات ومرات وهو يطلب منه أن يسأل الله تعالى لأمنته التخفيف في فريضة الصلاة خمسين صلاة في اليوم والليلة لقد كان هذا للحسنة العظيمة ليلة السابع والعشرين من شهر رجب ، قبل الهجرة بعام تقريبا .

إن الله سبحانه وتعالى حين ربط بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى ، فقد دل على تلك الصلة القديمة الأصيلة التي تجمع بينهما من حيث النشأة وصلة النبوة المتأصلة في تخومها حيث جعلهما سبحانه وتعالى مهدا للأنبياء والرسل .^(٢)

فكما ملك الله تعالى المسلمين المسجد الحرام الذي بناه خليل الرحمن إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام ، كذلك ملكهم المسجد الأقصى الذي وضع قواعده حفيد سيدنا إبراهيم سيدنا يعقوب عليهما السلام ، قيل ذلعه إلى مصر ، وذلك لعدم أهلية بنى إسرائيل للتقيام بهذا الواجب المقدس فلأخذ منهم تلك الشرف الكبير ، ومنحه

(١) خالد الحك : المرجع السابق ، ص ٢٤ - ٢٥ ، ١٦٩ ، ١٧٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٦٩ - ١٧١ .

للعرب المسلمين الذين يصونون الأمانة ويؤدون الرسالة ويحفظون الكرامة .^(١)

ولما أمرى برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن المسجد الأقصى بحالته الحاضرة موجودا ، ولا الهيكل المزعوم (٢) لسيدنا سليمان أى أثر ، فسا علم الله سبحانه وتعالى نبيه الكريم مكان المسجد الأقصى فى المكان الذى جمع له الأنبياء فيه حيث أمهم وصلى بهم .

- أما الحدث الثانى : فهو فتح بيت المقدس على أيدى أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب ، وكان ذلك بعد ستة عشر عاما من تسلم الأمانة من سيدنا موسى عليه السلام فى السماء . كان تسلم مفاتيح إيلياء أى القدس على يدى أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب فى شهر رجب فى العام الخامس من الهجرة الذى تم بعهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بذلك .

وذكر المؤرخ ابن الوردي فى تاريخه : أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال لعمر بن الخطاب : " لك ستفتح بيت المقدس بلا قتال " .

وجاء فى نص وثيقة العهد الذى أعطاه عمر بن الخطاب لبطريرك القدس ، حين سلمه مفاتيح القدس ، حيث كتب لهم : ^(٢)

" بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أعطى عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان ، أعطاهم أمنا لأنفسهم .. وأموالهم ، ولكنائسهم وصليباتهم ومنابعها وبريحتها وسائر ممتلكاتها : أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ، ولا ينتقص منها ولا من غيرها ، ولا من صليبهم ولا شيء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بإيلياء منهم أحد من اليهود " .

(١) خالد الحك : المرجع السابق ، ص ١٧٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٦ ، ١٧١ - ١٧٢ .

ويفهم من هذا الشرط الذى جاء فى الوثيقة أن اليهود لم يكونوا ممن أهل
إيلياء ، وأن على أهل إيلياء أن يمنعوا اليهود من استيطان القدس أو حتى السكنى فيها
ولو لفترة من الزمن ، وذلك لسلامتهم وبخيرهم .^(١)

وبعد هذا الفتح عاشت القدس مسلمة عريضة ، يعيش فيها المسلمون
والنصارى فى تسامح فيما بينهم حتى عصفت بتلك الأرض فتنة الصليبيين والتسى
استمرت اثنين وتسعين عاما وذهب ضحيتها ما يقرب من مائة ألف ضحية وشهيد .

- أما الحدث الثالث : فهو تحرير القدس من براثن الصليبيين المعتمدين فى
٢٧ من شهر رجب عام ٥٨٣ للهجرة ، وهو اليوم الذى يوافق ذكرى الإسراء
والمعراج ، وتم هذا التحرير على يد البطل صلاح الدين ، الذى كان يجلس على
رهوة تطل على القدس بينما كانت جموع الصليبيين يرحلون مهزومين من المدينة
المقدسة . لقد دخل المسلمون الأراضي المقدسة بعد جهاد طويل ، استمر ثلاثة
وثمانين عاما أو أكثر ، فى لحظات تاريخية حملت من مشاعر الإيمان والعزة
والكرامة ما عجزت عن وصفه أقلام المؤرخين وألسنة الشمرء والأدباء الذين
عاصروا هذا الحدث العظيم .

(٥) ما قيل فى وصف الأقصى :

وفى وصف المسجد الأقصى قال الإمام ياقوت الحموى :

“ وأما الأقصى : فهو فى طرفها الشرقى (أى القدس) نحو القبلة ، أساسه
من عمل داود عليه السلام ، وهو طويل عريض ، وطوله أكثر من عرضه وفى نحو
القبلة ، المصلى الذى يطلب فيه للجمعة ، وهو على غاية الحسن والإحكام ، مبنى
على الأعمدة الرخام الملونة والفسيفساء التى ليس فى الدنيا أحسن منها .^(٢) وفى
وسط صحن هذا للموضع مصطبة عظيمة ، وفى وسط هذه المصطبة قبة عظيمة

(١) خالد لك : المرجع السابق ، ص ٢٧ ، ١٧٠ - ١٧١ ، ١٧٦ ، ١٩٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٧٠ .

على أعمدة رخام مستقيمة برصاص منمقة بالفضياء مطبقة بالرخام الملون قائم ومسطح ، وفي وسط هذا الرخام قبة أخرى ، وهي قبة الصخرة التي تزار ، وعلى طرفها أثر قدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتحته مغارة ينزل إليها بمدة درج . ويصلى فيها وتزار ولهذه القبة أربعة أبواب ، وفي شرفها قبة أخرى على أعمدة مكشوفة حسنة ، وقبة المعراج أيضا على حائط المصطبة ، وقبة النبي داود عليه السلام كل ذلك على أعمدة مطبق أعلاها بالرخام .

ويدخل إلى المسجد من ثلاثة عشر موضعا بعشرين بابا ، منها : باب العطة ، وباب النبي عليه الصلوة والسلام ، وباب محراب مريم ، وباب الرحمة ، وباب بركة بنى إسرائيل ، وباب الأسباط ، وباب الهاشميين ، وباب الوليد ، وباب إبراهيم عليه السلام ، وباب أم خالد ، وباب داود عليه السلام . وفيه من المشاهد : محراب مريم وزكريا ويعقوب والخضر ، ومقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجبرائيل ، وموضع المنهل والنور والكمبة والصراط مقفلة فيها ، وقال أيضا وفي المسجد أماكن كثيرة وأوصاف عجيبة لا تتصور إلا بالمشاهدة حقا . ومن أعظم محاسنه أنه إذا جلس إنسان فيه في أى موضع منه يرى أن ذلك الموضع هو أحسن المواضع وأشرحها ، ولذا قيل : إن الله ينظر إليه بعين الجمل ونظر إلى المسجد الحرام بعين الجلال .^(١) وهكذا عندما جاء الفتح الإسلامي في القرن السابع الميلادي لم يكن في القدس أى جماعات يهودية تقطنها ، وكانوا مشتقون في الأرض ضائعون . ولهذا كان المهد الذي كتبه عمر بن الخطاب لبطريرك القدس مشروطا بعدم السماح لليهود بالسكن في القدس ، استمررا لإكساء اليهود عن فلسطين .^(٢) وبذلك قضى على بنى إسرائيل كأمة لها كيان أو وطن . وذلك عقوبة دائمة باقية في هذا النسل المتمرد على خالقه ورسوله والناس جميعا ، والخارج على الإنسانية التي يتصف بها البشر ولم يجعلهم الله تعالى يهنتون بوحدة الأمة والأمان من بعد موسى

(١) خالد المكي : المرجع السابق ، ص ٧١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٣ .

عليه السلام ، وفي هذا قوله سبحانه وتعالى :

” وقطعناهم اثنتا عشرة أسباطا أمما “ (سورة الأعراف : الآية ١٦٠) .
وقوله أيضا : ” وقطعناهم في الأرض أمما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك ببلونسلهم
بالحسنات والسيئات لعلمهم يرجعون “ (سورة الأعراف : الآية ١٦٨) .

وهكذا .. تمضى دولة إسرائيل مولية عن أرض القدس وفلسطين دون أن
تترك أى أثر حضارى يدل على رقى هذا الشعب الذى يدعى زورا وبهتانا أنه
الشعب المختار عند إله إسرائيل .

(٦) أهم التنقيبات الأثرية فى أنحاء فلسطين والقدس خاصة :

اهتم علماء أوروبا فى الدراسات الشرقية وروساء بعثات الحفائر التابعة
للجامعات ومراكز البحوث أو الفنون والمعاهد العلمية المختلفة فى أوروبا وأمريكا
بالبحث عن أدلة تؤكد صحة ما ورد فى التوراة من أسماء مدن فلسطينية قديمة .
وكان هدف أغلبهم من وراء ذلك هدف سياسى وهو محاولة الكشف عن آثار
للمبرانيين واليهود فى فلسطين . أو ما يدل على دورهم فى تاريخ فلسطين القديم .
لذلك لا عجب أن تكون مدينة القدس قد شكلت بداية أعمال التنقيب فى إطار
الدراسات الشرقية القديمة وإطار الدراسات اليهودية المسيحية والمهد القديم .

اتخذت حفائر البعثات الأجنبية واليهودية فى فلسطين اتجاهين :

(أ) حفائر فى جميع أنحاء فلسطين والمناطق الأثرية فيها . وبدأت هذه الحفائر عام
١٨٩١ ويبدو أن بعض هذه الحفائر كان مخصصا لخدمة غرض سياسى
وانتشرت هذه الحفائر فى أكثر من ٢٥ موقعا .

(ب) فى الوقت الذى كان فيه المنقبون عن الآثار يعملون فى أنحاء فلسطين ، كان
هناك آخرون يقومون بحفريات أثرية مماثلة فى جميع أنحاء القدس والقدس
نفسها وبدأت عام ١٨٦٤ واستمرت بعد ذلك بعد قيام دولة إسرائيل نفسها
١٩٤٨ وزادت حمة الحفائر بعد عام ١٩٦٧ بعد أن احتل الإسرائيليون القدس
الشرقية وجندوا لذلك كل بعثات الحفر اليهودية والأجنبية والبعثات التى تساند

بالمستمرار الفكر للصهيوني ولا زالت هذه الحقائق معتمدة حتى الآن أملا في العثور على بقايا أثرية تثبت ادعاءاتهم وكذبهم وتطاولهم على التاريخ . فهم يدعون أن سيدنا داود اختار القسم الشمالي من الهضبة الشرقية في القدس ، أي القسم الذي يقع شمال حصن صهيون لبناء الهيكل المزعوم (٢) فيه ويعترف هذا القسم بجبل المريا . وأن سيدنا سليمان قام باختيار هذا الموضع لبناء الهيكل بعد ذلك ، ويدعون أيضا أن موضع هذا الهيكل المزعوم هو الآن الحرم الشريف وفي وسطه مسجد قبة الصخرة والمسجد الأقصى إلى الجنوب منه . (١)

وسوف نستعرض أولا أصال بعض الحقائق في أنحاء مختلفة من فلسطين ونقوم بذكرها طبقا لتواريخ أصلها ابتداء من عام ١٨٩١ إلى ١٩٥٢ ، وهي كالآتي :

١- أجرى بيري حفائر أثرية في تل الحصن إلى الشمال من مدينة غزة ثم أكملها بليس عام ١٨٩١ و ١٨٩٣ . ومن أهم المكتشفات الأثرية التي عثر عليها في هذا التل ، كان لوحا طينيا نقش عليه نص باللغة والكتابة المسمارية (البابلية) ويرجع تاريخه إلى حوالي عام ١٤٥٠ - ١٣٥٠ ق. م . وهو نص عصر تل العمارنة في مصر .

٢- وفي الجزء الجنوبي الغربي من فلسطين قام بليس ومكاستر بعدة حفائر خلال الأعوام ١٨٩٨ إلى ١٩٠٠ في تل يوحنا على بعد ١٢ كم شمال غرب بيت حبرين وفي تل زكريا على بعد ٣ كم شمال بيت حبرين . وكان من أهم ما عثر عليه في هذه الحفائر تماثيل صغيرة مصنوعة من البرونز تمثل بعض القوى المصرية . وعثر في تل الصفا على لوح من الطين يرجع إلى العصر الآشوري .

(١) أحمد سوسة : العرب واليهود بين الماضي والحاضر ، ص ٤٠٠ .

٣- قام سيلين من عام ١٩٠٢ إلى عام ١٩٠٤ بحفائر ناجحة في تل الطعانك الواقع جنوب شرقي حيفا . وأثبتت هذه الحفائر أن عمران المنطقة كان مؤكداً خلال الفترة من عام ٢١٠٠ إلى ١١٩٠ ق. م . وقد عثر خلال هذه الحفائر على أكبر مجموعة من الألواح الطينية التي اكتشفت حتى الآن في فلسطين . وترجمها هروزني ثم أعاد أولبرايت دراستها من جديد ، وتؤكد هذه الكتابات أن سكان فلسطين الأوائل كانوا يستخدمون اللغة والكتابة المسمارية (البابلية) في مراسلاتهم .^(١)

٤- ثم جاء بعد ذلك مكلستر الذي قام بحفائره في تل الجسر بالقرب من يافا واستمرت أعماله من عام ١٩٠٢ إلى عام ١٩٠٩ (ثم أكمل هذه الحفائر روي في عام ١٩٣٤) . وقد أثبتت الحفائر أن تل الجسر كان عامراً بالسكان بدءاً من عام ٣٧٠٠ ق. م . ومن أهم المكتشفات الأثرية ما يعرف باسم " تقويم الجسر " .

٥- وأجريت حفائر في مجدو على بعد ٣٠ كم جنوبي شرقي حيفا وكشف فيها عن أماكن الإسطبلات التي كان يستخدمها ملوك إسرائيل لحفظ خيولهم ، وقامت أول حفائر المانية في هذا الموقع عام ١٩٠٣ - ١٩٠٥ .

٦- أجرى شومخر خلال الأعوام من ١٩٠٣ إلى ١٩٠٥ عدة حفائر في منطقة تعتبر من أشهر مناطق فلسطين القديمة ، وهي منطقة تل المتسلم (مجدو القديمة) الواقعة جنوب شرقي حيفا . وبالرغم من نجاح هذه الحفائر الأولى إلا أن النتائج العلمية القيمة لم تظهر إلا مع حفائر فوشر من عام ١٩٢٥ إلى عام ١٩٢٧ ثم تابعها جي من عام ١٩٢٧ إلى عام ١٩٣٦ . ثم اختتمها لود في عام ١٩٣٠ . ومن بين النتائج الهامة التي أسفرت عنها هذه الحفائر ما يخص عليم الطبقات الأثرية وتسلسلها في هذا التل . وقد أكتت هذه الحفائر أهمية هذا الموقع الاستراتيجي خلال الألف الثانية ق. م . ولقد دارت معارك طاحنة بين

(١) د. توفيق سليمان : المرجع السابق ، ص ٣٤٠ .

جيوش دول الشرق القديم لاحتلال هذا الموقع الحصين . وكان هذا الموقع أملا بالسكان منذ العصر الحجري الحديث حتى العصر اليوناني . فبلغ عدد طبقاته السكانية حوالي عشرين طبقة .^(١)

٧- قام سيلين بعمل حفائر في مدينة اريحا (يريحو)^(٢) من عام ١٩٠٧ إلى عام ١٩٠٩ (واستمرت الحفائر في هذا التل من عام ١٩٣٠ إلى ١٩٣٥ ثم استكملتها السيدة كينيون ابتداء من عام ١٩٥٢ حتى عام ١٩٥٥) . وعثر في هذا الموقع على أنواع من الفخار في المواسم الأولى . أما في المواسم الأخيرة فقد أكدت الحفائر أن الإنسان سكن هذا الموقع من خلال العصر الحجري الحديث . كما عثر فيه على نماذج جصية لجمال أمية .

٨- وفي عام ١٩٠٨ أجريت حفائر في شمال نابلس أمثقا بالاثاث الذي كان حافلا به قصر عري الذي أسس مدينة السامرة وجعلها عاصمة لدولة إسرائيل .^(٣)

٩- وخلال أعوام ١٩٠٨ إلى ١٩١٠ ترأس كل من ليونارد وريزير أعمال التنقيب في الموقع المعروف حاليا باسم تل السيسية . ثم تابعها كروغسوت من عام ١٩٣١ إلى عام ١٩٣٥ . وقد أظهرت هذه التنقيبات أن الموقع كان عامرا بالسكان خلال الألف الثالثة قبل الميلاد ، مما يدل على أنه كان من تأسيس الكنعانيين (السكان الأصليين) وليس من أصل العبرانيين أو اليهود الذين لم يكونوا قد ظهروا بعد على مسرح أحداث تاريخ المنطقة .

١٠- وفي عامي ١٩١٢ و ١٩١٣ أجرى مكتمس حفريات في التل المعروف حاليا باسم عين شمس الذي يبعد كم إلى الغرب من القدس . وقد أكدت هذه الحفائر أن المنطقة كانت آهلة بالسكان خلال جميع الفترات الممتدة من عام

(١) د. توفيق سليمان : المرجع السابق ، ٣٤١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٣٨ .

(٣) Eydoux, A la Recherche des mondes perdus, p. 105, 108,

٢١٠٠ إلى ٦٠٠ ق. م . أى طوال مدة ١٥٠٠ عام . ومن أهم المكتشفات الأثرية خلال هذه الحفائر ، قطعة من الكتابة المينائية يرجع تاريخها إلى عام ١٦٠٠ لو ١١٩٠ ق. م .

١١- وأجرى سيلين خلال الأعوام ١٩١٣ و ١٩١٤ (و ١٩٢٦ و ١٩٣٤) حفائر في موقع تل بلاطة الواقع إلى الشمال من القدس وكشف في هذا الموقع على عدد من الأكواح المسمارية .

١٢- قام فيشر في عام ١٩٢١ بحفائر في مدينة بيسان (ربما بيت شان القديمة) الواقعة جنوب بحيرة طبرية وتعرف اليوم باسم تل الحصن .^(١) واستمرت حفائره حتى عام ١٩٢٣ ثم تابعها روى من عام ١٩٢٥ إلى عام ١٩٢٨ . ومن بعده فينسكرالد من عام ١٩٣٠ إلى عام ١٩٣٣ . وأكنت جميع أعمال التنقيبات هذه أن هذا التل كان عامرا بدون انقطاع منذ الألف الرابعة ق. م . حتى عام ٢٠٠ ق. م . واكتشف فيها بقايا معابد وكتابات ترجع إلى عصر الملكين مسيتي الأول ورمسيس الثاني . كما عثر على كميات كبيرة من الفخار .^(٢)

١٣- نفذ كرشنك وأمنل خلال الأعوام من ١٩٢١ حتى ١٩٢٤ حفريات محدودة في صقلان الواقعة على بعد ١٥ كم شمال غزة .

١٤- أجرى أولبرايت حفريات خلال أعوام ١٩٢٢ و ١٩٢٣ وفي ١٩٣٣ في تليلات غبول الذي يقع على بعد ٥ كم شمال القدس .

١٥- وفي عامي ١٩٢٥ و ١٩٢٦ قام تورفيل بيتر بتحريات أثرية في مغاراتي الزوتية والأميرة في وادي العمود إلى الشمال الغربي من بحيرة طبرية . وعثر في مغارة الزوتية على جبهة لإنسان الـ نياندرتال من العصر المoustيري .

(١) د. توفيق سليمان : المرجع السابق ، ص ٣٤٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٤٣ .

- ١٦- وفي أعوام ١٩٢٥ إلى ١٩٣٦ أجرى بادي حفريات أثرية واسعة النطاق في تل النصبة الذي يقع على بعد ١٢ كم شمال مدينة القدس . وأكدت الحفائر أن المدينة كانت أهلة وعلمرة بالسكان ما بين عامي ٢١٠٠ و ١٦٠٠ ق.م . ثم هجرت من عام ١٦٠٠ حتى ١٢٥٠ ق.م . ثم أعيد الاستقرار فيها في الفترات ما بين ١٢٥٠ و ٦٠٠ ق.م .
- ١٧- قام كجير وشميت خلال الأعوام ١٩٢٦ و ١٩٣٢ بحفائر أثرية في منطقة سيلون التي تبعد مسافة ٣٠ كم إلى الشمال من مدينة القدس . وقد أثبتت الحفائر أنها كانت أهلة بالسكان خلال الفترة من ٢١٠٠ حتى ٦٠٠ ق.م .
- ١٨- أجرى كرسنك خلال عام ١٩٢٨ في الجزء الشمالي من فلسطين حفريات في أحد أشهر القلاع الأثرية المعروفة هناك وهو تل القاضي . وأثبتت الحفائر بأن هذا التل كان عامرا بلا انقطاع من عام ٣١٠٠ إلى ٦٠٠ ق.م .^(١)
- ١٩- وخلال الأعوام من ١٩٢٨ حتى عام ١٩٣٠ قام بئري بحفائر في تل فرعه الواقع على بعد ٢٥ كم جنوبى شرقى غزة .^(٢)
- ٢٠- وفي عام ١٩٣٠ حتى عام ١٩٣٤ ترأس بئري أيضا بعثة حفائر فى تل المجول الذى يبعد مسافة ٧ كم إلى الجنوب من غزة . ثم قام بحفريات أخرى في عام ١٩٣٨ بنفس التل .
- ٢١- وفي عام ١٩٣٠ دخل اللفاتيكاز ميدان الحفائر إذ أرسل بعثة تمثل المعهد البابوى لدراسات العهد القديم في روما . وكانت البعثة برئاسة ملون وكوبل ونوفيل الذين أجروا حفريات في منطقة تليلات حصول الواقعة شرقى الطرف الشمالى من البحر الميت واستمرت الحفائر من عام ١٩٣٠ إلى ١٩٣٨ .^(٣)

(١) د. توفيق سليمان : المرجع السابق ، ص ٢٤٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٣٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٣٩ .

وتتكون هذه المنطقة من ثلاثة تلال أثرية متجاورة . وقد أثبتت أعمال التنقيب فيها أنها كانت أهلة بالسكان خلال الحقبة الممتدة من ٢١٠٠ إلى ١٦٠٠ ق. م . ومن بين أهم مكتشفاتها الأثرية رمنوم جدران ملونة لم تنزل حتى الآن فريدة في نوعها في فلسطين القديمة . وتضفي هذه الحفائر أهمية خاصة على أنواع الفخار التي اكتشفت في هذه التلال .

٢٢- وأجرى جونز حفائر في تلبيت الواقعة على بعد ١٤ كم جنوب حيفا وذلك في عام ١٩٣٠ . وعثر على بقايا حصن صليبي الذي يرجع تاريخه إلى القرن الثالث عشر الميلادي . واكتشف تحت الحصن محلة سكنية قديمة يرجع تاريخها إلى عام ١٦٠٠ ق. م . وظلت هذه المنطقة عامرة حتى العصر اليوناني . كما عثر على أدوات صوفاية من العصر الحجري القديم ، وهي ذات أشكال معينة اكتشفت لأول مرة في هذه المنطقة (١) .

٢٣- أجرى سارز حفائر في خربة الطبقة عام ١٩٣١ والواقعة على بعد ٧ كم شمال حبرون .

٢٤- قام سوكينيك بعمليات مسح أثرية في تل للفقول الواقع على بعد ١١ كم جنوب الناصرة وذلك خلال أعوام ١٩٣١ إلى ١٩٣٧ ثم تابعها اليهودي بن دور خلال عام ١٩٥٢ .

٢٥- وقلم كل من كويل ومدر خلال عام ١٩٣٢ بحفائر في تل العويجه على الشاطئ الشمالي من بحيرة طبرية .

٢٦- وقام هاميلتون بحفائر في تل أبو حوام الواقع على بعد ٢ كم جنوب شبرق حيفا خلال عامي ١٩٣٢ و ١٩٣٣ وقد تؤكد للمفقب أن هذا التل كان عامرا بالسكان خلال القترات من ١٣٥٠ إلى ١١٩٠ ق. م . ثم هجر وأعيد سكناه من ٩٠٠ ق. م . وحتى العصرين الروماني والبيزنطي .

(١) د. توفيق سليمان : المرجع السابق ، ص ٣٣٨ .

٢٧- أجرى مختاركي خلال الأعوام من ١٩٣٢ إلى ١٩٣٨ حفتر في تل الدوير الواقع على بعد ٨ كم جنوب غرب بيت حيرين . وكشفت خلالها عن محلات سكنية عديدة يرجع تاريخها إلى الفترات من ١٦٠٠ إلى ١٤٥٠ ق.م . ثم هجرت وأعيد سكناها من جديد وقد تم الكشف عن أساسات ثلاثة معابد في ثلاث طبقات متعاقبة ومعها بعض الكتابات بالأحرف المينائية . كما عثر أيضا ولأول مرة على ثمانى عشرة كتابة بالحروف العبرية يعود تاريخها إلى عام ٩٠٠ - ٦٠٠ ق.م .

٢٨- أجرى نوفل وستكليس حفريات محدودة في القفصة على بعد ٢ كم جنوب الناصرة خلال الأعوام من ١٩٣٣ إلى ١٩٣٥ .

٢٩- أجرى كراويزي خلال الأعوام من ١٩٣٣ إلى ١٩٣٥ حفائر في موقع التسل على بعد ١٥ كم إلى الشمال الشرقي من مدينة القدس . واكتشف فيها بقايا سكنية يرجع تاريخها إلى الفترة بين ٢٧٠٠ و ٢١٠٠ ق.م ، وبين ١١٩٠ و ٩٠٠ ق.م .

٣٠- قلم اوري بحفائر خلال الأعوام من ١٩٣٤ إلى ١٩٣٦ في رأس العين على بعد ١٥ كم شمال شرق يافا .

٣١- وفي عام ١٩٤٥ أجريت أشهر أعمال التنقيب عن الآثار في شمال فلسطين على الطرف الجنوبي لبحيرة طبرية وذلك في الموقع المعروف باسم " تل خربة كرك " الذي يبلغ طوله حوالي الكيلومتر . وربما هو المعروف في النصوص القديمة بـ " بيت يرخ " . وكان هذا التل عمرا منذ بداية الألف الرابعة ق.م . وقد عثر فيه على عدد من الأدوات الصوانية ولزدهرت فيه حضارة من عام ١٩٠٠ إلى ١٧٥٠ ق.م . وكشفت فيه محلات سكنية يعود تاريخها إلى العصر اليوناني . وقد شيدت عليها مدينة جديدة سميت فيلوتيريا واحتل اسم هذا التل مكانا بارزا في علم آثار غرب آسيا عامة . وذلك بسبب العثور فيه على فخار مصقول يمتاز باللون الأحمر البني وهو المعروف باسم فخار خربة كرك . وأصبح هذا الاسم يطلق على جميع أنواع

الفخار المماثلة التي عثر عليها في مناطق عديدة تمتد من شمال بلاد الشام حتى القوقاز .

٣٢- وأجرى ديفو في أعوام ١٩٤٦ ، ١٩٤٧ و ١٩٥١ حفائر في تل فرعة الواقع على بعد ١٢ كم شمال غرب نابلس . وكان هذا القتل عامرا ابتداء من حوالي الألف الرابعة إلى ٢٦٥٠ ق.م. ومن ١٦٥٠ إلى ٦٠٠ ق.م .

٣٣- وحدثت أهم الاكتشافات الأثرية في عام ١٩٤٧ في منطقة خربت كومران التي تقع شمال البحر الميت حيث عثر على مخطوطات تخص الأسطيين ، وهم جماعة من الرهبان اليهود الذين عاشوا في القرن الثاني ق.م . وكانوا يعيشون على الطهارة وفي منزل عن العالم . وفي عام ٦٠ ميلادية عندما غزا الرومان فلسطين واستولوا على القدس تفرق هؤلاء الرهبان . وخبأوا مخطوطاتهم في تلك الكهوف . وعثر على حوالي ٦٠٠ مخطوط من الجلد ، كانت جزءا من مكتبة هؤلاء للرهبان .^(١)

٣٤- قام ميلمير بحفائر عام ١٩٤٨ في تل النصيل الواقع إلى الشمال من مدينة يافا .

٣٥- كما قام توشينكن بحفائر في نفس الفترة في ديبان .

حفائر بعون تواريم معدة :

٣٦- أجريت حفائر في تل الجمة ، على بعد ١٣ كم جنوبى غزة وذلك برئاسة بترى .

٣٧- ثم قام أولبريت بحفائر في تل بيت مرسيم الذى يقع على بعد ٢٠ كم غربى الخليل . وعثر في هذا الموقع على مجموعات كبيرة من الفخار ، وقد مهلت

هذه المجموعات للعلماء دراسة فخار المسلمين وتصنيفه خلال الفترة من

٢٤٠٠ إلى ٢١٠٠ ق. م .

٣٨- أجرى أولبرايت حفريات جديدة محدودة في تبيين الواقعة على بعد ١٧ كم شمال القدس .

٣٩- وأجرى معهد الآثار البريطاني حفريات في تل النوير الذي يبعد ٢٤ كم إلى الجنوب من حيفا وتبين أن هذا التل كان أهلاً بالسكان خلال الألف الثانية ق. م .

٤٠- كما أجرى تورفيل بيكر بعض الدراسات الأثرية في مغارة الكبارة التي تبعد حوالي ٣٥ كم إلى الجنوب من حيفا .

٤١- أجرى كروود وفكون وبتي عمليات مسح أثري في منارات وكهوف المسخول والظهبون والواد التي تقع جنوب حيفا ثم مغارة الشوكية التي تبعد بمسافة ٣٠ كم شمال القدس . وأكدت هذه العمليات أن الإنسان سكن هذه المخارات والكهوف خلال عصور ما قبل التاريخ .

٤٢- أجرى لوى حفائر في تل دوتان الواقع على بعد ١٠ كم شمال نابلس .

(٧) نتائج هذه التنقيبات والآراء التي أبدتها فيما يخص ما كان موجوداً بها من آثار قديمة واختفى تماماً الآن :

بعد استمرار أعمال التـ ٤٢ بعثة للحفائر في فلسطين ، نستطيع أن نقول أن هذه البعثات الأجنبية قامت بالتنقيب في مختلف بقاع فلسطين في مدنها ومواقعها وتلالها وكهوفها ومناراتها ، ونخرج من هذا المرض بالحقائق التالية :

(١) أن هذه الحفائر شملت مواقع ومناطق عديدة في أنحاء فلسطين :

- قرب يافا (رقم ٤) وشمال يافا (٣٤) وشمال شرق يافا (٣٠) .
- شمال غزة (١) وجنوب غزة (٢٠ ، ٣٥) وشرق غزة (١١) .
- جنوب حيفا (٢٢ ، ٤٠ ، ٤١) وجنوب شرق حيفا (٣ ، ٥ ، ٢٦) .
- غرب القدس (١٠) وشمال القدس (١١ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٧ ، ٣٧ ، ٤١) وشمال شرق القدس (٢٩) .
- شمال نابلس (٨ ، ٤٢) وشمال غرب نابلس (٣٢) .

- شمال بحيرة طبرية (٢٥) وشمال غرب بحيرة طبرية (١٥)
- وجنوب بحيرة طبرية (١٢ ، ٣١) .
- شمس البحر الميت (٢١ ، ٣٣) .
- غرب بيت حبرين (٢ ، ٢٧) وأريحا (٧) وعسقلان (١٣)
- وشمال حبرون (٢٣) وجنوب الناصرة (٢٤ ، ٢٨) وغرب الخليل
- (٣٦) وشمال فلسطين (١٨) .

(٢) أن هذه الحفائر تمت في مواقع يرجع تاريخها إلى الألف الرابعة (١٢ ، ٣١ ، ٣٢) أو ترجع إلى عام ٣٧٠٠ ق.م . (٤) . أو ترجع إلى الألف الثالثة (٩ ، ١٧ ، ١٨) أو ترجع إلى العصر الحجري الحديث (٦ ، ٧) أو ترجع إلى عام ٢٧٠٠ ق.م . (٢٩) أو ترجع إلى عام ٢١٠٠ ق.م . (٣ ، ١٠ ، ١٦ ، ٢١) أو ترجع إلى عام ١٦٠٠ ق.م . (٢٢ ، ٢٧) أو ترجع إلى عام ١٣٥٠ ق.م . (٢٦)^(١) .

وبعض هذه المواقع ظل أهلا بالسكان حتى العصر اليوناني (٦ ، ٧ ، ٣١) أو العصر الروماني والبيزنطي (٢٦) .

(١) وهذا ليس غريبا على مواقع أرض فلسطين لأنه عثر بأرضها على مواقع الحضارة انتطونية التي ترجع إلى الألف العشرة ق.م . كما هناك مواقع من العصر الحجري الوسيط ، ويقال العصر الحجري الحديث نجدها في جريكو ومونهاتا ووادي الفلاح والمربوط وتل الشيخ حسن (راجع فيما سبق ، ص ٢٢٤ ، ٢٢٦ - ٢٢٧) كما عرفت أرض فلسطين عصر المعادن من الألف الرابعة في تليارات عمول (راجع فيما سبق ، ص ٢٢٨ - ٢٢٩) وعثر على عدة مواقع أخرى من نفس هذا العصر في سهل اسدولون ومجدو وشرق ييسان وافولة وتل فرعه (راجع فيما سبق ، ص ٢٢٩) .

(٣) إن الشعوب التي سكنت فلسطين وعمرت أرجائها منذ فجر العصور التاريخية كانت شعوب من أصول كنعانية أو أمورية (٣ ، ٦ ، ٧ ، خاصة ٩ ، ١٠ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٨) .^(١) وعندما حل بها الفلسطينيون كفوا يستخدمون اللغة والكتابة المسمارية (رقم ٣) .

(٤) يلاحظ أن العلماء الذين قاموا بهذه الحفائر لم يحاولوا أن يظهروا في تقاريرهم العلمية الدور الحقيقي للشعوب أو لهؤلاء السكان الأوائل الذين تواجدوا على أرض فلسطين منذ أقدم العصور .

(٥) من أهم مكتشفات هذه البعثات جمجمة إيمان النياندرتال المعاصرة للحضارة المoustيرية في فرنسا (١٥)

وأدوات صوتية من العصر الحجري القديم (٢٢ ، ٣١)

ونماذج من أنواع الفخار (٧ ، ١٢ ، ٢١ ، ٣١ ، ٣٦)

ورسوم جدارية ملونة (٢١)

وألواح طينية كتب عليها بالخط المسماري (البابلي) (١ ، ١١)

ولوح من الطين يرجع إلى العصر الأموري (٢)

وقطع عليها كتابة بالخط السينائي (١٠ ، ٢٧)

كما عثر على بقايا ومعابد وكتابات ترجع إلى عصر الملكين مسيتي الأول ورسميس الثاني (١٢)

كما عثر على بقايا حصن صليبي من القرن الثالث عشر الميلادي (٢٢)

٦- أما عن الآثار اليهودية في فلسطين فهي قليلة ، فقد عثر في مجدو على أسكن اصطبلات خيول ملوك إسرائيل (٥) وبقايا وجزء من أثاث عري الذي أسس

(١) راجع فيما سبق ، ص ٢٣٠ ، ٢٦١

مدينة العمارة (٨) . (١) كما عثر في بيت حيرين على ثمانى عشرة كتابة بالحروف العبرية لأول مرة ويعود تاريخها إلى عام ٩٠٠ - ٦٠٠ ق.م . (٢٧) وكذلك المخطوطات التى تخص مجموعة من الرهبان لليهود وترجع إلى القرن الثانى ق.م . (٣٣) .

٧- لم يعثر في هذه المواقع على أى أثر يرجع إلى أقدم العصور يربط بين اليهود ووجودهم في فلسطين . كما لم تمدنا هذه المواقع بأى نص تاريخى يقص علينا تفاصيل دورهم على أرض فلسطين أو يشير إلى دور حكامهم وملوكهم القدماء .

وسوف نستعرض هنا بعض أعمال بعثات الحفائر في القدس نفسها :

١- كانت أول حفائر في منطقة اورقل وهى تمثل القدس القديمة عام ١٨٦٤ - ١٨٦٧ .

٢- وكان أول المنقبين عن الآثار في مدينة القدس ورن Warren من عام ١٨٦٧ حتى عام ١٨٧٠ .

٣- وتبعه جيوشى Guthe وشك في عام ١٨٨٠ .

٤- وجاء من بعدهما بليس Bliss من عام ١٨٩٤ - ١٨٩٧ وكتب مؤلفا بعنوان حفائر في القدس الذى ظهر في لندن عام ١٨٩٨ .

٥- وتلاههما فسان من عام ١٩٠٩ إلى عام ١٩١١ ونشر مؤلفا بعنوان القدس تحت الأرض وظهر في عام ١٩١١ .

٦- وبعد ذلك بسنتين أجرى فيل Weil خلال عامى ١٩١٣ ، ١٩١٤ عدة تنقيبات في القدس ثم أوقفها مع اندلاع الحرب العالمية الأولى ، ثم استكملها خلال عامى ١٩٢٣ - ١٩٢٤ .

(١) أشارت المصادر الآشورية إلى هذا القصر تحت اسم بيت حمري ، راجع د. عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ، ص ٣٩٢ .

٧- قاد المنقبان الأثريان دنكان ومكلستر خلال نفس الفترة .

٨- ثم جاء من بعده كل من كروفوت وفيتسكرالد وقاما بحفائر في عام ١٩٢٧ .

٩- ثم جرب هملتون حظه في عامي ١٩٣٧ و ١٩٣٨ فشملت حفائره عدة أماكن في المدينة .

١٠- وما أن استولت إسرائيل على القدس الشرقية في أعقاب حرب يونيو ١٩٦٧ حتى سارعت ومعها علماء العالم المتمصبين لها إلى إجراء حفريات حول حائط الحرم الغربي والجنوبي الغربي وفتحوا عدة أنفاق أرضية تحت المسجد الأقصى . ولكنهم عجزوا جميعاً على العثور على أى دليل لثرى من بقايا الهيكل المزعوم (٢) تحت أرضية المسجد الأقصى وداخل أسوار القدس القديمة منها بعثة Kathleen Kenyon, Digging up Jerusalem, London 1974 . وبالرغم من تعاقب هذه البعثات في مدينة القدس (أرقام ١ - ١٠) فلم يعثر على مخلفات هامة تشير إلى تاريخ أو دور مؤثر للعبرانيين أو اليهود في فلسطين أو القدس .^(١) ولم تكشف هذه الحفائر إلا عن وجود قنوات حفرت لجلب المياه قديماً داخل المدينة . ولم يبق أى أثر من الهيكل المزعوم (٢) الذى جاء ذكره في كتبهم الدينية المزورة .

وثيد سيدنا سليمان بيتاً للرب وبيتاً له في أورشليم . وكان طول بيت الرب ٦٠ ذراعاً وعرضه ٢٠ ذراعاً وسمكه ٣٠ ذراعاً وكان هناك رواق ، الرواق أمام هيكل البيت كان طوله عشرين ذراعاً وعرضه عشرة أذرع . وقد بنى البيت بحجارة صحيحة مقلمة ، ولم يسمح فى البيت عند بنائه بنحت ولا معمول ولا أداة من حديد وبنى البيت كله بالحجارة وخشب الأرز والسرو والزيتون . وغشى البيت كله من الداخل بالذهب .^(٢) واستغرق بناء هذا البيت

(١) د. توفيق سليمان : دراسات في حضارات غرب آسيا القديمة ، ص ٢٢٣ .

(٢) محمد قاسم : التناقض في تواريخ أحداث التوراة من آدم حتى سبى بابل ،

القاهرة ١٩٩٢ ، ص ٤١٧ .

سبع سنوات .^(١)

كما شمرع سيدنا سليمان في بناء بيتا له ، وكان طوله مائة ذراع وعرضه خمسون ذراعا وسمكه ثلاثون ذراعا واستغرق بناؤه ثلاث عشرة سنة .^(٢)

ويدعون أن سيدنا داود اختار القسم الشمالي من الهضبة الشرقية ، أي القسم الذي يقع شمال حصن صهيون لبناء الهيكل فيه ويعرف هذا القسم بجبل المريا . وفي نفس الموضع بنى سيدنا سليمان الهيكل بعد ذلك .

ويقال أن هذا الهيكل قد دمر بواسطة البابليين بقيادة نابوخذ نصر الثاني في عام ٥٨٦ ق. م . وأخذ من العبرانيين ما يقرب من ٥٠ ألف أسير إلى بابل فيما سمي بالسبي الكبير ثم بعد ما يقرب من خمسين سنة أعادهم الملك الفارسي قورش إلى أورشليم وجددوا بناء الهيكل مرة أخرى عام ٥١٥ ق. م . في عهد الملك دارا الأول . فلما جاء سيدنا عيسى عليه السلام وحدث منهم ما حدث دعا عليهم بالتشتت . وفي سنة ٧٠ ميلادية دمر القائد الروماني تيتوس الهيكل مرة أخرى تماما . ولكن الملك العبراني هيرودس الكبير شيد هيكلا للمرة الثالثة . ولكن في سنة ١٣٥ ميلادية دمر الإمبراطور الروماني هادريان الهيكل والمدينة بأكملها بما فيها الهيكل وشيد فوقه معبدا للإله جوبيتر وبنى مكان أورشليم مدينة سماها إيليا كابيتولينا . وظل الاسم إيليا مستخدما حتى الفتح الإسلامي لفلسطين .

وصف لنا يوسيفوس فلافيوس الذي عاش بين أعوام ٣٧ - ٩٥ ميلادية ، وكان حاكما للجليل وكتب عن " حرب اليهود " ووصف أسوار المدينة الثلاثة .^(٣) وإن تيتوس خرج من الإسكندرية مع قوات مساعدة له في بلاد

(١) محمد قاسم : للمرجع السابق ، ص ٤١٨ .

(٢) للمرجع السابق ، ص ٤١٨ .

(٣) De Saulcy, les Derniers jours de Jerusalem, Paris 1866, p. (٣) 221- 227.

الشام وذلك لمحاصرة أورشليم وكان جيشه يتكون من ٧٠ ألف رجل من كل الأسلحة. (١)

ويقال أنه كان يحيط بمدينة القدس القديمة ثلاثة أسوار :

- الأسوار القديمة (السور الأول) يرجع إلى عهد اليبوسيين مكان أورشليم الأصليين . ومن المحتمل أن الملك داود قام بتوسيعه وأن الملك سليمان قام بتقويته وتوسيعه بعد أن أقام الهيكل المزعوم (٢) ، في أرض المريا . وأقام السور بعد ذلك ملك يهوذا عام ٦٤٤ ق.م . في أثناء حملة آشور بانيبال . ثم هدم هذا السور مع الهيكل المزعوم في حصر نابوخذ نصر عام ٥٨٦ ق.م .

- الأسوار الثانية أعيد إنشاؤه بعد السبي البابلي في عهد نحemia (مسنة ٤٤٤ ق.م) والذي يعتبر ثاني سور قديم للمدينة . وقد اتبع في بنائه نفس الخط الذي كان يسير عليه السور القديم (الأول) الذي أقامه منسى ملك يهوذا .

- أما الأسوار الثالثة والآخر فيقال أنه بعد عودة بعض اليهود في العصر الفارسي بعد السبي أعادوا بناء الهيكل (٢) وكان المسكان الأصليون من اليبوسيين وغيرهم بالقون في أرضهم . وفي عهد هيرود شرع اليهود في بناء سور جديد في الجهة الشمالية غير أن الإمبراطور كلوديوس منعهم من متابعة هذا العمل . فأنشؤا بناءه قبل حصار تيتوس عام ٧٠ ميلادية . وسمى هذا السور باسم سور هيرود . وقد ظل هذا السور يتأرجح بين الهدم وإعادة البناء .

أما السور الذي نشأه اليوم حول المدينة الحالية فهو السور الذي جرده سليمان باشا القلوني ، ودمرت عمارته خمسة أحوال (من عام ١٥٢٦ إلى ١٥٤٠ ميلادية) وأضاف إليه عندا من الأبراج (٣)

(١) Id., op. cit., p. 178 - 187.

(٢) أحمد سومه : العرب واليهود بين الماضي والحاضر ، الملحق الأول .

أورشليم في أتم عصورها ، ص ٤٠٠ - ٤٠٧ .

وفى الواقع أنه لم ترد أى إشارة عن هذا الهيكل فى آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة . وفى العصر الإسلامى أصبح هذا المكان مكاناً لقبة الصخرة وجامع عمر بن الخطاب ^(١) . ويدعى اليهود كذباً أن موضع الهيكل القديم هو الآن الحرم الشريف وفى مسطحة مسجد قبة الصخرة والمسجد الأقصى إلى الجنوب منه ^(٢) .

ونشير هنا إلى بعض ما جاء فى مؤلف الأثرى الفرنسى ' دى ساولسى ' فى مؤلفه بعنوان : ' الأيام الأخيرة لأورشليم ' ^(٣) الذى صدر عام ١٨٦٦ وجاء فيه ما يلى :

من ص ١ - ٦ :

تحدث عن زيارته للمرة الثانية أثناء ثناء عام ١٨٦٣ - ١٨٦٤ لمدينة القدس وقام بدراسة الأمور المتعلقة بتضاريس المدينة وذلك اعتماداً على خبرته العسكرية . وحاول أن يتتبع أثر خطة سير توتوس وما حفره من خنادق حول المدينة . وتحدث عن حصار المدينة الشهير ، طبقاً لما جاء فى رواية فلوكيوس جوزيف ، التى تحدث فيها عن حرب اليهود ضد الرومان .

من ص ٩ - ١٠١ :

اعتماداً على رواية جوزيف تحدث عن أوضاع اليهود فى القدس ، وخاصة فى يهوذا التى كانت مسرحاً للاضطرابات وعمليات سلب ونهب مستمرة . وبداية التمرد ومهاجمة الكتبة الرومانية التى كانت تحرس قلعة المون والمخصصة لحماية القدس . موقف هيرودس من الرومان واجرياً . وتقسيم يهوذا إلى أحد عشر جزءاً .

من ص ١٠٢ - ١٧٥ :

الموقف فى قيسرية وازدياد أعمال السلب والنهب على السواحل السورية والفينيقية والمصرية . وتدخل سباسبان لوضع نهاية لذلك ، استمرار أحداث القلق فى القدس وتوقع تنويع سباسبان على عرش روما . ما جاء فى الأناجيل : سان لوك ، وسان ماثيو بالنسبة للأحداث التى سوف تمر بها أورشليم وما يصيبها من هزات أرضية كبيرة وفى بعض الأماكن الأوبئة والمجاعات واشتياؤ أخرى مرعبة وما نطق به سيدنا عيسى عليه السلام ضد مدينة أورشليم وضد الأمة اليهودية .

(١) د. توفيق سليمان : دراسات فى حضارات غرب آسيا القديمة ، ص ٣٣٣ .

(٢) أحمد سوسه : المرجع السابق ، ص ٤٠٠ .

(٣) F. De Saulcy, les Derniers Jours de Jerusalem, Paris 1866, p. 1-448.

من ص ١٧٧ - ٢٠٠ :

تخلف فيباميان طريقه إلى روما . وعهد إلى ابنه تيتوس مهمة حصار والقضاء على
أورشليم ووضعت قوات من الصفوة تحت إمرة القيصر الشاب ، السذى بدأ تحركه من
الإسكندرية وحدثنا عن المدن والمناطق التي عبرها . والفرق التي انضمت إليه من الكتائب
والفرسان والمشاة وقوات جاءت من روما وإيطاليا وأصبح يمتلك جيشا قوامه ٧٠ ألف رجل
من كل الأسلحة .

من ص ٢٠١ - ٢٢١ :

وصول قوات تيتوس قرب أورشليم وبدأ حصار المدينة ففى ٧ مارس عام ٧٠
ميلادية .

من ص ٢٢١ - ٢٢٨ :

وصف تفصيلي للأسوار الثلاثة التي كانت تحيط بالمدينة وأبراجها والقصر الملكى .
ويضيف دى سالامسى (فى ص ٢٢٨) : " هذه المعلومات المحددة جدا ، بصرف النظر عن
المبالغة التافهة ، والعادية عند جوزيف ، فإن أحجام الكتل الحجرية التي استخدمت بامرة
اجريبا ، لا يمكن قبول أى شئ فى كل ما أخذ عن مؤرخنا " . كما يضيف (فى ص ٢٢١) :
" أن الأبراج ذات الأشكال الموحدة من ذات الـ ١٠,٥٠ متر عرضا لا يمكن قبولها على
الإطلاق " ، (فى ص ٢٢١) : " وأنا تركت بدون أسف الأرقام الخاصة بجوزيف ، التي هي
من جهة أخرى فى عدم توافق واضح مع المقاسات التي أخذت على الأرض " . ويضيف فى
ص ٢٢٣ : " وكل ما ذكرته بخصوص هذه الأرقام التي أمخنا بها جوزيف تؤكد لنا أننا لا
يجب على الإطلاق استخدام هذه الأرقام إلا بحرص شديد " .

ويضيف فى ص ٢٢٨ بالنسبة للقصر الملكى " ولا أعرف هل كلمات جوزيف فيها
مبالغة بالنسبة لفخامة القصر ، ولكن ما أعرفه ، أنه لا يوجد منه اليوم أقل أثر لو أبسط بقايا .

من ص ٢٢٨ - ٢٤٥ :

ينتقل جوزيف بعد ذلك إلى وصف المعبد بتفصيل كبير ، فتحدث عن أساساته
وأبوابه وأصنعه وأطوالها ومساحة أقطارها ولحائط الخارجى ومساحة النساء وقدم الأقداس
والشمعدان الكبير ومائدة القرايين ومساحة المعبد وتكر أن عرضه كان يبلغ حوالى ٥٢,٥٠م
وارتفاعه أقل من عشر أمتار .

ويضيف في ص ٢٤٥ . " إن المقاسات التي يسوقها جوريف هنا لبعض الكتل المستخدمة في بناء المعبد ، تبدو مبالغ فيها بطريقة فريدة " .

من ص ٢٤٦ - ٢٥٦ :

أعاد الحديث عن بوابات المعبد وارتفاعاتها وأسوارها وبرج انتطونيا . وقصر مونوباز وقصر هولين .

وينكر في ص ٢٥٢ : " هذه هي لسوء الحظ المعلومات المحددة قليلا التي تتطلب بصموبة إلى حد ما مع المعاني المؤكدة التي نملكها عن طوبوغرافية أورشليم . فإين قصر مونوباز ؟ ونحن لا نعلم أي شيء أين قصر هولين أمه ؟ " .

وتحدث عن باب المغاربة . وما هو تحت سيطرة الحاكم جان وسيمون . والفن والحرب الأهلية الداخلية .

من ص ٢٥٧ - ٣٠١ :

بداية حصار تيتوس لأورشليم للاستيلاء على المعبد والمدينة العليا واستيلائه على السور الأول في اليوم الخامس عشر من الحصار وهدم الجزء الشمالي من المدينة كاملة . ومحاولة الرومان لتحام السور الثاني وقتلهم في البداية وتولدت القوات المساعدة واقتحام السور الثاني في ٥ أبريل من عام ٧٠ ميلادية .

ص ٣٢٣ :

فاسباسيان جعل جوزيف يرحل من الإسكندرية مع تيتوس لكي يذهب للمساعدة في حصار أورشليم .

من ص ٣٥١ - ٣٥٢ :

اقترح تيتوس على اليهود تغيير مكان القتال حفاظا على قس الأكديس وإنقاذ المعبد . ص ٣٦٢ :

إضرام اليهود النار في البوابة الغربية ، والبوابة الشمالية أحرقت بواسطة الرومان ، عقد مجلس حرب لتقرير معبد المعبد . إضرام النار فيه بواسطة جندي روماني .

من ص ٣٦٨ - ٣٨١ :

اتهام تيتوس لليهود بحرق المعبد بأيديهم ولم يوجد واحد من بينهم فكر فسي إطفاء الحريق .

من ص ٣٨١ - ٤٠٠ :

أصبح الرومان أسيادا للموقف ، وعقد تيتوس مجلسا للحرب وقام باحتلال انتطونيا . وتهدم المعبد في عام حصار أورشليم وحرقه في ٨ يوليو من عام ٧٠ ميلادية (ص ٣٨٢) .

ص ٤٠١ :

تيتوس يخطب في رؤساء اليهود وقال لهم انه نسي قوانين الحرب عندما كان في أماكنهم المقدمة وأنه قد طلب منهم إلقاء قس الأقداس والمحافظة على النلوس ونقل المعركة إلى مكان آخر . ولكنهم لم يستجيبوا .

ص ٤٢٦ :

وفيما عدا الأبراج الثلاثة ساقط ، هيبكوس ، ومريم والفرع الغربي لحائط السور الخارجي، كل شيء وضع في مستوى الأرض .
من ص ٤٢٧ - ٤٤٨ :

وعندما أصبح الرومان أسبدا لسوار المدينة رفعوا صواريخهم على الأبراج . والاستيلاء على اورشليم في العام الثاني من حكم فسباسيان (ص ٤٢١) وكما جاء في التلمود البابلي للهدم الثاني حدث في ١٧ تموز .
وكانت اورشليم قد سقطت خمس مرات قبل هذه الكارثة (ص ٤٢٢) وكانت هذه هي المرة الثانية التي خربت فيها ودمرت . وكانت المرة الأولى أيام البابليين (أي عام ٥٨٨ ق. م) .

ويذكر دى ساولس في نهاية ص ٤٢٢ ما يلي :

وأول مؤسسها كان ملكا من الكنعانيين ، الذي كان يسمى في طول البلاد ، الملك العادل . وكان جديرا بهذا الاسم الذي يحمله . وتقوا جعلت منه أول كاهن للأبدى بعد أن شيد معبدا له . وأعطى اسم اورشليم للمدينة التي حتى هذه الفترة ، كانت تسمى سوليم . داود ، ملك اليهود ، بعد أن طرد الكنعانيين ، جعل منها عاصمة لشعبه ...

" من داود الذي كان ، أول اليهود ، الذي حكم في اورشليم ، حتى تدميرها بواسطة تيتوس ، مضت ١١٧٩ سنة ، ومن تأسيسها حتى تدميرها نهائيا مضت ٢١٧٠ سنة . فسلا قنمها ، ولا ضاها المتسع ، ولا شهرة أهلها المنتشرة في العالم كله ، ولا أخيرا المجد الزاهر لطقوسها ، استطاعوا أن يفتقروا . فذلك كانت نهاية حصار اورشليم " .

ونشير هنا إلى ما جاء في مقالين هامين نشرنا حديثا بجريدة الأهرام بخصوص حائط المبكى (؟) بالقدس :

الأول للدكتورة ناعيا سالم تحت عنوان : " حائط المبكى بالقدس .. حائط من ؟ " في ١٥ أكتوبر ١٩٩٩ في بلب " قضيا وأراء " ، ص ١٠ حيث تقول :

* .. على جميع من جاءوا للحج والصلاة والبكاء على حائط المبكى ظانين أنهم يلمسون حجرا مقدسا للنبي سليمان ... ضاعت حجتهم هباء ولن يقبل يهوا صلاتهم وسوف يلعنهم رب الجنود ... ولن يشفع لهم سيدنا موسى يوم القيامة .. فقد خدعوا خداعا مستمرا من مروجى شعارات الصهيونية . ففي الواقع أن الجزء من السور الذي بكوا عليه بالدموع الحارقة وصلوا وركعوا وجاعوا إليه من أقصى الأرض ما هو إلا حائط سليمان باشا العثماني الذي حكم في الفترة من ١٥٢٠ - ١٥٦٦ ميلادية والذي صمم هذا الحائط هو معماري البلاط سنان باشا الأسطنبولي * .

* تقول المؤلفة كارين لرمسترونج التي عاشت في القدس وألفت كتابا تحت عنوان "أورشليم مدينة واحدة من ثلاثة أديان" ترجمة د. فاطمة نصر ود. محمد عثالي : " قيل أن سليمان رأى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في منامه وإنه أمره أن ينظم دفاعا عن القدس وعلى أية حال فقد أمر سليمان بإعادة بناء أسوار المدينة . وكانت تلك خطة طموحا استغرقت مهارة عظيمة ونفقات باهظة ، وبلغ طول الحائط الذي ما زال قائما حتى اليوم ميلين وارتفاعه قرابة أربعين قدما . وأحاط الحائط بالمدينة إحاطة كاملة وكان به أربعة وثلاثون برجاً وسبع أبواباً . وحدث أن مر مهندس البلاط العظيم سنان باشا بالقدس وأمر ببناء السور من جديد عام ١٥٤١ ميلادية . وأصبحت القدس محصنة لأول مرة . ومن أجل تدعيم قوة المدينة حاول السلطان العثماني إقناع رعاياه بالإقامة هناك ، خاصة اللاجئين اليهود الذين استقروا في الإمبراطورية العثمانية بعد طردهم من أسبانيا المسيحية عام ١٤٩٢ ميلادية . وحينما كان سنان باشا يقيم بالمدينة أثناء بناء حائط القدس ، أصدر سليمان باشا العثماني فرامانا يسمح بحق اليهود في الصلاة عند الحائط الغربي . ويقال أن سنان هو الذي قام بتخطيط الموقع وحفره كي يقيم للحائط ارتفاعاً أكبر وأقام بيتاً وحائطا مولزيا له كي يفصل مصلى اليهود عن حي المغاربة ... وسرعان ما أصبحت المنطقة المحاطة عند الحائط الغربي مركزا للحياة الدينية ليهود القدس . ولم تكن تقام هناك بعد طقوس رسمية للعبادة غير أن اليهود كثروا يحيون قضاء فترة ما بعد للظهيرة هناك يقرؤون المزمير ويقبلون الأحجار * .

* وأحب اليهود السلطان سليمان الذي ربما كان معتادا جاذب مزيد من اليهود للقدس كصديق وراع لليهود . وروت الأساطير اليهودية أنه قد ساعد في تنظيف الموقع بنفسه ... * .

* وسرعان ما اجتذب الحائط الغربي أساطير كثيرة معتادة تتصل بالأساطير المقدسة . فقد تم ربط الحائط بأقاويل من التلمود تخص الحائط الغربي للهيكل والتي قال عنها الحاخامات أن الحضور الإلهي لم يفارقه أبدا وأن الله قد وعد أن يحفظه مدى الدهر * .

* هذه شهادة سيدة إنجليزية عن أساطير هذا المعبد وعن أصله وفصله وكيف تحول السلطان سليمان العثماني فجأة إلى الملك سليمان عند اليهود المحدثين بقدرة قادر .. مثله مثل كثير من الأولياء الصالحين * .

* لقد شرع سليمان في بناء بيت الرب في أورشليم في جبل المريا (أخبار الأيام الثاني ، الإصحاح الثالث) وهو نبي عربي أحبه القرآن الكريم وأعزه بكثير من آياته .. فإذا كان اليهود يبحثون عن معبد سليمان الذي بناء فحن أيضا تبحث عنه مثلهم تماما * .

الثاني للسيد السفير أحمد الملا تحت عنوان : " رؤية : حقيقة هيكل سليمان وحائط المبكى " في ٢٦ نوفمبر ١٩٩٩ في باب " قضايا وآراء " ، ص ١٠ حيث يقول :

" تولى سليمان عليه السلام الحكم في القدس بعد وفاة والده داود عليه السلام واستمر حكمه نحو أربعين عاما من سنة ٩٧٣ حتى ٩٣٢ ق.م . ووطد علاقات الصداقة مع ملك مصر وملك صور . وشرع سليمان في بناء الهيكل لعبادة الإله الواحد في السنة الرابعة لجلوسه على العرش واستغرق بناؤه سبع سنوات أي أنه تم حوالي سنة ٩٦٢ ق.م . وكان الهيكل بناء صغيرا مساحته ٣٠٠ متر مربع . وأشرف على بنائه فنيون من مصر ومن صور وحينما احتل نابوخذ نصر حاكم بابل القدس دمر الهيكل وأزاله سنة ٥٨٦ ق.م . كما أسر صديقا ملك اليهود وأرسله إلى بابل ومعه خمسين ألف أسير . ثم تمكن قورش الأكبر ملك الفرس من

احتلال اورشليم ومسح لليهود بالعودة إليها فأقاموا بها هيكلًا آخر سنة ٥١٦ ق. م. وحينما احتل الرومان القدس سنة ٦٢ ق. م. تمكن هيرود الذي كان يحكم القدس وكان يهوديًا يحمل جنسية الرومان من تجديد بناء الهيكل سنة ١٨ ق. م. وأقام حائطًا مربعًا حوله مساحته ٣٢,٤٠٠ متر مربع ولكن القائد الروماني تيتوس احتل بعد ذلك القدس وأخذ ثورة اليهود فيها ودمر الهيكل الذي جده هيرود وكان ذلك في عام ٧٠ ميلادية. وفي عهد الإمبراطور الروماني هادريانوس تم تدمير القدس بأكملها وأنشئت مكانها مدينة ايليا كابيتولينا سنة ١٣٥ ميلادية وبذلك تمت إزالة أى أثر للهيكل كما تم هدم كل بناء ينسب لليهود ومنع اليهود من الإقامة في مدينة ايليا (القدس) وظل هذا المنع ساريًا لعدة قرون . وعندما بدأوا في التسلل مرة أخرى إلى المدينة أصدر هرقل ملك الروم أمراً عام ٦٢٨ ميلادية بإبعاد اليهود عن ايليا بمسافة ثلاثة أميال . وعلى ذلك فعندما تم فتح مدينة ايليا (القدس) على يد الخليفة عمر بن الخطاب سنة ٦٣٦ ميلادية (١٥ هجرية) لم يكن هناك أى أثر للهيكل كما لم يكن بالقدس يهودى واحد . وما سبق نرى أن الهيكل الأصلي قد تم تدميره منذ نحو ٢٥٠٠ سنة كما تم تدمير الهيكل الذى أقيم بدلا عنه منذ حوالى ألفى سنة بعد أن جده هيرود وأخيرا تمت إزالة كل أثر للهيكل سنة ١٢٥ ميلادية بعد أن أزيلت مدينة القدس بأكملها .

“ أما الجزء الذى يطلق عليه حائط المبكى فهو جزء من الحائط الخارجى للحرم الشريف للمسجد الأقصى ويطلق عليه المسلمون اسم حائط البراق ، أما اليهود فيدعون أنه السور الخارجى لهيكل سليمان ، وقد حاول اليهود خلال الفترة الأخيرة من الحكم العثماني على فلسطين شراء الحائط ولكنهم فشلوا وحاولوا الاستيلاء عليه بالقوة عام ١٩٢٩ فهب للشعب الفلسطيني للدفاع عنه ونشبت مصادمات عنيفة بين الطرفين . وشكلت عصبة الأمم لجنة تحقيق وجاءت للجنة عام ١٩٣٠ وأثبتت الأدلة القانونية ملكية المسلمين لحائط المبكى ، وأن الحائط هو جزء لا يتجزأ من الحرم الشريف للمسجد الأقصى ولكن المسلمين سمحوا لليهود بمزاولة شعائرتهم عند الحائط دلالة على تسامحهم ” .

"ومما يؤكد كذب ادعاءات إسرائيل في هذا الشأن أنها منذ احتلالها للقدس العربية سنة ١٩٦٧ ظلت تنقب وتشق الأنفاق والمراديب أسفل المسجد الأقصى وفي ساحة الحرم الشريف بحثا عن أى أثر يدل على مكان الهيكل قباعت بالفشل ."

هذا هو خلاصة ما جاء في المقالين السابقين وهو ما يتفق تماما مع ما حاولنا عرضه تفصيلا في الصفحات السابقة عن هذا الموضوع الهام .

كما ذكر سعد الخادم أخيرا في مؤلف له عن الفن والاستعمار الصهيونى :
" لقد أخلق التاريخ في إظهار طابع قبي لهذا الشعب الإسرائيلي الذى يزعم لنفسه الحق في أرض فلسطين ، بل يزعم لنفسه ريادة الفكر في منطقة الشرق الأوسط بأسرها " (١).

و " حاولت بعض المراجع الأوروبية تصوير قصة بنى إسرائيل وفقا لما جاء في التوراة ، مستندة إلى بعض الخرائط التى بنيت عليها مواقع المدن القديمة ، والجهات التى جرت بها الأحداث الوارد ذكرها في القصة . وقد دصت أسانيدها بصور فوتوغرافية لأثار بلدان مختلفة ، أو أثار فرعونية أو حبشية أو فينيقية ، ومن هذه المراجع أطلس للتوراة الذى طبع في فرنسا ، نرى فيه تزييفا مفرضا للحقائق والفنون والآثار القديمة التى جرت بعض تفاصيلها عن إظهارها الحقيقى السدى صورت من أجله " (٢).

وردا أيضا على ادعاءات اليهود نفخ كلامنا بما ذكره بعض المؤرخين الأجانب :

فى هذا الصدد يقول فرانسيس نيوتن :

" لم يوجد في فلسطين نقش واحد يمكن أن ينسب إلى المملكة العبرية (٣)

(١) سعد الخادم : الفن والاستعمار الصهيونى ، مصدر عن الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة عام ١٩٧٤ ، ص ٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣ .

(٣) خالد الحك : المرجع السابق ، ص ١٢١ حاشية (٣١) .

وذلك للامار والخراب الذي كان يلاحقهم به أهل البلاد الأصليون ثم من بعدهم
الفرس والرومان . ويقول أيضا : . . .

• وثبت اليهود عجزهم التام العجيب عن الاتيان بأدنى تقدم لى
الحضارة ^(١) ويوافق د. غوستاف لويون ، فيقول : ^(٢)

• إن تأثير اليهود في تاريخ الحضارة صفر . لم يستحقوا ان يعدوا من الأمم المتقدمة
بأى وجه • ويقول أيضا : • وبقي بنو إسرائيل حتى في عهد ملوكهم بدويين أفاقيين
ن مفاجئين مغيرين مسافرين بقطاعهم مندفعين في الخصام الوحشى ، فإذا بلغ
الجهود منهم ركنوا إلى خيال رخيص ، تآهة أبصارهم في الفضاء كسالى ، خالين من
الفكر كاعلمهم التي يحرصونها • .

ويقول غوستاف أيضا :

• إذا كان بنو إسرائيل متمردين على القانون تمردا مطلقا ، ولم يكن لهم
غير ميل هزيل إلى حياة المدن ، فإنهم لم يقيموا معابدا وقصورا إلا عن غرور ،
والذى كان بنو إسرائيل يفضلونه بعد الذبح والتفخيل هو السكون تحت شجرة العنب
والتين ن على حد تعبيرهم • ^(٣)

(١) المرجع السابق ، ص ١٢١ - ١١٢ وحاشية (٢٢) ؛ وأيضا ص ١٦٥ . عزه
دروزه : تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم ، ص ٦ توصف بأنهم كانوا شردمة
قليلة عاشوا عيشة البدو .

(٢) في مؤلفه : اليهود في الحضارات الأولى ، نشر عام ١٨٨٩ ونقل عن
غوستاف لويون تذكر د. نعمات فواد في مقال نشر بجريدة الأهرام فى
١٩٩٨/٩/٢ ص ٢٤ تحت عنوان " اليهود ينتحون الهرم " اليهود بمد أن
جمعوا ثروات وفق غولتزهم التجارية القوية لم يجدوا بينهم بنائين ومفتنين
قادرين على تشييد مبان وقصور فاضطروا إلى الاستعانة على ذلك بجيرانهم
الفينيقيين على الخصوص كما تكل عليه التوراة .

(٣) خالد العك : المرجع السابق ، ص ١٢٢ وحاشية (٢٣ - ٣٥) وأيضا ص

ويتابع غوستاف حديثه عن هؤلاء القوم فيقول :

" ظل اليهود حتى آخر مرحلة من تاريخهم في أدنى درجة من الحضارة : قرييين من دور التوحش الخالص . ولم يجاوز اليهود طبائع أمم الزراعة والرعاة إلا قليلا جدا . وخضع اليهود لنظام رعائي . ولم يكسبوا يدخلون الثورة التطور الاجتماعي " (١)

وأخيرا تذكر دائرة المعارف البريطانية * أنه ليس من المؤكد أن الهيكل كان في حرم المسجد الأقصى ، خاصة وأن تيتوس عندما هدم المدينة سنة ٧٠ ميلادية لم يترك شيئا قائما فيها ، وطعمت سائر معالمها ، فالبحت عنه إذن عت ، حتى ولو كان مكانه في الحرم " (٢)

كما قضى ندر الله المحتوم أن يرث المسلمون القدس كما ورثوا مكة وذلك لقطع دابر بني إسرائيل من تلك البقاع المقدسة ، والقيل بواجب حمل رسالة الإسلام ، التي انطلقت من قديم الزمن من تلك المدينتين المباركتين المقدستين : مكة والقدس وذلك هو سجل الحكمة الإلهية البالغة في حادث الإسراء والمعراج .

فالتاريخ يكرر أحداثه من جديد ولكن بدل الصليبيين (١١٠٠ - ١٣٠٠ م) جاء الإسرائيليون المتمصبون والمعتدون بالفادرون ، ولكن القدس سوف تعود إذا ما أدركنا المبرة من الماضي ، وتلك هي حتمية قدر هذه الأمة .

بقية العوالم والمدن القديمة الأخرى :

سامرة :

كانت عاصمة لمملكة إسرائيل ، وتقع شمال نابلس وشيدها الملك العبراني عمري في عام ٨٨٠ ق.م . على جبل اشتره من أحد الأشخاص يدعى سمر ومنها

(١) المرجع السابق ، ص ١٢٢ ، ١٦٦ .

(٢) أديب العامري : صويرة فلسطين في التاريخ ، صيدا - بيروت ، المكتبة

العصرية ، ١٩٧٢ ص ١٥٠ .

جاءت التسمية سامرة . وقام بتزيينها ابنه الملك أحاب ، وبعد قرن ونصف من تشييدها ، هدمها الملك سرجون الثاني عام ٧٢١ ق.م . وقامت فيها أول حفائر عام ١٩٠٨ .

وأمدتنا الحفائر ببقايا الأثاث الذي كان حاقلا به قصر عمرى والزينة التي كانت تحلى هذا الأثاث عبارة عن ألواح من العاج ومطعمة بالذهب والأحجار الملونة ، وهي جزء من الفن السوري الفينيقي الذي دخل مملكة السامرة . ويلاحظ فيها تأثير الفن المصري أيضا . وشيد فوق بقاياها مدينة رومانية قوية عثر على آثار من بعض عائلاتها ^(١).

هربت كورمان :

تقع شمال البحر الميت ن عثر فيها فى عام ١٩٤٧ على مخطوطات تخص الآسنيين فقد عثر على حوالى ٦٠٠ مخطوط من الجلد ، كانت عبارة عن جزء من متبة الآسنيين . وهم رهبان يهود عاشوا فى القرن الثانى ق.م وكانوا يعيشون على الطهارة ويميدا عن العالم . وفى عام ٦٠ ميلادية عندما غزوا الرومان فلسطين واستولوا على القدس تفرق هؤلاء الآسنيون ، وخبأوا مخطوطاتهم فى تلك الكهوف ^(٢).

مجموع (تل المتسلم) :

تقع على بعد ٣٠ كم جنوب شرقى حيفا ، وكان لهذه المدينة أهمية كبيرة نظرا لموقعها الجغرافى ، وأستمر تاريخها أكثر من ثلاثة عام ابتداء من الألف الرابعة حتى فترة الاحتلال الفارسى فى القرن الخامس ق.م . وكشف فيها عن الاصطبلات التي كان يستخدمها ملوك إسرائيل لحفظ خيولهم . والتي كانوا يستخدمونها فى شد العربات الحربية .

(١) Eydoux, op. cit ., p. 105 - 108 , 110 - 113 ; Amiet, les Civilisations Antiques du Proche Orient , p. 118 .

(٢) Danielou, op. cit., p. 87 .

وقامت أول حفائر ألمانية بها عام ١٩٠٢ - ١٩٠٥ وهى معروفة فى النصوص المصرية عندما وقعت معركة مجدو بين تحوتمس الثالث وتحالف من أمير قادش^(١).

البتراء:

تقع البتراء (الرقيم) إلى الجنوب من الشوبك ، جنوب البحر الميت على بعد ٣٠٠ كم من عمان ، شمال ميناء إيله القديم (إيلات) .

اهتم عدد من العلماء والمستشرقين الأوروبيين بآثار البتراء وكان أولهم السويسرى لودفيج بورخارت الذى تذكر فى زى عربى وتمكن من زيارة آثار الأنباط فى البتراء وكان الأنباط قد شيّدوا مقابر منحوتة فى الصخر^(٢).

وقد شهدت بتراء أوج مجدها فى عام ٥٠ ق.م وفى عام ٧٠ ميلادية وأعظم فترات تاريخها هى فترة الملك النبطى لرتاس الرابع (الذى حكم فى العام التاسع ق.م إلى عام ٤٠ ميلادية) . وهو الذى شيّد الأثر المعروف باسم - خزنة فرعون - وهو الذى شيّد أيضا قصر الفرعون فى قلب بتراء ويمتاز هذا الأثر بأنه ليس منحوتا فى الصخر ولكنه بنى فى الصخر واعتبرت بتراء جزءا من الإمبراطورية الرومانية فى بداية القرن الثانى للميلاد^(٣) . ولهذا تجد بها آثارا من العصر الرومانى . وشيّد فيها الإمبراطور تراجان طريقا من سوريا مارا بها إلى

(١) Eydoux , op. cit ., p. 114 - 119 .

(٢) د. أبو المحاسن عصفور : معالم حضارات الشرق الأدنى القديم ، ص ١٥٣ - ١٥٤ ، ٢٤٨ .

(٣) أصبحت البتراء شبه مهجورة بعد إسقاط الرومان لدولة الأنباط عام ١٠٦ ميلادية . ونقل الملك النبطى رب إيل الثانى بلاطه إلى بصرى فى الشام ليكون تحت رقابة الرومان ، راجع : د. عبد المنعم عبد الحليم : البحر الأحمر وظهيره فى العصور القديمة ، دار المعرفة للجامعة ، الإسكندرية ١٩٩٣ ، ص ٥٣٢ .

البحر الأحمر .

ومن أهم مقابر العصر الروماني تلك المقبرة التي تخص أحد الموظفين الرومان . وانتشرت المسيحية في القرن الرابع الميلادي في المنطقة ولجأ بعض الرهبان إلى تلك المقابر المبنية في الصخر . ولذلك تسمى فسي بعض الأحيان بالأكيرة .^(١)

كشف الأعلام

(١)

- (سیدنا) إیرامیم : ٦٦ حاشیة ،
 ٢٣٠ ، ٢٣٤ ، ٢٦١ ، ٢٦٧ ، ٢٧١ ،
 ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ - ٢٨٤ ، ٣٠٠ ،
 ٣٠٦ .
 ابیریس : ٢٥٦ ، ٢٥٧ .
 ایلا : ٧٧ - ٧٨ .
 أبو سالم : ٢٢٧ .
 أبو سمبل : ٣٣ ، ١٦٨ .
 ابشای : ٢٤٦ .
 ابشمو - ابی : ٨١ ، ١٤٨ .
 ابی - سین : ٧١ .
 ابی - شمو : ٨١ ، ١٤٨ .
 آثار هارتس : ٢١٦ .
 اثینا : ٩٩ .
 أحسن : ١٥٢ ، ٢٤٨ .
 احیرام الأول : ٦٤ ، ٨٣ ، ٨٩ ،
 ٩٠ ، ٩١ ، ١٧٧ ، ١٨٩ ،
 ٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢١٤ ، ٢٢٠ .
 احیرام لثانی : ٩٠ ، ٩٢ ،
 ١١٠ .
 احیرام لثالث : ٩٠ .
 اخفانتون : ٢١ ، ٢٩ ، ١٥٠ ، ١٥٦ ،
 ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ٢٣٤ ، ٢٤٩ ،
 ٢٥١

- اندلیز لاری الثالث : ٢٤ ، ١٠٩ ،
 ١٤١ .
 اند (أو حید) : ٢٠١ ، ٢١٥ ،
 ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٦١ .
 اندیس : ٨٠ .
 (سیدنا) لنم : ٢٩٧ ، ٣٢٣ .
 آنوم : ٩٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٩ ،
 ٢٥٣ .
 ادونیس : ١٩٦ ، ٢٠٠ .
 أرفا : ٣٨ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ،
 ٤٦ .
 أرتالما : ٢١ ، ١٤٠ ، ١٥٥ .
 أرتاکمیرکسیس الثاني : ٢٥٩ .
 أرتاکمیرکسیس الثالث : ٩٢ ، ١١٤ .
 أرتو وانداس : ٢٤ .
 أرواد : ٨١ ، ٨٢ ، ٨٨ ، ٨٩ ،
 ٩٨ ، ١٠٥ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٣ ،
 ١١٥ ، ١١٨ ، ١٥٣ ، ١٥٨ ، ١٦٢ ،
 ١٨٦ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ،
 ٣٠١ .
 أریحا : ٦١ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٢٢٧ ،
 ٢٣٥ ، ٣٣٨ .
 أسبقیا : ٩١ ، ٩٨ ، ١٢١ ، ١٢٤ ،
 ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣٠ ، ١٣١ ،
 ١٨٥ ، ٢٠٩ ، ٢٤٨ .
 أسجوطه : ١٣٠ ، ١٨٧ .

- (سيدنا) اسحاق : ٢٧١، ٢٠١، ٣٠٢ .
- اسرجون : ١١١، ١١٢، ١١٥، ١٦٨ (٣) .
- اسدزلون : ٢٢٩، ٢٣٢ .
- أسوان : ٢٥٧، ٢٥٨ .
- إسوي : ٥٧، ١١٥ .
- اسين : ٧١، ٧٢ .
- إشبي ارا : ٧١، ٧٢ .
- اشدود : ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٥ .
- ٢٣٨ .
- اشمون : ١٩٦، ٢٠٠ .
- اشمونازار الأول : ٩٢ .
- اشمونازار الثاني : ٩٢ .
- أشور : ٤، ١٠، ١٥، ٢٢، ٣٠ (١) ، ٣٤، ٩٢، ١٠٨، ١١٠، ١١١، ١٤٠، ١٥٨، ١٩٣، ٢٣٣، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٥٥ .
- أشور أبو بلط الأول : ١٤٠ .
- أشور بانيال : ١١١، ٣٤٣ .
- أشور ناصر بل الثاني : ١٠٩ .
- الغول : ٢٢٩ .
- أكد : ٧٨ .
- أكبركميس : ١١٤ .
- الأترومكيون : ١١٩، ١٢٠، ٢٠٩ .
- الآخيون : ٢٤ .
- الآراميون : ٦١، ١٣٥، ١٣٧ - ١٣٩، ٢١٦ - ٢١٨، ٢٣٠، ٢٣٣ .
- الأمسا : ٤، ٥، ١٣، ١٤ .
- الاميا : ٤ .
- الإسكندر الأكبر : ٩٢، ٩٣، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١٢٢، ١٢٣، ٢٩٥، ٣٠٨ .
- الإسكندرونة : ٥٧ .
- الإسكندرية : ٦٤، ٦٥، ٢٤٢ .
- الأسويون : ٤٢، ٤٣، ١٦٦، ٢٤٥ .
- الأتوريون : ٤، ١٥، ١٨، ٢٣، ٢٦، ٢٧، ٣١، ٤٢، ٧٣، ١٠٨، ١٣٦، ١٣٨، ١٤١، ١٤٢، ١٦٥، ٢٣٠، ٢٤٢، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٧، ٢٦٤ .
- الأكديون : ١٤، ١٥ .
- الأكخ : ٧٨، ٨٠ .
- الأموريون : ٢٤، ٣٠، ٣٢، ٧٠، ٧٣، ٧٧، ٨٢، ١٣٩، ١٥٧، ١٥٩، ١٦٨ (٣) ، ٢١٥، ٢٦١ .
- الأكباط : ١٣٩، ٢٤٣، ٣١٠ .
- الابليون : ٢٧، ٥١، ٧١، ٧٣، ١١٢، ٢٣٠، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨ .
- البتراء : ٢٢٧ .

الطروانتيون : ٢٤ .
 العبرانيون : ١٣٦ ، ١٣٧ ،
 ١٦٦ ، ١٧٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ،
 ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٨ ، ٢٤١ ،
 ٢٤٣ ، ٢٤٨ ، ٢٥١ ، ٢٦٠ ، ٢٦٣ ،
 ٢٦٩ ، ٢٣١ .
 القوس : ٧٣ ، ٩٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ،
 ١١٥ ، ١٢٨ ، ١٣٩ ، ١٧٧ ، ٢٢١ ،
 ٢٥٦ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ،
 ٣٢٠ ، ٣٤٩ ، ٣٥٢ .
 الفلسطينيون : ٥٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ،
 ٢٣١ - ٢٣٣ ، ٢٣٨ - ٢٤٠ .
 الفينيقيون : ٦١ ، ٦٤ ، ٨٤ ، ٨٦ ،
 ٨٧ ، ٩٢ ، ٩٤ - ٩٧ ، ٩٩ -
 ١٠٢ ، ١٠٥ - ١٠٧ ، ١١٠ ،
 ١١٤ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٧٠ ، ١٧٤ ،
 ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٩ ، ١٨١ ،
 ١٨٢ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٩ ،
 ١٩٠ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ،
 ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢١٤ ،
 ٢٦١ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٣٠١ .
 القدس : ٢٢٤ ، ٢٩٢ - ٣٥٦ .
 القرطاجيون : ١١٩ ، ١٢٠ ،
 ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٣١ ،
 ١٧٩ ، ١٩٠ .
 الكلدانيون : ١٩ ، ٦٠ ، ١٣٩ .

الحوريون : ٤ ، ١٦ ، ١٨ ، ١٩ ، ٨٠ ،
 ٨٢ ، ٨٤ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٩٦ ،
 ٢٣٠ .
 الحثيون : ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ١٥ ،
 ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ،
 ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣١ ،
 ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ،
 ٣٩ ، ٤٢ - ٤٤ ، ٤٧ - ٥١ ، ٧٣ ،
 ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ،
 ٨٨ (١) ، ٩٣ ، ١٤١ ، ١٥٥ ،
 ١٥٦ ، ١٥٩ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ،
 ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٩٦ ،
 ٢٠٨ .
 الرومانيون : ٦١ ، ٦٢ ، ١٠٨ ،
 ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ،
 ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ،
 ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٤٢ ، ١٩٣ ،
 ٢٠٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٣١٠ ، ٣١٧ ،
 ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٤٤ ، ٣٥٢ ، ٣٥٤ .
 السامريون : ٢٣ ، ٢٤١ ، ٣٥٤ ،
 ٢٥٩ ، ٣٠٦ ، ٣٣١ ، ٣٤٠ .
 السامريون : ٢٤٢ .
 الساميريون : ٧٠ .
 السومريون : ٧٠ .
 السوريون : ٦١ ، ٦٢ ، ١٠١ ،
 ١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٧١ ، ١٩٠ ، ٢٦٤ .

امتحانات الثالث : ١٤٧ ، ٩٣ :

. ١٤٨

امتحانات الرابع : ١٤٧ ، ١٤٨ .

امسور : ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٧٠ ،

. ٧١

انارا : ٤٦ .

انطيوخوس : ١٤١ ، ٣٠٩ .

انقره : ٣ ، ١٢ ، ٢٦ ، ٥٢ .

انليل : ٤٤ .

انينا : ١٦ ، ١٧ .

اوجاريت : ٣١ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٦٩ ،

٨٣ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٤ ، ١٠٢ ،

١٤٨ ، ١٥٩ ، ١٦٢ ، ١٧٧ ، ١٩٧ ،

١٩٩ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١٤ ،

. ٢٢٨ ، ٢٢١

أورشليم : ٣١ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ،

١٦٥ ، ٢٣٠ ، ٢٣٩ ، ٢٤٢ ،

٢٤٣ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٤ ،

٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ،

٢٦١ ، ٢٦٣ ، ٢٦٩ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ،

٢٩٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ،

٣١٧ ، ٣٤١ ، ٣٤٣ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ،

. ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٥٥

لورشي - قيشوب : ٢٢ - ٢٣ ،

. ٢٣

الكاهويوك : ٤٢ ، ٥١ - ٥٢ .

الكتعانيون : ١٣٩ ، ٢٢٠ ، ٢٥١ .

الهكسوس : ١٥١ ، ١٥٢ ، ٢٤٧ ،

. ٢٤٨ ، ٢٨٦ .

المربيط : ٢٢٧ .

الميتانيون : ١٨ ، ١٩ ، ٢٤ ، ٢٧ ،

٣١ ، ٨١ ، ٨٢ ، ١٣٩ - ١٤١ ،

. ١٥٣ ، ٢٢٣ .

الويانكا : ٤٥ ، ٤٦ .

(عناصر) اليسيريرو : ٢٥١ ،

. ٢٥٢

اليونان : ١٠ ، ٦٤ ، ٨٤ ، ٨٥ ،

٩٣ ، ١٠٨ ، ١١٤ ، ١١٧ ، ١١٨ ،

١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ،

١٢٤ ، ١٣٠ ، ١٤٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ،

٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٦ ، ٣٠١ .

امنتخب الأول : ١٤٠ ، ١٥٢ ،

. ١٥٤ (١) .

امنتخب الثاني : ٢٨ ، ١٥٥ .

امنتخب الثالث : ٢٨ ، ٣٠ (١) ،

. ١٠١ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٦٠ .

امنتخب الرابع : ٢٩ ، ٣٠ ، ٩٣ ،

. ١٥٦ ، ١٦١ ، ٢٤٩ ، ٢٩٤ .

امتحانات الأول : ٨١ ، ٢٤٥ .

امتحانات الثاني : ١٤٨ .

ایتاجاسا : ۱۵۹ ، ۳۰ ، ۲۹ ، ۲۸ ، ۱۶۳ .
ایتو بعل : ۹۱ ، ۹۰ ، ۸۹ .
ایتو بعل الثانی : ۹۲ ، ۹۰ .
ایزیس : ۲۱۶ ، ۱۴۳ .
ایل : ۱۹۸ ، ۱۹۷ .

(۴)

بسابل : ۷۰ ، ۳۰ ، ۲۸ ، ۱۹ ، ۷۲ ، ۷۴ (۱) ، ۱۱۷ ، ۱۳۸ ، ۱۳۸ ، ۱۷۴ ، ۱۹۹ ، ۲۴۱ ، ۲۴۳ ، ۳۰۸ ، ۳۱۸ ، ۳۴۹ .
بالکو : ۱۹ ، ۱۸ .
بسوسینس الثانی : ۲۵۳ ، ۲۴۰ .
بطلمیوس الأول : ۳۰۸ ، ۱۲۲ .
بطلمیوس الثانی : ۳۰۹ ، ۳۰۸ .
بطلمیوس الجغرافی : ۹۴ ، ۶۳ (۱) .
بعل (معبود) : ۱۹۹ ، ۱۹۸ ، ۲۰۲ ، ۲۰۳ .
بعل الثانی : ۱۱۲ .
بعلبك : ۱۵۹ ، ۶۱ ، ۵۹ .
بلندیی : ۸ .
بلوتارخ : ۸۷ .
بلینیوس : ۱۰۷ ، ۶۳ .
بود هییات : ۳۹ .
بور شخاند : ۱۶ ، ۱۴ .

بوزور نوموشدا : ۷۱ .
بوغلر کوی : ۱۶ ، ۷ ، ۶ ، ۳ ، ۳۱ (۱) ، ۳۵ ، ۳۸ (۱) ، ۴۴ ، ۳۵ ، ۴۵ ، ۵۲ .
بومی : ۳۱۰ ، ۱۴۱ .
بیلوس : ۶۹ ، ۶۸ ، ۶۷ ، ۶۵ ، ۸۳ ، ۸۸ ، ۹۳ ، ۹۴ ، ۱۰۸ ، ۱۱۲ ، ۱۱۳ ، ۱۴۷ ، ۱۵۴ ، ۱۶۰ ، ۱۶۷ ، ۱۶۸ ، ۱۷۱ ، ۱۷۲ ، ۱۸۷ ، ۱۹۳ ، ۲۱۰ ، ۲۱۳ ، ۲۱۴ ، ۲۲۰ ، ۲۹۴ .
بیبی الأول : ۲۴۵ ، ۱۴۵ .
بیبی الثانی : ۱۴۵ .
بیت شان : ۲۳۵ ، ۲۳۲ ، ۶۹ ، ۳۳۲ .
بیختا : ۱۷ ، ۱۶ .
بیروت : ۱۴۲ ، ۱۱۸ ، ۳۰ (۱) ، ۱۴۷ ، ۱۴۸ ، ۱۵۸ ، ۱۶۲ ، ۱۸۰ ، ۱۹۱ ، ۱۹۶ .
بنی اسرائیل : ۲۳۴ - ۲۳۷ .

(۵)

تائیس : ۱۷۲ .
تخوتمس الأول : ۱۵۲ ، ۲۳ ، ۲۷ ، ۲۴۸ ، ۱۵۴ .
تخوتمس الثانی : ۲۴۸ ، ۱۵۲ .

توشركا : ١٥٦ ، ٢١ .
 تونيب : ١٥٤ ، ٣٤ ، ٢٢ .
 ١٦٥ ، ١٦٤ ، ١٥٩ ، ١٥٨ .
 توجلات بلاصر الأول : ١٠٨ ، ٦ .
 ١٢٥ .
 توجلات بلاصر الثالث : ٩٠ .
 ٢٤١ ، ٢٢١ ، ١٣٨ ، ١١٠ .
 توشوب : ٤٥ ، ٤٤ ، ٤٣ ، ٣٨ .
 ٢٦١ ، ٥٢ .
 تليينوس : ٤٠ ، ٢٠ - ١٩ ، ١٨ .
 تيتوس : ٣٤٧ - ٣٤٢ ، ٣١٨ .
 ٣٥٣ .

(ب)

جيبيل : ٦٩ ، ٦١ ، ٢٩ ، ٢١ .
 ٩٨ ، ٩٣ ، ٨٩ ، ٨٨ ، ٨١ ، ٧٦ .
 ١١٣ ، ١٠٩ ، ١٠٥ ، ١٠٢ .
 ١٤٩ ، ١٤٧ ، ١٤٤ ، ١٤٣ ، ١١٥ .
 ١٥٩ ، ١٥٨ ، ١٥٤ ، ١٥١ .
 ١٧٣ ، ١٧٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٤ .
 ٢٠٠ ، ٢١٦ ، ٢٠١ .
 جت : ٢٣٨ ، ٢٣٥ ، ٢٣٢ .
 جر : ٢٤٤ .
 جريكو : ٢٢٧ - ٢٢٦ .
 جزر : ٢٥١ ، ٢٣٥ ، ٢٢٨ ، ٦٨ .
 ٢٦١ ، ٢٥٣ .

تحتمس الثالث : ٢٨ ، ٢٧ ، ٢٤ .
 ٨١ ، ١٠١ ، ١٤٠ ، ١٥٣ ، ١٥٤ .
 ٢٥٥ ، ٢٤٨ ، ١٦٦ ، ١٦٤ .
 تحتمس الرابع : ١٤٠ ، ٢٨ .
 ١٥٦ ، ١٥٥ .
 تدمر : ٢٢١ ، ١٣٩ .
 تراجان : ٣٥٥ .
 تروى : ١٢ ، ١٠ .
 تك نخت : ٢٥٧ ، ٢٥٤ .
 تل الحريرى : ٢١٩ .
 تل الشيخ حسن : ٢٢٧ .
 تل المعجول : ٣٢٣ .
 تل العطشانة : ٨٠ ، ٧٨ .
 تل العقولة : ٣٢٤ .
 تل العمارنة : ٣٠ ، ٢٩ ، ٢٨ .
 ١٥٨ ، ١٥٤ ، ١٥٧ ، (١) ، ١٥٨ .
 تل القاضي : ٣٢٣ .
 تل خربة كرك : ٣٣٥ .
 تل لفرعه : ٢٢٩ .
 تل مردوخ : ٧٧ .
 تليات صول : ٢٢٨ ، ٦٨ .
 ٣٢٢ ، ٣٢٣ .
 توت عسخ اسون : ٥٢ ، ٣١ .
 ١٦٦ .
 تودهاليس الثاني : ٢٤ .
 تودهاليس الرابع : ٤٥ ، ٢٣ .

خفتوليس : ١٩ .
 خريت كورمان : ٣٥٤ .
 خورسباد : ١٩٤ .
 خوزياس التلثي : ٢٨ .
 خويات : ٤٥ ، ٤٤ ، ٤٣ .
 خيتا : ١٥٨ ، ١٤١ ، ٤٣ ، ٢٨ .
 ٢١٦ ، ٢١٣ ، ١٦٣ .

(د)

دارا الأول : ١١٣ .
 دارا الثاني : ٢٥٩ .
 (ديينا) دلود : ١٣٧ ، ١٣٦ .
 ٢٣٩ - ٢٤٠ ، ٢٥٣ - ٢٥٤ ،
 ٢٦٥ - ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٧١ ، ٢٩٨ ،
 ٣٠٤ - ٣٠٥ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ .
 دمشق : ٦٦ - ٦٧ ، ٨٤ ، ١٣٦ -
 ١٣٩ ، ١٤٢ ، ١٥٣ .
 دن : ٢٤٤ .
 نورك : ٢٥ ، ١٣ ، ٥ ، ٤ .
 ديودور الصقلي : ١٠٧ ، ١٠١ ،
 ١٣٥ .

(و)

رأس الشمر : ٦٦ - ٦٩ ، ٨٣ ،
 ٨٨ ، ٩٢ ، ١٩٠ ، ١٩٥ - ١٩٧ ،
 ١٩٩ ، ٢٠٤ ، ٢٠٧ ، ٢١٠ ، ٢١٢ .
 ريعدي : ١٥٨ - ١٦٠ .

جزيل : ٢٥١ .
 جسر : ٢٤٤ .
 جلجال : ٢٢٧ .
 جلجامش : ٥١ .

(ز)

حبرون : ٣٣٨ .
 حنحور : ٢٠٧ .
 حلب : ١٨ ، ٢٤ ، ٣٠ ، ٧٣ ،
 ٧٦ - ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٢ ،
 ١٤٢ ، ١٥٢ ، ٢١٦ ، ٢٣٥ .
 حماه : ٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ،
 ١٦٧ .
 حمص : ٧٦ ، ١٠٦ ، ١٣٦ ،
 ١٤٢ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٨ .
 حمورابي : ٧٤ ، ٧٢ ، ٧١ ، (١) ،
 ٧٨ ، ٧٩ ، ٢٢٠ ، ٢٦٤ .
 حوران : ٥٩ ، ٦٠ .
 حور محب : ٣٥ ، (٤) ، ١٦٦ .

(ح)

خاتوميل الثالث : ٤ ، ٧ ، ١٨ ،
 ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٨ ،
 ٣٩ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٣ ، ١٦٩ .
 خاتوشا : ٣ ، ٧ ، ١٦ ، ١٧ ، ٥٢ .
 خلتي : ٦ ، ١٥ ، ٢٨ ، ٢٩ ،
 ٣٤ ، ٤٣ ، ٤٤ .

سامره : ٣٥٣ - ٣٥٤ .
 مترايون : ٦٣ ، ٩٤ (١) ، ١٠٠ .
 مرجون الأكدي : ١٤ ، ٧٠ ، ٧٢ .
 مرجون الثاني : ٦ ، ١١٠ ،
 ١١٥ ، ٢٣٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٥٤ .
 مشم : ١٥٨ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ،
 ٢٥٠ ، ٢٩٤ .
 سكييو : ١٣١ - ١٣٢ .
 سلاميس : ١١٤ .
 (سينا) سليمان : ٦٤ ، ٩٠ ،
 ٩١ ، ١٣٧ ، ٢٣٩ - ٢٤٠ ، ٢٥٣ ،
 ٢٥٤ ، ٢٦٥ - ٢٦٦ ، ٢٧١ ،
 ٢٩٢ ، ٢٩٨ ، ٣٠٤ - ٣٠٦ ، ٣٢٥ ،
 ٣٤١ ، ٣٤٣ ، ٣٤٩ .
 متخاريب : ١١١ ، ١٩٤ ، ٢٤٢ ،
 ٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٢٩٤ .
 منوسرت الأول : ١٤٦ - ١٤٧ .
 منوسرت الثاني : ١٤٨ .
 منوسرت الثالث : ٢٤٧ .
 منوهي : ١٤٦ ، ٢٤٥ - ٢٤٦ .
 سوريا : ١٠ ، ١٨ ، ٢٠ - ٢٢ ،
 ٢٤ - ٢٥ ، ٢٧ - ٢٨ ، ٣٠ -
 ٣٣ ، ٣٦ ، ٥٧ - ٥٩ ، ٦٠ - ٦٢ ،
 ١٣٥ - ١٣٦ ، ١٣٨ - ١٣٩ ،
 ١٤١ - ١٤٢ ، ١٤٧ ، ١٤٩ .

رشف : ١٩٦ ، ٢٠٠ ، ٢١٥ .
 رمسيس الثاني : ٧ ، ٢٢ ، ٢٣ ،
 ٢٣ ، ٣٤ ، ٣٦ - ٣٩ ، ٨٢ - ٨٣ ،
 ١١١ ، ١٦٧ - ١٦٨ ، ١٧١ ، ٢٠٤ ،
 ٢١٤ ، ٢٢٠ ، ٢٥٠ - ٢٥١ ، ٣٣٢ ،
 ٣٣٩ .
 رمسيس الثالث : ٨٣ ، ١٧٠ -
 ١٧١ ، ٢٣١ .
 روما : ١٢٣ - ١٢٧ ، ١٢٩ -
 ١٣٤ ، ١٨٣ ، ١٩١ ، ٢٠٨ ، ٢١٢ ،
 ٢١٦ ، ٣١٠ ، ٣٣٣ .

(٣)

زاما : ١٣١ - ١٣٢ .
 زكر - بعل : ٩٣ ، ١٨٨ ، ١٨٩ .
 زمري - ليم : ٧٢ ، ٧٤ - ٧٦ ،
 ٢١٦ ، ٢١٩ .
 زجرلي : ٧ ، ١١٢ ، ٢١٤ ،
 ٢١٧ ، ٢١٨ .
 زنوبيا : ٢٢١ .
 زبلون : ٩٢ .
 زيمرنا : ١٥٨ - ١٥٩ ، ١٦٢ .

(س)

ساحورع : ١٣ ، ٢٥ ، ١٤٤ -
 ١٤٥ .
 سامال : ٨٤ ، ١٠٨ ، ٢١٧ .

صور : ٨٩ - ٨٨ ، ٦٦ ، ٦٤ ، ٩١ - ٩٠ ، ٩٤ ، ٩٨ ، ١٠٢ - ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٨ - ١١١ ، ١١٣ ، ١١٥ - ١١٦ ، ١١٨ ، ١٢٢ ، ١٥٨ - ١٥٩ ، ١٦٢ - ١٦٣ ، ١٦٨ (٣) ، ١٧٧ ، ١٨٢ - ١٨٣ ، ١٨٦ ، ١٩٣ ، ١٩٦ ، ٢٠٧ - ٢٠٨ ، ٢١٢ ، ٢٤١ ، ٢٦٤ ، ٣٠١ ، ٣٤٩ .

صيدا : ٣٠ (١) - ٣١ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٧٠ ، ٨٨ - ٨٩ ، ٩٢ - ٩٤ ، ٩٨ ، ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١٠٨ - ١١٥ ، ١١٧ ، ١٥٨ - ١٥٩ ، ١٦٢ - ١٦٣ ، ١٧٧ ، ١٨٢ - ١٨٣ ، ١٨٦ ، ١٩١ ، ١٩٣ - ١٩٤ ، ١٩٦ ، ٢٠٠ ، ٢٠٤ ، ٢١٠ ، ٢١٣ ، ٢٢٠ ، ٢٣٢ ، ٢٤١ ، ٣٠١ .

(ط)

طرس : ٨ .
طرسوس : ١٢ .
طبرية : ٦٦ .
طرابلس : ١١٨ .
طروادة : ٦ .
طهرقا : ٢٥٧ ، ٢٥٤ .
طوروس : ٤٣ ، ٢١ .
طيبة : ١٥٦ .

١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٥٧ - ١٥٨ ، ١٦٦ .
١٦٨ ، ١٧٠ ، ١٧٤ ، ١٨٣ ، ١٩٢ .
سومر : ٥١ ، ٥٠ .
سيتي الأول : ٣٢ ، ١٦٦ ، ١٦٧ .
٢٥٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٩ .
سيميرا : ١٥٨ ، ١٦٢ .

(ش)

شايكا : ٢٥٧ ، ٢٥٤ .
شاتال هويوك : ٨ - ٩ .
شالمانصر الأول : ٣٤ .
شالمانصر الثالث : ١٠٩ ، ١٣٨ .
شالمانصر الخامس : ٩٠ ، ١١٠ ، ٢٤١ ، ٢٥٤ ، ٢٥٧ .
شبه جزيرة سيناء : ٢٣٤ ، ٢٤٤ - ٢٤٨ ، ٢٤٥ .
ششق الأول : ٢٤٢ ، ٢٥٤ .
شوبيلو أيوما : ٢٠ - ٢٢ ، ٣٠ - ٣١ ، ٥٢ ، ٨١ - ٨٢ ، ١٤١ .
شوتارنا : ١٤٠ - ١٤١ .
شوجاني : ٢١ ، ٢٤ ، ٣١ ، ١٤٠ .

(ص)

صقاية : ١٢٠ ، ١٢٢ - ١٢٥ ، ١٣٠ ، ١٣٤ .
صوبا : ١٣٦ - ١٣٧ .

(ف)

فلسطين : ٢٤ - ٢٥ ، ٣١ ، ٣٣ -
 ، ٣٤ ، ٥٧ ، ٦٢ ، ٧٠ ، ٨٣ ، ٨٥ ،
 ، ٩٠ ، ١١٠ ، ١١٣ ، ١٣٩ ، ١٤١ ،
 ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٧ ،
 ، ١٦٥ - ١٦٧ ، ١٦٩ ، ١٧٤ ، ١٨٧ ،
 ، ٢١١ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢٢٤ -
 ، ٢٢٦ ، ٢٣١ - ٢٣٣ ، ٢٣٨ -
 ، ٣٤٠ .
 فونيقيا : ٣٦ (١) ، ٦٣ - ٦٥ ،
 ، ٨٤ - ٨٨ ، ٩٣ - ٩٤ ، ٩٨ ،
 ، ١٠٨ ، ١١٧ ، ١٤١ ، ١٥١ ، ١٥٣ -
 ، ١٥٤ ، ١٧٨ ، ١٨٨ ، ١٩١ ،
 ، ١٩٦ ، ٢٠٣ ، ٢٥٢ .

(ق)

قانس : ١٠٠ ، ١٥٣ - ١٥٤ .
 قاش : ٢٣ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٢ -
 ، ٣٣ ، ٨٢ ، ١٥٣ - ١٥٤ ، ١٥٨ ،
 ، ١٦٣ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ٢٤٢ ،
 ، ٣٥٥ ، ٣٥٠ .
 قبرص : ٤ ، ٨٣ ، ٩١ ، ٩٣ ،
 ، ٩٨ ، ١٠٣ ، ١١٠ ، ١١٤ - ١١٥ ،
 ، ١١٩ ، ١٧٣ ، ١٨٣ ، ٢٠٨ ،
 ، ٢١٤ .
 قنموس الصوري : ٩٩ .

(ع)

عائزرو : ١٥٩ ، ١٦١ - ١٦٤ .
 عبد خيبا : ١٥٨ - ١٥٩ ، ١٦٥ ،
 ، ٢٤٩ ، ٢٩٤ .
 عبد شرتا : ١٥٩ - ١٦٠ .
 عبد ملكوتي : ٩٢ ، ١١١ .
 عز ملك : ٩٢ ، ١١٦ .
 عثرون : ٢٣٢ ، ٢٣٥ ، ٢٣٨ .
 عسقلان : ١٦٨ ، ١٥٨ ، ٧٠ (٣) ،
 ، ٢٣٢ ، ٢٣٥ ، ٢٣٨ ، ٢٤٧ ،
 ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٩٤ ، ٣٣٢ ، ٣٣٨ .
 عشتار : ٤٤ ، ١٧١ ، ١٩٨ ،
 ، ٢٠١ ، ٢٢٠ ، ٢٤٧ .
 عكا : ٢٣٥ ، ٢٤٧ ، ٢٩٤ .
 علبان - بعل : ١٩٨ - ١٩٩ ،
 ، ٢٠٢ .
 عنات : ١٩٨ ، ٢٠١ - ٢٠٢ .
 (سبينا) عيسى : ٣١٠ - ٣١٧ ،
 ، ٣٤٥ .
 حلام : ٢٤١ .

(غ)

غزه : ٢٣١ - ٢٣٢ ، ٢٣٥ ،
 ، ٢٣٨ ، ٢٥٠ - ٢٥١ ، ٢٥٤ ،
 ، ٣٣٢ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ .

مارى : ٧٨، ٧٠ - ٧٩، ١٣٥ ،
 ٢١٥ - ٢١٦، ٢١٩، ٢٢٠ .
 مارينوس الصوري : ٩٤ (١) .
 ماهربال : ١٢٩ .
 مجـنو : ٢٠ (١)، ١٥٨ ،
 ١٦٥ ، ٢٢٩ ، ٢٤٣ ، ٢٤٦ ،
 ٢٥٤، ٢٢٠، ٢٣٩، ٢٥٤، ٣٥٥ .
 مدين : ٢٣٤ - ٢٣٥ .
 مرسين : ٨ .
 مرنبتاح : ٣٩، ١٦٩، ٢٥١ .
 مصر : ١٠، ٢١، ٢٦ - ٣٠ .
 (١) : ٣١ - ٣٢، ٣٤، ٣٦ - ٣٨ .
 (١) .
 ملقارت : ٦٣، ٩٠، ٩٩، ١٠٣،
 ١٠٥، ١١٦، ٢٠٠ .
 مملكة إسرائيل : ٢٤٠ - ٢٤٢ ،
 ٢٦٢، ٣٠٦ .
 مملكة يهوذا : ٢٣٠، ٢٣٧، ٢٤٢ ،
 ٢٤٣، ٢٥٥، ٢٥٧، ٣٠٦، ٣١٦ .
 منف : ١٦٨ (٣)، ٢٨٨ .
 موافلي : ٢٢، ٣٢ - ٣٣، ٨٢ ،
 ١٦٧، ١٦٩ .
 موت (معبود) : ١٩٧، ١٩٩ ،
 ٢٠٢ - ٢٠٣ .
 مورسيل الأول : ١٨، ٧٩ .

قرطاجنة : ٨٩، ٩١، ١٠٢ -
 ١٠٤، ١١٤، ١١٧ - ١٢٢، ١١٨ -
 ١٢٧، ١٣١ - ١٣٥، ١٨٧ .
 ٢٠٩، ٢١٣ .
 قرقيش : ٦، ٢٤، ٨٢، ١٠٨ ،
 ١١٠، ١٥٢، ١٧٤، ٢١٤، ٢١٨ .
 قلعة : ٢٨ - ٢٩، ٣٢، ١٤٨ ،
 ١٥٨، ١٦١ - ١٦٣، ٢١٦ .
 قسبر : ٢٥٨ .
 قورش : ٢٤٣، ٤٣٩ .

(ك)

كبادوكيا : ٤، ٤٢ .
 كاناي : ١٢٨ - ١٣٠ .
 كريث : ٢٢٢ .
 كوشار : ١٦ - ١٨ .
 كيبيكيا : ٨، ١١، ١٤، ٢٢ .

(ل)

لابارناس : ١٧ - ١٨ .
 لاهيا : ١٥٨، ١٦٥، ٢٥٠ .
 لارسا : ٧٠ .
 لوجال زاجيزي : ٧٢ .

(م)

ماجون : ١٧٩ .
 ماردوك : ١٩٩ .

هانزويال : ١٣١ .
 هاندروبال : ١٢٧ ، ١١٩ ، ٦٥ .
 هاسيلار : ٨ - ٩ ، ١٠ .
 هاميلكار : ١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٥ ،
 ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٩ .
 هاتون القرطاجي : ١٠٧ .
 هاتيال : ١٢١ ، ١٢٧ - ١٣٢ .
 هوياسيا : ٤٦ .
 هوميروس : ٦٣ ، ١٨٤ ، ١٨٨ .
 هيرودوت : ٥٦ (٢) ، ٦٢ - ٦٣ ،
 ١٠١ - ١٠٢ ، ١٠٧ ، ١٧٤ -
 ١٧٥ ، ١٩٠ ، ٢٩٦ .
 هيسيلكر : ١٠٧ ، ١٢١ - ١٢٢ .

(٥)

وادي الفلاح : ٢٢٦ - ٢٢٧ .
 وروسو : ٤٣ .
 ون امون : ٩٣ ، ١١٢ ، ١٧٢ -
 ١٧٣ ، ١٨٨ ، ٢٣٢ .

(٦)

ياسيلي كلوا : ٤٤ - ٤٥ ، ٥٣ .
 ياقل : ٢٤٠ ، ٢٤٧ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ،
 ٢٣٧ .
 يشوع بن نون : ٢٣٠ ، ٢٣٦ ،
 ٢٩١ .

مورسيل الثاني : ٢١ - ٢٢ ، ٢٤ ،
 ٣٢ .
 (سيدنا) موسى : ٢٣٠ ، ٢٣٤ -
 ٢٣٥ ، ٢٦٥ ، ٢٦٧ ، ٢٧٠ - ٢٧١ ،
 ٢٧٢ - ٢٧٤ ، ٢٨٧ - ٢٩١ ،
 ٣٠٢ ، ٣٢٤ .
 موكيش : ٧٨ ، ٨٠ - ٨١ .
 مونهايا : ٢٢٧ .
 ميتاني : ٣٠ (١) ، ٢٤ ، ١٣٩ -
 ١٤١ ، ١٥٢ ، ١٥٤ - ١٥٦ ، ١٥٨ .

(٧)

نابلس : ٢٢٩ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ .
 نابوخذ نصر الثاني : ١٠٨ ، ١١٢ ،
 ١١٥ ، ١٧٤ ، ٢٢٠ ، ٢٤٣ ،
 ٢٥٦ ، ٢٦٩ ، ٣٤٣ ، ٣٤٩ .
 نكاو الثاني : ١٧٤ ، ٢٤٣ ، ٢٥٥ .
 (سيدنا) نوح : ٢٦٧ ، ٢٧١ ،
 ٢٩٠ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧ ،
 ٢٩٨ ، ٣٠٠ .
 نومينيا : ١٣٣ .
 نيشا : ١٦ - ١٧ .
 نيور : ٧٣ ، ١٩٤ ، ٢٤٢ ، ٢٦٢ .
 نينوري : ٧٣ ، ١٩٤ ، ٢٤٢ ، ٢٦٢ .

(٨)

هانريان : ٣٤٢ ، ٣٥٠ .

(سینا) یعقوب : ۲۷۱ ، ۲۳۵ ،

— ۲۸۶ ، ۲۸۷ ، ۲۹۰ ، ۳۰۱ —

۳۰۲ ، ۳۲۷ .

مقداد : ۱۸ ، ۷۶ ، ۷۹ ، ۸۰ ،

۲۱۶ .

یهود : ۲۶۱ — ۲۶۲ ، ۲۶۸ .

(سینا) یوسف : ۲۶۷ ، ۲۷۴ ،

۲۸۵ — ۲۸۷ ، ۳۰۲ .

یوسیفوس (جوزیف) : ۲۴۸ ،

۲۸۲ ، ۲۹۵ ، ۲۹۷ ، ۳۴۴ ،

۳۴۵ ، ۳۴۶ .

محتويات الكتاب

تاريخ الأناضول القديم وبعض مظاهر حضارته
تاريخ الأناضول القديم

صفحة	
٥ - ٣	البيلة الجغرافية
٥	أصل القبائل الحيثية
٦ - ٥	مصادر دراسة تاريخ الأناضول القديم
٨ - ٦	بداية الاهتمام بأثار الأناضول القديمة
١٤ - ٨	العصور الحجرية القديمة
١٦ - ١٤	بداية العصور التاريخية
١٧ - ١٦	تأسيس المملكة الحيثية :
٢٠ - ١٧	- عصر الدولة القديمة
٢٤ - ٢٠	- عصر الدولة الحديثة
٢٤	الأناضول القديم وعلاقته الخارجية
٣٩ - ٢٥	الأناضول القديم وعلاقته بمصر

بعض المظاهر الحضارية في الأناضول القديم

٤١ - ٤٠	أولا - نظم الحكم والإدارة
٤١	ثانيا - النظم الاجتماعية
٤٢	ثالثا - الحياة الاقتصادية
٤٧ - ٤٢	رابعا - الديانة والمعتقدات
٤٩ - ٤٧	خامسا - الحياة الثقافية
٥١ - ٥٠	سادسا - الحياة الفنية
٥٣ - ٥١	بقايا العراصم القديمة

تاريخ بلاد الشام القديم وبعض مظاهر حضارتها

(تاريخ شمال بلاد الشام القديم)

(تاريخ سوريا ولبنان القديم)

صفحة	
٥٦ - ٦١	البيئة الجغرافية
٦١ - ٦٢	لور سوريا في التاريخ القديم
٦٢	اسم سوريا قديما
٦٣ - ٦٥	مصادر دراسة تاريخ سوريا القديم
٦٥	بداية الانتماء بأثر بلاد الشام القديمة
٦٦ - ٦٩	العصور الحجرية القديمة
٦٩	الشعوب الكبرى والممالك الصغرى التي قامت في سوريا والأحداث التي أثرت في تاريخها من منتصف الألف الثالثة حتى نهاية الألف الأولى ق. م :
٦٩ - ٧١	أولا - الآموريون
٧١ - ٧٦	- دويلة ماري
٧٧ - ٧٨	- مملكة إبلا
٧٨ - ٧٩	- مملكة بصاد
٨٠ - ٨٤	- مملكة موكنش
٨٤ - ٩٤	ثانيا - الكنعانيون (أو الفينيقيون)
٩٤ - ١٠٢	- المحطات والمحلات والمراكز والمدن التجارية التي أسسها الفينيقيون في الخارج :
١٠٢ - ١٠٧	قرطاجة
١٠٨	- الحروب التي نشبت ضد المدن الفينيقية في الداخل والمراكز التجارية في الخارج :
١٠٨ - ١١٢	- حملات الآشوريين

صفحة

١١٨-١١٣	- فنيقيا تحت الحكم الفارسي
١٢٣ - ١١٨	- الصراع بين قرطاجة واليونان
١٣٥ - ١٢٣	- الصراع بين قرطاجة والرومان
١٣٩ - ١٣٥	ثالثا - - الآراميون
١٤١ - ١٣٩	رابعا . - - الحوريون والميتانيون
١٧٥ - ١٤٢	أقدم العلاقات بين شعوب شمال بلاد الشام ومصر

بعض المظاهر الحضارية

لشعوب شمال بلاد الشام القديمة

١٧٦	- بعض المظاهر الحضارية عند الفينيقيين :
١٧٨ - ١٧٦	نظم الحكم والإدارة
١٧٩ - ١٧٨	الحياة الاجتماعية
١٩٥ - ١٧٩	الحياة الاقتصادية
٢٠٤ - ١٩٥	المعتقدات الدينية
٢١٢ - ٢٠٤	الحياة الثقافية
٢١٤ - ٢١٢	الحياة الفنية
٢١٦-٢١٥	- بعض المظاهر الحضارية عند الآشوريين
٢١٩ - ٢١٦	- بعض المظاهر الحضارية عند الآراميين
٢٢٢ - ٢١٩	- بقايا العواصم والمدن القديمة

تأريخ جنوب بلاد الشام القديم

(تاريخ فلسطين القديم)

٢٢٤ - ٢٢٣	البيئة الجغرافية
٢٢٩ - ٢٢٤	العصور الحجرية القديمة

صفحة

الأحداث التي أثرت في تاريخ جنوب بلاد الشام في منتصف الألف
الثالثة والثانية ق. م :

- استقرار الشعبين الفلسطيني والعبراني فيها مع السكان
الأصليين : ٢٢٠
- الفلسطينيون ٢٢١ - ٢٣٢
- الهجرات والعناصر الأخرى من العبرانيين ٢٣٣ - ٢٣٨
- الصراع بين الفلسطينيين والعبرانيين ٢٣٨ - ٢٤٠
- تولدت إسرائيل ويهوذا ٢٤٠ - ٢٤٢
- أقدم العلاقات بين شعوب جنوب بلاد الشام القديمة ومصر ٢٤٤ - ٢٥٩

بعض المظاهر الحضارية

لشعوب جنوب بلاد الشام القديمة

- العبرانيون
- نظم الحكم ٢٦٠
- المعتقدات الدينية ٢٦٠ - ٢٦٣
- بعض المظاهر الحضارية الأخرى ٢٦٣ - ٢٦٤
- تأثير العبرانيين بالحضارات المجاورة ٢٦٤ - ٢٦٥
- الكتب الدينية وسير الأنبياء وشعوب أرض فلسطين ٢٦٥ - ٢٧٤
- الأنبياء الثلاثة الذين شرف بهم أرض فلسطين ومصر : ٢٧٤
- سيدنا إبراهيم ٢٧٥ - ٢٨٤
- سيدنا يوسف ٢٨٥ - ٢٨٧
- سيدنا موسى ٢٨٧ - ٢٩١
- القدس في العصور القديمة : ٢٩٢ - ٢٩٣
- (١) ما قيل في أسماؤها ٢٩٣ - ٢٩٧

صفحة

٢٩٧ - ٣٠١	(٢) ما قيل في بناتها
٣٠١ - ٣٠٣	(٣) ما قيل في أول من سكنها
٣٠٣ - ٣٢٦	(٤) ما تعرضت له القس من أحداث وما شهنته من صراعات
٣٢٦ - ٣٢٨	(٥) ما قيل في وصف الأكصى
٣٢٨ - ٣٣٧	(٦) أهم التنقيبات الأثرية في أنحاء فلسطين والقس خاصة
٣٣٧ - ٣٥٣	(٧) نتائج هذه التنقيبات والآراء التي أبدت فيما يخص ما كان موجودا بها من آثار قديمة واختلفت تماما الآن
٣٥٣ - ٣٥٦	بقايا العواصم والمدن القديمة الأخرى
٣٥٧ - ٣٦٩	كشاف الأعلام
٣٧٠ - ٣٧٤	محتويات الكتاب

لعبت منطقة الشرق الأدنى القديم دوراً هاماً في التاريخ القديم فهي المنطقة التي يتوافر فيها أقدم الآثار، والوثائق التاريخية التي تخص نشاط انسان الشرق الأدنى القديم واطولها بقاءاً في الزمن.

وانها منطقة نشوء الحضارات القديمة، فظهرت فيها اول واقدم الحضارات، وان انسان الشرق الأدنى القديم خلف للأجيال التالية تراثاً حضارياً غنياً بالنظم الادارية والاجتماعية والاقتصادية والافكار الدينية. والمعارف في الحياة الثقافية والعلمية واساليب التربية والتعليم والابداع في مجالات الحياة الفنية والتنوع في مجال العلاقات الخارجية. وقد لا يعرف الكثيرون ان حضارات الشرق الأدنى القديم كانت مقدمة لنشأة الحضارة الاوروبية القديمة فكان لها تأثير واضح على حضارتى اليونان والرومان، وينفرد الشرق الأدنى القديم بأنه صاحب ال اثر الدينى والروحى الذى لا يوجد له نظير فى مناطق أخرى من العالم القديم، وأخيراً يجب أن نعلم أن تلك الثروة الأثرية التى لا يزال معظمها قائماً فى مكانه فى معظم بلدان الشرق الاوسط او عالمنا العربى تعد أدلة حقيقية وشواهد ثابتة على ما كان لأهل الشرق الأدنى القديم من سبق تاريخى وحضارى وهذا ما نحاول أن نظهره هذه السلسلة.

الناشر

Bibliotheca Alexandrina



0374065